تراثنا

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السادس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

إهـــــــــداء2005

جمعية المرأة و التنمية

الإسكندرية



خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ – ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السادس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الأربعمائة[1] :

٤٢١ (كاللّذْ تَزَبّى زُبْيَةً فاصطِيدا)

على أنّ حذفَ الياء من (الذى) وتسكينِ الذال لغةٌ .

قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : زُبيةٌ وجمعها زُبًى ، وهى أماكن تحفر للأسد . أنشد الفرّاء :

فكنتُ والأمرَ الذى قد كِيدا كاللّذْ تَزَبّى زُبيةً فاصطيدا

والزُّبى : أماكن مرتفعة ، يقال فى المثل : « قد بلغَ الماءُ الزُّبَى » ، قال العجّاج :

* قد بلغ الماءُ الزُّبَى فلا غِيَرْ * انتهى .

وقد أخذه القالى (فى المقصور والممدود) وزادَه . قال : ومن أمثالهم : « قد بلغَ السَّيلُ الزُّبى » ، يقال ذلك عند شدة الأمر . ومنه حديث عثمان : « أمّا بعد فقد بلغ السَّيل الزُّبَى » . ويقال إن النمل إذا أحسّت بندى الأرض ترفّعت إلى زُباها ، خوفاً من السَّيل ، فيُستدَلُّ بذلك من فعلها على كثرة المطر وخِصب السنة . قال الكميت :

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والانصاف ٦٧٢ ويس ١ : ٤٢ وشرح السكرى للهذليين ٦٥١ واللسان (زبى) .

وأصبحتَ منهم فوقَ علياء صعبةٍ
إذا بلغت تلك السُّيولُ زُبَى النَّملِ[١] اهـ .

وقال أبو فَيد مؤرِّج بن عَمرو السَّدوسى (فى أمثاله) : وتقول العرب: « قد بلغ السَّيلُ الزُّبى » ، وهو أن يبلغ الأمر منتهاه . والزُّبية غير القُترة . الزُّبية تحفر للأسد فيصاد فيها ، وهى ركيَّة بعيدة القعر ، إذا وقع فيها لم يستطع الخروجَ منها ، لبعد قعرها ، يحفرونها ثم يوضع عليها لحمٌ وقَدْ غمُّوها بما لا يحمله ، فإذا أتى اللحمَ انهدم غِطاء الزُّبية . وأمَّا القُترة والنَّاموس والبُرْأة فإنها حَفِيرة يحتفرها القانصُ على مواردِ الوحش ويَطرحُ عليها الشَّجر ، فإذا وردَتْ رمى من قريب. والزُّبية لا يستطيع أحدٌ نزولَها لبُعدها، والرَّمىُ فيها أبعد من أن يُرَى إذا دخلَها شىء . حدثنى سعيد بن السِّمَاك[٢] بن حرب عن أبيه ، عن حنش بن المعتمر قال : أُتِىَ مُعاذُ بن جبلٍ بثلاثة نفر قتلهم أسدٌ فى زُبْيَة ، فلم يدر كيف يُفتيهم ، فسأل علىَّ بن أبى طالب فقال : قُصُّوا علىَّ خبركم . قالوا : صِدنا أسداً فى زُبْيَة فاجتمعنا عليه ، فتدافع الناس عليها فرمَوْا برجلٍ فيها ، فتعلَّق الرجُل بآخر وتعلَّق الآخر برجل آخر ، فهوى فيها ثلاثتهم . فقَضَى فيها : أنَّ للأوَّل رُبْعَ الدية ، وللثانى النصف ، وللثالث الدية كلها .

وروى البيت الأول ابنُ ولاَّد (فى المقصور والممدود) :

* فظَلتُ فى الأمر الذى قد كيدا[٣] *

(١) البيت لم يرد فى ديوان الكميت .
(٢) سعيد بن سماك بن حرب ، يروى عن أبيه سماك بن حرب ، واختلف فى توثيقه ، لسان الميزان ٣ : ٣٣ . وسماك بكسر السين ، كما فى المشتبه للذهبى ٣٦٩ . ط : « السمال » صوابه فى ش . وكان أبوه سماك بن حرب من كبار التابعين ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .
(٣) المقصور والممدود لابن ولاد ٥١ .

يقول : ظِللتُ فى شرٍّ من الذى كِدْت فى حقّه ، كالذى عمل حُفرة ليصطاد فيها فاصطيد وأُخِذ . وفى هذا المعنى قولُ النبى صلى الله عليه وسلم : « من حَفر بئراً لأخيه يُوشِك أن يقعَ فيها » .

وروى غيره :

* ولا تكونَنّ من اللذْ كِيدا *

وهو ماضٍ مجهول من الكَيْد . و(تزبّى) معناه حَفر زُبية ، بضم الزاى المعجمة وسكون الموحدة ، وجمعها زُبًى . وأما الرُّبا بضم الراء المهملة ، فجمع رَبوة مثلثة الراء ، وهى ما ارتفع من الأرض .

صاحب الشاهد

وهذا من رجزٍ أورده السكرىُّ (فى أشعار الهذليين) لرجلٍ من هذيل ، وهو :

أَرَيْتَ إنْ جاءت به أملودا مُرَجَّلا ويَلبسُ البُرودا

— أى إن جاءت به ملكاً أملوداً أملس —

* ولا تَرى مالاً له مَعدودا *

— أى لا يُعدُّ ماله من جُوده —

أقائلون أعجِلِي الشُّهودا فَظلتُ فى شرٍّ من اللّذْ كِيدا

* كاللّذْ تزبّى صائداً فصِيدا *

ويروى : «فاصطيدا[1]» . و(تزبّى زُبية) : حفر زُبية . يقول : أرأيت إنْ ولدت هذه المرأةُ رجلاً هذه صفته ، أيقال لها : أقيمى البيِّنة أنك لم تأتِى به من غيره[2] .

(١) ط : « فاصطيد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « يقال لها أقيمى البينة أنك لم تأت به من غيره » ، صوابه فى ش .

هذا ما أورده السكرى . ويأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى نون التوكيد من آخر الكتاب .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرين بعد الأربعمائة[1] :

٤٢٢ (فقُلْ لِلّتْ تلومُكَ إنَّ نفسى أراها لا تُعوَّذُ بالتَّميمِ)

على أنّ الياء حذفت من التى ، وسكن تاؤها .

هذا البيتُ أنشده ابنُ الشجرى (فى أماليه) عن الفراء وقال : التميم : جمع تميمة ، وهى التَّعويذُ .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٤٢٣ (أَبنِى كُليبٍ إنَّ عمَّىَّ اللذا قتَلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا)

على أنّ حذفَ النّون من قوله الّذا ، وأصله اللذان ، تخفيفًا ، لاستطالة الموصول بالصّلة . هذا قول البصريين ، وأما الكوفيون فحذفُ النّون عندهم لغة فى إثباتها ، أطالت الصلة أم لم تَطُلْ . حكاه عنهم ابن الشجرى (فى أماليه). ٥٠٠

قال سيبويه : « قال رجلٌ من الأنصار :

الحافظو عَورة العشيرةِ لا يأتيهمُ من ورائنا وَكَفُ

لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون ، ولكنْ كما حذفوها

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والهمع ١ : ٨٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المقتضب ٤ : ١٤٦ والمنصف ١ : ٦٧ والمحتسب ١ : ١٨٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ والعينى ١ : ٣٢٤ والتصريح ١ : ١٣٢ والهمع ١ : ٤٩ وديوان الأخطل ٤٤ . وسيأتى مرة أخرى فى ٣ : ٤٧٣ بولاق .

من اللذين والذين حين طال الكلام، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر. وقال الأخطل :

* أبني كليب إنّ عمّيّ اللذا * . . . البيت

لأنّ معناه الذين فعلوا ، يعني الحافظو عورة العشيرة ، وهو مع المفعول بمنزلة اسم مفرد لم يعمل في شيء ، كما أنّ الذين فعلوا مع صلته بمنزلة اسم . قال أشهب بنُ رُميلة :

إنّ الذى حانت بفَلجٍ دماؤُهم
همُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالدٍ انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للأخطل يفتخر بقومه ويهجو جريراً .

والألف للنداء ، وبنو كليب بن يربوع : رهط جرير . فخر الأخطلُ على جرير بمن اشتهر من قومه من بنى تغلب وَساد ، كعمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بنِ هندٍ ملك العرب ، وعُصْم أبي حَنَش[1] قاتل شُرَحْبيل بن عمرو بن حُجر ، وغيرهم من سادات تغلب. و (الأغلال) : جمع غُلّ ، وهو طوقٌ من حديد يُجعَل في عنق الأسير ، وقد يكون من قِدٍّ وعليه شَعَر فيقْمَل على الأسير ، ومنه قيل للمرأة السيِّئة الخلق : «غُلٌّ قَمِلٌ » ، بفتح القاف وكسر الميم ، أي ذو قَمْل . أي إنّ عمّيه بفكان الغُلّ من عُنق الأُسَراء ويُنجونهم من أَسْرِ أعدائهم قسراً عليهم . قال السكري (في شرح ديوان الأخطل) : أحد عميه أبو حَنَش عُصْمُ بن النعمان ، قاتل شُرَحبيلَ بن الحارث بن عمرو آكل المرار

(١) أبو حنش : كنية لعصم ، وهو عصم بن النعمان ، كما سيأتى وكما فى الاشتقاق ٣٣٨ وجمهرة ابن حزم ٣٠٤ .

يوم الكُلاب الأول . والآخر دَوْكسَ بن الفَدَوْكس بن مالك بن جُشَمَ بن بكر بن حُبيب ، بالتصغير . وبعده :

(وأخوهما السَّفَّاحُ ظَمَّأ خيلَه حتى وردن جِبَا الكُلاب نِهالا)

الكُلاب بضم الكاف : اسمُ ماء فيما بين البصرة والكوفة على بضعَ عشرةَ ليلةً ، ومن اليمامة على سبع ليالٍ أو نحوها . والجِبا بكسر الجيم بعدها موحّدة ، قال السكّرىّ : السفّاح اسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زهير ، من بنى تَيْم بن أسامة بن بكر بن حُبَيْب . وإنما سمّى السفاح لأنّه لما دنا من الكُلاب عَمَد إلى مَزادِ أصحابه فشقّقها وسفح ماءها وقال : لا ماء لكم إلا ماء القوم ، فقاتِلُوا عنه وإلاّ فموتوا عِطاشا . انتهى .

وللعرب وَقْعتان على الكُلاب يقال لهما يوم الكُلاب الأوّل ويوم الكُلاب الثانى . وقد تقدم شرح الكلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين[1] ، وهذا شرحُ اليوم الأوّل باختصار :

يوم الكلاب الأول

قال الإمام العسكرى (فى كتاب التصحيف) : أما اليوم الأول فكان فى الجاهلية لبنى تغلب ، وعليهم[2] سلمة بن الحارث الكندى ، ومعهم ناسٌ من بنى تميم قليلٌ ، وفيهم سُفيان بن مجاشع . وكانت تميمٌ يومئذ فرقتين : فرقةٌ مع تغلب ، وفرقة مع بكر بن وائل . فلقى سلمة بن الحارث بن عمرو أخاه شُرحبيل ابن الحارث ، ومع شرحبيل بكر بن وائل وبعضُ بنى تميم فهُزم أصحابُ شُرَحبيل وقُتِل شرحبيل . قال ابن الكلبى : شرحبيل بن الحارث الكندى من ولد حُجر آكل المرار : ملك بنى تميم ، وسلمة بن الحارث ملك بنى تغلب . انتهى .

٥٠١

---

(١) الخزانة ١ : ٤١٠ .

(٢) ش : « عليهم » بدون واو ، وهى بالواو فى تصحيف العسكرى

وقد تجوّز الأخطل فى جعل أبى حَنَش ودَوْكس عمّيه، مع أنّهما من أعمام آبائه، كما تجوّز فى جعل السفاح أخاً لهما. والصواب ماقاله ابن قتيبة فى ترجمة ابن كلثوم (من كتاب الشعراء): يعنى بعمّيه عمراً ومرَّة ابنىْ كلثوم؛ فإنّ عمراً قتل عمرو بن هند، ومُرَّةُ قتل المنذر بن النعمان بن المنذر. ولذلك قال الفرزدق لجرير:

ماضَرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَها ... أم بُلْتَ حيث تناطَحَ البحرانِ

قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوَةً ... عمراً، وهم قَسَطُوا على النُّعمانِ

انتهى.

ونقل ابن المستوفى عن الخوارزمى أنه قال: فى حاشية نسختى من المفصَّل: يعنى بعمّيه ابنَ هبيرة التّغلبى، والهذَيل بن عِمرانَ الأصغر. قال: سُئلتُ كيف يكونان عمّيه وأحدهما ابن عمران والآخر ابن هبيرة؟ أجبت بأنّه يحتمل أن يكون أحدهما عمَّه والآخر عمّ أبيه أو جده. وكلاهما يسمّى عمّاً. انتهى.

وقال ابن خلف: عمّاه أبو حنش وأخوه، أو رجلٌ آخر من قومه غير أخى أبى حنش. وقيل عمه الآخر عمرو بن كلثوم. انتهى:

وأول القصيدة نسيبٌ، وهذا مطلعها:

أبيات الشاهد

(كذَبتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ ... غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيالا

وتعرَّضَتْ لك بالأباخ بعدَما ... قطعَتْ بأبرقَ خُلَّةً ووِصالا

وتَغوَّلت لتَرُوعَنا جِنّيَّةٌ ... والغانياتُ يُرِينَكَ الأهوالا

يَمدُدن من هَفَواتِهن إلى الصِّبا
سبباً يصِدْنَ به الرِّجالَ طُوَالا
ما إنْ رأيتُ كمكرهِنَّ إذا جرى
فينا ، ولا كحبالهنَّ حِبالا
المهدياتُ لمن هَوِينَ مَسَبَّةً
والمحسِناتُ لمن قَلَيْنَ مَقَـالا
يَرعَين عهدَك ما رأينَك شاهداً
وإذا مَذِلتَ يَصِرن عنك مِذَالا
وإذا وعَـدْنَك نائلاً أخلفْنَه
ووجدتَ عنـد عِداتِهن مِطالا
وإذا وزَنتَ حُلومهنَّ إلى الصبا
رَجَح الصِّبـا بحلومهنَّ فمالا)

ثم بعدَ أربعةِ أبيات من هذا النمط قال :

* ابنى كليب إنَّ عمَّىَّ اللذا * البيت

وذكر ثلاثة أيامٍ أُخَر مما أوقع بنو تغلبَ ببنى تميم ، وهى يوم الكُحَيل بالتصغير ، ويوم الشَّرعَبِيَّة ، ويوم إرَاب .

يوم الكلاب

وكان السبب فى يوم الكلاب أنَّ الحارث بن عمرو الكندىَّ جدَّ امرىء القيس الشاعِر، مَلَكَ المدرَ والوبر أربعين سنة ، وقيل ستِّين سنة ، وقد كان فرَّق بنيه فى قبائلِ معدٍّ قبل موته ، فجعل حُجراً وهو أبو امرىء القيس فى بنى أسد وكنانة، وكان أسنَّ ولده . وجعل شرحبيل فى بكر بن وائل، وبنى حنظلة بن مالك ، وبنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب. وجعل سَلمة، وهو أصغرهم، فى بنى تغلب، والنَّمر بن قاسط، وبنى سعد بن زيد

٥٠٢ مناة . فلما هلك الحارثُ تشتّتَ أمرُهم ،وتفرّقت كلمتهم ، ومشت الرِّجالُ بينهم وتفاقم أمرُهم ، حتّى جمع كلٌّ واحدٍ منهم لصاحبه الجموعَ ، وزحف إليه بالجيوش ، فسار شُرحبيل فيمن معه فنزل الكُلاب ، وأقبل سَلمة فيمن معه من بني تغلب وسعدٍ وغيرهما ، وكان على بني تغلب السفّاحُ المذكور ، فالتقى القومُ فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كان في آخر النهار ، خُذِلت بنو حنظلة وعمرو ابن تميم والرِّباب ، وانصرف بنو سعد ، وصَبَرا ابنا وائل : بكر وتغلب ، وليس معهم أحدٌ غيرهم ، حتّى غشِيَهمُ اللّيل ،فنادى مُنادِي شرحبيل:من أتاني برأسِ سلمة فله مائةٌ من الإبل . ونادى منادى سلمة كذلك . ولمّا انهزم بنو حنظلة مع من ذكرنا خرجَ معهم شرحبيل ، ولحقه ذو السُّنينة — كانت له سنٌّ زائدة فسمّى بذلك — فضربه شُرحبيل على رُكبته فأطنّ رِجلَه ، وكان ذو السُّنينة أخا أبي حَنَش لأمّه ، فقال ذو السنينة : يا أبا حنش ، قتلني الرّجُل ! وهلك فقال أبو حنش : قتلني الله إنْ لم أقتله ! فحمل أبو حنش على شُرحبيل فأدركه ، والتفت إليه فقال : يا أباحنش ، اللّبنَ اللّبنَ ! قال : قد هرقتَ لبناً كثيراً . فقال: يا أباحنش،أملِكًا بسوقة؟ فقال : إنّه كان مَلِكي. فطعنه فألقاه فاحتزّ رأسه ، فبعث به مع ابن عمّ له إلى سلمة فطرحَه بين يديه فقال سلمة:لو كنت ألقيته إلقاء رفيقا ؟ فقال : ماصنع بهوهو حيٌّ شرٌّ من هذا! وعرفَ القوم الندامة في وجهه ، والجزعَ على أخيه ، فهربَ أبو حنش فقال سلمة :

ألاَ أبلغْ أبا حنشٍ رسولاً فمالكَ لاتجيء إلى الثَّواب
تعلّمْ أنّ شرّ النّاس طُرّا قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ

فأجابه أبو حنش :

أحاذرُ أنْ أجيئك ثمّ تحبو حِباء أبيك يومَ صُنَيبِعاتِ

وكانت غَدرةً شنعاء تهفو تقلَّدَها أبوكَ إلى المماتِ

وقوله : « كذبتك عينك » إلخ خطابٌ لنفسه ، وفيه حذفُ ألف الاستفهام ، أى أكذبتك . وبه استشهد بعضهم . وأرده ابن هشام (فى المغنى) على أن أبا عبيدة قال : إنَّ أمْ تأتى للاستفهام المجرد عن الإضراب ، وقال : إن المعنى فى البيت هل رأيت ؟ وفى (تفسير ابن جرير) عند قوله تعالى : ﴿ أم تُرِيدون أن تَسألُوا رَسُولَكم[1] ﴾ قال : أم هنا على الشكِّ ، ولكنَّه قاله ليقبِّح به صنيعَهم ، كقول الأخطل : كذبتْكَ عينك ، البيت .

والرَّباب : اسم امرأة . وواسط هذه : قريةٌ غربىَّ الفُرات مقابِل الرَّقَّة من أعمال الجزيرة . والخابور : قربَ قِرقيسياء[2] ، وهى من منازل بنى تغلب . وليست واسطُ هنا واسط التى بناها الحجَّاج بين البصرة والكوفة ، خلافاً لشارح شواهد المغنى . نقل ياقوت (فى معجم البلدان) عن الأسود أبى محمد الغَنْدجانى قال : أخبرنى أبو النَّدى[3] قال : للعرب سبعة أواسط : واسط نجد وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة . قال الأخطل :

* كذبتك عينك أم رأيتَ بواسطٍ * البيت

وواسط اليمامة ، وواسط العراق وهى التى بناها الحجاج فى سنة أربع وثمانين وفرغ منها فى ست وثمانين . قال أبو النَّدى : وقد أُنسِيتُ اثنتين . ثم قال ياقوت : وواسط أيضاً : قريةٌ مشهورةٌ ببلخ ، وواسط : قرية بحلب

(١) الآية ١٠٨ من البقرة .

(٢) قرقيسياء بياءين كما فى ط ومعجم البلدان . قال ياقوت : « ويقال بياء واحدة » . وفى ش « قرقيسياء » .

(٣) ط : « أبو النداء » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش .

٥٠٣ قربَ بُزاعة(١) مشهورةٌ، وبالقرب منها قريةٌ يقال لها الكوفة . وواسط : قرية بدُجَيل على ثلاثة فراسخ من بغداد.وواسط : قرية بالأندلس . وواسط : قريةٌ قرب مرزاباد، حلة بنى مزيد من أعمال بغداد يقال لها واسط مرزاباد . وواسط: قرية فى شرقىّ دجلة الموصل بينهما ميلان ، ذات بساتين كثيرة . وواسط : قريه باليمن بسواحل زَبيد . وواسط : موضع فى بلاد تميم . وواسط من منازل بنى قُشَير . وواسط : موضعٌ بين العُذَيب والصفراء . وغير ذلك .

وقوله « وتعرَّضت لك بالأبالخ » هو جمع بَليخ ، بفتح الموحدة وكسر اللام وآخره خاء معجمة ، قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : البَليخ : نهر الرَّقّة والفُرات ، وبينه وبين شطِّ الفرات ليلةٌ . وجَمَعه باعتبار أجزائه . وتغوَّلت : تهوّلت . والغانية : المرأة التى غنِيَتْ بجمالها عن الزِّينة . وهفَواتهن: جهلُهنّ . والسَّبَب : الحبل . والطُّوال ، بضمِّ الطاء ، بمعنى الطويل صفة لسبب.

ومَذِلاتَ بكسر الذال المعجمة بمعنى قلقْتَ وضجرت ، ومِذَال ، بكسر الميم : جمع مَذْلة بفتح فسكون ، كعَبْلة وعِبال ، وجَمْدة [وجِماد(٣)] بمعنى قلقة ومتَضجِّرة .

والأخطل : شاعرٌ نصرانى من شعراء الدولة الأموية ، وتقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين(٤) .

وقد نسب الزمخشرى (فى المفصل) البيت الشاهد للفرزدق ، ونقله العينىُّ عنه . وهذا سهوٌ من قلم الناسخ . والله أعلم .

***

(١) بزاعة بضم الباء وكسرها ، كما فى معجم البلدان .
(٢) الكلام بعده الى « مرزاباد » التالية ، ساقط من ط .
(٣) تكملة يقتضيها السياق .
(٤) صوابه « الثامن والسبعون » . الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الأربعمائة[1] :

٤٢٤ (هما اللّتا لو ولدَتْ تميمُ لقيل نخرٌ لهمُ صميمُ)

على أنّ نون اللتان حُذفت لاستطالة الموصول بالصلة تخفيفاً، كالبيت المتقدم .

قال شُرّاح التسهيل : حذفُ النون من الذينَ واللّذُون واللّتان لغةُ بنى الحارث بن كعب وبعض بنى ربيعة . وأنشدوا هذين البيتين .

والعجب من ابن مالك بعد أن قال (فى التسهيل) : إنّه يجوز حذف النون، قال (فى شرحه) : إنّ حذف النون من هما اللّتا ضرورة، وهما مبتدأ، واللتا خبره بتقدير موصوف، أى هما المرأتان اللتان، والجملة الشرطيّة مع جوابها صلة الموصول، والعائد محذوف لكونه مفعولاً، أى ولدتْهُما، وتميم فاعل وَلِدَتْ، وهو أبو قبيلة . والصميم : الخالص النقى، وهو صفةٌ للمبتدأ الذى هو نخرٌ، ولهم هو الخبر، والجملة مقول القول .

قال ابن الشجرىّ : وهذا البيت أنشده الفراء[2] .

صاحب الشاهد

وقال العينىُّ : « هو للأخطل » . وقد فتشت أنا ديوانه فلم أجده فيه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الأربعمائة[3] :

٤٢٥ (قومى اللذُو بعكاظٍ طيّرُوا شرراً

من رُوس قومِكَ ضرباً بالمصاقيلِ)

على أنه قد تحذف النون من اللذون .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والعينى ١ : ٤٥٥ والتصريح ١ : ١٣٢ والهمع ١ : ٤٩ .

(٢) لم يرد فى معانى القرآن .

(٣) لم أجد له مرجعا آخر .

و (عُكاظ) بضم العين المهملة وبالتنوين ، باعتبار أنه اسمُ مكان .
قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : عكاظ : صحراء مستوية لا علمَ فيها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التى كانت بها فى الجاهلية ، وبها من دماء الإبل كالأرحاء العظام[١]. وكانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقاً لمكة فى الجاهلية .
قال محمد بن حبيب : عكاظ بأعلى نجد قريبٌ من عرفات. وقال غيره : عكاظ وراء قَرْن المنازل بمرحلةٍ من طريق صنعاء ، وهى من عمل الطائف وعلى بريدٍ منها ، وأرضُها لبنى نصر ، واتُّخذت سوقاً بعد الفيل بخمسَ عشرةَ سنة ، وتُركت عامَ خرجت الحَرُورية بمكة مع المختار بن عَوف ، سنة تسع وعشرين ومائة ، إلى هلم جَرًّا . قال أبو عبيدة : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وكان سوقُ عكاظ يقوم صبحَ هلال ذى القَعدة عشرين يومًا ، وبسوق مَجَنَّة تقوم[٢] عشرةَ أيام بعده ، وسوق ذى المجاز تقوم هلالَ ذى الحجة . ثم قال : وعكاظٌ مشتقٌ من قولك : عكَظْت الرجل عكظاً ، إذا قهرتَه بحجته ، لأنهم كانوا يتعا كظون هناك بالفخر . وكانت بعكاظٍ وقائعُ مرّةً بعد مرّة . وذكر أبو عبيدة أنّه كان بعكاظ أربعةُ أيام : يوم شَمْطة[٣] ، ويوم العَبْلاء ، ويوم شَرِب[٤] ، ويوم الحُرَيرة ، وهى كلها من عكاظ . قال : فشَمْطة من عكاظ هو

٥٠٤

(١) فى بعض نسخ معجم ما استعجم ٩٥٩ : « كالأرحال العظام » تحريف .

(٢) فى معجم ما استعجم : « يقوم » فى هذا الموضع وتاليه . والسوق يذكر ويؤنث . وانشدوا فى التذكير :

ألم يعظ الفتيان ما صار لمتى بسوق كثير ريحه وأعاصره

(٣) ط : « شمظة » فى جميع المواضع هنا ، وأثبت ما فى ش . وقد أورد ياقوت « شمطة » بالطاء المهملة ، ثم قال : « ورواه الأزهرى بالظاء المعجمة .

(٤) شرب ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، قال ياقوت : « وبشرب كانت وقعة الفجار العظمى » .

الوضع الذى نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بنى كنانه بعد يوم نخلة ، وهو أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيام الفِجَار بحول ، على ماتواعدَتْ عليه مع هَوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يُقتَل من قريش أحدٌ يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبل يقال له دَخْم ، فلم يُقتَل منهم أحد . وقال خداش بن زهير :

فأبلغْ إنْ بلغتَ به هشاماً وعبدَ الله أبلغْ والوليدا
بأنّا يوم شمطةَ قد أقمنا عمُودَ الدِّين ، إنّ له عَمودا

ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة بالعَبْلاء إلى جنب عُكاظ ، فكان لهوازنَ أيضاً على قريش وكنانة . قال خِداش بن زُهير :

ألم يَبلغكمُ أنّا جدَعْنا لدَى العبلاء خِندِفَ بالقيادِ
ضَربناهمْ ببطنِ عُكاظ حتّى تولّوا طالعين من النِّجادِ[١]

ثم التقَوْا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نَخْلة بشَرِب ، وشَربٌ من عكاظ . ولم يكن بينهم يومٌ أعظمَ منه ، فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدَّم لهوازن عليهم يومان ، وقيّدَ أبوسفيانَ وحربٌ ابنا أمية[٢] وأبو سفيان بنُ حرب أنفسَهم ، وقالوا : لايبرح منّا رجلٌ مكانه حتى يموتَ أو يظفر[٣] افانهزمت هوازن وقيس كلها إلا بنى نصر ، فإنّها صَبَرت مع ثقيف ، وذلك أنّ عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال ، فلم يُغنُوا شيئاً ، ثم انهزموا وقُتلت هوازنُ يومئذٍ قتلاً ذريعا . قال أميّة بن الأسكر الكنانىّ :

(١) فى معجم البكرى : « ظالعين » بالظاء المعجمة .
(٢) فى المعجم : « سفيان وحرب ابنا أمية » . ومما يجدر ذكره أن أمية الأكبر بن عبد شمس من أولاده سفيان وأبو سفيان ، وحرب وأبو حرب ، كما فى الجمهرة ٧٨ . وفى النسختين : « أبنا أمية » والوجه ما اثبت من المعجم .
(٣) فى المعجم : « أويظهر » .

ألاَ سائلْ هوازنَ يومَ لاقَوْا
فوارسَ من كنانةَ مُعلميناَ

لدى شَربٍ وقد جاشوا وجِشْنا
فأوعَبَ فى النَّفير بنو أبينا[١]

وقال :

قومى اللَّذُو بعكاظٍ طيَّروا شَرراً
من رُوس قومِكَ ضرباً بالمصاقيلِ[٢]

ثم التقَوْا على رأس الحول بالُحرَيرةِ ، وهى حَرَّةٌ إلى جنب عُكاظ مما يلى مهبَّ جنوبها ، فكان لهوازنَ على قريش وكنانة .

و (الشَّرَر) بفتحتين ، هو إمَّا جمع شَرَرة ، وهو مايتطاير من النَّار ، وكذلك الشَّرار والشَّرارة ؛ وإما مصدر شررتَ يارجلُ بفتح الراء وكسرها ، شَرًّا وشَرَراً وشَرارة،من الشرِّ نقيض الخير . وقوله :(من رُوس قومِك) هو بحذف الهمزة من رءُوس . وقوله : (ضرباً) إما منصوب بنزع الخافض أى بضربٍ ، وإمامنصوب بعامل محذوفٍ حال من الواو فى طـَيَّروا ، أى يضربون ضرباً ، أوضاربين ضرباً . و (المصاقيل) : جمع مصقول ، من الصَّقل ، وهو جِلاء الحديد وتحديده ، أى جعلُه قاطعاً . أراد كلَّ آلة حديدٍ من السِّلاح ، مثل السيف والسِّنان .   ٥٠٥

صاحب الشاهد   والبيت لأمية بن الأسكر الكنانى ، ولم أقف على ماقبله ولا مابعده .

(١) ط : « فادعب » ، صوابه فى ش والمعجم .
(٢) هذا البيت لم يرد فى معجم ما استعجم .

أمية بن الأسكر

وأمية ، كما قال صاحب الأغانى : أمية بن حُرثان بن الأسكر بن عبد الله ابن سَرابيلِ الموت(١) بن زهرة بن زَبينة(٢) بن جُندَع بن ليث بن بكر بن عَبد مناة بن كنانة بن مدركة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . شاعرٌ فارس مخضرم ، أدركَ الجاهليّة والأسلام . وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيامٌ مأثورةٌ مذكورة .

كلاب بن أمية

وابنه كِلاب بن أمية أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى صاحبُ الأغانى بسنده إلى الزُّهرى عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ثم لقى ذاتَ يومٍ طلحة بنَ عُبيدالله ، والزُّبير بن العوّام ، فسألهما : أىُّ الأعمال أفضل فى الأسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضَعُف ، فلما طالت غيبة كِلابٍ عنه قال :

لِمَنْ شيخانِ قد نشــدا كلابا
كتابَ الله لو قَبِلَ الـكتابا(٣)

أناديه فيُعـــرض فى إباء
فلا وأبى كلابٍ ما أصابا

---

(١) وفى الأغانى : « بن سراسل الموت » ، تحريف . والذى فى جمهرة ابن حزم ١٨٣ : « بن عبد الله سربال الموت » .

(٢) فى النسختين : « زبيبة » ، وفى الأغانى : « زينبة » ، صوابه من الجمهرة ١٨٣ والاصابة ٢٥١ .

(٣) فى الأغانى ١٨ : ١٥٧ : « ان قبل » ، وفى الجمهرة : « لو حفظ » . وفى المعمرين ٦٨ : « لو ذكر » .

إذا سجعَتْ حمامةُ بطن وَجٍّ
إلى بَيضاتِها دعَوَا كِلابا[١]

أتاه مهاجرانِ تكنّفاه
ففارق شيخَه خطأً وخابا

ترَكتَ أباك مُرعَشةً يداهُ
وأمّك ما تُسيغ لها شَرابا

تمسّح مَهدَه شَفقًا عليه
وتجنُبُهُ أباعِرَها الصِّعابا[٢]

فإنّك وابتغاء الأجرِ بعدى
كباغى الماء يتّبع السَّرابا[٣]

قال: تَجْنبه وتُجَنِّبه واحد، من قول الله تعالى: ﴿ واجْنُبني وبَنِيَّ أن نَعبُدَ الأصنام[٤] ﴾، فبلغت عمر رضى الله عنه فلم يردُد كلابا، فأهْتِرَ أميةُ وخَلَّط جزعًا عليه، ثم أتاه يومًا وهو فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصارُ، فوقَفَ عليه وأنشأ يقول:

أعاذلُ قد عذلتِ بغير علمٍ
وما تدرين عاذلُ ما ألاقى[٥]

---

(١) فى الأغانى: « بطن واد » . وفى الاصابة:
اذا نعب الحمام ببطن وج   على بيضاته ذكرا كلابا
وفى المعمرين: « اذا هتفت حمامة بطن وج » .
(٢) ط: « مهره » ، صوابه فى ش والمعمرين .
(٣) الاصابة: « وانك والتماس الأجر » .
(٤) الآية ٣٥ من سورة ابراهيم .
(٥) فى المعمرين ٦٨ والاصابة: « وما يدريك ويحك ما ألاقى » .
وفى معجم البلدان (بنساق): « ولا تدرين عاذل » .

فإمّا كنتِ عاذلتى فرُدّى
كلاباً إذْ توجّـــه للعراقِ

ولم أقضِ اللُّبانةَ من كلابٍ
غَـداة غـدًا وآذنَ بالفراقِ[1]

فتى الفتيانِ فى عُسرٍ ويُسْر
شديدُ الرُّكن فى يوم التلاقى

فلا وأبيكَ ما باليتَ وَجْدى
ولا شَغَفى عليـكَ ولا اشتياقى

وإبقائى عليـكَ إذا شـتَوْنا
وضمّكَ تحت نحرى واعتناقى[2]

فلو فَلقَ الفؤادَ شديدُ وجـدٍ
لهمَّ ســوادُ قلبى بانفـلاقِ[3]

سأستعدِى على الفاروق ربًّا
له دفـعَ الحجيجُ إلى سياقِ[4]

٥٠٦ وأدعُـو الله مجتهداً عليـــــه
ببطن الأخشَبَينِ إلى دُفاقِ

(١) ط والأغانى : « غداة غد » بالاضـــافة ، والوجه ما أثبت من ش .
(٢) فى معجم البلدان : « وايقادى عليك » .
(٣) فى الأغانى : « حطام وجد » ، وفى المعمرين : « حماط وجد » .
(٤) ط والمعمرين والاصابة : «له رفع» ، وأثبت ما فى ش والأغانى . وفى البلدان : « له عمـــد » . وســياق ، كذا فى النســختين ، وفى هامش نسخة ش : « كذا بخط المؤلف رحمه الله ، وصــوابه بســـاق بتقديم الباء ، كغراب » . وهو جبل بعرفات ، وقيل واد بين المدينـــة والجار .

إنِ الفاروقُ لم يردُدْ كلاباً
إلى شيخين هامُهما زواقى

قال : فبكى عمرُ بكاء شديداً ، وكتب إلى سعد بن أبى وقّاص بالكوفة يأمره بإقفال كلاب بن أميَّة إلى المدينة ، فلمَّا دخل عليه قال له : ما بلغَ من برِّك بابيك ؟ قال : كنت أكفيه أمرَه ، وكنت أعتمِد إذا أردت أنْ أحلُب لبناً أغزرَ ناقة فى إبله وأسمنها، فأريحُها فأتركها حتّى تستقرّ، ثمّ أغسل أخلافها حتى تبرد ، ثم أحلُب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أميَّة فجاء يتهادَى وقد ضَعُف بصره وانحنى، فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ فقال: كما ترَى ياأمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟قال: نعمْ أشتهىأن أرى كلاباً فأشمّهَ شمّةً ،وأضمّه ضمّةً قبلأن أموت!فبكى عمر وقال:ستبلُغ فى هذا ماتحبُّ إن شاء الله !ثم أمر كلاباً أنْ يحتلب لأبيه ناقةً كما كان يفعل ويبعثَ إليه بلبنها . ففعل ،فناوله عمرُ الإناء قال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلمَّا أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمرُ الله يا أميرَ المؤمنين إنىِّ لأشَمُّ رائحة يدَىْ كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال له : هذا كِلابٌ عندكَ حاضر ، قد جئناك به . فوثب إلى ابنه فضمّه إليه وقبّله ، وجعل عمرُ يبكى ومَنْ حَضَره ، وقال لكلاب : الزم أبوَيك مابقِيا ، ثمَّ شأنكَ بنفسك بعدهما . وأمر له بعطائه وصَرفَه إلى أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبواه[1] .

وأخبرنا الحسن بن علىّ قال : حدثنا الحارث عن المدائنى قال : لمّا مات أميةُ بن الأسكر عاد ابنهُ كلابٌ إلى البصرة ، فكان يغزو ، وشَهِد فتوحًا كثيرة[2]، وبقى إلى أيّام زياد ، فولاّه الأبلّة ، فسمع كلابٌ يوماً عثمان بن

(١) فى الأغانى : « أبوه » .
(٢) فى الأغانى : « فتوحات كثيرة » .

أبى العاص يحدِّث أن داود نبى الله عليه السلام كان يجمع أهله فى السَّحَر فيقول: ادعوا ربكم فإنَّ فى السحر ساعة لايدعو فيها عبدٌ مؤمن إلا غُفِرَ له ، إلا أن يكون عَشَّارا أو عَرِيفا . فلما سمع ذلك كلابٌ كتب إلى زيادٍ فاستعفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنى : ولم يزل كلابٌ بالبصرة حتَّى مات . والمربَّعة المعروفة بمربَّعة كلابٍ منسوبة إليه . قال : وعُمِّر أمية بن الأسكر عمراً طويلا حتى خَرِف .

وكذلك قال أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين) ، ولم يذكرا مامقدارُ عمره وفى أىِّ سنةٍ أسلم ، وفى أىِّ سنةٍ مات . والله أعلم .

ونقل صاحب الأغانى عن أبى عمرو الشيبانى أنَّ كلاب بن أميَّة هاجر إلى النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم ، فقال فيه أبوه شعراً ، فأمره النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم بصلة أبيه وملازمةِ طاعته .

ثم قال : هذا خطأ من أبى عمرو ، وإنما أمره بذلك عُمَر .

وذكره ابن حجر (فى قسم الصحابة) ثم قال: إنما لم أؤخِّره إلى المخضرمين لقول أبى عمر والشيبانى ، فإنَّه ليس فى بقيَّة الأخبار ماينفيه ، فهو على الاحتمال ولا سيما من رجل كنانىٍّ من جيران قريش اهـ .

وذكر الذهبى أمية هذا (فى التجريد) وقال : فى صحبته نظر .

قال ابن حجر : الأسكر بالسين المهملة ، فيما صوَّبه الجيَّانى . وضبطه ابن عبدالبر بالمعجمة .

تتمة

الشاهد المشهور فيما بين النحويين لقولهم اللّذون هو قوله :

نحن اللّذون صَبَّحوا الصَّباحا

يومَ النُّخيلِ غارةً مِلحاحا

قطعة من أرجوزة أوردها أبو زيد (فى نوادره) [١] وقال : هى لأبى حرب الأعلم[٢] ، من بنى عُقيل بالتصغير ، وهو شاعرٌ جاهلى . وبعدهما : ٥٠٧

نحنُ قتلنا الملكَ الجَحْجاحَا ولم نَدَعْ لسارِحٍ مُراحا

ولا دِياراً أودماً مُفاحا[٣] نحن بنو خُوَيلدٍ صِراحا

* لا كَذِبَ اليومَ ولامِزَاحا *

قوله : «أودماً مُفاحا» أو فى معنى واو العطف . والمُفَاح : المُهْرَاق . يقال فاح دمُه وأفاحَ جميعاً ، يَفِيح فَيْحًا ويُفِيح إفاحة ، لم يعرف الرِّياشىُّ ولاأبوحاتم: أفاح . « لا كَذب اليوم ولامِراحا » قال أبو حاتم : مِراحا بكسر الميم وبالراء المهملة ، وهو النشاط[٤] . قال أبو زيد : أنحت دمَه ففاح يَفيح فَيحانا . والجَحْجاح : السيِّد . هذا مافى النوادر .

والنُّخيل ، بالتصغير :عين ماء قُربَ المدينةعلى مشرِّفها الصلاةُ والسَّلام ، وموضعٌ من نواحى الشام . ولم يذكر أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) هذا اللفظ ولا ذَا النُّخيل[٥] وهو موضع قرب مكة ، وموضع قرب حَضْرموت .

---

(١) نوادر أبى زيد ٤٧ . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٨١ والعينى ١ : ٤٢٦ والتصريح ١ : ٣٣ والهمع ١ : ٦١ ، ٨٣ والأشمونى ١ : ١٤٩ .

(٢) وكذا عند العينى . وفى النوادر : « أبو حرب بن الأعلم » .

(٣) وروى أبو حاتم : « ولا مراحا » . قال : قال : وأراه ودما مفاحا » .

(٤) وروى فى النوادر أيضا : « ولا مزاحا » بالزاى المعجمة .

(٥) لم يذكر لهما رسما ، وانما ورد الأول عرضا فى شعر ١٣٠٣ والثانى فى شعر أيضا فى ٦٣٥ .

قاله الصغانى (فى العباب) .

وخلَط العينىُّ بينهما فقال : نُخيل : أربعة مواضع . ثم ذكر معنَيَيهما .

والغارة : اسمٌ من الإغارة على العدوّ . وملحاحاً صفة غارة ، ولم يؤنّثه لعدم اعتبار تأنيث المصدر ، لأنه فى تأويل أنْ والفعل ، وهذا لا يتّصف بتأنيث أو لأنّه بمعنى النسبة ، أى ذات إلحاح ، كقوله تعالى : ﴿ السماءُ منفَطِرٌ به[1] ﴾ أى ذات انفطار . وهو من ألحّ المطرُ ، إذا دام . والسّارح : المال السائم . والمُرَاح بالضم : اسمُ مكانٍ من أراح إبله إذا ردّها إلى المُرَاح ، وهو حيثُ تأوى إليه الإبلُ والغنمُ بالليل ؛ ولا يكون ذلك إلّا بعد الزوال . وصِرَاح بالكسر : جمع صريح ، وهو الخالص فى النسب ، كَكِرامٍ جمع كريم .

وروى العينى عن الصاغانى (فى العباب) أنّ الرجز لليلى الأخيليّة ، فى قتل دَهْر الجعفى[2] ، وأنّ الرواية كذا :

نحنُ قتلنا الملك الجَحْجاحا دَهراً فهيَّجنا به أنواحَا

لا كذبَ اليومَ ولا مِراحا[3] قومى الذين صَبّحوا الصّباحا

يوم النُّخَيْل غارةً مِلحاحا مَذحِجَ فاجتحْناهمُ اجتياحا

* فلم ندَعْ لسارِح مُرَاحا *

إلى آخر الأبيات . وعليها لاشاهدَ فيه .

وأنواح : جمع نَوْح . ومَذحِج ، بكسر الحاء المهملة بعد الذال المعجمة

---

(١) الآية ١٨ من المزمل .

(٢) ذكره ابن حبيب فى المحبر ٢٥٢ فى الجرارين من اليمن ، وهو دهر بن الحداء بن ذهل بن جعفى . وقال فى ٢٤٦ : « ولم يكن الرجـل يسمى جرارا حتى يرأس ألفا » .

(٣) فى العينى : « ولا مزاحا » بالزاى .

الساكنة : قبيلةٌ كبيرة . فاجتحناهم ، من الاجتياح بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، وهو الإهلاك والاستئصال . وصبّحه ، بمعنى أتاه صَباحا . وغارة مفعول لأجله . وقال العينى : ويجوز أن يكون حالاً من الواو فى صبّحوا .

وقد فتّشت هذا الرجزَ بجميع سوادّ ألفاظه (فى العباب) فلم أرله فيه أثراً ، ولم أَدر من أىّ مادة نقله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٤٢٦ (وإنّ الذى حانَتْ بفلجٍ دِماؤُهم
هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالدِ)

على أنّ أصله (وإنّ الذين) ، فحذفت النون منه تخفيفا .

وقد تقدّم نصُّ سيبويه فى هذا البيت عند شرح قوله :

أبنى كليبٍ إنّ عمّىَّ اللذا البيت

قبل هذا ببيتين . قال الأعلم : الشاهد فيه حذف النون من الذين استخفافاً. ٥٠٨
والدليل على أنه أراد به الجمعَ قوله «دماؤهم[2]» . ويجوز أن يكون الذى واحداً يؤدِّى عن الجمع لإبهامه ، ويكون الضمير محمولا على المعنى ، فيجمع ، كما قال جل وعز : ﴿ والذى جاء بالصِّدق وصَدَّقَ به أولئك هم المتقُون[3] ﴾ . رثى قوماً قتلوا بفلج ، وهو موضعٌ بعينه كانت فيه وقعة . اه .

---

(١) فى كتابه ١ : ٩٦ . وانظر البيان ٤ : ٥٥ والمقتضب ٤ : ١٤٦ والمحتسب ١ : ١٨٥ والمنصف ١ : ٦٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٧ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ وشرح شواهد المغنى ١٧٥ والعينى ١ : ٤٨٢ والتصريح ١ : ١٣١ والهمع ١ : ٤٩/٢ : ٧٣ .
(٢) ما بعده الى كلمة « الذى » ساقط من ش .
(٣) الآية ٣٣ من سورة الزمر .

وأورده ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة من قرأ : ﴿والمقيمى الصَّلاةَ[1]﴾ بالنصب ، قال : أراد المقيمين ، فحذف النون تخفيفاً . أو شبّه ذلك بالذين فى قوله :

* فإن الذى حانت بفلج دماؤُهمْ * البيت .

وأورده صاحب الكشّاف أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ . ذلك الكتابُ﴾ على أنّ السورة المسماة بالٓمٓ هو الكتابُ لكماله ، حتى كأنّ ما عداه من الكتب بالنسبة إليه لايستحقُّ أن يسمَّى كتاباً ، من باب حَصْر الجنس فى بعض أفراده ، على حدّ قولك : زيد هو الرجل ، أى الكامل فى الرُّجوليَّة . ولما كان ذلك مستبعداً فى الأوهام أتى بما صرّح به بحصر كلّ الجنس فى الفرد الكامل ، فى قوله :

* همُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالدِ *

إزالةً لذلك الوهم . والمعنى : إنَّ الذين هلكوا بهذا الموضع هم القومُ والرجال الكاملون ، فاعلمى ذلك وابكى عليهم يا أمَّ خالد .

قال الواحدىّ : قولهم يا أمَّ خالد ويا ابنة القوم ، هو من عادة العرب بهذا الخطاب للنِّساء لحثِّهنَّ على البكاء . وكلُّ القوم صفة للقوم ، دلالةً على كالهم .

وبه أورده ابن هشام (فى كلّ ، من المغنى) . والحَيْن ، بالفتح : الهلاك . وحانَ الرجلُ : هلك . وأحانه الله : أهلكه . ودماؤهم : فاعل حانت . ومعنى حانت دماؤهم : لم يُؤخذْ لهم بدية ولا قِصاص . (وفَلْج) بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . قال أبو عبيدٍ (فى معجم ما استعجم) : هو موضعٌ فى بلاد بنى مازن ، وهو فى طريق البصرة إلى مكة ، وفيه منازلُ للحجّاج . وقال

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الحج .

الزجاج : هو ماء لبنى العَنبر ما بين الرُّحَيْل إلى الجَازَة . وقال ياقوتُ (فى معجم البلدان) : قال أبو منصور : فلجٌ اسم بلد ، ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق فلج ، وأنشد[1] :

* وإن الذى حانت بفلج دماؤهم[2] *

وقال غيره: فلج وادٍ بين البصرة وحِمى ضَرِيَّة من منازل عدِىِّ بن جُندَب ابن العنبر بن عمرو بن تميم ، من طريق مكة . وبطنُ وادٍ يفرِق بين الحزن والصَّمان ، يُسلك منه طريقُ البصرة إلى مكة ، ومنه إلى مكة أربعٌ وعشرون مرحلة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أنشدَه الجاحظ (فى البيان والتبيين) بدون واو مع بيتين بعده ، للأشهب بن رُمَيلة ، وهما :

أبيات الشاهد

(همُ ساعد الدَّهر الذى يُتَّقى به
وما خيرُ كَفٍّ لا ينوء بِساعدِ[3]

أسودُ شَرًى لاقت أسودَ خفيّةٍ
تساقَوا على حردٍ دماء الأساودِ)

قال: وقولهم ساعد الدهر ، إنّما هو مثَل ، وهذا يسمّيه الرواة البديع . وقد قال الرّاعى :

---

(١) ط : « أنشدوا » ، صوابه فى ش . وفى معجم البلدان : « وأنشد للأشهب » .

(٢) ط : « ان الذى » بالخرم ، وأثبت ما فى ش والمعجم .

(٣) الكف مؤنثة ، وقد تذكر . وفى اللسان عند قول الأعشى :

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما يضم الى كشحيه كفا مخضبا

« فانه أراد الساعد فذكر ، وقيل انما أراد العضو » . وفى البيان واللسان (سعد ٢٠١) : « لا تنوء » .

هم كاهل الدّهر الذى يتّقى به
ومَنكِبُه إنْ كان للدّهر مَنكِبُ

وأنشده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) للأشهب بن رُمَيلة أيضاً مع البيت الثانى فقط ، وهو : همُ ساعدُ الدّهر ، إلاَّ أنَّه أنشده : « فإنّ الذى » بالفاء .

وقد أنشد الأبياتَ الثلاثة أحمدُ بن أبى سَهل بن عاصم الحُلوانى (فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمّهاتهم) ، إلا أنَّه أنشد البيت الأوّل كذا : ٥٠٩

* إنَّ التى مارَتْ بفلجٍ دماؤُهم *

وعليه لاشاهد فيه ، ومن خطه نقلت . فيكون بتقدير : إنَّ الجماعة التى[1] مارت ، أى ساحت وجرَت . يقال مار الدمُ على وجه الأرض . وينوء بمعنى ينهض . و (فى معجم ما استعجم) : قال الأصمعى : الشَّرَى : أرض فى جهة اليمن ، وهى مَأسدة . وأنشد هذا البيت . قال أبو الفتح : لام الشَّرَى ياء لأنها مجهولة ، والياء أغلب على اللام من الواو . قال : وكذلك رأيته فى الخطّ العتيق مكتوباً بالياء . اهـ .

وقال صاحب الصحاح : والشَّرَى:طريقٌ فى سَلْمَى كثيرةُ الأسْد . وخَفِيَّة بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء قال صاحب الصحاح : قولهم أسود خفيَّة كقولهم : أسود غابة ، وهما مأسَدتان . وقال صاحب المعجم : خَفِيَّة : اسمُ غَيضة ملتفّة ، تتّخذها الأسد عِرِّيسَة . كذا قال الخليل ، وأنشد هذا البيت . وحَرْد بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين : مصدر حَرَد من باب

(١) ط : « قاله » صوابه فى ش .

ضرب ، بمعنى قَصَد ؛ وبمعنى غضِب من باب فرِح أيضاً . ودماء مفعولُ تساقَوْا ، أى سُقِىَ كلٌّ منهما دمَ الأساود . وهو إمَّا جمع أسود على أفعل ، وهو العظيم من الحيات وفيه سواد ، وهو اسمٌ له ، ولو كان وصفاً لجمع على فُعْل بالضم . وإمَّا جمع أَسْوُد بالضم ، وهو جمع أَسَد فيكون جمع الجمع . والمراد بالأساود الشُّجعان ، وهو عبارةٌ عنهم وعن أخصامهم .

وقال العينى ، وتبعه السيوطى : الأساود : جمع أسوِدة ، وأسوِدةٌ : جمع سَوَاد ، والسواد : الشخص ، وأراد بالأساود شُخوصَ الموتى .

ورَوَى : « سِمام » بدل « دماء » وقال : هو جمعُ سمٍّ . فالمناسب على هذه الرواية تفسير الأساود بالحيَّات .

قول آخر فى صاحب الشاهد

وروى أبو تمام البيت الشاهد (فى كتاب مختار أشعار القبائل) آخِرَ أبياتٍ خمسةٍ لحريث بن محفِّض ، وهى :

(ألم تر أنِّى بعد عمرو ومالك
وعُروةَ وابنِ الهَوْل ،لستُ بخالدِ

وكانوا بنى ساداتنا فكأنما
تساقَوا على لَوْح دماء الأساودِ

وما نحن إلاّ مثلُهم غير أننا
كمنتظرٍ ظِمْئاً وآخَرَ واردِ

همُ ساعدُ الدهر الذى يُتّقى بهم
وما خير كفٍّ لاتنوء بساعدِ

فإنّ الألى حانت بفلجٍ دماؤهم . . . البيت

والألى بمعنى الذين ، وعلى هذه الرواية أيضاً لاشاهد فيه .

واللَّوْح ، بفتح اللام وسكون الواو آخره حاء مهملة : العطش . والظِّمْء ، بكسر الظاء المشالة وسكون الميم بعدها همزة : اسم الزمان الذى يكون بين الشربتين للإبل ، من الظمأ بفتح الميم ، وهو العطش . وآخَر : ضد أول ، معطوف على منتظر .

الأشهب بن رميلة

أمَّا الأشهب بن رُميلة فهو شاعرٌ إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تُعرف له صحبةٌ واجتماعٌ بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أورده ابن حجرٍ فى قسم المخضرمين (من الإصابة) .

ورُمَيلة : اسم أمه ، وهى بضمّ الراء المهملة وفتح الميم .

وذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) فى حرف الزاء المعجمة .

قال صاحب الأغانى : هو الأشهب بن ثور بن أبى حارثة بن عبد المدان ابن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تميم .

و (فى المؤتلف والمختلف) و (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم) : المنذر ، بدل عبد المدان . و (فى مختصر الجمهرة لياقوت) ابن عبد المنذر والله أعلم . ٥١٠

ورمَيلة أمُّه ، وهى أمةٌ لخالد بن مالك بن ربعىّ بن سلمى بن جندل المذكور . قال أبو عمرو : ولدُها يزعمون أنها كانت سبيّة من سَبايا العرب فولدت لثور بن أبى حارثة أربعة نفر ، وهم زَبَاب[1] ، وحَجْناء ، والأشهب ، وسُويط ، وكانوا من أشد إخوة فى العرب لسانا ويداً ، ومَنْعَةً للجانب ، فكثرت أموالهم فى الإسلام ، وكان أبوهم ثورٌ ابتاعَ رُمَيلة فى الجاهلية ،

(١) ط : « رباب » فى هذا الموضع وما يليه من المواضع ، صوابه بالزاى المعجمة كما فى ش . وضبطه صاحب القاموس فى (زبب) كسحاب ، وقال : « وابن رميلة الشاعر أخو الأشهب » .

وولدتهم فى الجاهليّة فعزّوا عزًّا كثيرا ، حتى كانوا إذا وردُوا ماء من ماء الصَّمَّان حَظَروا على الناس ما يريدونه منه .

وكانت لرُمَيلة قطيفةٌ حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدْب من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء ، أى قد سَبَقنا إلى هذا ، فلا يردُه أحدٌ لعزِّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه . فوردُوا فى بعض السِّنينَ ماء من ماءِ الصَّمَّان ، وورد معهم ناسٌ من بنى قَطَن بن نهشل ، فأورد بعضهم بعيره فأشرعَه حوضًا قد حَظَروا عليه ، وبلغهم ذلك فغضبوا فاقتتلوا ، فضرب زَبابُ بن رُمَيلة رأس بَشِير بن صبيح ، فمات بشيرٌ فى ليلته فقُتِل زَبابٌ قوَدا ؛ ولما أرادُوا ضربَ عنقه قالوا له : أوصِنا . قال لهم :دعونى أصلِّ ركعتينْ . فصلَّى ثم قال :أمَا واللهِ إنى إلى ربى لذو حاجة وما منعَنى أن أزيد فى صلاتى إلاَّ أنْ تقولوا :خاف من الموت ! فليضربنى منكم رجل شديدُ الساعد ، حديدُ السيف . فدفعوه إلى ابن خزيمة بن بَشِير فضرب عنقه ، وذلك فى الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفّان .

ورثاه أخوه الأشهبُ بقصائد .

وفى (كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم ، ونقلته من خط مؤلفه) :
كان الأشهبُ يهاجى الفرزدقَ ، ولقيه يوماً عند باب عثمان بن عفان[1] وهو يريد أن يجوز نهر أمِّ عبيدالله[2] على قنطرة ، فاحتبسَه الفرزدقُ عليها ، وكان الفرزدقُ على فرسٍ ، فقال الأشهب :

---

(١) ذكره الطبرى فى ٩ : ٤٨٥ بما يفهم أنه فى سكة المربد بالبصرة . قال : « فغابوا فى سكة المربد الى أن بلغوا باب عثمان » .

(٢) نهر أم عبد الله بالبصرة ، منسوب الى أم عبد الله بن عامر بن كريز ، أمير البصرة فى أيام عثمان .

يا عجبا هل يركبُ القينُ الفرسْ[1]
وعَرَقُ القَين على الخيـل نَجَسْ
والقينُ لا يَصلُح إلاّ ما جلس
بالكلبتين والعَلاة والقَبَس.[2]

ثم إنّ غالباً لمّا بلغه ما قال الأشهبُ أتاه ليلاً فتعوّذ منه ، وقال : أتشتُمنا من غير إحْنةٍ ؟ فأَمسكْ عنا . فقال الأشهب : هلاّ كان هذا نهاراً . ويقال : كان الأشهب بن رميلة يهجو غالباً أبا الفرزدق ، فقال الفرزدق : ربما بكيت من الجزع أنّ الأشهب كان يهجونا ، فأريد أن أجيبَه فلا يتأتّى لىَ الشعر ، ثم فتح اللهُ علىّ فهجوته فغلبتُه وسقط بعد ذلك .

حريث بن محفض

وأمّا حريث بن محفِّض فهو شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية . وحُرَيث بضم الحاء وفتح الراء المهملتين، وآخره ثاء مثلثة . ومحفِّض ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الفاء المشددة وآخره ضاد معجمة ، وهو فى الأصل اسم فاعل من حَفَّضه تحفيضاً ، إذا طرَحَه خَلْفه وخَلَّفه وراءه . وحَفَضه بالتخفيف بمعنى ألقاه وطرحه من يده ، كحفَّضه تحفيضا . وحَفَض العود بالتخفيف أيضاً بمعنى حَنَاه وعطفه .

قال الإمام أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكرى (فى كتاب التصحيف) فى باب ما يشكل ويُصحَّف من أسماء الشعراء : هذا باب صعبٌ لا يكاد يَضبطه إلاّ كثيرُ الرواية غزيرُ الدِّراية[3]. وقال أبو الحسن على بن عدوس الأرَّجانى

(١) ط : « هل تركب » ، صوابه فى ش والأغانى ١٩ : ٤٣ .
(٢) ط : « بالكليتين » ، صوابه فى ش . والكلبتان : آلة تكون مع الحدادين يأخذون بها الحديد المحمى . والعلاة : السندان . وفى الأغانى :
وانما سلاحه اذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس
(٣) ط : « عزيز » ، صوابه فى ش وكتاب العسكرى ٣٧٠ .

وكان فاضلا متقدِّما ، وقد نظرَ فى كتابى هذا فلما بلغ هذا البابَ قال لى :
كم عدَّةُ أسماء الشعراء الذين ذكرتَهم ؟ فقلت : مائةٌ ونيِّف . فقال لى : إنى ٥١١
لأعجبُ كيف استتبَّ لك هذا ، فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوافرون —
وذكر أبا إسحاقَ الزَّجاج ، وأبا موسى الحامض ، وأبا محمد الأنباريَّ
واليزيديَّ وغيرهم — فاختلفنا فى اسم شاعرٍ واحد ، وهو حريث بن
محفِّض ، وكتبْنا أربع رقاعٍ إلى أربعةٍ من العلماء ، فأجاب كلٌّ واحدٍ منهم
بما يخالفُ الآخر ، فقال بعضهم: مخفض بالخاء والضاد المعجمتين، وقال آخر[1]:
ابن مَخفض[2] وقال آخر : ابن مِخْفض[3]. فقلنا : ليس لهذا إلاّ أبو بكر بن
دريد . فقصدناه فى منزله ، فعرَّفناه ماجرى ، فقال ابن دريد : أين يُذهَب
بكم ؟ هذا مشهور ، هو حُرَيث بن محفِّض، الحاء غير معجمة ومفتوحة ، والفاء
مشددة ومكسورة ، والضاد منقوطة . وهو من بنى تميم ، ثم من بنى مازن بن
عمرو بن تميم ، وهو القائل :

ألم ترَ قومى إنْ دُعُوا لملمّةٍ
أجابوا ، وإنْ أغضبْ عَلَى القوم يغضبوا

همُ حفِظوا غَيبى كما كنت حافظاً
لقومىَ أخرى مثلَها إنْ تغيَّبوا[4]

---

(١) ش : « آخرون » ، وأثبت ما فى ط وكتاب العسكرى .

(٢) فى حواشى ط : « ضبط فى الأصل بالقلم ، الأول بفتح الميم ، والثانى بكسرها » .

(٣) ط : « ابن مخفض » ، وأثبت ما فى ش والعسكرى . ومما يجدر ذكره أن فى كتاب العسكرى بعد كلمة « المعجمتين » : « وقال آخر : ابن مخفض » بسقوط ما بين القولين .

(٤) ط : « عينى » ، صوابه فى ش وتصحيف العسكرى .

بنو الحرب لم تقعُد بهم أُمّهاتهمْ
وآباؤهمْ آباءُ صدقٍ فأنجبوا

وتمثّل الحجّاجُ بهذه الأبيات على المنبر ، فقال: أنتم يا أهل الشام كما قال حريث بن محفِّض . قال : أنا والله حريث بن محفِّض . فقال : ماحملك على أن سابقتنى ؟ قال : لم أتمالك إذْ تمثّل الأميرُ بشعرى فأعلمتُه مكانى . ثم قال أبو الحسن بن عَبدوس : فلم يفرج عنّا غيرُه . اه ما أورده العسكرى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الأربعمائة[1] :

٤٢٧ . (وبئرى ذُو حَفَرتُ وذو طَوَيتُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فإنّ البئر بئر أبى وجَدّى)

على أنّ ذو اسمُ موصول ، وهو هنا بمعنى التى ، لأنّ البئر مؤنثة .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : وزعم ابنُ عصفور أنّ ذو خاصّةٌ بالمذكر ، وأنّ المؤنث يختصّ بذات ، وأنّ البئر فى البيت ذُكِّرت على معنى القليب ، كما قال الفارسىُّ فى قوله :

يابئرنا بئرَ بنى عدىٍّ لأنزحَنْ قَعركِ بالدُّلىِّ

* حتّى تعودِى أقطَعَ الوَلىِّ *

إنّ التقدير : حتى تعودى قليباً أقطعَ ، فحذف الموصوف .

وفرق ابن الضائع بينهما بأنّ أقطعَ صفةٌ ، فيحمل على الفعل ، بخلاف ذو .

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ والانصاف ٧٧٣ وابن يعيش ٣ : ٨/١٤٧ : ٤٥ والتصريح ١ : ١٣٧ والهمع ١ : ٨٤ والأشمونى ١ : ١٥٨ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٩١ واللسان (ذا ٣٤٨) .

قال: ألا ترى أنّ من قال نفع الموعظة لا يقول مشيراً إليها : هذا الموعظة . ولهذا قال الخليل في﴿ قال هَذا رحمةٌ مِنْ رَبِّى[1] ﴾: إنه إشارة إلى القطر لا إلى الرحمة . اهـ.

والبيت مشهورٌ . وهو من أبيات خمسة أوردها أبو تمام (فى الحماسة) لسنان بن الفَحْل الطائىّ ، وهى : صاحب الشاهد

(وقالوا : قد جُنِنتَ ، فقلتُ : كَلاَّ
وربِّى ما جُنِنتُ ولا انتشَيتُ
ولكنِّى ظَلمتُ فكدتُ أبكى
من الظُّلم المبيِّنِ أو بكَيْتُ
فإنّ الماء ماء أبى وجَدِّى
وبئرى ذو حفرتُ وذو طَويتُ
وقبلك ربُّ خَصمٍ قد تمالَوْا
علىَّ فما هَلِعتُ ولا دَعَوتُ
ولكنِّى نصبتُ لهم جبينى
وألَّةَ فارسٍ حَتَّى قَرَيتُ)

٥١٢

قال أمين الدين الطَّبرسى (فى شرح الحماسة) : قد عِيب على أبى تمّام إيرادُه مثلَ هذه الأبيات فى باب الحماسة ، والبكاءُ على الظلم ضعفٌ وعجز ، والوجه فيه أنّ بكاءه كان لمطالبتهم ماليس لهم، ولا سبيل له على الاعتساف[2]، والمغالبةُ فعل أهل الجاهليّة ، إذْ لا يراقَب دين ، ولا يُرهب سلطان . ويدلُّ على ذلك ماذكره ابنُ دريدٍ فى سببه : أنّه اختصم حيانِ من العرب إلى

(١) الآية ٩٨ من مريم .

(٢) ط : « الاعتنـاف » ، وأثبت ما فى ش . والاعتنـاف : الأخذ بالعنف . والاعتساف : الظلم .

عبدالرحمن بن الضحّاك وهو والى المدينة ، فى ماء من مياههم ، وعبدُ الرحمن مصاهرٌ لأحد الحيَّين ، فبرك شيخٌ بين يديه من الحىِّ الآخر وقال : أصلحَ الله الأمير ، أنا الذى أقول :

إلى الرحمن ثم إلى أميرى تمسَّحتُ المفاوزَ واشتكيتُ
رجالاً طالبونى ثم لجُّوا ولو أنِّى ظلمتهمُ انتهيتُ
رجَوْا فى صِهرهم أن يغلبونى وبالرحمن صدَّقَ ما ادَّعيتُ
وقالوا قد جُننتَ فقلت كلا .... الأبيات الخمسة .

وبعدها :

فأنصِفْنى هــداك الله منهمْ
ولو كان القُلُبَّــةُ لا كتفيتُ

وقال الخطيب التبريزى (فى شرحه) : وهذا ماء لبنى أمّ الكهف ، من جَرم طيِّىء ، ولبنى هَرم بن العُشَراء من فزارة ، اختصم فيه الحيَّانِ وهم مختلطون مجاورون[1] . وقوله : « ولو أنى ظلمتهم انتهيتُ » أى قلت أنا الظالم، ثم امتنعوا ، لكففت ولم ألجَّ . وقوله: « و[قالو[2]] :قد جننت» معطوف على لجُّوا ، وجُننتَ بالبناء للمفعول وبالخطاب فى الأوّل وبالتكلُّم فى الثانى ، وكلاّ للزجر والردع .

قال الإمام المرزوقى : كان الواجب أن يقول قالوا جننتَ أو سَكِرت . فاكتفى بذكر أحدهما لأنّ النفى الذى يتعقّب فى الجواب ينظِمهما . ومثله قول الآخر[3] :

---

(١) وكذا فى شرح التبريزى ٢ : ١٥٣ . وفى ش : « متجاورون » .
(٢) تكملة ضرورية يلتئم بها الكلام .
(٣) هو المثقب العبدى فى المفضليات ٢٩٢ .

فما أدرى إذا يمّمتُ وجهاً

أريدُ الخـير أيُّهما يَليني

لأنّ المراد أريد الخير وأتجنّب الشر ، فاكتفى بذكر أحدِهما ، لأنّ مابعده يبيّـنهما ، وهو :

أألخيرُ الذى أنا أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يَبتغينى

أراد : إنّى لما أظهرتُ إنكَارى وتشدّدت فى إبائى قالوا : إنّه جُنَّ أو سَكِر . فزجرتهم وحلفتُ بالله نافيا لما نُسِبتُ إليه . والانتشاء والنَّشوة : السُّكر . ثم أخذ يبيِّن كيف استنكر مادُفِع إليه حتى قِيل فيه ماقيل ، كقوله :

* ولكنى ظلمت فكدتُ * ... إلخ

وذكر البُكاء ليرىَ أنفتَه وامتعاضه[١] وإنكارَه لما أريد ظلمه فيه واغتياظه[٢] . فأما العرب فإنما تنسب نفسها إلى القسَاوة وتعيِّر من يبكى . قال مهلهل :

يُبكَى علينا ولا نَبكى على أحدٍ

لنحنُ أغلظُ أكباداً من الإبلِ

يقول : لكن عَرَض علينا ضيمٌ لم آلفه ، واستُنزلتُ عن حقٍّ لى طال ملازمتى له ، فشارفت البكاء أو بكيت ، كلّ ذلك لاستنكافى مما أرادونى عليه .

وقوله « فإنّ الماء ماء » إلخ صرّح بما أريد غَصْبُه عليه[٣] فقال : هو

(١) ط : « وامتناعه » ، صوابه فى ش وشرح المرزوقى للحماسة ٥٩١ .

(٢) ط : « واغتباطه » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .

(٣) ط : « غضبه عليه » ، صوابه فى ش .

٥١٣ مالا موروث عن الأسلاف ، وحِمىً معروف لى، سلَّمه الناس لنا على مرِّ الأيام ، وبئر توليت استحداثَها وحفْرَها وطيَّها . وطىُّ البئر : بناؤها بالحجارة . وطويت البئر فهو طوىٌّ .

وقوله : «وقبلَكَ ربٌّ خَصْمٍ » إلخ الخصم لكونه فى الأصل مصدراً يطلق على المفرد وغيره، والذكر والأنثى بلفظ واحد . وفى لغة يطابق فى التثنية والجمع ، فيجمع على خُصوم وخِصام . وخَصِم الرجُل يَخْصَم من باب تعب ، إذا أحكم الخصومة فهو خصم وخصيم . وخاصمته فخصمته أخْصُمه ، من باب قتل ، إذا غلبَته فى الخصومة . فهو خَصم وخصيم . وخاصمته فخصمته أخصُمه ، من باب قتل ، إذا غلبتَه فى الخصومة . وتمالَوْا ، أصله تمالَؤُوا بهمزة مضمومة بعد اللام المفتوحة ، يقال مالأه ممالأةً ، كفاعله مفاعلة ، بمعنى عاونه معاونة . وتمالؤوا على الأمر : تعاونوا . وقال ابن السكِّيت : اجتمعوا عليه . وهلع هلعا من باب تعب ، بمعنى جزع ، فهو هَلِعٌ وهَلوع مبالغة . وقيل الهَلَع: أفحش الجزَع . ودعَوْت بمعنى قلت : ياآلَ الآن !

قال الإمام المرزوقى : نبَّه على حُسن ثباته فى وجه الخصوم ، وتمرُّنه بمجادلتهم[1] قد يماً وحديثا، وتمكُّنه لهم على احتفالٍ منهم فى مناوأته سالفاً وآنفاً، فيقول : وقد بُليت قبلَكَ بقوم لُدٍّ تألَّبوا علىَّ وتعاونوا ، فلم أجزعْ لما مُنيت بهم جزعاً فاحشاً ، ولا استنصرت عليهم غيرى . فإن قيل : كيف قال هَلِعت وقد قال كدت أبكى من الظُّلم إلخ ، وهل الهلَع إلاّ البكاء والجزع ؟ قلت : إنَّ الهلَع هو الجزَع الفاحش الذى يظهر فيه الخضوعُ والانقياد ، فهذا هو الذى زعم أنَّه لا يظهر عليه[2] . والبكاء الذى ذكر أنَّه شارفه إنَّما كان على طريق

(١) المرزوقى : « وتمرنه بمجاذبتهم » .
(٢) نص المرزوقى : « فهـذا هو الذى انتضـح منه » ، أى أظهـر البراءة منه .

الاستنكاف ، وإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشُّع وتذلُّل ولاانقيادٍ ولا استسلام . وسَلِمَ الكلامُ من التناقض .

وقال ابن هشام (في شرح الشواهد[١]) : وهذا ليس تناقضاً لأنَّه على اختلافِ وقتين ؛ أي إنّه ذلَّ جانبهُ بعد أن كان عزيزاً . وهذا كلام الخطيب التبريزي . ونظيره أبياتُ فاطمة بنت الأجحم[٢] حين ضَعُف جانبها ،لموتِ مَن كان ينصرها ، وهي أبياتٌ حسنة تمثَّلتْ بها سيدَّتنافاطمة رضي الله عنها ، حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي :

قد كنتَ لي جبلاً ألوذُ بظلّه
فتركتَني أمشِي بأجرِدَ ضاحي[٣]

قد كنتُ ذاتَ حميّةٍ ماعشتَ لي
أمشي البَرَازَ ، وكنتَ أنتَ جناحي

فاليومَ أخضعُ للذّليـل واتّقي
منـــــه ، وأدفعُ ظالِمِي بالرّاحِ

وإذا دعت قُمْريَّةٌ شجناً لها
ليلاً على فننٍ دعوتُ صَبَاحي[٤]

وقوله : « ولـكني نصبت لهم » إلخ الألَّة بفتح الهمزة وتشديد اللام :

---

(١) ط : « وهذا » .

(٢) هو الأجحم بن دندنة ويقال « الأحجم » أيضا ، كما في ش ، وكان أحد سادات العرب . انظر أمالي القالي ٢ : ٢ والتنبيه ٨٧ . والأبيات التالية وردت فيهما وفي الحماسة ٩١٠ بشرح المرزوقي .

(٣) وروى : « فتركتني أضحى » في الحماسة والأمالي .

(٤) الحماسة : « يوما على فنن » . ط : « صباح » ، وكذا في الأمالي . والوجه « صباحي » ، كمـا في ش والحماســـة وتنبيه البكري ٨٧ . وقال المرزوقي في تفسيره : « أي قائلا . واصباحاه ! » .

الحرْبة ، والجمع الإآل[1] كحربة وحِراب . يقول : ولكنّني صبرت لهم وانتصبتُ في وجوههم وهيَّأت سلاحي لدفعهم ، وطردتهم عن وِردهم ، كفعل الفارس الذابِّ المانع ،حتّى خلّصت عن غَصْبهم[2] حقِّي، وقريت الماءَ مِن دونهم في حوضي . يقال قريت الماء في الحوض بالقاف ، أي جمعته ، واسم ذلك الماء قِرًى بكسر القاف مقصور .

سنان بن الفحل

وسنان بن الفحل : شاعر إسلاميٌّ في الدولة المروانية . وهو بكسر السين بعدها نونان . والفحل بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة .

عبد الرحمن بن الضحاك

وأما عبدالرحمن بن الضحّاك فقد ذكره الفاسي (في تاريخ مكة المشرفة)

٥١٤ وقال[3] : عبدالرحمن بن الضحّاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن واثلة ابن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهري . قال الزُّبير : ولاّه يزيدُ بن عبدالملك المدينة والموسم . وذكر الطبريُّ أنّ في سنة ثلاث ومائة ضُمَّت إليه مكة مع المدينة ، وأنه عُزل عن مكةَ والمدينة في النصف من ربيع الأوّل سنة أربع ومائة ، بعبد الواحد بن ربيع البصري . وسبب عزله انه كان خَطب فاطمةَ بنت الحسَين رضي الله عنهما فامتنعت من قبوله ، فألحّ عليها وتوعّدها ، فشكته إلى يزيد بن عبدالملك ، فبعث إلى عبدالواحد فولّاه المدينة وأمره بالقبض على عبد الرحمن ، وأخَذَ ماله حتّى تركه في جُبّة صوفٍ بالمدينة ، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهراً . وكان الزُّهري قد أشار عليه برأي ، وهو أنَّه يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمرٌ ، فلم يفعلْ ، فأبغضه الناسُ وذمّه الشعراء . وهذا كان آخر أمره . انتهى .

---

(١) ط : « الألات » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .
(٢) ط : « عصبهم » ، صوابه في ش .
(٣) ش « قال » بدون واو .

وإنّما ذكرت عبدالرحمن هذا ليُعلم منه عصر سِنان بن الفحل الطائى ، فإنى لم أظفر له بترجمة ، ولم أرِ ذكره فى كتب الأنساب . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(قُولاَ لهذا المرء ذُوجاء ساعياً
هَلُمَّ فإنّ المشرفىَّ الفَرائضُ)

على أن (ذو) بمعنى الذى .

والساعى : الوالى على صَدقة الزكاة . وهلمَّ : أقبلْ وتعالَ . والمشرَفىُّ : السيف المنسوب إلى المشارف ، وهى قُرًى للعرب كانت السيوف تطبع بها . والفرائض : الأسنان التى تصلُح لأنْ تؤخَذ فى الزكاة . يقول : أبلغا هذا الرجلَ الذى جاء ساعياً ، أىْ واليًا للصَّدقات : هلمَّ فإنك تُعطَى السَّيف بدلاً من فرائض الإبل . وهذا مثلٌ ضربه لهذا الساعى مستهزئًا به ومتوعِّدًا إياه . يقول: إنك مَلِلْتَ العافية والسَّلامة ، فهلمَّ إلى البلاء والشرّ من هذه الولاية .

صاحب الشاهد — والبيت أوّل أبياتٍ لقوّالٍ الطائى ؛ أوردها أبو تمام (فى الحماسة) . وقد شرحناها مع ذكر سببها فى الشاهد السابع والثلاثين بعد الثلثمائة من باب النعت[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الأربعمائة[2] :

٤٢٨ (عَدَسْ مالِعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ
أمِنْتِ وهذا تحملينَ طليقُ)

(١) الخزانة ٥ : ٢٨ ـ ٣٠ .
(٢) المحتسب ٢ : ٩٤ وابن الشجرى ٢ : ١٧٠ والانصاف ٧١٧ وابن يعيش ٢ : ٤/١٦ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٩ وشرح شواهد المغنى ٢٩١ والشذور ١٤٧ والعينى ١ : ٣/٤٤٢ : ٤/٢١٦ : ٣١٤ والتصريح ١ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٨١ / ٢ : ٢٠٢ والهمع ١ : ٨٤ والأشمونى ١ : ٣/١٦٠ : ٢٠٨ وديوان ابن مفرغ ١١٥ والشعراء ٣٢٤ واللسان (عدس) .

على أنَّ (هذا) عند الكوفيين اسم موصول بمعنى الذى ، أى الذى تحملينه طليق .

قال الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿ ويَسْألونكَ ماذا يُنْفِقُون[1] ﴾: العرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى فيقولون : ومن ذا يقول ذاك ؟ فى معنى من الذى يقول ؟ وأنشدوا :

* عَدَسْ مالعبادٍ عليك إمارة * البيت

كأنه قال : والذى تحملين طليق . انتهى .

قال أبو علىّ الفارسىُّ (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت ينشده البَغداديُّون ويستدلون به على أنَّ ذا بمنزلة الذى ، وأنّه يوصل كما يوصل الذى ، فيجعلون تحملين صلة لذا ، كما يجعلونه صلةً للذى . وعندنا يحتمل قوله «تحملين» وجهين : أحدهما أن يكون[2] صفة لموصوف محذوف تقديره : وهذا رجل تحملين ، فتحذف الهاء من الصفة كما حُذفت فى قولك : الناس رجلان : رجلٌ أكرمتُ ورجل أهنت . وكقوله :

* وماشىءٍ حميتَ بمستباح *

٥١٥ أى حميته . والآخر أن يكون صفةً لطليق فقدِّمت فصار فى موضع نصب على الحال . فإذا احتمل غير ما تأوّلوه من الصلة لم يكن على الحكم بأنَّ ذلك والأسماء المبهمة توصل كما يوصل الذى دليلٌ ، وكذلك ما استشهدوا به من قوله تعالى : ﴿ وماتِلكَ بيمينِكَ يا مُوسى[3] ﴾ وقالوهُ وتأوّلوه على أنَّ المعنى وما التى بيمينك ؟ ولا دلالة فيه ، لأنَّه يمكن أن يكون بيمينك فى موضع

(١) الآية ٢١٩ من البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٨ .
(٢) ش : « يحتمل قوله تحملين احتمالين : الأول أن يكون » .
(٣) الآية ١٧ من سورة طه .

الحال ، والعامل فى الحال فى الموضعين جميعاً مافى الاسم المبهم من معنى الفعل .
انتهى .

والاحتمال الأوّل ضعيف ، لأنه تخريجٌ عَلَى ضرورة، لأنّ حذف الموصوف إذا كانت صفته جملة بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، خاصٌ بالضّرورة أو الشذوذ . وأضعف من هذا تخريج ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) أنّ جملة تحملين صلةٌ لموصولٍ محذوف تقديره وهذا الذى تحملين . وهذا لايقول به بَصرىٌّ ؛ لأنّه لايرى أحدٌ منهم حذفَ الموصول الاسمىّ وبقاء صلته . والتخريجُ على الحاليّة هو الجيِّد ، ولا حاجة إلى اعتبار كونه فى الأصل صفة فلما قدِّم صار حالاً ، لأنّ ذاك إنما يُعتبر فى الأحوال المفردة لافى الجمل، نحو :

* لميَّـةَ مُوحِشاً طللُ *

وادِّعاه أنّ العامل فى هذه الحال مافى اسم الإشارة من معنى الفعل غيرُ جيِّد ، فإنّ جملة تحملين حال من ضمير طليق ، فطليق هو العامل فى الحالِ وصاحبها .

فإن قلت : نزّلْ كلامه على أنّ الجملة حالٌ من اسم الإشارة فيكون العامل معنى التنبيه . قلت : يأباه قوله إنّ تحملين مقدَّم من تأخير . فتأمّل .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل أبياتٍ ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرىّ ، خاطب بها بغلةً . وبعده :

(طليقُ الذى نجى من الكَبْس بعدما
تلاحَمَ فى دربٍ عليكِ مَضيقُ

ذَرِى وتناسَىْ مالقيتِ فإنَّه
لِكلِّ أناسٍ خبطةٌ وحَرِيقُ(١)
قَضى لكِ خمخامٌ بأرضكِ فالحقى
بأهلِكِ لايُؤخذْ عليكِ طريقُ (٢)
فيابغلةً شمّاء لو كنتُ مادحا
مَدحتُكِ إنّى للكرام صديقُ
لعَمرى لقد أنجاكِ من هُوَّة الرَّدىَ
إمامٌ وحبلٌ للإمام وثيقُ(٣)
سأشكرُ ما أوليتَ من حُسن نعمةٍ
ومثلى بشُكرِ المنعِمينَ حقيقُ
فإنْ تطرُقى بابَ الإمام فإنَّنى
لِكلِّ كريمٍ ماجدٍ لَطروقُ)

وقد تقدَّم سبب هذه الأبيات مع ترجمة يزيدَ هذا، فى الشاهد الثالث بعد الثلثمائة ، ولكن ينبغى إيرادهُ هنا مختصراً لطول العهد .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : يزيد هذا حليفٌ لقريش ، ويقال إنَّه كان عبداً للضحَّاك بن يغوث الهلالى ، فأنعمَ عليه ، ولمّا ولى سعيدُ بن عثمان بن عفّان خُراسانَ استصحبه فلم يصحبهِ يزيد ، وصحِب زيادَ بن أبى

(١) ط : « وخريق » ، وأثبت ما فى ش والشعراء .

(٢) فى الشعراء : « حمحام » ، وما فى الأصل يطابق ما فى الأغانى ١٧ : ٦٠ وفيه أن معاوية « وجه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام ، ويقال جهنام ، بريدا الى عباد » . وانظر ما سبق فى الخزانة ٤ : ٣٣٣ وكذا رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٢ .

(٣) ط وكذا فى الأغانى : « للأنام » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

سفيان ، فلم يَحمَدْه ، وأتى عبَّاد بن زياد فكان معه . وكان عبّادٌ طويلَ اللحية عريضَها ، فركب ذاتَ يومٍ وابن مفرِّغ معه فى مَوكبه ، فهبّتْ ريحٌ فنفشت لحيتَه ، فقال ابن مفرِّغ :

ألا ليتَ اللِّحَى كانت حشيشاً
فترعاها خيولُ المسلمينـــا

فبلغ ذلك عبادًا فحقد عليه وجَفاه ، فقال ابن مفرِّغ :

إنّ تركى ندى سعيدِ بن عثما
ن فتىَ الجودِ ناصرى وعديدى
واتِّباعى أخا الرضاعة واللـؤ
م لنقصٌ وفوتُ شأوٍ بعيدِ ٥١٦
قلتُ والليلُ مُطبِقٌ بعُراهُ
ليتنى مِتُّ قبلَ تركِ سعيدِ

فأخذه عبيدالله بن زياد وحبسه وعذَّبه وسقاه التُّربُد[٢] فى النبيذ ، وحمله على بعير وقرن به خنزيرةً ، وأمشاه بطنُه مشياً شديداً ، فكان يسيل منه ما يَخرُج على الخنزيرة فتصيح ، وكلما صاحت قال ابن مفرغ :

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لما مسَّها القَرَنُ لاتجزعى إنّ شرَّ الشِّيمة الجزعُ[٣]

(١) فى ديوانه ١٠٩ : « الضراعة واللؤم » . والضراعة : الذل .
(٢) شن : « الربد » مهملة النقط . وفى الشعراء ٣٢٠ : « التربذ » بالذال فى آخره . وما أثبت من ط يطابق ما فى معجم استينجاس ٢٩٢ وتذكرة داود الأنطاكى ١ : ٩٤ وذكر أنه نبت فارسى يكون بجبال خراسان وما يليها ، وأنه يغثى ويكرب ، حتى ان الردىء منه ربما قتل . وفى الأغانى ١٧ : ٥٦ : « فسقى نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم » .
(٣) فى الأغانى : « لما لزها قرنى » . والقرن : بالتحريك : الحبل يقرن به البعيران ، ويقال أيضا للبعير يقرن بآخر .

وسمية أمّ زياد ، وجعلها خنزيرة .

فطيف به فى أزقة البصرة وجعل الناس يقولون : اين جيست ؟ أى ماهذا !

وهو يقول :

آبْ است نبيذ است عصارات زيبب است

سمية رُوَسبيد است[1]

وهذه كلمات بالفارسية ، أي هذا الذى ترونه إنما هو نبيذٌ وعصارة زبيب ،

وسمية البغىّ . يعنى بها الخنزيرة . فلما ألحّ عليه مايخرج منه قيل لعبيدالله :

إنّه يموت ، فأمر به فأنزل واغتسلَ ، فلما خرج من الماء قال :

يَغسِل المـــاء مافعلتَ وقولى

راسخٌ منك فى العظامِ البوالِى

ثم دسّ عليه غرماءه يستَعْدُون عليه ، فأمر ببيع ماوُجد له فى إعطاء غرمائه.

فكان فيما بيع له غلام يقالُ له برد ، وكان يَعدِلُ عنده ولده ، وجاريةٌ يقال

لها الأراكة ، ففيهما يقول :

يا بُردُ ما مسّنا دهرٌ أضرّ بنا

مِن قبْلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدَا

أمّا الأراكُ فكانت من محارمنا

عيشاً لذيذا وكانت جَنّةً رغَدا[3]

(١) ط : « أين نبيذ است » ش : « اينست نبيذ است » وأثبت ما فى الأغانى والبيان والتبيين ١ : ١٤٣ .

(٢) ط : « روسبيست » ش : « روسفيست » ، صوابه من الأغانى والبيان . وانظر حواشى البيان .

(٣) انظر ما سبق فى ٤ : ٣٣٠ .

لولا الدَّعِيُّ ولولا ماتَعرَّضَ لى
من الحـــوادث ما فارقتُها أبدا

وقال أيضاً من قصيدة :

وشَرَيتُ بُرداً ليتنى من بعدِ بردٍ كنتُ هامه
أو بُومةً تدعو صَدًى بين المشقَّرِ واليَمامَه
الرِّيح تبكى شَجْوَهُ والبرقُ يلمعُ فى الغَمامه(١)

ثم إنَّ عبيدالله أمر به فحُمِل إلى سجستان إلى أخيه عبّاد بن زياد ، وكان ابن مفرِّغ كتب فى حيطان الطرق والمنازل والخانات هجاءهم ، فأُلزِم محوَه بأظفاره حتى فسدت أناملُه ، ومُنِع أن يصلّيَ إلى الكعبة ، وألزِمَه أن يصلّيَ إلى قبلة النَّصارى ، فلما وصل إلى عبّادٍ حُبِس ، فكان يهجوهم فى الحَبْس ومما قاله فيه :

إنَّ زياداً ونافعاً وأبا بَكـ ـرَةَ عندى مِن أعجب العجبِ
إنَّ رجالاً ثلاثة خُلِقوا من رِحْمِ أنثى مخالفى النَّسبِ
ذا قرشىٌّ كما يقولُ ، وذا مَولًى ، وهذا بزَعمِه عَرَبى

والثلاثة أولاد سمية . أما نافع فهو من الحارث بن كَلَدَة . وأمَّا أبو بكر وزيادٌ فهما من عُبيدٍ الرُّومى ، فإنّ الحارث بعد أن أولدها نافعا زوَّجها لعُبيد ، فزيادٌ ادَّعىٰ أنَّه قرشى ، وأبو بكرة مولًى لكونه ابن عُبيد . وأمَّا نافع(٢) فهو عربىٌّ لكونه ابنَ الحارث الثقفى . فلما طال حبسُه دخل أهلُ اليمن إلى معاوية فشفَعوا فيه ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام — وقال ابن السيد : ٥١٧

(١) كذا . والرواية المعروفة « شجوها » ، ولكن البغدادى قيده فى التفسير التالى بأنها « شجوه » ، وقال : « أى شجو برد » .
(٢) ش : « ونافع » .

هو من بنى راسب[١] — بريداً إلى عباد ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرجَ ابن مفرّغ منه قبلَ أن يعلم عَبّادٌ فيغتاله . ففعل ذلك ، فلما خرج من الحبس قرّبت بغلةٌ من بغال البريد فركبها وقال :

* عدسْ ما لعبّادٍ عليك إمارةٌ * الأبيات

وتمام القصّة هناك . فقوله (عدس) هو زجرٌ للبغل ، أى إنّه زجرٌ له ليسرع . قاله الجوهرى ، وأنشد هذا البيت . وربما سمّوا البغل عَدَسْ بزجره . قال الشاعر :

إذا حملتُ بِزّتى على عَـدَسْ

فـا أبالى من غَزَا ومن جَلَسْ

وقال الجاحظ[٢] : زعمَ أناسٌ أنّ عَدَسْ اسمٌ لـكلِّ بغلة ، وذهبوا إلى قول الشاعر :

إذا حملتُ بِزّتى على عَدَسْ على التى بين الحمارِ والفرس

* فما أبالى من غَزا ومَنْ جلَسْ *

ورُوى عن الخليل أنّ عَدَسْ كان رجُلاً عنيفا بالبغال أيامَ سليمان عليه السلام ، فإذا قيل لها ذلك انزجرتْ وأسرعَتْ . وهذا لا يعرف فى اللغة .

وزعم ابن قتيبة أن الذى ركبه ابن مفرغ فرس[٣] . قال : فبعث على البريد مَنْ أطلقه ، فبدأ بالحبس فأخرجه ، فلمّا قرّب إليه فرسُه قال : عدَسْ مالعباد البيت . وهذا وهمٌ ، ويدلُّ لما قلنا قوله « فيابغلةً شمّاء » ... البيت

(١) ما بعده الى « من الحبس » ساقط من ش .
(٢) فى كتاب البغال . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٣
(٣) ش : « أن التى ركبها ابن مفرغ فرس » .

وأنّ عدَسْ خاصٌّ بزجر البغال . وقال بعضهم : إنّ عدس اسمُ بغلته . وهذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنها لم تكن له ، وإنّما هى من بغال البريد .

وقوله : (مالعبّادٍ) إلخ ما نافية ، واللام متعلق بمحذوف ، وعليك متعلق بالظرف (وإمارة) إمّا فاعل لقوله لعبّاد ، وإما مبتدأ وخبره لعبّاد . وجملة (أمنتِ) مستأنفة بيانًا للجملة المنفيّة . وجملة (وهذا تحملين طليقُ) حالٌ من فاعل أمنتِ ، أى أمنت فى حال كون محمولكِ طليقا . و(الطليق) : الذى أُطلق من الإسار ، أى أمنتِ من حُـكْم عبّاد . وإذا لم يكن له حكم على البغلة فَلأنْ لا يكون عليه حكمٌ أولى . وقوله: « وهذا تحملين » يعنى بالإشارة نفسَه . ومن العجب قول العينى هنا : إنّ عَدَسْ منادى بحرف نداء محذوف ، وبُنى على السكون لأنه فى الأصل حكايةُ صوت . إلى أنْ قال : وإمارة مبتدأ .

عباد بن زياد

وعبّاد هو أخو عُبيدالله بن زياد ، الذى قاتل الحسينَ بن على رضى الله عنهما فى كربلاء . وزيادٌ يقال له زياد بن سُميّة ، وهى أمه ، بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء ، ويقال له زياد بن عُبيد بالتصغير ، وهو أبوه . ويقال له أيضًا زياد بن أبيه ، أى ابن أبى معاوية ، لأنّ معاوية بن أبى سفيان جعله أخًا لنفسه ، واستلحقه بأبيه .

وبيان ذلك كما ذكره الملك إسماعيل الأيوبىُّ صاحبُ حماة (فى كتابه أخبار البشر) أنّه لما دخلت سنةُ أربع وأربعين من الهجرة ، استلحق معاوية زيادَ بن سميّة ، وكانت سميّة جاريةً للحارث بن كلَدَة الثقفى ، فزوّجها بعبدٍ له رومىّ يقال له عُبيد ، فولدت سُميةُ زِياداً على فراشه ، فهو ولد عُبيدٍ شرعا . وكان أبو سفيان قد سار فى الجاهلية إلى الطائف ، فنزل على إنسانٍ يبيع الخمر يقال له أبو مريم ، أسلم بعد ذلك وكانت له صحبة ، فقال له أبو سفيان : قد

٥١٨ اشتهيت النِّساء . فقال له أبو مريم : هل لك فى سُمَيَّة ؟ فقال أبو سفيان : هاتِها على طول ثَدْيَيْها ودَفَر إبطيها ! فأتاه بها فوقع عليها ، فيقال إنها عَلِقت منه بزياد ، فوضعته فى سنة الهجرة . ونشأ زيادٌ فصيحاً ، ثم لمَّا كان قضيةُ شهادة الشهود على المغيرة بالزنى وجلدِهم[1] ، ومنهم أبو بكرة أخو زياد لأمِّه ، وامتناعُ زياد عن التصريح كما ذكرنا ، اتخذ المغيرة بذلك لزياد يداً . ثمَّ لمَّا ولى على ابن أبى طالب رضى الله عنه الخلافة استعمل زياداً على فارس ، فقام بولايتها أحسنَ قيام . ولمَّا سلَّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية امتنع زيادٌ بفارس ولم يدخُلْ فى طاعة معاوية ، وأهمَّ معاويةَ أمرُه وخاف أن يدعوَ إلى أحدٍ من بنى هاشم ويعيدَ الحرب ، وكان معاوية قد ولَّى المغيرةَ بن شعبةَ الكُوفة ، فقدِم المغيرةُ على معاوية فى سنة اثنتين وأربعين ، فشكا إليه معاويةُ امتناعَ زياد بفارس ، فقال المغيرة : أتاذن لى فى المسير إليه ؟ فأذن له وكتب معاوية لزيادٍ أماناً ، فتوجَّه المغيرة إليه لمَا بينهما من المودَّة ، وما زال عليه حتَّى أحضره إلى معاوية وبايعه ، وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه ، من حينَ كان منه فى شهادة الزِّنى ما كان .

فلمَّا كانت هذه السنة ، سنة أربع وأربعين ، استلحق معاوية زياداً وأحضر الناس ، وحضَر من يشهد لزيادٍ بالنسبِ ، وكان ممن حضَر ذلك اليومَ أبو مريمَ الخمَّار الذى أحضر سُميَّة إلى أبى سفيان بالطائف ، فشهد بنسب زيادٍ من أبى سفيان وقال : إنِّى رأيت إسكَتَيْ سميّة يقطُرانِ من منيِّ أبى سفيان . فقال زياد : رُويدك ، طُلبتَ شاهدا ولم تُطلَب شتَّاماً . فاستلحقه معاوية . وهذه أوّلُ واقعةٍ خُولفت فيها الشريعةُ علانيةً ، لصريح قول النبى صلى الله عليه وسلم « الولدُ للفِراشِ وللعاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ، خصوصًا

(١) ط : « بالزنا جلدهم » . وما أثبت من ش .

بنى أمية ، لكون زياد بن عُبيد الرومىّ صار من بنى أمية بن عبد شمس .

وقال عبدالرحمن بن الحكم أخو مروانَ فى ذلك :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ صخرٍ
لقد ضاقت بما تأتى اليدانِ

أتغضبُ أنْ يقالَ أبوكَ عفٌّ
وترضَى أن يقال أبوك زانى

وأشهدُ أنَّ رِحْمكَ من زيادٍ
كرِحْم الفِيل من ولد الأتانِ

ثم ولّى معاويةُ زياداً البصرة ، وأضاف إليه خراسان وسجستان ، ثم جمع له الهندَ والبحرين وعُمان .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ، فيها قدم زيادٌ إلى البصرة وسَدَّد أمر السّلطنة وأكّد الملك لمعاوية ، وجرّد السيف ، وأخَذ بالظِّنَّة وعاقب على الشُّبهة، فخافه الناسُ خوفاً شديدا . وكان معاوية وعُمّاله يدعون لعثمان فى الخطبة يوم الجمعة ويسبُّون عليا . ولمّا كان المغيرة متولِّىَ الكوفة كان يفعل ذلك ، وكان حُجرٌ يقوم ومعه جماعة يردُّون عليه ، وكان المغيرة يتجاوز عنهم ، فلما ولىَ زيادٌ ودعا لعثمانَ وسبَّ عليًا قام حُجر وقال كما كان يقول ، من الثّناء على علىّ ، فغضب زيادٌ وأمسكه وأوثقَه بالحديد وثلاثةَ عشر نفراً معه وأرسلهم إلى معاوية ، فشفَع فى ستةٍ منهم عشائرُهم ، وبقى ثمانيةٌ منهم حُجر ، فقتلهم معاوية . وكانَ حُجرٌ صحابيًّا من أعظم الناس دِيناً وصلاة . وروى ابنُ الجوزىّ بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كنَّ فى معاوية ، لولم تكن فيه إلا واحدةٌ لكانت مُوبقة ، وهى : أخذه الخلافةَ بالسيف من غير

مشاوَرةٍ وفى الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة . واستخلافه ابنه يزيد ، وكان سِكِّيرا خِمِّيرا يلبس الحرير ويَضرب بالطَّنابير . وادِّعاؤه زياداً أخا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقتله حُجر ابن عدىّ وأصحابه ، فياويلاً له من حُجر وأصحاب حُجر . وروى عن الشافعى أنه أسَرَّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادةَ أربعة ، وهم معاوية ، وعمرو بن العاصى[1] ، والمغيرة ، وزياد .

وأما قضيَّة المغيرة بن شعبة فقد كانت فى سنة سبعَ عشرة ، وهى أنَّ المغيرة كان عمرُ بن الخطاب قد ولَّاه البصرة ، وكان فى قُبالة العُلِّيَة[2] التى فيها المغيرةُ بن شعبة عُلِّيَّةٌ فيها أربعة ، وهم أبو بَكْرة مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخوه لأمِّه زياد بن أبيه ، ونافع بن كَلَدَة ، وشِبل بن مَعبد ، فرفعت الريحُ الكوّة عن العُلّية ، فنظروا إلى المغيرة وهو على أمِّ جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعة ، وكانت تغشى المغيرة ، فكتبوا بذلك فعزل المغيرةَ واستقدمه مع الشهود ، فلما قدم إلى عمر شهد أبو بَكْرة ونافعٌ وشبل على المغيرة بالزنى ، وأمّا زياد بن أبيه فلم يُفصح بشهادة الزنى ، فقال : رأيته جالساً بين رِجلى امرأة ، ورأيت رِجلين مرتفعتين ونفساً يعلو ، واستاً ترْبُو عَنْ ذَكر ، ولا أعلم ما وراء ذلك . فقال عمر : هل رأيت الميل فى المُكحلة ؟ فقال : لا . فقال : هل تعرف المرأة ؟ قال : ولكن أشبِّهها . فأمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنى أنْ يُحَدُّوا حدَّ القذف فجلدوا . وكان زيادٌ أخا أبى بكرة لأمه فلم يكلمه أبو بكرة بعدها . انتهى ما نقلته عن أخبار البشر .

(١) « العاص » .

(٢) العلية : الغرفة ، ووزنها فُعُّولة أو فُعِّيلة . وتقال أيضا بكسر العين .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى [١]) : كتاب مثالب العرب أصله لزياد بن أبيه ؛ فإنّه لما ادّعى أبا سفيان أبا ، علم أنّ العرب لا تُقرّ له بذلك مع علمهم بنسَبه ، فعمل كتاب المثالب وألصقَ بالعرب كلّ عيبٍ وعار وباطل ، وإفك وبُهْت . ثم ثنّى على ذلك الهيثم بن عدىّ وكان دعيًّا ، فأراد أن يُعرّ أهلَ الشرف تشفّيًا منهم ، ثم جدّد ذلك أبو عبيدة مَعمَر ابن المثنّى وزاد فيه ، لأنّ أصله كان يهوديًا، أسلم جدُّه على يدَى بعض آل أبى بكر ، فانتمى إلى وَلاء تيم . ثم نشأ غَيلانُ الشعوبى الورّاق ، وكان زنديقًا ثَنَوِيًّا لا يُشَكّ فيه ، فعمل لطاهر بن الحسين كتابًا خارجا عن الإسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذِكر مناكحهم وأمّهاتهم ، ثم بطون قريش ثم سائرِ العرب ، ونسب إليهم كلّ كذب وزور ، ووضعَ عليهم كلّ إفك وبهتان . ووصله عليه طاهرٌ بثلاثين ألفا . وأما كتابُ المثالب والمناقب الذى بأيدى الناس اليومَ فإنّما هو للنَّضر بن شُمَيل الحميرى وخالدِ بن سلمة المخزومى ، وكانا أنسبَ أهل زمانهما ، أمرَهُما هشامُ بن عبد الملك أن يبيّنا مثالبَ العرب ومناقبها ، وقال لهما ولمن ضمّ إليهما : دعُوا قريشًا بما لها وماعليها . فليس لقرشىٍّ فى ذلك الكتاب ذِكر . انتهى .

وقوله «طليق الذى نُجّى» إلخ ، الذى نجّاه من الحبس هو معاوية . والدّرب بالفتح : باب السكة الواسع ، والباب الأكبر . ومَضيق فاعل تلاحم .

وقوله : « لكل أناسٍ خَبطة » إلخ الخبطة ، بفتح المعجمة وسكون الباء ، قال صاحب القاموس : الخبطة : الزُّكة تصيب فى قُبُل الشتاء[٢] ، والمطرُ الواسع . وقال: الزُّكة بالضم : العاين المجموع .

(١) اللآلىء ٨٠٧ ـ ٨٠٨ . وانظر حواشى البيان ٣ : ٥ .
(٢) كذا ، وهو سهو من البغدادى فى النقل من القاموس ، والذى=

٥٢٠ وقوله : « قضى لك خمخام » بفتح الخاءين المعجمتين . وروى ابن قتيبة بحاءين مهملتين . ويؤخذ مجزوم بلا الناهية ، وأراد به الدعاء لها بأن لاتؤخذ فى طريق وهو عليها .

والشمّاء : العالية المرتفعة ، مؤنث الأشم . والهُوَّة بالضم : الموضع الهاوى . والرَّدَى : الهلاك . وإمامٌ فاعل أجالك .

والطرق والطُّروق : الإتيان بالليل ، وأراد به مطلق الإتيان .

وقوله :

وشَرَيْتُ برداً ليتنى من بعد بُردٍ كنتُ هامَه

فى القاموس: الهامة : طائرٌ من طير الليل، وهو الصَّدَى. وقال(فى صدى) : والصَّدى: طائرٌ يطير بالليل يَقفِز قفزا .والمُشقّر كمعظَّمٍ : حِصن قديم . واليمامة: بلاد الجوّ ، وأصل اليمامة اسم امرأةٍ ، وهى جاريةٌ زرقاء ، وكانت[1] تُبصِر من مسيرة ثلاثة أيام ، وهى مشهورة ، سمِّى الجوُّ باسمها ، وبها تنبأ مسيلمة الكذاب ، وهى عن مكة ستٌّ عشرة مرحلةً من البصرة ، وعن الكوفة نحوها .

وقوله : « شجوه » مفعول لأجله ، أى شجْوَ بُرد . والشَّجو الحزن ، أى

=فى القاموس والتاج : « الزكمة » بالزاى المفتوحة ، وهى الزكام . وقد انساق البغدادى فى السهو ، فالتمس للركمة بالراء المضمومة معنى فى مادة (ركم) من القاموس فوجد لها معنى الطين المجموع . وقد تركت نص البغدادى كما هو محافظة عليه . على أن « الخبطة » التى وردت فى البيت معناها من خبط ورق الشجر ، وهو ضربه ليسقط ويستعمل فى الحريق . ويؤيد هذا المعنى قوله فى البيت « وحريق » . ومعنى البيت فيما أرى ، ان بعد العسر يسرا ، ولابد لكل قوم من أن تتاح لهم فرصة النار بعد تعسرها عليهم .

(١) ط : « وكائنت » .

لشجوها عليه . والبرق معطوفٌ على الريح ، أى والبرق يبكى أيضا . وجملة يلمع إلخ حالٌ . قال السيِّد المرتضى قدِّس سرُّه (فى إماليه الغرر والدرر) : عطف البرق على الريح ثمّ أتبعه بقوله: يلمع فى الغمامة ، كأنه قال : والبرق أيضًا يبكيه لامعًا فى غمامه[1] ، أى فى حال لمعانه . ولو لم يكن البرق معطوفًا على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

والبيت الأوّل استشهدبه صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ الذينَ يَشْرُونَ الحيوةَ الدنيا بالآخرة[2] ﴾ على أنّ الشراء يأتى بمعنى البيع كما فى البيت ، يقال شريت الشىء أشريه شِرًى وشِراء ، إذا بعته وإذا أخذته أيضًا . فهو من الأضداد .

قصيدة يزيد بن مفرغ

وقد عنّ لى أن أسوقَ القصيدة هنا فإنها جيِّدةٌ فى بابها قال[3] :

أَصَرَمْتَ حبلك من أمامه ... مِن بَعد أيّامٍ برامَه

ووَمِقتَها فوجَدتَها ... كالضِّلع ليس لها استقامه

لهفى على الرأى الذى ... كانت عواقبُه ندامه

تركى سعيداً ذا النّدى ... والبيتِ ترفعُه الدِّعامه[4]

ليثًا إذا شهد الوغى ... تَرَكَ الهوَى ومَضى أمامَه

فُتِحتْ سمرقندٌ له ... فبنَى بعَرْصَتها خِيامَه

كانوا صديقًا قبل ذا ... فألمَّ دهرٌ ذو عَرامه

(١) وكذا بالاضافة فى أمالى المرتضى ١ : ٤٤٠ .
(٢) الآية ٧٤ من النساء .
(٣) الأغانى ١٤ : ٥٤ ــ ٥٥ والشعراء ٣٢١ وأمالى الزجاجى ٤٢ .
(٤) سعيد هذا هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان واليا على خراسان .

وَتبعْتَ عبدَ بَنى عِلا ج تلك أشراطُ القيامه
جاءت به حبشيَّــةٌ سَــكَّاء تَحسِبُها نَعَامه
مِن نِسوةٍ سُودِ الوجو ه ترى عليهن الدَّمامَه
وشربتُ برداً ليتنى البيتين . وبعدها :

والعبدُ يقرع بالعصا والحرُّ تــكفيه الملامه
والمولُ يَركبُه الفتى حَذرَ المخازى والملامه .

وقوله : « سَــكَّاء تحسَبها نعامه » قال فى العباب : السَّــكَك بفتحتين : صِغَر الأذن . وأُذنٌ سكّاء ، أى صغيرة . يقال : كلُّ سكاء تبيض ، وكلُّ شَرفاء تلد . فالسَّــكَّاء : التى لا أُذنَ لها ظاهرة . والشرفاء : التى لها أذنٌ ظاهرة . انتهى . والنعام صغير الأذن خِلقة . ٥٢١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الأربعمائة[١] :

٤٢٩ (فقلت له : لا والذى حَجَّ حاتمٌ
أخونُك عهداً ، إنّنى غيرُ خَوَّانِ)

على أنه بتقدير : حَجَّ حاتمٌ إليه ، فحذف إليه .

قال أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) : قوله لا والذى حجّ حاتم ، يحتمل الذى ضربين . إنْ عَنى بالذى الكعبة ، فذكَّر على إرادة البيت كما يقولون : والكعبةِ والبيتِ والمسجدِ ، فالضمير فى حجّ محذوف ، لأنّ هذا الفعل متعدٍّ ،

---

(١) نوادر أبى زيد ٦٥ ويس ١ : ١٤٧ والحماسة ١٦٢٨ بشرح المرزوقى .

يدلُّ على ذلك قوله ﴿ فمن حَجَّ البيت أو اعتمر [1] ﴾ . فالمعنى : الذى حجّه حاتم .
وإن عنى بالذى الله سبحانه فالتقدير : لا والذى حجَّ له حاتم ، فحذف له من
الصلة . وهذا النحو من الحذف من الصِّلات قد جاء فى الشعر ، من ذلك
قوله :

ناديتُ باسمِ ربيعةَ بنِ مكدَّمٍ
إنَّ المنـوَّه باسمه الموثوقُ

فقال : الموثوق ، وحذف به . انتهى .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : سألنى أبو على مرّةً عن قوله :

* فقلت له لا والذى حج حاتم * البيت

فقلت له : يجُوز أن يكون أقسم بالله عز وجل، أى والله الذى حجَّ حاتمٌ
بيته ، ثم حذف المضاف فصار حَجَّهُ ، ثم حذف الضمير على العادة من الصلة .
ويجوز أن يكون الذى مصدراً كقوله تعالى : ﴿ الذى يبشِّر الله عِباده [2] ﴾ .
[وهو [3]] شبيهٌ ببيتنا هذا . اه .

أراد بالبيت المشبَّه به البيتَ الذى شرحه ، وهو :

زُوَيقُ إنى وما حجَّ الحجيج له وما أهلَّ بجنبى نَخلةَ الحُرُمُ [4]

قال : يحتمل ماهنا أوجُهاً : أحدها أن تكون عبارة عن القديم سبحانه
على ماحكاه أبو زيد عن العرب ، من قوله [5] : سبحان ماسخَّرَكنَّ لنا ،

(١) الآية ١٥٨ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى .
(٣) التكملة من اعراب الحماسة لابن جنى الورقة ١٩٤ .
(٤) بضمتين ، جمع حرام ، بمعنى المحرم بالحج أو العمرة .
(٥) فى اعراب الحماسة : « قولهم » .

وسُبحان ماسبَّح الرعد بحمده. وأراد : في ما[1] الثانية له ، غير أنَّه حذفها لطولِ الكلام وتقدُّم ذكرها مع مافي الأولى . ويجوز أيضاً أن يكون ماهنا مصدراً فتكون الهاء في له لله تعالى؛ وإنْ لم يجر له ذكر ، لأنَّه قد جرى ذكر الحجِّ ، فدلَّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنه قال : إني وحجِّ الحجيج لله . ويؤكد ذاك أنَّه لم يُعِدْ مع ما الثانية له ، لأنه غير محتاج إليها من حيث كانت مصدراً[2] ، وغير محتاجة إلى عائد وقد تقدَّم « له » الأولى . ويجوز أيضاً أن تكون ما عبارة عن البيت ، فيقسم بالبيت ، كقول زهير :

فأقسمت بالبيت الذى طافَ حوله
رجالٌ بنَوْه من قُريشٍ وجُرْهُمِ

فإذا كان الأمر كذلك احتملت الهاء في له أمرين : أحدهما أن تكون للبيت على أنْ يكون له بمعنى إليه ، كقوله تعالى :﴿ بأنَّ ربَّك أوحَى لها[3]﴾ أى إليها . والآخر[4] أنْ يكون للهِ تعالى ، أي والبيتِ الذى حجَّ الحجيج لطاعة الله . وسألني أبو عليٍّ مرّةً عن قوله . إلى آخر ما أوردناه أوّلا .

فعُلم أنّ كلام الشارح المحقّق هو أحد تخريجَيْ أبي عليّ الفارسي على تقدير حمل الذى على الله ، ولم يرتَضِه ابنُ جنى على هذا التقدير ، بل جعله على تأويل : والله الذى حجَّ بيتَه حاتم ، فحذف بيت أوّلا ثم الضمير العائد تدريجًا . وهذا أقيَس من كلام أبي على

(١) في النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت من اعراب الحماسة .
(٢) كذا في اعراب الحماسة . وفي الأصل : « لأنه غير محتاج اليه من حيث كان مصدرا » .
(٣) الآية ٥ من الزلزلة .
(٤) في نسخة من اعراب الحماسة : « والأحسن » .

٥٢٢ والبيت أحد أبياتٍ ثلاثةٍ أوردها أبو زيد (فى نوادره) لكنْ روايته ليست كرواية الجماعة ، وهى فيها كذا :

أبيات الشاهد

(مررتُ عَلَى دار امرئٍ السَّوء ، عِندَه
ليوثٌ كعَيْدانٍ بحائطِ بُستانِ
ومررتُ على دار امرئٍ الصَّدق حولَه
مَرابط أفراسٍ ومَلعبُ فِتيانِ
فقال مجيباً : والذى حجَّ حاتم
أخونُكَ عهداً ، إننى غيرُ خوّانِ

والسَّوء بفتح السين وضمها : مصدرٌ ،أراد به السيِّء ، فأطلق عليه مبالغة . وكذلك الصِّدق ، مصدر أطلق على الصادق . ويكون السَّوء والصِّدق فى القول والفعل .

واللُّيوث : جمع ليث، وهو الأسد ، أراد به الشجعان . وقال الجرْمى : هو جمع لَيْثة ، يقال ناقة ليثة . انتهى . وفى القاموس : اللَّيثة من الإبل : الشَّديدة .

والعَيْدان ، بفتح العين المهملة النخل الطوال ، قال الجوهرى : والعَيْدان ، بالفتح : الطِّوال من النَّخل ، الواحدة عَيدانة . هذا إن كان فَعلان فهو من هذا الباب ، فإن كان فيعالا فهو مِن باب النون .

وقوله : «بحائط بستان» الباء بمعنى فى،والحائط : البُستان،والبستان ،فُعلانٌ: الجنَّة . قال الفرّاء عَربىٌّ (١) . وقال بعضهم : رومى معرب . فإضافة حائط إلى بستان بيانية .

---

(١) ط : « عرب » ، صوابه فى ش .

وقوله «ومررت على دار» إلخ قال الجرمي : الواو زائدة [1] في البيت ، كأنه عطف بيتاً على بيت . و فتيان : جمع فتى .

وقوله: «أخونك عهداً» ، الخون والخيانة : أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح ، يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد تارة ، يقال خان الرجل الأمانة ، وتارة إلى المفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر ، يقال خانه العهدَ وفي العهدِ . والعهد : الوصيّة ، والأمَان ، والمَوثق ، والذمّة .

وقوله : « فقال مجيبا » فاعل قال ضمير امرئ الصدق ، ومجيباً حال منه . وقوله والذى ، الواو للقسم ، والذى مُقسم به . وحج حاتم صلة الذى ، والعائد محذوف كما تقدّم بيانه ، وجملة أخونك جوابُ القسم بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : ﴿تالله تفتَؤُ تذكرُ يوسف[2]﴾ والكاف مفعولٌ أول ، وهي مفتوحة لا مكسورة . وعهداً مفعول ثان ، وجملة «إنني غير خوّان» ، استئناف بيانيّ .

صاحب الشاهد العريان بن سهلة

والأبيات لِعُرْيان بن سَهْلة الجَرْمى ، وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، كذا قال أبو زيد (في نوادره) . والعُريان ، بضم العين وسكون الراء المهملتين بعدهما مثناة تحتية وآخره نون . وسَهْلة ، بفتح السين المهملة وسكون الهاء بعدها لام وهاء تأنيث . والجَرْميّ : نسبة إلى جَرْم بفتح الجيم وسكون الراء المهملة . وجرم : بطنٌ من قبيلة طيّئ ، وبطن من قبيلة قضاعة أيضاً . ولا أعلم نسبته إلى أيّ هذين البطنين . والله أعلم .

* * *

(١) وتسمى فى اصطلاح العروض بالخزم ، بالزاى المعجمة .
(٢) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الأربعمائة[1] :

٤٣٠ (فسَلِّمْ عَلَى أيِّهِمْ أفضَلُ)

هذا عجزٌ ، وصدره :

(إذا ماَلقيتَ بنى مالكٍ)

على أنَّ العائد الواقع مبتدأً محذوف ، والتقدير : أيهم هو أفضل . وفيه روايتان : « عَلَى أيُّهم » بالبناء على الضم ، وبه أورده ابن هشام فى بحث أىّ (من المغنى) . و « على أيِّهم » بإعرابه بالجرّ ، وبه أورده أيضاً فى بحث جملة الصلة من الباب الثانى ، قال : قرئ : ﴿ أيَّهُمْ أشد[2] ﴾ بالنصب ، ورُوى فسلم على أيِّهم أفضل ، بالخفض . وكذلك رواه بالوجهين (فى شرح الشواهد) .

وإذا شرطية ، وما زائدة . وجملة فسلم جواب الشرط .

ومسألةُ أىّ خلافيَّة ، وقد فصَّلها ابنُ الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ، وكذلك الشارح المحقق بعد الإخبار بالذى .	٥٢٣

صاحب الشاهد	والبيت لم يبلغْنى قائله . وقال ابنُ الأنبارى : وحكاه أبو عمرو الشيبانى بضم أيُّهم عن غَسَّان ، وهو أحدُ مَن تؤخَذ عنه اللغة من العرب . انتهى . فغسَّان قائلُ البيت[3] . وزعم ابن هشام أنَّه لرجلٍ من غَسَّان . والله أعلم .

* * *

---

(١) الانصـــاف ٧١٥ وابن يعيش ٣ : ٤/١٤٧ : ٧/١٢ : ٨٨ وشرح شواهد المغنى ٨٣ ، ٢٨١ والتصريح ١ : ١٣٥ والهمع ١ : ٨٤ ، ٩١ والأشمونى ١ : ١٦٦ ويس ١ : ١٣٦ .

(٢) الآية ٦٩ من سورة مريم .

(٣) المفهوم أن غسان هو راوى البيت ، أو صاحب هذه الرواية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الأربعمائة[1] :

٤٣١ (أنا الذى سَمَّتْنِ أُمِّى حَيدَرَهْ)

على أنّه يجوز أن يقال : سمّتنى ، والأكثر سمّته . وظاهر كلامه أنّه غير قبيح .

وكذلك كلام صاحب الكشاف ، وبه استشهد عند قوله تعالى : ﴿ولكنّى رسولٌ مِنْ رَبِّ العالمين. أُبَلِّغُكُمْ رسالاتِ ربى[2]﴾ على جواز كون أبلغكم صفةَ رسول الله ، لأنّ الرسول وقع خبراً عن ضمير المتكلم فى لكنّى ، فجاز عودُ ضمير المتكلم عليه كما وقع الموصول فى البيت خبراً عن ضمير المتكلم مع أنّ حقّ الضمير العائد إلى الموصول الغيبة ، فكان مقتضى الظاهر فى الآية : يُبَلِّغكم ، وفى البيت : سمّتْه .

وكذلك ظاهر كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ؛ فإنّه تكلّم على قول المتنبى :

كفى بجسمى نُحولاً أنّنى رجلٌ ... لولا مخاطبتى إيّاك لم ترنى[3]

قال: رجل خبر موطّىء[4]، والجملة بعده صفته ، والفائدة بها ، والخبر الموطّىء[5]

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥٥ والهمع ١ : ٨٦ .

(٢) الآية ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ الأعراف .

(٤) ديوان المتنبى ٢ : ٤٠٢ . وهذا البيت لم يرد فى النسخة المطبوعة من الأمالى . وليس فيها من هذا النقل الا : « ونظير ذلك عود ضمير المتكلم الى الموصول اذا وقع الموصول خبرا عن ضمير متكلم كقول أمير المؤمنين عليه السلام :

.. أنا الذى سمتن أمى حيدره .

(٤) فى النسختين : «موطأ» . صوابه ما أثبت ، وهو نظير الحال الموطئة . وأنظر الأشمونى ٢ : ١٧١ والتصريح ١ : ٣٧١ .

(٥) فى النسختين : « الموطأ » . وانظر التنبيه السابق .

كالزِّيادة فى الـكلام ، فلذلك عاد الضميران ، وهما الياء فى مُخاطبتى ولم ترنى ، إلى الياء فى أنّى ، ولم يعودا على رجل لأن الجملة فى الحقيقة خبرٌ عن أنى . ونظيره عود الياء إلى الذى فى قول على رضى الله عنه :

* أنا الذى سمَّتنِ أمِّى حَيدره *

لـمَّا كان المعنى الذى هو أنا فى المعنى ، وليس هذا ممَّا يحمل على الضرورة لأنّه وقع فى القرآن نحو : ﴿ بل أنتم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[١] ﴾ . وممَّا جاء فى الشعر لغير ضرورة قوله :

أأُكرَمُ مِنْ ليلَى علىَّ فتبتغى ... به الجاهَ أم كنتُ امرأً لاأُطِيعُها[٢]

ولم يقل يُطيعها وفاقًا لامرئٍ . فهذا دليلٌ على دليل التنزيل ، فاعرفْ هـذا وقِسْ عليه نظائره . انتهى .

ولا يخفى أنَّ مبنى كلامه على أنَّ الضرووة ماليس للشاعر عنه مندوحة . والصحيح أنها ماوقع فى الشِّعر ، سواء كان عنه مندوحةٌ أم لا . وصريح كلام الإمام المرزوقى[٣] أنَّه قبيح مردود . قال : كان القياس أنْ يقول سمَّته حتى يكون فى الصلة ما يعود إلى الموصول ، لـكنَّه لما كان القصد فى الإخبار عن نفسه ، وكان الآخر هو الأوَّل ، لم يبال بردِّ الضمير على الأوَّل . وحمل الـكلام على المعنى لأَمْنِهِ من الإلباس[٤] ، وهو مع ذلك قبيح عند النحويِّين ، حتى إنَّ المازنى قال : لولا اشتهار مَورِده وكثرتُه لردَدْته . انتهى .

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

(٢) نسب الى المجنون ، أو الصمة القشيرى ، أو ابن الدمينة . وأنظر شرح شواهد المغنى ٧٩ ، ٣٠٩ وحواشى الحماسة بشرح المرزوقى ١٢٢٠ .

(٣) فى شرح الحماسة ٢٩٧ .

(٤) فى شرح الحماسة : « من الالتباس » .

و(الحيدرة) : الأسد ، نقل الحسين الميبُذِىّ[١] (فى شرح ديوان الإمام على رضى الله عنه) عن الحافظ إسماعيل قال : يُروَى أنَّ أمَّ مرحب كانت كاهنة قالت لابنها : يابنىَّ إنى خائفة عليك رجلاً يسمَّى نفسه فى الحرب حَيدرة ، فإن سمعت ذلك فلا تبارِزْهُ . فلما سمع الرجزَ أراد الرجوع، فمنعته الحميَّة الجاهلية ، فقتله علىٌّ رضى الله عنه ، والسِّياقُ مشعرٌ بأنَّ عليًّا كان سمع هـذا ، فلهذا قال حَيدرة . انتهى .

٥٢٤ وحمله الجمهور على غير هذا ، قال ابن قتيبة (فى غريب الحديث) : سألت بعضَ آل أبى طالب عن قوله : سمَّتنِ أمِّى حَيدره ، فذكر أنَّ أمَّ على فاطمةَ بنت أسد ولدت علياً وأبو طالبٍ غائب ، فسمَّته أسداً باسم أبيها ، فلمَّا قدم أبو طالب كرِهَ هـذا الاسمَ وسمَّاه علياً ، فلما كان يومَ خيبر ورَجَز علىٌّ ذكر الاسم الذى سمَّته به أمه ، فكأنه قال : أنا الأسد . اه .

ومثله فى صحاح الجوهرى :

وقال السهيلى (فى الروض الأنف[٢]) فى قول علىّ : سمتن أمى حيدره ثلاثة أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت :

أحدها : أنَّ اسمَه فى الكتب المتقدِّمة أسد ، والأسد هو الحيدرة .

الثانى : أنَّ أمه فاطمة بنت أسد حينَ ولدته، كان أبوه غائباً ، فسمَّته باسم أبيها أسداً ، فقدِم أبوه فسمَّاه علياً .

---

(١) ش : « المبيدى » ، صوابه بالذال المعجمة ، نسبة الى ميبذ ، قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون وضم الباء الموحدة وذال معجمة : بلدة من نواحى أصبهان » . وهو الحسين بن معين الميبذى الترمذى المتوفى فى سنة ٨٧٠ . لكن ذكر فى كشف الظنون أن هذا الشرح بالفارسية . فلعله شرحه مرة بالفارسية ، وأخرى بالعربية ، كما يتضح من نقل البغدادى عنه .

(٢) الروض الأنف ٢ : ٢٤٢ .

الثالث: أنَّه كان لُقِّب فى صغره بحيدرة ، لأنَّ الحيدرة الممتلئ لحمًا مَعَ عِظَم بطن ، وكذلك كان رضى الله عنه ، ولذلك قال بعض اللُّصوص حين فرَّ من سجنه الذى كان يسمَّى نافعا ، وقيل فيه بالياء أيضاً :

ولو أنِّى مكثْتُ لهم قليلاَ
لجرُّونى إلى شيخٍ بَطينِ

انتهى .

فعلى القولين الأوَّلين يكون من التعبير بالمترادف .

قال ابن السيد البطليوسى (فى شرح أدب الكاتب) : أراد أنا الذى سمَّتْنى أمِّى أسداً ، فلم يمكنه ذكر الأسد من أجل القافية ، فذكر حيدرة ، لأنه اسمٌ من أسمائه . وإنما قلنا ذلك لأنَّ أمَّه لم تسمِّه حيدرة ، وإنما سمَّته أسداً . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من رجز لعلى رضى الله عنه ، قاله يوم خَيبر . رُوى أنَّ مرحباً اليهودىَّ خرج يومَ خيبر وهو يَخْطِر وعليه مِغفرٌ يمانىٌّ ، وحَجَرٌ قد ثقَبه مثلُ البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ خَيبرُ أنِّى مَرحبُ شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ
* إذا الليوثُ أقبلت تَلهَّبُ[1] *

فبرز له علىٌّ عليه السلام وعليه جُبَّةٌ حمراء قد أخرج خَمْلها ، وهو يقول :

أنا الذى سمَّتنِ أمىٌّ حيدره
ضِرغامُ آجامٍ وليثٌ قَسْوَره

(١) ط : « تلتهب » ، صوابه فى ش .

عَبْلُ الذّراعين شديدُ القَصَره

كليثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَره

أضربُ بالسيفِ رقابَ الكَفَره

أكيلُهمْ بالسَّيف كيلَ السَّندره

وروى أيضاً :

* أوفيهمُ بالصَّاع كيلَ السَّندره *

وزاد الحسين المَيْبُذِيّ[1] فى روايته :

أضربُكمْ ضرباً يُبين الفِقَره

وأتركُ القِرْن بقاعٍ جَزَره

أشفى صدرى من رؤوس الكفره[2]

أقتلُ منهم سبعةً أو عشره

* فكلُّهم أهلُ فُسُوقٍ كَفَره *

وقد رُوى أبياتُ مرحب على غير ماذكرنا وهى :

إنّا أناسٌ ولدتْنا عَبهره

لِباسُنَا الوَشْىُ ورَيْطُ حِبرَه[3]

* أبناء حربٍ ليس فينا غَدَره *

---

(١) ش : « الميبدى » وانظر ما سبق من تحقيق ص ٦٤ .

(٢) كذا ورد صدر هذا البيت ، ولا يستقيم به الوزن .

(٣) ط : « لنا سنا الوشى » ، صوابه فى ش .

وقال : العَبهرة : المرأة الحسناء . والوَشى من الثياب معروف. والرَّيطة الملاءة. والحِبرة : البرد اليمنيّ . وغَدَرة : جمع غادر . والجَزَرة بفتحتين : اللحم ٥٢٥ الذى تأكله السِّباع[1] ، والجمع جَزَر ، يقال تركوهم جَزَراً ، أى قتلوهم . اهـ .

والسَّندرة : بفتح السين المهملة وسكون النون ، قال السُّهيلى : شجرةٌ يُصنَع منها مكاييلُ عِظام . وقال ابن السِّيد البطليوسى : قال ابنُ قتيبة : (فى شرح الحديث): السَّندرة شجرةٌ تُعمل منها القِسيّ والنَّبل ، فيحتمل أن يكون مِكيالاً يتخذ من هذه الشجرة يسمى باسمها ، كما تسمَّى القَوس نَبعةً باسم الشجرة التى أُخِذَتْ منها . قال : ويحتمل أن يكون امرأةً كانت تكيل وافياً أورجلا . وذكر أبو عُمَرَ المطرِّز (فى كتاب الياقوت) : أنَّ السندرة امرأة . انتهى .

وفى (العباب للصاغانى): السّندرة اسم امرأةٍ كانت تبيع القمح وتُوفى الكيلَ. والسندرِىُّ : مكيالٌ ضخم كالقَنْقَل والجُراف . وقال ثعلب فى قول على رضى الله عنه :

أنا الذى سمّتنِ أمّى حَيدره
كليثِ غاباتٍ كريهِ المَنظَره
أكيلُكم بالسَّيف كيلَ السَّندره
أطعنُ بالرمح نُحُورَ الكَفَرَه

لم تختلف الرُّوَاة أنَّ هذا الرجز له ، واختلفوا فى السندرة ، فقال ابن الأعرابىّ : هى مكيالٌ . أى أقتلُكم قتلا واسعاً كثيراً . وقال غيره : هى امرأةٌ كانت تُوفِى الكيلَ . أى أقتلكم قتلا وافياً . انتهى .

---

(١) ط : « يأكله السباع » .

والضِّرغام واللَّيث بمعنى الأسد. والآجام والغابات(١) : جمع الأجمة والغابة ، وهما الشجر الكثير الملتف أو القصب مثله ، يكونان مأوى الأسد ، إشارة إلى فرط قوّته ومنعة جانبه ، حيث لم يكتفِ بأجمةٍ بل حَمَى آجاماً وغابات . وليث الأول مضاف إلى قسورة ، والقسورة هنا أوّل الليل ، ذكر هذا المعنى صاحب العباب . ويأتى بمعنى الأسد أيضاً ، وهو من القَسْر ؛ لأنه يأخذ فريسته قَهراً وغلبة ، ويجوز على هذا أن يقرأ بتنوين ليث ، فيكون قسورة وصفاً له . والقَصْوَرة لغة فى القَسْوَرَةِ ، وفسّره شارح الديوان برامى السّهم ،وفى التنزيل : ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(٢) ﴾ . قيل : من أسد . وقال ابن عبّاس : القسورةُ : رِكز الناس وحِسّهم . وقال غيره : هم الرُّماة الذين يتصيّدونها . وقال : المعنى كأنهم حُمر نَفَّرَها(٣) من يقسرها برمى أو صيد أوغير ذلك. والعَبْل بفتح العين المهملة وسكون الموحدة : الضَّخْم. والقَصَرة ، بفتح القاف والصاد المهملة . أصلُ العنُق . ورواه أبو عمرو الشّيبانى :

* كليثِ غاباتٍ غليظِ القصَره *

وأخطأ شارح الديوان بتفسيره إيَّاه بأصل الأذن. والفِقَرةُ بكسر الفاء وفتح القاف : جمع فِقْرة بسكون القاف ، وهى خَرزة الظهر . والفَقَارة بالفتح أيضاً هى خَرَزة الظهر . والقِرْن بكسر القاف وسكون الراء ، هو المقاوِم فى قتال أو عِلم أو غيرهما . وقول مرحب : شاكى السِّلاح . قال صاحب المصباح : الشوكة: شدة البأس والقوّة فى السلاح . وشاك الرجل يَشَاك شوكا ، من باب خاف : ظهرت شوكته وحِدّته . وهو شائك السِّلاح ، وشاكى السلاح على القلب .

(١) والغابات ، ساقط من ش .
(٢) الآية ٥١ من المدثر .
(٣) ش : « أنفرها » .

و(فى سيرة ابن سيِّد الناس) أنَّ مرحباً لمَّا رجز :

* قد عَلِمَتْ خَيبرُ أنى مرحبُ *

أجابه كعبُ بن مالكٍ شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قد علمتْ خَيبرُ أنى كعبُ
مفرِّج الغَمَّا جرىءٌ صُلبُ[1]

فى أبيات . وهذا هو الصحيح ، فإنَّ أجوبة الأرجاز فى الحرب إنما هى على القافية ، فيكون رجز علىّ رضى الله عنه جواباً عن قول مرحب : ٥٢٦

* إنا أناسٌ ولدتْنا عَبهرهْ *

كما رواه حسين المَيبُذِىُّ[2] . ولم يذكر الشامىُّ هذا فى سيرته ، وذكر فى قتل مرحبٍ رواياتٍ مختلفة .

وخَيبر : اسم ولايةٍ مشتملةٍ عَلَى حُصونٍ ومزارعَ ونخلٍ كثير ، على ثلاثة أيامٍ من المدينة ، عَلَى يسار الحاجّ الشامى ، سمِّيت باسم أول من نزلها ، وهو خيبر أخو يثرب ، ابنا أخى عاد . وكانت غزوة خيبر فى آخر السنة السادسة من الهجرة قبل فتح مكة شرفها الله تعالى ، فإنَّ فتحها كان فى سنة ثمان من الهجرة .

واعلمْ أنَّ العلماء قد اختلفوا فى الشِّعر المنسوب إلى على رضى الله عنه ، قال المازنى : إنه لم يصحّ أنّه عليه السلام تكلَّم بشىء من الشعر غير هذين البيتين . وصوّبه الزمخشرى ، وهما :

(١) وكذا فى السيرة ٧٦٠ . والغما : مقصور الغماء بالمد وفتح الغين وتشديد الميم . ومثلها « الغمى » بضم الغين .

(٢) ش : « الميبدى » ، وانظر ما سبق فى حواشى ص ٦٤ .

تِلكُمْ قُرَيشٌ تَمَنَّانى لِتقتلنى

فلا ورَبِّكَ ما بَرُّوا ولا ظَفِروا

فإنْ هلكتُ فرهنٌ ذِمَّتى لهمُ

بذات وَدْقَين لا يَعفُو لها أثرُ

كذا قال صاحب القاموس . وفسَّر ذاتِ ودقين بالدَّاهية ، قال : كأنَّها ذات وجهين. ووَدقين بفتح الواو وسكون الدال وفتح القاف. ويَرِدُ على المازنىّ والزمخشرى ما نقلناه آنفاً عن ثعلب من كون الرُّواة لم يختلفوا فى الرجز الذى منه البيتُ الشاهد أنَّه له عليه السلام ، ويؤيده أنه مذكورٌ فى جميع كتب السير والمغازى .

على بن أبي طالب

وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنه وكرَّم وجهه ، قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو ابنُ عمِّ النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو الحسن ، وأوّل الناسِ إسلاماً فى قول الكثير من أهل العلم، وُلِد قبل البَعْثة بعشرِ سنين على الصحيح فربِىَ فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفُارقه ، وشهد معه المشاهدَ إلاَّ غزوة تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة : « ألاَ ترضى أن تكونَ منِّى بمنزلة هارون من موسى » الحديث . وزوَّجه بنتَه فاطمة ، وكان اللواء بيده فى أكثر المشاهد .

ولما آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له : « أنت أخى ».

ومناقبه كثيرة ، حتى قال الإمام أحمد : لم يُنقل لأحدٍ من الصَّحابه مانقل لعلىّ . وقال غيره : وكان سبب ذلك تنقيصَ بنى أميّة له ، فكان كلُّ مَن كان عنده علمٌ من مناقبه من الصَّحابة بيثُّه ، وكلما أرادوا إخماده وهدَّدوا

مَنْ حدَّث بمناقبه لا يزداد إلاَّ انتشاراً. ومن خصائص علىّ رضى الله عنه [قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم[١]] يوم خَيبر : « لأدفعَنَّ الرايةَ غداً إلى رجل يحبُّ الله ورسوله ، يفتح اللهُ على يديه » . فلما أصبحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غَدَوْا كلُّهم[٢] يرجو أن يُعطاها ، فقال صلى الله عليه وسلم .« أين علىُّ بن أبى طالب » ؟ فقالوا : يشتكى عينَيه . فأُتى به فبصق فى عينيه ودعا له ، وأعطاه الراية . أخرجاه فى الصحيحين . وبعثَه لقراءة براءة على قريش ، وقال : « لا يذهبْ إلاَّ رجلٌ منِّى وأنا منه » وقال لبنى عمه : « أيُّكم يوالينى فى الدنيا والآخرة » ؟ فقال على : أنا . فقال[٣] : « إنَّه وليِّى فى الدنيا والآخرة » ، وأخذ رداءه فوضعه على علىّ وفاطمة وحَسن وحسين ، وقال : ﴿ إنما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ[٤] ﴾ ولبس ثوبه ونام مكانه . وكان المشركون قَصدُوا قَتْل النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحوا رأوه ، قالوا : أين صاحبك . وقال له فى غزوة تبوك : « أنتَ منِّى بمنزلة هرونَ من موسى ، إلا أنَّكَ لستَ بنبىّ » ، أى لا ينبغى أن أذهب إلاّ وأنت خليفتى . وقال له : « أنت ولىُّ كلِّ مؤمنٍ بعدى » . وسدَّ الأبوابَ إلاّ بابَ علىّ ، فيدخل المسجد جُنباً وهو طريقهُ ليس له طريقٌ غيره . وقال : « من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » .

٥٢٧

وأخرج الترمذىُّ بإسنادٍ قوىٍّ عن عمران بن حصين فى قصةٍ قال فيها : قال رسول الله عليه وسلم : « مايريدون من علىّ ؟ إنَّ عليًّا منى وأنا من علىّ ، وهو ولىّ كلِّ مؤمن بعدى » .

---

(١) التكملة من الاصابة .
(٢) وكذا فى الاصابة ، وفى ش : « وكلهم » .
(٣) فى الاصابة : « فأبوا فقال على أنا » .
(٤) الآية ٣٣ من الأحزاب .

واستُشهد فى ليلة التاسعَ عشَر من شهر رمضان سنة أربعينَ من الهجرة . ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . انتهى كلام الإصابة مختصراً .

ومناقبه العديدةُ ، وسِيَرهُ الحميدة ، لا يحتملها هذا المختصَر . وقد ألّف العلماء فيها تآليف عديدة لا تُعدُّ ولا تحصى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الأربعمائة[1] :

٤٣٢ (القاتِلى أنتَ أنا)

وهذا بعضُ بيتٍ وضعه بعضُ النحاة للتعليم ، كما فى (سفر السعادة)، وهو :

(كيف يخفى عَنْك ماحَلَّ بنــا
أنا أنتَ القاتِلى أنت أنا)

وروى أيضاً :

* أنا أنت الضاربى أنت أنا *

واقتصر الشارح المحقّق عَلَى هذا القدر لتعلُّق غرضه به ، ولم يُورِده بتمامه لشهرته وخطأ قائله ، فإنّه كان يجب أن يقول القاتِلُه بالهاء لا بالياء ، ليكون التقدير : الذى قتلتَه أنا . لأنَّ أل فى القاتل اسم موصول بمعنى الذى ، وحق العائد أن يكون بضمير المتكلم لئلاّ يصير الإخبار لغواً ، إذ التقدير الذى قتلتنى ، فيصير من قبيل الذى ضربتَ أنا .

وقد ذكر أنّه لايجوز الحمل على المعنى . قال ابن السرّاج (فى الأصول) :

(١) لم أجد له مرجعا آخر غير ما نص عليه البغدادى . وقد خرجه فى سفر السعادة وتذكرة أبى حيان .

لا يجوز الذى ضربتك أنت ، ولا الذى ضربتنى أنا . فإن قدّمت نفسك قبل الذى ، قلت : أنا الذى ضربتُك ، وأنا الذى ضربتنى . قال أبو عثمان المازنىّ : ولولا أنّ هذا حُكى عن العرب الموثوق بعربيتهم رددْناه لِفساده . ومما جاء فى الشّعر فى صلة الذى محمولا على معناه لا لفظه ، قوله :

وأنا الذى قتّلتُ بكراً بالقنا
وتركتُ تغلبَ غيرَ ذاتِ سَنامِ

ولو حُمل على لفظه لقال قتّل . وليس كل كلام يحتمل أن يُحمَل على المعنى . انتهى .

وقد جوّزه أبو ذرّ مُصعَب بن أبى بكر الخشَنى ، حكاه عنه أبو حيان : (فى الارتشاف) قال : يُجيز عودَ الضمير مطابقاً للخبر فى الخطاب والتكلم ، بحمله على المعنى . قال : ورُدَّ عليه بأنه يلزم منه أنْ تكون فائدة الخبر حاصلةً فى المبتدأ . وذلك خطأ .

وقال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : المبتدأ يُخبر عنه مظهراً كان أو مضمراً ، بمتكلّمٍ أو مخاطَب أو غائب ، فيقال فى الإخبار عن هو ، من قولك : هو قائم هو ، وفى الإخبار عنه إذا كان لمتكلّم أو مخاطب خلافٌ ، والأصحُّ الجواز . والضّمير الذى يؤتى به خَلَفاً يكون ضميرَ غيبة . وأجاز الكسائى : الذى أنا قائم أنا ، والذى أنت قائم أنت . والكسائى نظر إلى المعنى . ولا شك أنّ هذه المسألة نُقلت إلى مسألة أنت الذى قام وأنا الذى قام ، حيث يجوز فيها ٥٢٨ أنت الذى قمت ، وأنا الذى قمتُ ، ولكن شرط مُراعاة المعنى فى هذه المسألة تقدُّم الضمير على الاسم الموصول ، فلو تقدّم الموصول على الضمير لم يجز مُراعاةُ المعنى إلاّ عند الكسائى ، ومن ثم أجاز : الذى أنا قائم أنا ، والذى أنت قائم أنت . انتهى .

وإذا وقفتَ على هذا علمتَ أنَّ ما ردَّه الشارح المحقق وأبو حيّانَ ليس بوجهٍ ، لأنه قولٌ لإمام الكوفيين وغيره ، فناظم البيت تابعٌ لهما . غايته أنه مخالفٌ لقول الجمهور .

وقد أعرب هذا المصراعَ بوجهين أبو محمد عبدالله،الشهير بابن بَرِّيّ ، كما نقله عنه صاحب(سِفْر السعادة) قال : أحد الوجهين أنْ تجعل الألف واللام لأنا ، والفعلَ لأنت . فأنا على هذا[1] مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلي[2] مبتدأ ثالث لأنَّه غير أنت ، إذ الألف واللام لأنا . والعائد على الألف واللام الياء فى القاتلى ، لأنها أنا فى المعنى ، وأنت فاعل بالقاتلى ، أبرِز لمَّا جرى الوصفُ على غير مَنْ هُوَ له ، إذ الألف واللام لأنا ، والفعل لأنت . فأنا على هذا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلي[3] خبر أنت ، ولا يُبرز الضمير فيه ، لأنَّه جرى على مَنْ هو له ، ويكون الكلام قد تَمَّ عند قوله القاتلى ، ويكون أنت أنا على طريق المطابقة للأوَّل ،ليكون آخر الكلام دالاً وجاريًا على أوَّله. ألا تراه قال فى أول الكلام : أنا أنت ، ولهذا قال فى آخره : أنت أنا ، أى كيف أشكو ماحلَّ بى منك وأنا أنت وأنت أنا ، فإذا شكوتك فكأنما أشكو نفسى.قال : ولو جعلت الألف واللام والفعل فى هذه المسألة لأنا ، لقلت: أنا أنت القاتلك أنا؛ فأنا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلك مبتدأ ثالث ، لأنه غير أنت وفيه ضميرٌ يعود على الألف واللام التى هى أنا فى المعنى . ولم يبرز الضمير الذى فى القاتلك . والقاتلك وخبره خبر أنت ، وأنت وخبره خبر أنا . اهـ .

وقد أورد أبو حيان هذا البيت (فى تذكرته) ، واقتصر فى إعرابه على

---

(١) على هذا ، ليست فى ط .

(٢) ما بعده الى « والقاتلى » التالية ساقط من ش .

(٣) الى هنا ينتهى سقط ش الذى نبهت عليه فى الحاشية السابقة .

الوجه الأوّل من وجهىْ قولِ ابن بَرّى ، قال : أنا الأوّل مبتدأ ، وأنت الأول مبتدأٌ ثان ، والألف واللام لأنا ، وقاتلى لأنت . فقد جرى اسم الفاعل صلةً على الألف واللام التى هى أنا ، فأبرز ضميره وهو أنت . فأنت يرتفع بقاتلى ، وأنا خبر عن الألف واللام ، وهى وما بعدها خبر عن أنت الأوّل ، وهو وما بعده خبر عن أنا الأوّل ، والعائد إلى أنا الأوّل أنا الثانى ، والياء فى القاتلى عائدةٌ على الألف واللام . انتهى .

وقد أجاب بالوجه الأوّل نظماً أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دَعّاس[1] الفارسىُّ ، فإنّه سأله بعضهُم عنه بقوله :

أيُّها الفاضـــل فينا أفْتِنا
وأزِلْ عنا بفتواك العَنـــا

كيف إعرابُ نُحاةِ النَّحو فى :
أنا أنت الضاربى أنت أنا

فأجابه بقوله :

أنا أنت الضاربى مبتدأٌ فاعتبرها يا إماماً لَسِنا[2]
أنتَ بعد الضاربى فاعله وأنا يُخبر عنه عَلَنـا
ثم إنّ الضاربى أنت أنا خبرٌ عن أنت ما فيه انثِنا
وأنا الجملةُ عنه خبرٌ وهى مِن أنت إلى أنت أنا

(١) فى النسختين : « دعابس » ، صوابه من البغية ٢٠٥ وتاج العروس (دعس) ، قال الزبيدى : « والفقيه أبو بكر بن دعاس كشداد : أحد الأمراء بزبيد ، واليه نسبت المدرسة بها » .
(٢) فى البغية : « سننا » .

٥٢٩ أبو بكر بن دعاس

وأبو بكر هذا كان فقيهاً حنفيًّا أديباً لغوياً شاعراً ، نال من إمام اليمن المظفَّر حُظوة حتَّى اختصَّ به ، ثم طردَه ، لإدلالٍ تكرَّرَ منه ، من تَعزّ إلى زَبِيد ، فمات بها في جمادى الآخرة سنة سبعٍ وستين وستّمائة . وكان أهلُ زَبِيد ينسبونَه إلى سَرِقة الشعر ويقولون : إذا حُوسب الشعراء يومَ القيامة يؤتى بابن دعّاس[1] فيقول : هذا البيتُ لفلانٍ ، وهذا المصراع لفلان ، وهذا المعنى لفلان . فيخرج بريئاً . كذا في معجم النحويّين للسيوطي .

ابن برى

وأما أبو محمد بن بَرِّيٍّ فهو عبدالله بن برىّ بن عبدالجبار القدسىّ المصرىّ الشافعىّ النحوىّ اللغوىّ ، كان قيِّماً بهما وبالشّواهد ، ثقة . قرأ عليه الجُزُولي[2] . وصنَّف الردَّ على ابن الخشاب في ردِّه على الحريري في مقاماته ، وكتابَ الردِّ على دُرَّة الغواص للحريري[3] ، وحَواشىَ على صحاح الجوهرى . قال الصَّفَدِيُّ : لم يُكمِلها ، بل وصل إلى (وقش) ، وهو رُبع الكتاب ، فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البَسْطى . مات في ليلة السبت السابعةِ والعشرين من شوّال سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة . وأقرأ كتابَ سيبويه ، وتصدَّر بجامع عمرو وكان مع غزارة علمه ودِقَّةِ فهمه ذَا غفلةٍ وبلاهة ، تحكى عنه حكاياتٌ عجيبة . كذا في معجم النحويين للسيوطي .

---

(١) في النسختين : « دغابس » ، وانظر ما سبق من تحقيق .

(٢) هذا هو الصواب . وفي بغية الوعاة : « قرأ على الجزولى » ـ ولا يستقيم ، فان الجزولي توفي سنة ٦٠٧ ووفاة ابن برى سنة ٥٨٢ .

(٣) هذا هو الصواب . وفي البغية : « وصنف اللباب في الرد على ابن الخشاب في رده على الحريري في درة الغواص . الرد على الحريري في درة الغواص » .

وبَرِّىّ بفتح الموحدة وتشديد الراء والياء ، هكذا ضبطه ابن حجر (فى مشتبه النسبة) .

وأمّا مُصعبٌ الخشَنى ، فهو محمد بن مسعود الخشنى الأندلسى الجَيّانى ، كان أحد الأئمة المُتقْنين ، وأحد المتَصدرين فى الفقه والأدب ، إماماً فى العربيـة جالَ الأندلسَ فى طلب العلم .

مصعب الخشنى

وروى عن ابن قُرْقُول[١] وابنِ بَشْكُوال[٢] ، وعبد الحقّ الإشبيلّى ، وأجاز له السِّلَفى ، وولى قضاء بلده . ولم يكن فى وقته أتمُّ وقاراً ولا أحسنُ سَمْتاً منه . واتفقوا على أنَّه لم يكن فى وقته أضبطُ منه ولا أتقَنُ فى جميع علومه حفظاً وقلماً[٣] ، وكان نَقَّاداً للشِّعر ، مطلق العنان فى معرفة أخبار العرب[٤] وأيَّامها وأشعارها ولغاتها ، متقدِّماً فى كل ذلك .

والُخشنى ، بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين وبالنون : نِسْبةٌ إلى خُشَين كقريش : قرية بالأندلس ، وقبيلة من قضاعة ، وهو خُشَينُ بن النمر بن وَبْرة ابن تغلِب بن حِمران بن حلوان بن الحافِ بن قُضاعة . كذا فى معجم النحويين للسيوطى[٥] .

---

(١) فى تاج العروس : « ابن قرقول كعصفور ، مصنف مطالع الأنوار ، تلميذ القاضى عياض ، وقد ذكـره المصنف فى جؤنة . وهو أبو اسحاق ابراهيم بن يوسـف بن ابراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزى . ولد بالمرية من الأندلس سنة ٥٠٥ وتوفى بفاس سنة ٥٦٩ . وفى البغية ٣٩٢ : « ابن قوقل » ، صوابه ما هنا .

(٢) ابن بشكوال ، هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجى القرطبى . ولد سنة ٤٩٤ وتوفى سنة ٥٧٨ بقرطبة . وفيات الأعيان .

(٣) أى كتابة وتاليفا .

(٤) فى الأصل : « وكان نقادا للشعر ومعرفة أخبار العرب » . وتصحيحه واكماله من بغية الوعاة .

(٥) الكلام على نسبة الخشنى ، لم يرد فى ترجمة مصعب الخشنى من بغية الوعاة فى طبعتيها .

علم الدين السخاوى

وأما صاحب سِفر السعادة فهو أبو الحسن علىّ بن محمد بن عبد الصمد الهَمْدانى ، الملقب عَلَمَ الدِّين السَّخاوىّ ، من سَخَا إحدى بلاد مصر من إقليم المحلّة كان فقيهاً شافعيّاً إماماً فى القراءات والتفسير والنحو . وصنّف تصانيف كثيرة منها : شرحُ الشاطبية ، وتفسير القرآن فى أربع مجلدات . وشَرَح المفصَّل شرحين . وسِفر السعادة وسفير الإفادة . وشَرْح أحاجى الزَّمخشرى النحوية ، وغير ذلك . وكان مولده سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين وخمسمائة ، ومات بدِمَشق ليلة الأحد ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة ، بمنزله بالتُّربة الصالحية ، ودفن بقاسِيُون . كذا فى طبقات الأسنوىّ[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الأربعمائة[2] :

٤٣٣ (من النفر اللائى الذين إذا اعْتَزَوْا

وهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا)

٥٣٠ على أنّه من باب التكرير اللفظى ، كأنّه قال : من النفر اللائى اللائى .

على أنه قد رواه الرُّواة : « من النفر الشُّمّ الذين » .

قال ابن السَّرّاج (فى الأصول) : العرب لا تجمع بين الذى والذى ، ولا ما كان فى معنى الذى . وأما ذلك فشىء قاسَه النحويون ليتدرَّب به المتعلّمون . وكذا يقول البغداديّون الذين على مذهب الكوفيِّين ، يقولون : إنه ليس من كلام العرب ، ويذكرون أنه إذا اختلفَ[3] جاز . وينشدون :

---

(١) علق عليه الميمنى فى الاقليد ٧٤ بأنه « عنـــد بعض بخلاء لكنو » .

(٢) المقتضب ٣ : ١٣٠ ، ١٣١ والبيان للجاحظ ٣ : ٣٠٦ .

(٣) ط : « ان اختلف » ، وأثبت ما فى ش .

مِنَ النفرِ اللائى الذين إذا هُمُ
يَهابُ اللِّئامُ حَلْقَةَ البابِ قعقعوا

قالوا : فهذا جاء على إلغاء أحدهما . وهــذا البيت قد رواه الرُّواة ولم يجمعوا بين اللائى والذين . ويقولون عَلَى هذا : مررت بالذى ذو قال ذاك ،على الإلغاء . وهذا عندى أقبح ، لأنَّ الذى يَحمل ذو فى معنى الذى طيِّئٍ ، فكيف يُجمع بين اللغتين . ولا يجيزون الذى من قام زيد على اللَّغو ، ويحتجُّون بأنّ مَن تكون معرفة ونكرة ،ويجيزون بالذى القائم أبوه على أن يجعل الألف واللام للذى ، وما عاد من الأب على الألف واللام ، ويخفض القائم(١) يتبع الذى . وهذا عندنا غير جائز ، لأنّ الذى لابدّ لها من صلة توضِّحها ، فمتى حُذفت الصلة فى كلامهم فإنما ذاك لأنّه قد علم . وإذا حذفت الصّلة وهى التى توضحه ولا معنى له إلا بها ، كان حذف الصفة أولى ، فكيف تحذفُ الصّلة وتترك الصفة . اهـ .

وجميع ماأورده الشارحُ المحقّق هنا من مسائل الإخبار عن الذى فهو من الأصول ،وهو بالنسبة إلى مافيه قليل من كثير .

وقد أورد البيتَ الفرّاء فى سورة الذاريات (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ إنّه لحقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ(٢) ﴾ . قال : قد يقول القائل : كيف اجتمعت ما وأنَّ ، وقد يكتفى بإحداهما عن الأخرى ؟ فوجهه أنّ العرب

(١) ش : « وبخفض القائم » .
(٢) الآية ٢٣ من الذاريات .

تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظُهما . فمن الأسماء قولُ الشاعر :

• من النّفر اللائى الذين إذا هُم • البيت

فجمع بين اللائى والذين ، وأحدهما يجزئ منَ الآخر . اه كلامه .

وأورده أبو على أيضاً (فى إيضاح الشعر) فى موضعين ، قال فى الموضع الأوّل : أعلم أنّه لا يجوز أن يكون الذين[(١)] صلة اللائى ، كقولك : الذى الذى فى داره زيدٌ عمرو ، لأنّه ليس فى ظاهر صلة الذينَ مايرجع إلى اللائى . وقد جاء فى التنزيلَ وصْلُ الموصول بالموصول على مايحمل النحويُّون عليه مسائلَ هذا الباب . زعموا أنّ بعض القراء قرأ : ﴿ فاستغاثَه الذى مَنْ شيعَتُه[(٢)] ﴾ .

وقال فى الموضع الثانى : فأمّا قوله من النفر اللائى الذين ، فإنّ اللائى وإن لم يعُدْ عليه ذكرٌ من اللفظ فإنه يجوز أن يكون حذَفَ الراجع من الصِّلة ، كأنه قال : اللائى هم الذين . ويجوز أن يكون حذف الصلة لأنّ صلة الموصول بعدَه تدلُّ عليها ، كقول الآخر :

مِن اللّواتى والتى واللاتِى زعَمْنَ أنى كَبِرتُ لِدَاتى[(٣)]

فلم يأت للموصولين الأوّلين بصلة . ويجوز فيه وجهٌ آخر ، وهو أنّ البغداديين قد أجازوا فى هذه الموصولة من نحو الذين أن يُوصَف ولا يوصَل ،

---

(١) فى الأصل : « الذى » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .

(٢) الآية ١٥ من القصص .

(٣) هو الشاهد ٤٤٧ فيما سيأتى .

كإجازة الجميع ذلك فى مَنْ وما[1] . وقد أنشد أبو عثمانَ عن الأصمعىّ :

٥٣١

حتى إذا كانا هما اللذَينِ

مثلَ الجديلَين المحَمْلجَينِ[2]

واللاتى واللائى من الأسماء الموصولة ، وهما يقعان على المؤنَّث ، ولم نعلم اللاتى استُعمِلَتْ فى المذكر . فأمّا اللائى فقد استعمل فى المذكَّر ، قال :

أَلمَّا تعجبِى وتَرَىْ بطيطاً

من اللائينَ فى الحِقَب الخَوالى[3]

ولو كان يختصُّ بالمؤنّث لم يُجمَع بالواو والنون . ويدلُّ على تذكير اللائى أيضاً قوله : من النفر اللائى الذين ، ألاَ تَرى أنّه جعله وصفاً للنفَر والنفَر مذكر . وأمّاهُم فى البيت فإنّه يرتفع بمضمر يفسِّره قعقعوا ، والشرط قعقعوا المتأخر ، والتقدير إذا أُظهرت المضمر الذى ارتفع عليه الضمير : إذا قعقعوا قعقعوا ؛ لأنّ الضمير يتصل بالفعل المضمر إذا أظهرتَه، ولايجوز أن يكون الشَّرط يهاب ، لأنّه لايجوز أن يفسِّرَ ما ارتفع عليه هُم ، وإنما يفسِّره قوله قعقعوا[4].

والتقدير : إذا قعقعوا حلقة الباب هابَ اللئامُ دقَّها ؛ لأنّهم ليسوا على ثقة من الإذن لهم كما يثق هؤلاء النفَر الرؤساء بأنّهم يؤذَن لهم . فقعقعوا وإن كان مؤخَّراً فى اللفظ فهو مقدَّم فى التقدير، بدلالة أنّه لايخلو من أن تجعل الشرط إذا يهاب أو إذا قعقعوا . فلا يجوز الأوّل[5] لأنّه لايفسر ما ارتفع عليه كما

---

(١) ش : « فاجاز الجميع » ، صوابه فى ط . وفى ط : « فيمن وما » ، صوابه فى سن .

(٢) لم يعرف قائله . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٥٣ والهمع ١ : ٨٦ .

(٣) أنشده فى اللسان (بطط) على أن البطيط بمعنى العجيب .

(٤) هذا كله على رواية « اذا هم يهاب اللئام » .

(٥) ش : « للأول » .

يفسّره قعقعوا . ألا ترى أنّه مشتغِل بظاهر ، وإذا كان كذلك لم يجز من جهة اللفظ ، إن لم يمتنع من جهة المعنى ، أن تقول : إذا هاب اللئام دقّ الحلقة دقّها الكرام . فأمّا صلة الموصول بإذا مع أنّ الذين يُعنَى بهم أعيان ، ولا يجوز الذى يوم الجمعة زيد ، كما يجوز الذى يوم الجمعة القتال ، فإنّ الكلام محمول على المعنى ، كأنه قال : الذين إن قعقعوا يهابُ اللئام ، فلذلك جاز . وهذا يدلّ على جواز ما أجازه سيبويه من قوله : زيد إذا أتانى أضرب ، وأنه لا يكون بمنزلة زيد يوم الجمعة ، ولا زيد غداً . وعلى هذا قول أوس :

فقومى وأعـــدائى يظنُّون أننى
متى أحدثوا أمثالَها أتـكلَّمِ[1]

مع أنّه لا يجوز علمت أنّ زيداً يوم الجمعة . فأمّا قوله إذا يَهابُ فجاء بالمضارع بعد إذا وأكثر ما يجىء فى الاستعمال الماضى ، فإنّ الأصل المضارع . ألا ترى أنّه يراد به الآتى ، فإذا جاء به على الأصل كان حسنا ، كقوله .

* إذا يراح اقشعرّ الـكشحُ والعَضُدُ *

انتهى كلام أبى على .

وقوله : « إذا اعتَزَوْا » فى رواية الشارح المحقّق ، بمعنى إذا انتسبوا . وروى أيضاً : « إذا انتموا » من الانتماء ، بمعنى الانتساب . والشُّمّ ، بالضم : جمع أشمّ ، وهو الذى به شمَمٌ ، أى كِبر ونخوةٌ ، وأصله ارتفاع الأنف ، وهو من صفة العُظماء .

---

(١) فى الأصل : « اذا أحدثوا » ، والصواب « متى » ، لأن النص يقتضى ظرفا جازما ، والبيت من قصيدة مكسورة الروى فى ديوان أوس ١١٧ أولها :

تنكرت منا بعد معرفة لمى وبعد التصابى والشباب المكرم

ورواية الديوان ١٢٢ والشعراء ١٥٦ : « متى يحدثوا أمثالها » .

وأورد هذا البيت بمفرده أبو علي القالي (في ذيل أماليه) كذا :

من النفر البيض الذين إذا انتَمَوا وهابَ اللئام إلخ .

وقال: البيض: السّادة الذين لاعيبَ فيهم يُقْدِمون[1] على أبواب الملوك بأحسابهم ومواضعهم وكِبَر أنفُسهم، ويَهابُها اللئام لخمولهم وقُصور هممهم . انتهى .

وجمع من روى هذا البيت رواه: « مِنَ النفر البيض الذين » أو « مِن النفر الشُّمِّ الذين » . ولم أر من رواه : « من النَّفر اللائى الذين » إلاّ النحويِّين .

والنَّفَرُ : اسم جمع يقع على جماعةٍ من الرجال خاصّة ، مابين الثّلاثة إلى العشرة . ولا واحد له من لفظه . كذا في النهاية . وإنما أطلقه الشّاعر هنا على الكرام إشارةً إلى أنّهم ذووعددٍ قليل واللئام : جمع لئيم ، وهو الشّحيح والدنئ النفْس،والمَهين . واللؤم : ضدّ الكرم . وروى بدله: «الرجال» وحَلْقة الباب ، وحلقة القوم ، وهم الذين يجتمعون مستديرينَ ، كلتاهما بسكون اللام . وأما الحَلَقَة بفتح اللام فهو جمع حالق . وقعقعوا بمعنى ضَربوا الحلقة على الباب لتصوِّت . والقعقعة : حكاية صوتِ الحلقة على الباب ونحوها .

٥٣٢

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ وقع في شعرَين : أحدُهما مارواه أبو سعيد السكّريُّ (في كتاب اللصوص) قال : أخبرني رُفَيع بن سَلمة عن أبي عُبيدة[2] .

---

(١) الأمالي ٣ : ١٦٤ .

(٢) في الأصل : « أبي عبيد » وانما يروى رفيع عن أبي عبيدة ، أستاذ أبي عبيد القاسم بن سلام . قال المترجمون : « وكان أوثق الناس عن أبي عبيدة » . أنظر طبقات الزبيدي ١٩٨ وانباه الرواة ٢ : ٦ .

قال : زعم النقْرى[1] أنّ أبا الرُّبيس الثّعلبى ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان، سَرق ناقةً كان عبدُالله بن جعفر بن أبى طالب صَنَعها وعَلَفها ، فسرقَها أبو الرُّبيس وقال :

(هَــلْ تُبلغنيها إذا ما طلبتُها
غـداً وانجلى عنّى الغطاء المقنّعُ
قصيرةُ فَضلِ النِّسعتين إذا رمى
بها الرَّعلةَ الأولى الزّميلُ المزعزَعُ
مطيّــةُ بطّالٍ ، لدنْ شبّ ، همُّه
قِمارُ الـكِعاب والطِّلاء المشعشَعُ
من النَّفرِ البيض الذين إذا انتمَوْا
وهابَ الرجالُ حَلقةَ البابِ قعقعُوا
إذا النَّفرُ السّودُ اليمانون نمنموا
لهُ حَوْكَ بُرديهِ أجادُوا وأوسعُوا)

قوله « قصيرة فَضْل النِّسعتين » بكسر النون . يريد أنها تستوفى نسوعَها أى سيورَها ،لعظَمها وسَعة جوفها. والرَّعلة، بالفتح : القطعة المتقدِّمة . والزّميل: الرِّدف . والمزعزَع : الذى يزعزعه السَّير . قال : فلما قال أبو الرُّبيس هذا الشعر ومدح به صاحبَ الناقة ادَّعتْ فتيان قريش كلُّهم النّاقة ، وإنما كانت لعبدالله . قال :فعمَد رجلٌ من الموالى إلى نجيبةٍ فصنعَها وعَلَفها ، وجعلَها فى

(١) كذا فى النسختين . فان صح كان نسبة الى نقر بن عمرو بن لؤى بن دهن بن معاوية بن أسـلم بن أحمس . جمهرة ابن حزم ٣٨٨ وأنساب السمعانى ٥٦٧ .

موضع تلك الناقة ، رجاء أن يسرقها أبو الرُّبيس فيمدحه ، فقرَّبها أبو الرُّبيس فطردها ، وقال . قال أبو عبيدة: بل قال هذه الجونُ الحرزيّ :

نجيبةُ عبدٍ دانُها القَتُّ والنَّوى
بيثربَ حتَّى نيُّها متظاهرُ
فقلت لها سيرى فإنك علّةٌ
سَنامك مدمومٌ ونابك فاطرُ
فمثلك أو خيراً تركتُ رذيَّةً
تقلِّب عينيها إذا طار طائر

دانها ، أى عوَّدها ، من الدِّين بالكسر ، وهو العادة . والنِّيّ ، بفتح النون وتشديد الياء :الشحم.والقَتُّ بفتح القاف وتشديد المثناة الفوقية:القصفصة إذا يبسَتْ . وقال الأزهرى : حبٌّ برّىٌّ لاينبته الآدمى ، فإذا كان عامَ قحط وفَقدَ أهلُ البادية مايقتاتون به من لبن وتمرٍ ونحوه دقُّوه وطبَخوه واجتزءوا به على مافيه من الخشونة .

وقوله سَنامُك مدمومٌ ، رواه أبو عبيد : « سَنامك ملموم » أى مجتمع . وفَطَر نابه ، إذا طَلَع . يقول : تقلِّب عينيها خوفاً من الطائر يقع على دَبَرها فيأكلها لأنها دَبِرت . رذيَّة : قد أرذاها وأدبرها[1] . وفى الصحاح : الرذية : الناقة المهزولة من السَّير . وقال أبو زيد : هى المتروكة التى حسَرها السَّفَر ، لاتقدر أن تلحق بالركاب . والذكر رذىٌّ ، وقد أرذيت ناقتى ، إذا هزلتها وخلّفتها .

وقوله «مطيّة بطّال» ، إلخ يمدح عبدَ الله بن جعفر . يقول : هى مطيّةُ شجاع

(١) ط : « وقد ارذاها وأدبرها » بزيادة الواو قبل « قد » .

همّه اقتناء المعالى من يوم كَبِرَ وترعرع. والقِمار : المُقامرة . والكِعابُ بالكسر : جمع كعب . والطِّلاء ، بالكسر : الخمرُ . والمشعشع : المزوج بالماء . وهذان مدحٌ عند العرب . ٥٣٣

وقوله : « من النّفر البيض » مِن ابتدائية أو تبعيضية . يقول : ذلك البطّال من النفر البيض .

وأما الشعر الثانى فقد رواه جماعة منهم الجاحظ ، رواه (فى كتاب البيان والتبيين) ، قال : كان أسيلم بن الأحنفِ الأسَدى ذا بيان وأدب ، وعَقل وجاهٍ وهو الذى يقول فيه الشاعر :

(أسَـــيلِمُ ذا كُمْ لاخفَا بمكانهِ
لعينٍ تُرجَّى أو لأذنٍ تَسمَّعُ

من النّفر البيض الذين إذا انتموا
وهابَ اللئامُ حَلْقةَ الباب قعقعوا

جلا الأذفر الأحوَى من المِسْك فرقَه
وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أنزَعُ

إذا النّفر السُّود اليمانون حاوَلُوا
له حَوكَ برديهِ أدقُّوا وأوسَعوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة ١٠ هـ .

وقال المبرد (فى الكامل) ، وتبعه صاحب كتاب (فضائل الشعر[١]) ، قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف الأسدىّ : ما أحسنُ مامُدِحْتَ به ؟ فاستعفاه ، فأبَى أن يعفِيَه ، وهو معه على سريرٍ ، فلما أبى إلاّ أن يخبره قال : هو القائل[٢] :

ألا أيُّها الرَّكبُ المخبُّون هل لكمْ
بسيِّدِ أهلِ الشامِ تحبَوْا وترجِعوا

من النَّفَر البِيض الذين إذا اعتزَوْا
وهابَ الرجالُ حَلْقَةَ الباب قعقعوا

إذا النَّفرُ السُّود اليمانون نَمنموا
له حَوْكَ بُرْدَيهِ أجادُوا وأوسَعوا

جلا المِسكُ والحمَّامُ والبِيضُ كالدُّمى
وفَرْقُ المَدارِى رأسَهَ فهو أنزعُ .

فقال له عبد الملك : ماقال أخو الأوس أحسنُ ممَّا قيل لك . اه .

أراد بقول أخى الأوس ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، قولَه :

قد حصّت البَيضةُ رأسى فما
أطعَمُ نوماً غيرَ تَهجاعِ

أسعَى على جُلِّ بنى مالكٍ
كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعى

(١) لم يذكر الا فى هذا الموضع من الخزانة .
(٢) فى الكامل ١٠٣ : « قال قول القائل » .

واختُلف فى إسلام ابن الأسلت ، فقال العسكرىُّ : أدركَ النبىَّ صلى الله عليه وسلم ولم يُسْلم . وقال المرزُبانى : كان قد غَضِبَ من عبد الله بن أُبَىّ ، فحلف لا يُسلم شهراً ، فمات قبل ذلك ، فزعموا أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم بعَثَ إليه وهو يموت : « قل لا إله إلا الله ، أشفعْ لك يوم القيامة » فسُمِعَ يقولها .

وهو من سادات الأنصار وشعرائهم ، وفرسانهم . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين[1] .

والمخبَّون : المسرعون ، ونمنموا : زخرَفوا ، يقال نمنم الشىء نمنمةً إذا رقشَّه وزخرفه ، وثوبٌ منمنم أى موشًّى . والبيض : النِّساء الحسان . والدُّمى : جمع دُمية ، وهى الصورة الحسنة . وفرقُ المدارى بالرفع عطفاً على المسك . والمدارى : الأمشاط . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جَبْهته . والأصلع : الذى انحسر الشعر عن مقدَّم رأسه .

وقوله : « قد حصَّت البيضةُ رأسى » إلخ . البيضة ، بالفتح : مايُلبَس على الرأس من الحديد فى الحرب . وحَصَّت البيضةُ رأسَه ، بمهملتين ، أى قلَّلت شعره . يقال رجلٌ أحصُّ بيِّن الحَصَص ، أى قليل شعر الرأس .

٥٣٤ وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : قال عبدُ الملك بن مَرْوان لأسيلم بن الأحنف الأسدىّ : ماأحسنُ شىء مُدحتَ به ؟ قال : قول الشاعر . وروى مارواه الجاحظ من الأبيات . ثم قال : وقال عبد الملكُ : أحسن من هذا قول أبى قيس بن الأسلت[2] وأنشد البيتين :

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ .
(٢) ط : « قيس بن أسلت » ، صوابه فى ش والعقد ٥ : ٣٤٣ .

وقال الزُّبير بن بكّار (فى أنساب قريش) ، وتبعه الدّارقطنى (فى كتاب المختلف والمؤتلف) : إنّ أبا الرُّبيس عَبّاد بن طِهْفة الثّعلبى : قال لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان :

جميلُ المحيَّا واضحُ اللون لم يَطأْ
بحَزْنٍ ولم تألم له النَّكْبَ إصبعُ

من النفرِ الشُّم الذين إذا انتدَوْا
وهابَ اللئامُ حَلْقَةَ الباب قعقعوا

إذا النفر الأُدْم اليمانون نمنموا
له حَوكَ برديه أدقُّوا وأوسعوا[1]

جلا الغِسْلُ والحمّامُ والبِيضُ كالدُّمى
وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أصلعُ

والحزْن ، بفتح المهملة وسكون المعجمة : ماغلُظ من الأرض . والنَّكْبَ منصوب بنزع الخافض، أى بنَكْبٍ ، وهو مصدر نكب كنانته نكْباً، إذا كبّها . يريد أنه رئيسٌ لايمشى ولا يَحمِل سلاحه ، بل يحمله خدمُه . وانتدَوْا ، بمعنى حضروا النَّدىّ ، وهو المجلس . والأدم : جمع آدم بمعنى الأسمر ، من الأدمة وهى السُّمرة . والغِسْل ، بالكسر : مايُغسل به الرأس من خِطمىٍّ وغيره .

أبو الرُّبيس

وأبو الرُّبيس : شاعرٌ إسلامىّ . قال الأمير أبو نصر بن ما كولا : هو بضم الراء وفتح الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية بعدها سين مهملة . وهو [أبو[2]] الرُّبيس الثعلبى ، واسمه عَبّاد بن طِهفة ، بكسر الطاء . اهـ .

(١) ش : « أرقوا » بالراء .
(٢) تكملة ليست فى النسختين .

ولم يذكر صاحبُ الجمهرة طِهْفة فى نسبه ، وإنّما قال أبو الرَّبيس الشاعر هو عَبّاد بن[1] عباس بن عَوف بن عبد الله بن أسد[2] بن ناشب بن سُبَد ، بضم ففتح ، بن رِزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

* * *

وأنشد بعده :

(لا أرى الموتَ يسبق الموت شىء)

هذا صدر ، وعجزه :

(نغّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا)

على أنّ الظاهر الواقع موقع الضمير يفيد التفخيم ، والأصل لاأرى الموت يسبقه شىء ، فلم يضمر للتفخيم .

وقد تقدّم أنّ الشارح المحقِّق أورده فى الشاهد الستّين من باب المبتدأ ، أنّ إعادة الموت هنا ظاهراً غير مفيد للتفخيم . وقد ذكرناه هناكَ مفصّلا فليُرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده :

(أنا الذى سمّتنِ أُمّى حيدرَه)

تقدّم الكلام عليه قبله ببيتين .

* * *

وأنشد بعده :

(القاتلى أنت أنا)

(١) الكلام من أول « طهفة بكسر الطاء » الى هنا ، ساقط من ش .
(٢) ش : « أسعد » .

هو من بيت ، وهو :

كيف يخفى عنكَ ما حلّ بنا أنا أنتَ الضاربى أنت أنا

وتقدم الكلام عليه قبله ببيت .

* * *

وأنشد بعده :

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ
وليثِ الكتيبة والمَزدحَمْ

535 تقدّم شرحه فى الشاهد الخامس والسبعين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٤٣٤ (ما أنتَ ويْبَ أبيكَ والفَخْرُ)

على أنّ ما الاستفهاميّة يدخلها معنى التحقير كما هنا ، وكذلك قوله ويب أبيك ، فيه معنى التحقير والتصغير .

وهذا عجزٌ وصدره :

(يازِبرِقانُ أخا بنى خَلَفٍ)

واستشهد بالبيت سيبويه على أنّه عطف الفخر على أنت ، مع مافيه من معنى مع ، وامتناع النصب ، إذْ ليس قبله فعل ينفذ إليه فينصبُه .

وأورده صاحب الكشاف فى آخر المائدة (من تفسيره) عند قوله تعالى :

---

(1) فى كتابه ١ : ١٥١ . وانظر المؤتلف ١٧٩ حيث نسب فيه الى المتنخل السعدى خطأ ، وابن يعيش ١ : ٢/١٢١ : ٥١ والهمع ٢ : ٤٢ .

﴿ ياعيسَى بنَ مَرْيَم[1] ﴾ قال : إذا قلت يازيدُ أخاتميم ، أوقلت : يازيدُ ابنَ الرجل الصالح رفعت الأول ونصبت الثانى كما فى البيت . إلا أنه روى المصراع الثانى: « ما أنت وَيلَ أبيك » باللام . ونقل بعضهم عنه أنَّه قال أصل ويل : وى زِيد عليها لام الجر ، فإن كان بعدها مكنىٌّ فتحت لامه كويلك وويله . وإن كان ظاهراً جاز فتح اللام وكسرها . وذكر أنهم أنشدوا قوله :

* ما أنت ويلَ أبيكَ والفخرُ * البيت

بكسر اللام وفتحها ، فالكسر على الأصل ، والفتح لجعلها مخلوطة بوى ، كما قالوا يالتيم ، ثم كثُرت فى الكلام فأدخلوا لاماً فقالوا : ويلٌ لك .

قال السِّيرافى : ولو كان كما قال ما قالوا ويلٌ لك بالتنوين والضم . فإنْ قال : توهَّموا أنها أصليَّة فنوَّنوها وزادوا بعدها لاماً ، فبعيدٌ جدّاً .

وقال الصاغانى (فى العباب) : ويب كلمةٌ مثل ويلٌ ، تقول ويبَك وويب زيد ، وويبَ أبيك . وزاد أبوعمرو : ويباً له ، وويبٌ له ، وويبَه وويبَ غيرِه . وزادُ الفراء : ويْبكَ وويبِ بك بالكسر فيهما . ومعنى هذه الكلمات ألزمَه الله ويلاً . نُصِب نصبَ المصادر . فإن جئت باللام قلت : ويبٌ لزيد . فالرفع على الابتداء أجودُ من النصب ، والنصب مع الإضافة أجود من الرفع . وقيل إنهم قالوا ذلك لقُبح استعمال الويل عندهم . اهـ .

وقوله (وَيبَ أبيكَ) معناه ألزمك الله هلاكَ أبيك ، أى فقدتَهُ . وهو اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه .

وقوله (يازِبْرقان) إلخ الزِّبرقان ، هو صحابىٌّ . وهو الزبرقان بن بدر ،

(١) الآية ١١٦ من المائدة .

واسمه حُصَين بالتصغير . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة[1] . يقال يا أخا العرب ، يراد : يا واحداً منهم ، جعله واحداً من قومه وقصدُه تحقيره ، وقيل للاحتراز عن الزِّبرقان الفزارى . وبنو خَلَف : رهطُ الزِّبرقان بن بدر، وخَلفٌ جده الأعلى، لأنه الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس ابن خَلَف بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

والبيت للمخبَّل السَّعدىّ ، وهو ابن عمّ الزِّبرقان، هجابه ابن عمه. وبعده:

(هل أنت إلاَّ فى بنى خلفٍ كالإسكتَين علاهما البَظْرُ)

والإسكتان بكسر الهمزة[2] : ناحيتا فرج المرأة . والبَظْر بفتح الهمزة : هَنَةٌ بين شَفْرَى فرجها . وامرأة بظراء: لم تُختن . شبَّه قومَه وهم حولَه بالإسكتين حول البَظْر ، وشبَّهه إذا اجتمعوا حوله بالبَظْرِ بين الإسكتين .

المخبل السعدى

والمخبَّل بفتح الباء المشدَّدة ، فى الأصل اسم مفعول من خبَّله تخبيلا ، أى أفسد عقله . ورجل مخبَّل ، كأنه قطِعت أطرافه .

٥٣٦

واسمه ربيع بن ربيعة بن عَوْف بن قِتَال بن أنف الناقة .[وقِتال[3]] ، بكسر القاف بعدها مثناة فوقيّة بعدها لام . كذا فى مختصر أنساب الكلبى .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : المخبَّل لقبٌ ، وهو ربيعة بن مالك بن رَبيعة بن عوف ، أحد بنى أنف الناقة ، واسمه جعفر بن

(١) الخزانة ٣ : ٢٠٧ .
(٢) وبفتحها أيضا ، كما فى اللسان والقاموس .
(٣) التكملة من ش .

قُرَيع بن عوف بن كَعب بن سَعد بن زيد مناة بن تميم . هذا قول ابن حبيب . ويكنى أبا يزيد . وهو شاعرٌ مخضرم فحلٌ ، وهو المرادُ بقول الفرزدق :

وهبَ القصائدَ لى النوابغُ إذْ مضَوْا
وأبو يزيدَ وذُو القُروح وجَرولُ[1]

انتهى .

فالنوابغ ثمانية شعراء . وأبو يزيد : المخبَّل السعدى . وذو القروح : امرؤ القيس . وجَرولٌ هو الحُطيئة .

قال صاحب الأغانى : عُمِّرَ المخبَّلُ فى الجاهلية والإسلام عمراً طويلا ، وأحسَبه مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخٌ كبير .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هاجر المخبَّل وابنُه إلى البصرة . وولدُه كثيرٌ بالأحساء ، وهم شعراء . وكان المخبَّل هجا الزِّبرقان بن بدرٍ وذكر أخته خُلَيدة ، ثم مرَّ بها بعد حينٍ وقد أصابه كسر وهو لايَعرفها ، فآوته وجَبرتْ كسره ، فلما عرفها قال :

لقد ضلَّ حِلمى فى خُليدةَ ضَلَّةً
سأُعتِبُ نفسى بعدَها وأتوبُ
وأشهدُ ، والمستَغفَرُ اللهُ ، إننى
كذَبتُ عليها والهجاءُ كَذوبُ

انتهى .

وفى الإصابة لابن حجر : قال ابن حبيب : خطب المخبَّل إلى الزبرقان

(١) فى اللآلى ٨٥٧ : « النوابغ كلهم » .

أختَه خُليدة فردَّه وزوَّجها رجلاً من بنى جُشَم بن عوف ، فهجاه المخبَّلُ السَّعدى ، وعَبْدة بن الطبيب ، وعمرو بن الأهتم ، وعلقمة بن عَبَدة ، قبلَ أن يُسلموا ، وقبل مبعثِ النبى صلى الله عليه وسلم .

من يقال له المخبل

وفى الشعراء من يقال له المخبَّل غير هذا ثلاثة ، وهم المخبَّل الزُّهرى ، والمخبَّل الثمالى ، وكعبٌ المخبّل .

وقد أخطأ الآمديُّ هنا (فى المؤتلف والمختلف) فزعم أنَّ البيت الشاهد للمُتَنخِّل السَّعدىّ ، بضم الميم وفتح المثناة الفوقية بعدها نون وكسرِ الخاء المعجمة المشددة ، وقال : لم يقع إلىَّ من شعرهِ شىء .

واستشهد الكسائى والفرَّاء بقوله :

يازبرقانُ أخابنى خلفٍ ما أنتَ ويبَ أبيكِ والفخرُ

وهذا تصحيفٌ منه فى اسم الشاعر . وهو تارةً ينسَب إلى قُرَيع وتارة إلى سعد . وهذا سببُ التصحيف ، وما ذكرناه هو الذى قاله شراح [شواهد[1]] سيبويه والمفصَّل وغيرهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الأربعمائة[2] :

٤٣٥ (ياسَيِّداً ما أنتَ مِنْ سيِّدِ)

على أنَّ ما الاستفهامية قد يدخلها معنى التعظيم كما فى البيت ، فإنّها استفهامية تعجُّبية ، والمقصود التعظيم .

وأورده الفرَّاء فى سورة يٓس (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ياحسرةً

(١) التكملة من ش .
(٢) المقــرب ٣٠٤ والشذر ٢٥٨ والتصريح ١ : ٣٩٩ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٣٥١ : ٩٠ والمفضليات ٣٢٢ .

على العباد[١] ﴾ قال : المعنى يالها حسرةً على العباد . وقرأ بعضهم : ﴿ ياحسرةَ العبادِ [٢] ﴾ والمعنى فى العربيّة واحد . والله أعلم .

والعرب إذا دعت نكرةموصولة بشىء آثرت النصب، يقولون : يارجلا كريمًا أقبل ، ويا راكبًا على البعير أقبل ، فإذا أفردوا رفعوا أكثرَ ممّا ينصبون . أنشدنى بعضهم : ٥٣٧

يا سيِّداً ما أنتَ من سيِّدٍ
مُوطَّأ البيتِ رحيبِ الذِّراعْ

ولو رفعت النكرة الموصولة بالصِّفة كان صوابًا ، قد قالت العرب :

* يادارُ غيَّرها البِلَى تغييرا[٣] * اهـ .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدةٍ للسفّاح بن بُكَير بن مَعْدَانَ اليربوعىّ ، رثى بها يحيى بن شدّاد بن ثعلبة بن بِشر ، أحدبنى ثعلبة بن يربوع .

وقال أبو عبيدةَ : هى لرجلٍ من بنى قُريع رثى بها يحيى بنَ ميسرةَ صاحبَ مصعبِ بن الزُّبير ، وكانَ وَفَى له حتى قُتل معه .
أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من أولها :

(صَلَّى على يحيى وأشياعِهِ
ربٌّ غفورٌ وشفيعٌ مُطَاعْ

(١) الآية ٣٠ من سورة يس . وانظر معانى الفراء ٢ : ٣٧٥ .
(٢) هى قراءة الحسن ، كما فى اتحاف فضلاء البشر ٣٦٤ . وفى تفسير أبى حيان ٧ : ٣٣٢ أنها قراءة أبى ، وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، والضحاك ، ومجاهد ، والحسن .
(٣) ط : « البلا » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء ٢ : ٣٧٢ .

لمَّا عصى أصحابُه مصعباً
أدَّى إليهِ الكيلَ صاعاً بصاعْ
ياسيِّداً ما أنت مِن سيِّدٍ
مُوطَّأ البيت رحيب الذراعْ
قَوَّالِ مَعـــروفٍ وفعَّالَه
وَهَّابِ مَثْنَى أُمَّهاتِ الرِّباعْ
يَجمع حِلمــاً وأناةً معاً
ثُمَّتَ ينباعُ انبياعَ الشُّجَاعْ)

وهذه قصيدةٌ اختلفت الرواةُ في عدَّة أبياتها ، فقد رواها الضبيُّ ثلاثة عشر بيتاً ، ورواها أحمد بن عبيد اثنى عشر بيتاً مع تغايُرٍ في الأبيات . والروايتان مسطورتان (في المفضّليات وشَرْحِها لابن الأنباريّ) .

وقوله : « لمَّا عصَى أصحابُه مُصعباً »، إلخ تقدَّم شرحه في الشاهد الحادى والأربعين[1] من أوائل الكتاب . ورواه أحمد بن عبيد :

لمَّا جلا الُخلاَّنُ عن مُصعَبٍ
أدَّى إليه القَرضَ صاعًا بصاعْ

(١) ش : « الواحد والأربعين » . ومن المعروف ان الواحد والواحدة اذا استعملا مع العشرة ومع ما فوقها كالعشرين ، فانك تقلب فاءها الى موضع لامها ، فتقول حاد وحادية ، بعد الاعلال . ولكن حكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على غير القلب ، فلم يلتزم القلب كل العرب . كما فى التصريح والهمع ٢ : ١٥١ والأشمونى ٤ : ٧٧ . ومهما يكن فهو استعمال شاذ .

قوله (ياسيداً ماأنت) . إلخ روى صدره الضبِّىُّ :

* يا فارسًا ما أنت من فارسٍ *

ومن سيدٍ ومن فارسٍ : تمييز مجرور بمن .و(موطأ البيت) ، يعنى أنَّ بيته مذلل للأضياف. و (الرَّحيب) : الواسع . والمعنى أنه واسعُ البسيطة كثيرُ العطاء سهلٌ لاحاجزَ دونه . ولمَّا كان الذراع موضعَ شِدَّة الإنسان ، قيل فى الأمر الذى لاطاقة للإنسان به : ضاق بهذا الأمر ذِرَاعُ فلان وذَرْع فلان[1] أى حيلته بذراعه . وتوسَّعوا فى هذا حتى قلبوه فقالوا : فلانٌ رَحْبُ الذراع ، إذا وصَفوه باتساع المقدرة .

وقوله : « قوّال معروف وفعّاله » إلخ الأوصاف الثلاثه بالجرِّ على الوصفية لسيدٍ أو لفارس[2] والمعنى أنه لايقول إلا فَعَلَ ، ولا يَعِدإلا وفَى، ولا يُخلف . والرِّباع ، بالكسر: جمع رُبَع ، بضم ففتح ، وهو ما يُنتج فى أول نِتَاج الإبلِ. وخصَّ أمهات الرِّباع لأنها عزيزة . ومَثْنَى أى واحدةً بعد أخرى . قال ابن بَرِّىّ (فى شرح أبياتِ إيضاح أبى على) . وَرَوَى أبو حنيفة :

* عَقَّار أُمَّات الرِّباع الرِّتاع *

أى هى مُتْرعة[3] لسَعة الرِّعى عليها . اهـ .

وقوله : « يجمعُ حِلمًا » إلخ . الأناة ، بالفتح : التأنى . وثَمَّتَ مخصوصةٌ بعطف الجمل . وينباع بمعنى يَثب ويَسطو . والشُّجاع : الحيَّة .

---

(١) ش : « ذرع فلان وذراع فلان » .
(٢) أى على روايتى : « من سيد » ، و « من فارس » .
(٣) المترعة : الممتلئة .

والسّفّاح بن بُكير ، تقدم في الشاهد الحادى والأربعين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الأربعمائة[٢] :

٤٣٦ (على ماقام يَشْتُمُنى لئيمٌ كخنزيرٍ تمرّغَ فى رمادِ)

على أنّ ثبوتَ الألف في ما الاستفهامية المجرورة في غير الأغلب . ٥٣٨

مفهومُه أنّ إثباتها فيها غالب .

ويوافقُه قول صاحب الكشاف في سورة يس ، عند قوله تعالى : ﴿ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى[٣] ﴾ : طرحُ الألف أجود ، وإن كان إثباتها جائزاً .

وهذا معارضٌ لقوله في سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى[٤] ﴾ : قيل ما للاستفهام ، وإثباتُ الألف قليلٌ شاذٌ .

قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : وبعضُ العرب لا يحذف الألف من ما الاستفهامية المجرورة ، كقوله :

على ماقامَ يشتمنى لئيمٌ البيت

فهذا لا يقول على مَهْ وقفًا ، بل يقف بالألف التى كانت فى الوصل ، والأولى حذف ألف ما الاستفهامية مجرورةً ، لما ذكرنا فى الموصولات . اه .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٩٠ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ وشرح شواهد الشافية ٢٤٤ برواية « فى دمان » فيهما . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥٥٤ والعينى ٤ : ٥٥٤ والتصريح ٢ : ٣٥٤ والهمع ٢ : ٢٧ والأشمونى ٤ : ٢١٦ . وديوان حسان ١٤٣ .

(٣) الآية ٢٧ من سورة يس .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

أراد أنه ذكره فى شرح الموصولات (من شرح الكافية) .

وإذا ثبت أنّ هذا لغة لبعض العرب لم يكن إثبات الألف نادراً ولا ضرورة ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿عم يتسألون﴾ فيمن قرأ ﴿عمّا﴾ بالألف . قال الفالى[1] (فى شرح اللباب) : الكثير الشائع حذف الألف ، وجاء إثباتها فى عمّا يتساءلون ، وفى قوله : على ماقام يشتمنى البيت . وقال السّمين : يجوز إثبات الألف فى ضرورةٍ أو فى قليل من الكلام .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : إثبات الألف أضعف اللغتين .

قال ابن السمين[2] فى سورة يس : المشهور من مذهب البصريين وجوب حذف ألفها إلا فى ضرورة .

وكذلك قال ابن هشام (فى المغنى) : يجب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جرّت، وإبقاء الفتحةِ دليلاً عليها . وربما تبعت الفتحةُ الألفَ فى الحذف ، وهو مخصوص بالشعر كقوله :

يا أبا الأسودِ لِمْ خلّفتَنى لهمومٍ طارقاتٍ وذِكَرْ

ثم قال : وأمّا قراءة عِكرمة وعيسى : ﴿ عمَّا يتساءلون ﴾ فنادر . وأمّا قول حسان :

---

(١) فى الأصل : « القالى » ، صوابه بالفاء كما سبق فى كثير من المواضع . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) كذا فى النسختين ، يقال « السمين » و « ابن السمين » . قال الميمنى فى الاقليد ١٠ : « هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين المتوفى سنة ٧٥٦ . وهو تلميذ أبى حيان » . وله اعراب القرآن الذى سماه « الدر المصون فى علم الكتاب المكنون » . قالوا : وهو أجل ما صنف فى اعراب القرآن . كما أن له « تفسير القرآن » . وقال الميمنى : « ومنه نسخة برامبور ، وأخرى عند الشيخ حبيب الرحمن الشروانى » .

* على ما قام يشتمنى لئيمٌ *

فضرورة . ومثله قول الآخر :

إنّا قتلنا بقتلانا سَراتَكمُ
أهلَ اللّواء ففيما يكثُر القِيلُ[1]

قال الدّمَامينى (فى الحاشية الهندية) : ادّعى المصنف أنّ إثبات الألف فى البيتين ضرورة ، ولقائل أن يمنع ذلك ، بناء على تفسيرها بمالا مندوحة للشاعر عنه ، إذ الوزنُ مع حذف الألف فى كلٍّ منهما مستقيم . غاية الأمر يكون فى بيت حسّان العَقل ، وفى الآخر الخبن ، وكل منهما زِحافٌ مغتفر . اه .

وقد عمّم الشارح المحقّق فى الجارّ لما ، سواء كان حرفَ جر أو مضافاً . وهذا هو المشهور .

وقال اللّبلى (فى شرح أدب الكاتب) : إن كان الجارُّ اسماً متمكّناً لم يفعلوا ذلك ، أى لم يحذفوا الألف . وقولُ العرب : مجىء مَ جئت ، ومثل مَ أنت ، شاذٌ . وإنما جاء مع بعد وعند لأنهما غير متمكّنين ، فألحقا بحروف الجرّ . اه .

وهذا قولٌ غريب لم يقله غيره ، كقول ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : إنّ ألف ما الموصولة لاتحذف إلاّ مع شئت . قال : تقول ادعُ بم شئت ، وسل عَمّ شئت ، وخذه بم شئت ، وكن فيم شئت ، إذا أردت معنى سل ، أى عن أى شىء شئت ، نقصت الألف : وإن أردت سل عن الذى أحببت أتممت

(١) كذا ورد انشاده فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٤ بدون نسبة . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٤٢ .

الألف إلاّ مع شئت خاصّة ، فإن العرب تنقص الألف منها خاصة ، فتقول : ادع بمَ شئت ، فى المعنيين جميعاً . اهـ .

٥٣٩ والمشهور أنّ ألفها يثبت مُطلقاً ، سواء استعملت مع شئت أم غيرها[1] وعلى نقله يلغَز فيقال : فى أىِّ موضع يجب حذف ألف ما الموصولة المجرورة بحرف جر ؟

صاحب الشاهد وهذا البيتُ من أبيات دالية لحسّان بن ثابت الصحابى . وقد حرّف الرواة قافيته ، فبعضُهم رواه :

* كخِنزير تمرَّغَ فى دَمَانِ *

وهو ابن جنّى (فى المحتسب) ، وتبعه جماعة منهم ابن هشام (فى المغنى) قال : الدّمان كالرّماد وزنا ومعنى . ورواه صاحبُ اللباب وشارحه الفالى : « فى الدِّهانِ » بالهاء بعد الدال. ورواه المراديُّ (فى شرح الألفية) : «فى تراب»، ورواه بعضهم : « فى دُمالِ » باللام . وهذا كلّه خلافُ الصواب .

ورواية السكرى (فى ديوان حسّان) :

* ففيم تقولُ يشتمنى لئيمٌ[2] *

وعليه لاشاهدَ فيه .

وقوله (على ماقام) إلخ على تعليلية ، أى لأجل أىّ شىء . ونقل العينى عن ابن جنّى أنّ لفظة قام ههنا زائدة ، والتقدير مايشتمنى . وقال ابن يَسعون : وليس كذلك عندى ؛ لأنها مقتضى النهوض بالشّتم والتشمير له والجِدّ فيه .

---

(١) ش : « أو مع غيرها » .

(٢) هذه التكملة من ش .

وقوله (كخنزير) إلخ ، تعريضٌ بقبحه ، فلذلك خصّ الخنزير لأنّه مِسْخٌ[1] قبيح المنظر ، سَمِج الخلق ، أَكّالُ العَذِرة . وقوله : (تمرَّغَ فى رَمَاد) تتميمٌ لذمّه، لأنه يدلُك خَلْفَه[2] بالشجر ، ثم يأتى للطين والحمأة فيتلطَّخ بهما ، وكلما تساقط منه شىء عاد فيهما .

قال الجاحظ : والعربُ تكره الخنزير جُملةً دون سائر المسوخ ، لأنّ القرد وإن كان مسيخا فهو مُستملَح . والفيل عجيبٌ ظريفٌ نبيل بهىّ ؛ وإن كان سمجاً قبيحا[3] .

والأبيات قالها حسّان فى هجو بنى عابد ، بموحدة بعدها دال غير معجمة[4] ، ابن عبدالله بن عُمَر بن مخزوم[5] . قال البَلاذرى[6] ؛ لم يكن لهم هجرة ولاسابقة . قال: وقال الأثرم عن أبى عُبيدة[7] : قال حسّان هذا الشعرَ فى رُفَيع بن صَيفىّ بن عابد ، وقُتل رُفيع يوم بدر كافراً . ورُفَيع بضم الراء وفتح الفاء : مصغَّر رَفع بالعين المهملة . وصيفى بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية . والأبيات هذه :

أبيات الشاهد

(إنْ تصلُحْ فإنّكَ عابدىٌّ وصُلحُ العابدىِّ إلى فسادِ

(١) ش : « مسيخ » .
(٢) ط : « خلقه » بالقاف ، وأثبت ما فى ش .
(٣) الحيوان ٧ : ٣٩ .
(٤) فى جمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ : « عائذ » وما هنا صوابه . وجاء فى مختلف القبائل ومؤتلفها ٤٤ : « فى قريش فى بنى مخزوم عابد بباء موحدة ودال مهملة ، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيها : عايذ بياء آخر الحروف وذال معجمة ، بن عمران بن مخزوم » .
(٥) ط : « عمير بن مخزوم » ش « عمرو بن مخزوم » مع أثر تغيير ، وصوابه ما أثبت من المراجع السابقة .
(٦) كذا فى النسختين بدال مهملة .
(٧) ط : « ابى حبيرة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . والأثرم هو أبو الحسن بن المغيرة ، سمع أبا عبيدة والأصمعى . وتوفى سنة ٢٣٢ .

وإنْ تفسُدْ فما أُلفيتَ إلا
بعيداً ماعلمتُ من السَّدادِ
وتلقاه على ما كان فيه
من الهَفَوات أو نُوكِ الفؤادِ
مُبينَ الغىِّ لايَعيا عليه
ويعيا بعدُ عن سُبلِ الرَّشادِ
ففيمَ تقولُ يشتمنى لئيمٌ
كخنزيرٍ تمرَّغ فى رَمادِ
فأشهد أنَّ أمَّك م البغايا
وأنَّ أباك من شَرِّ العبادِ
فلن أنفكَّ أهجو عابديًّا
طَوالَ الدَّهرِ ما نادَى المنادى
وقد سارت قوافٍ باقياتٌ
تَناشَدَها الرُّواةُ بكلِّ وادِ
فقُبِّح عابدٌ وبنى أبيه
فإنَّ معادهمْ شرُّ المعادِ)

وهذا آخر الأبيات . وقوله : « إن تصاحح » إلخ فيه خرم ، وبعضهم يرويه : « وإن تصلح » فلا خَرم . والسَّداد ، بالفتح : الرُّشد والاستقامة .

٥٤٠ والهَفَوات : السقطات . والنُّوكُ بالضم : الحمق ، وهو نقصٌ فى العقل ، وأراد به البلادةَ وعدمَ الاهتداء للمقصود ، ولهذا أضافَه إلى الفؤاد ، وهو معطوف على الهفوات .

وقوله : « مبينَ الغَىِّ » بالنصب حالٌ من مفعول تلقاه .

وقوله « ففيم تقول » رواية السكرى بالخطاب [لمن يصلُح الخطابُ[١]] معه . وقوله « م البغايا » أصله من البغايا ، وهو لغةٌ في مِن . والبَغيُّ : الامرأة الفاجرة . وقوله « طَوَال الدهر » بفتح الطاء بمعنى طُولَ الدهر .

وقوله :« فقبِّح عابدٌ » ،هو بالبناء للمفعول على الدعاء . والواو في قوله بنى أبيه واو المعية ، وبنى أبيه مفعول معه .

وترجمة حسّان [تقدّمت[٢]] في الشاهد الحادي والثلاثين .

تتمـــــة

البيت الذى أورده صاحبُ المغنى ، وهو[٣] :

إنّا قتلنا بقتلانا سَراتَكمُ
أهلَ اللِّواء ففيما يَكثُر القِيلُ

لم يعرفه أحدٌ ممّن كتب على المغنى ، وما قبل حرف الروىّ فيه مثنّاة تحتية والقاف مكسورة ، وقد صحفه البدر الدمامينى فضبطه بمثناة فوقية ، ثم استشكله ، وقال : فى البيت كلامٌ من جهة العروض ، وذلك أنّ هذا من بحر البسيط من عروضه الأولى وضربها الثانى ، وهو المقطوع ، كان أصله فاعلن حذفت نونه وسكنت لامه فصار فَعْلن بإسكان العين ، فقد ذهب منه زنة متحرك ، وإذا ذهب منه ذلك وجب أن يكون مُردَفا ، أى يؤتى قبل حرف الروى بحرف لين ، كما فى شاهد العروض :

قد أشهَدُ الغارَةَ الشعواءَ تحملنى
جرداءُ معروقةُ اللّحيين سُرحوبُ

(١) التكملة من ش .
(٢) التكملة من ش .
(٣) انظر ما سبق فى ص ١٠١ .

ولا يخفى أنّ ضرب البيت الذى نحن فيه ،وهو اللامىّ الروىّ ، غير مردَف ؛ ففيه مخالفة لما قرّره العروضيون فى أمثاله . هذا كلامه ، وهذا موضع المثل المشهور : «زَنّاه لحدّه» .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لكعب بن مالكٍ شاعِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواها الكَلاَعى (فى سيرته) قال : أجاب بها ابن الزِّبَعْرَى وعمرَو بن العاصى[1] ، عن كلمتين افتخرا بهما بيوم أُحد ، وهى هذه :

أبلغْ قُريشًا وخيرُ القولِ أصدقُه
والصِّدق عند ذَوِى الألبابِ مقبولُ

أنْ قد قتلنا بِقتلانا سَرَاتَكمُ
أهلَ اللِّواء ففيما يَكثُرُ القِيلُ

ويومَ بدرٍ لَقِيناكم لنا مددٌ
فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبرِيلُ

إن تَقتلونا فدِينُ الله فِطرتُنا
والقتلُ فى الحقِّ عند الله تفضيلُ

وإن تَرَوا أمرَنا فى رأيِكمْ سفهًا
فرأْىُ مَنْ خالفَ الإسلامَ تضليلُ

إنّا بنو الحرب نَمرِيها ونُنتجها
وعندنا لذوى الأضغان تنكيلُ

---

(١) فى ديوان كعب بن مالك ٢٥٥ أنه يجيب بها عمرو بن العاص وضرار بن الخطاب ؛ وكذلك فى سيرة ابن هشام ٦٢٢ — ٦٢٤ .

إنْ ينجُ منَّا ابنُ حرب بعد ما بلغت

منه التراقِى وأمرُ الله مفعولُ

فقد أفادتْ له حُكماً وموعظةً

لمن يكون له لبٌّ ومعقولُ[١]

ولو هَبطتمْ ببطن السَّيل كافحكم

ضربٌ بشاكلةِ البطحاء ترعيلُ

تلقاكمُ عُصَبٌ حول النبىِّ ، لهمْ

مما يُعِدُّون فى الهيجا سَرابيلُ[٢]

مِن جِذمِ غَسَّانَ مسترخٍ حمائلُهم

لا جُبَناء ولا مِيلٌ مَعازيلُ

وهى قصيدةٌ طويلة جيدة ، سَرَدَها بتمامها ، وبيَّن مُشكل لغاتها ، قال : سَراة القوم : خيارهم : والقِيل والقَول واحد . والتنكيل : الزجر المؤلم . وبطن السَّيل : الوادى . وكافحكم : واجَهكم . وشاكلة البطحاء : طرَفُها . والترعيل : الضَّرب السريع . والسرابيل : جمع سِربال ، وهو الدِّرع . وجذم بكسر الجيم : الأصل . وغسَّان : قبيلة الأنصار[٣] . والحائل : السَّيف . والجبَناء : جميع جبان والميل : جميع أمْيَل ، وهو الذى لا تُرس معه . والمعازيل : الذين لا رماحَ معهم .

٥٤١

* * *

(١) الحكم : الحكمة والعلم . ط والديوان والسيرة : « حلما » باللام ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى الديوان والسيرة : « للهيجا » .

(٣) كذا . والوجه « قبيلة من الأنصار » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٤٣٧ (رُبَّما تَكْرَهُ النفُوسُ من الأمْـ
رِ له فَرْجَةٌ كحلِّ العِقالِ)

على أنّ ما نكرةٌ موصوفة بجملة تكره النفوس . فحكم على كونها نكرةً بدخولِ رُبَّ عليها ، وحكم بالجملة صفةً على قياسِ نكرةِ رُبَّ ، من أنّها موضوعة لتقليل نوعٍ من جنس ، فلابد أنْ يكون الجنس موصوفاً حتى تحصلَ النّوعية .

وقد أورده سيبويه فى كتابه مرّتين ، قال : « ربَّ لا يكون بعدها إلاّ نكرة » . وأنشده . قال الأعلم : استشهد به على أنّ ما نكرةٌ بتأويل شيء ، ولذلك دخلتْ عليها ربَّ ، لأنها لا تعمل إلاّ فى نكرة . ولا تكون « ما » هنا كافّة ، لأنّ فى « تكره » ضميراً عائداً عليها ، ولا يضمر إلا الاسم . وكذلك الضمير فى له عائدٌ عليها . والمعنى : ربَّ شيء تكرهُه النفوس من الأمور الحادثة الشديدة ، وله فَرجة تعقب الضيقَ والشِّدَّة ، كحلِّ عِقال المقيَّد . والفَرْجة بالفتح فى الأمر ، وبالضم فى الحائط ونحوه . اه .

ومثله (فى إيضاح الشعر) لأبى علىّ قال : ما : اسمٌ منكور ، يدلُّ على ذلك دخولُ ربَّ عليه . ولا يجوز أن تكون كافة كالتى فى قوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٠ ، ٣٦٢ . وانظر المقتضب ١ : ٤٢ ومجالس العلماء للزجاجى ١٦٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٨ وابن يعيش ٤ : ٣٠ / ٨ وشرح شواهد المغنى ٢٤٠ والشذور ١٣٢ والعينى ١ : ٤٨٤ والهمع ١ : ٨ ، ٩٢ والأشمونى ١ : ١٥٤ واللسان (فرج) وديوان أمية بن أبى الصلت ٥٠ .

الذين كفرُو[1] ﴾، لأنّ الذكر قد عاد إليها من قوله له فرجة ، فلا يجوز مع رجوع الذكر أن تكون حرفاً ، فالهاء فى قوله تكره مرادة ، والتقدير : تكرهه النفوس . وفرجةٌ مرتفعة بالظرف ، وموضع الجملة جرّ . اه .

وقوله «وموضع الجملة جرٌّ» أى على الوصفية للأمر، ولا اعتبار بلام التعريف لأنها كما قال الشارح المحقق للجنس . وفى كون الجملة صفةً نظر ، إذ الوصف على كلامه إنما هو الجار والمجرور لاغير ، لأنه جعل فرجة فاعلهما[2] . وإنما كان يتّجه لو جعل فرجة مبتدأً والظرف قبلهُ خبره ، كما هو ظاهر صنيع الشارح المحقق فى قوله : له فرجة صفة الأمر . وبما سقناه من قول الأعلم وأبى علىّ، عُلِم[3] ضعف قول من ذهب إلى أنّ «ما» فى البيت كافّةٌ مهيّئة لدخول ربّ على الجمل كما فى الآية .

قال ابن الحاجب (فى شرح المفصّل) : وكونها اسماً أولى ، لأنّ الضمير العائد على الموصوف حذفُه سائغ ، ومن الأمر تبيين له . وإذا جعلت ماهيئة كان قوله من الأمر واقعاً موقع المفعول ، تقديره تكره النفوس شيئاً من الأمر . وحذفُ الموصوفِ وإبقاء الصفة جاراً ومجروراً فى موضعه قليل . انتهى .

وقد ناقشه الشارحُ المحقق بعد نقل كلامه بالمعنى بأنه لا يلزم من كون

(١) الآية الثانية من الحجر . وقرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء ، والباقون بتشديدها . اتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

(٢) ش : « فاعلها » ، صوابه فى ط . والمراد فاعل الجار والمجرور قبـــله .

(٣) كلمة « علم » ساقطة من ش .

ماهيئة أن يكون من الأمر واقعاً موقع المفعول حتى يرد ما ذكر ، لجواز أحد أمرين :

أحدهما : يجوز بقوله أن تكون مِن متعلقة بنكرة وهى للتبعيض ، كما فى أخذت من الدراهم ، أى أخذت من الدراهم شيئاً . فكذا معناه تكره من الأمر شيئاً .

٥٤٢ ثانيهما : تضمين تكره معنى تشمئز وتنقبض ، بدليل رواية سيبويه وغيره « ربما تجزع النفوس من الأمر » ؛ فإنّ تجزع ، لازمٌ لا يقتضى مفعولاً به .

وبقى وجهٌ ثالث ، وهو جواز كون مِن زائدة عند الأخفش والكوفيين .

وتبع ابنَ الحاجب شارحُ الباب الفالى[1] قال : لا يتعين كون ما موصوفة إذ قيل إنّها كافّةٌ مهيِّئة لدخول ربَّ على الجمل ، ولكن الأولى جعلُها موصوفةً ، لوجهين :

أحدهما أنّه حملٌ لربَّ على بابه الكثير ، وهو كونها غير مكفوفة .

والثانى : أنّ تكره لا بدَّ له من مفعولٍ [حينئذ[2]] ، وتقديرهُ : شيئاً من الأمر ، ولكنّ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامَه ضَعيف . اهـ .

وقول الخوارزمى (فى التخمير[3]) : لا يجوز كون ما كافة ، لئلا تبقى مِن التبيينيَّة لا معنى لها يمنع كونها حينئذ تبيينيَّة . ويجاب بأحد الأوجه الثلاثة .

---

(١) فى الأصل : « القالى » ، صوابه بالفاء كما سبق فى التنبيه الأول ص ١٠٠ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) انظر ما سبق من التحقيق فى الجزء الخامس ص ٣٠٨ .

وقال ابن هشام (فى المغنى): يجوز أن تكون ما كافّةً والمفعول المحذوف اسماً ظاهراً، أى قد تكره النفوس من الأمر شيئاً ، أى وصفا فيه . أو الأصل من الأمور أمراً[١] ، وفى هذا إنابة المفرد عن الجمع . وفيه وفى الأوّل إنابة الصفة غير المفردة عن الموصوف ، إذ الجملة بعده صفة له . اهـ .

وقد أورد البيت (فى التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ الذين كفروا [٢] ﴾ على أنّ بعضهم قال : موصوفة بجملة يودّ كما وصف مافى البيت ، وكأنه جعل العائد ضميراً منصوبا ، أى يودُّه الذين كفروا . وفيه أنّ مفعوله[٣] مضمونُ قوله تعالى :﴿ لو كانُوا مُسلمينَ ﴾ أى الإسلام ، أو هو المفعول بجعل لو مصدرية .

وقوله (له فَرْجة) قال صاحب المصباح : الفَرْجة بالفتح : مصدرٌ يكون فى المعانى ، وهى الخلوص من شدّة ، والضم فيها لغة . قال ابن السكيت : هولك فَرجة وفُرجة، أى فَرَج. وزاد الأزهرىّ فِرجة بالكسر. وحكى الثلاثةَ صاحبُ القاموس أيضاً . وقوله (كحَلِّ العِقال) صفة فَرْجة ، أى فرجة سهلة سريعة كحلِّ عقال الدّابّة . والعقال ، بالكسر ، هو الحبل الذى يشدُّ به يدُ الدابة عند البروك أو الوقوف ، ليمنعَها من الذّهاب ، ويكون رَبْطه كأنشوطة ، وهى عَقْد التِّكّة ، حلُّها سهل[٤] .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : موضع الكاف من قوله كحلّ العقال

---

(١) ش : «أمر » ، صوابه فى ط .
(٢) انظر حواشى ١٠٩ .
(٣) ط : « مفعول » ، صوابه فى ش .
(٤) فى القاموس : « والأنشوطة كأنبوبة : عقدة يسهل انحلالها كعقد التكة » .

يجوز فيه ضربان : أحدهما أن يكون نصباً ، والآخر أن يكون جرًّا كقولك: مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدٌ به . اهـ .

وأراد النصب على الحالية من المجرور بمن ، بعد وصفه بقوله : له فرجة .
وأراد الخفض على الوصفيّة للأمر بجعل اللام للجنس ، بدليل التنظير . وهذا بعيد ،والقريب أن تكون صفة لفرجة ، وهو أحد وجهَيْ ما جوّزه(فى الحجة)، قال : موضع الكاف يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون فى موضع نصب على الحال من له ، والآخر : أن تكون فى موضع رفع صفة لفرجة اهـ .

وأراد بقوله له ضمير الأمر المجرور باللام .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد قد وجد فى أشعارِ جماعةٍ ،والمشهور أنّه لأميَّة بن أبى الصَّلت ، من قصيدةٍ طويلة عدّتها تسعةٌ وسبعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الأنبياء : دواد ، وسليمان، ونوح،وموسى . وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وزعم أنه هو الذبيح ، وهو قولٌ مشهورٌ للعلماء .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من القصيدة[1] إلى البيت الشاهد ، قال :

٥٤٣ يا أُبَنَيَّ إنّى نذَرتُــــكَ للّـ ه شَحيطاً فاصْبِر فِدًى لك خالى[2]

فأجابَ الغلامُ أن قال [فيه[3]] :

كلُّ شىء لله غيرَ انتحالِ

أبتى إنّنى جزيتُك باللّـ ه تَقِيًّا بهِ على كلِّ حالِ

(١) ط : « القصة » .
(٢) ش : « يا ابنى » . وفى الديوان ٥٠ : « أبنى » . والشحيط : الذبيح . شحطه يشحطه شحطا : ذبحه .
(٣) التكملة من ش والديوان .

فاقضِ ما قد نَذرتَ لله وا كْفُفْ
عن دَمِي أن يمسَّه سِربالى

واشدُد الصَّفْدَ أن أحيدَ من السِّ
كِّينِ حَيْدَ الأسيرِ ذى الأغلالِ (١)

إنَّنى آلمُ الحزَّ وإنِّى
لا أمسُّ الأذقانَ ذاتَ السِّبالِ

وله مديةٌ تَخَيَّلُ فى اللَّحـ
ـمِ هُذامٌ جَليَّةٌ كالهلالِ (٢)

بينما يخلع السَّرابيلَ عنه
فكَّه ربُّه بكبشٍ جُلالِ

قال : خُذْهُ وأرسلِ ابنَك إنِّى
للذى قد فعلتما غيرُ قالى

والدٌ يتَّقى وآخرُ مولو
دٌ ، فطارَا منه بسمعٍ مُعالِ

ربَّما تكره النّفوسُ من الشَّـ
ـرِّ له فَرجةٌ كحلِّ العقالِ)

هكذا رواه جامع ديوانه محمد بن حبيب: «من الشر » بدلٌ من «الأمر» وقال : قوله جزيتُكَ بالله معناه أطعتك بالله . وقوله « غير انتحال » أى غير كذبٍ وادِّعاء ، بل هو حقٌّ . والسِّربال : القميص . والصفْد : الحبل الذى

(١) فى الديوان : « لا أحيد عن السكين » .
(٢) فى الديوان : « حنية » .

يُربط به . وقوله « أن أحيد » أى خشيةَ أن أحيد ، مضارع حادَ عنه ، أى مال عنه وعَدَل .

وقوله : « لا أمسُّ الأذقان » إلخ قال محمد بن حبيب : يقول : لم أمسَسْ ذقنى ، إنّى لا أجزع ولا أمنعُك . وذقن الإنسان : مجمع لَحييه ، وأصله فى الجمل يَحمِل الثقيل فلا يَقدِر على النّهوض ، فيعتمد بذَقَنه على الأرض . والسِّبال : جمع سَبَلة ، وهى عند العرب مقدَّم اللحية .

وقوله : « وله مُديةٌ » هى بضم الميم : السكين . قال محمد بن حبيب : تَخَيَّلُ فى اللحم : تمضى فيه ، من الخُيَلاء . وهُذَام بضم الهاء بعدها ذال معجمة : القاطعة السريعة ، من الهذْم ، وهو القطع والأكلُ فى سُرعة . قال أبو عبيد : سيفٌ هُذَام ، أى قاطع . وجَلِيّة : مجلوّة .

وكبشٌ جُلاَل ، بضم الجيم ، بمعنى جليلٍ وعظيم .

وسِمْع بالكسر : الذِّكْر الجميل . يقال ذهبَ سِمعُه فى الناس . والمُعَال ، بضم الميم : المرتفع ، أى صار لهما شرفاً يذكرانِ به .

وأميّة هذا شاعرٌ جاهلىّ ، تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السادس والثلاثين من أوائل الكتاب[1] .

ووجد أيضاً فى قصيدةٍ رواها الأصمعىُّ لأبى قيس اليهودىّ ، وقيل : هى لابن صِرْمة الأنصارىّ ، مطلعُها :

سَبِّحوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعَتْ شمسُه وكلَّ هلالِ

---

(١) الخزانة ١ : ٢٤٧ .

وقال ابن المستوفى (فى شرح الشواهد المفصل) : وجدت قوله ربَّما تكره النفوس من الأمر البيت ، فى أبياتٍ لأبى قيس صِرْمة بن أبى أنَس ، من بنى عدى بن النجّار . ووُجِد أيضاً فى أبيات حُنيف بنُ عمير اليشكرىّ ، قالها لمّا قُتل مُحْكَمُ بن الطفيل[1] يومَ اليمامة ، وهى :

يا سُعادَ الفؤادِ بنتَ أُثالٍ   طالَ ليلى بفتنة الرجّال[2]

إنها ياسعادُ من حَدَث الدهْـ   ـر عليكم كفتنة الدجّالِ

إنّ دينَ الرسول دينى وفى القو   م رجالٌ على الهُدَى أمثالى

أهلكَ القومَ مُحْكَم بنُ طُفَيلٍ   ورجالٌ ليسوا لنا برجالِ

ربما تجزعُ النفوس من الأمْـ   ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العقالِ)

٥٤٤

وحُنَيف أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا تعرف له صحبة . وقال ابن حجر (فى الإصابة) : هو مخضرم ، ذكره المرزبانى . وروى له هذه الأبياتَ عمر بن شَبّة ، ووجد أيضاً فى أبياتٍ لأعرابىّ ، وهى :

(ياقليلَ العزاء فى الأهوالِ   وكثيرَ الهموم والأوجالِ

(١) ذكره ابن حزم فى الجمهرة ٣١٢ وقال : « وكان أشرف فى قومه من مسيلمة » . كما ذكره فى الاشتقاق ٢٤٩ باسم « محكم اليمامة » وانظر اللسان (حكم) . وقد ضبط اسمه بهذا الضبط فى كل هذه المراجع . لكن الشعر التالى يقتضى أن يكون « محكم » كمصعب . وكان مقتله على يد عبد الرحمن بن أبى بكر فى حروب الردة سنة ١١ .

(٢) هو الرجّال بن عنفوة ، أحد الخارجين مع مسيلمة باليمامة . وفى حديث أبى هريرة : جلست مع النبى صلى الله عليه وسلم فى رهط ، معنا الرجّال بن عنفوة ، فقال : « ان فيكم لرجلا ضرسه فى النار أعظم من أحد » . فهلك القوم وبقيت أنا والرجّال ، فكنت متخوفا لها حتى خرج الرجّال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجّال أعظم من فتنة مسيلمة . الطبرى فى حوادث سنه ١١ ج٣ : ٢٨٧ . وفى القاموس (رجل) : « وكشداد : ابن عنفوة ، قدم فى وفد بنى حنيفة ثم ارتد ، فتبع مسيلمة ، قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة . ووهم من ضبطه بالحاء » . ط : « الرحال » ، صوابه فى ش .

اصبِرِ النفسَ عندَ كلِّ مُلِمٍّ
إنَّ في الصَّبرِ حيلةَ المحتالِ
لاتَضِيقَنَّ بالأمورِ فقد يُكـ
شَفُ غمَّاؤها بغيرِ احتيالِ
ربَّما تَـكره النفوسُ من الأمـ
رِ له فَرجةٌ كحلِّ العِقالِ
قد يُصاب الجبانُ في آخرِ الصَّـ
فِّ وينجو مُقارِعُ الأبطالِ)

ورواها صاحب (الحماسة البصرية[1]) لحُنَيف بن عُميرٍ المذكور .وقيل إنها لِنهار ابن أخت مُسيلمةَ الكذَّاب ، لعنَهُ الله . ونسَبها العينيُّ لأمية بن أبي الصَّلت . وهذا لا أصل له .

وقوله « ياقليلَ العَزاء » هو بالفتح ، بمعنى الصبر والتجلُّد .

وقوله « اصبِر النفسَ » أي احبِسْها . والملم : الحادثُ من حوادث الدهر، وهو اسم فاعل من ألمَّ ، إذا نزل . وغماؤها : مبهَمُها ومُشكلها ؛ وهو بالغين المعجمة، يقال أمرٌ غُمّةٌ أي مُبهَم ملتبس. ويقال صُمْنا للغُمَّى ، بفتح الغين وضمها، وصمنا للغَمّاء على فعلاء ، بالفتح والمدّ ، إذا غُمَّ الهلال على الناس وستره عنهم [غيمٌ[2]] ونحوه .وصحَّفه العيني فقال : عماؤها بالعين المهملة وتشديد الميم للضرورة . والعَماء[3] في اللغة : السَّحاب الرَّقيق ، سمِّي بذلك لـكونه يُعمِي الأبصارَ عن

(١) الحماسة البصرية ٢ : ٧٧ ــ ٧٨ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) ط : « والعما » ، صوابه في ش .

رؤية ما وراءه . وأراد بها ما يَحُول بين النفس ومرادها . هذا كلامه .

قال السيوطيُّ (فى شرح شواهد المغنى) : أخرج ابن عساكر من طريق الأصمعى قال : قال أبو عمرو بن العلاء : هرَبت من الحجّاج فسمعتُ أعرابيًّا يُنشد :

يا قليلَ العزاءِ فى الأهوالِ وكثيرَ الهمومِ والأوجالِ

إلى آخر الأبيات . فقلت : ماوراءكَ يا أعرابيُّ ؟ فقال : مات الحجّاج ! فلم أدرِ بأيِّهما أفرحُ : أبموتِ الحجاج أم بقوله فَرجة ؟ لأنّى كنت أطلبُ شاهداً لاختيارى القراءةَ فى سورة البقرة : ﴿ إلا من اغترفَ غَرْفة[1] ﴾ بالفتح. انتهى .

وقد رُويت قصة أبى عمرو بن العلاء هذه على وجوهٍ مختلفة منها رواية الصاغانى (فى العباب) قال : قال الأصمعىّ : سمعتُ أبا عمرو بنَ العلاء وكان قد هرب من الحجاج إلى اليمن يقول : كنتُ مختفياً لا أخرجُ بالنهار فطال علىَّ ذلك ، فبينا أنا قاعدٌ وقتَ السَّحر مفكِّرًا سمعتُ رجلاً يُنشدُ وهو مارٌّ :

ربَّما تَكره النفوسُ من الأمـ ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العِقالِ

ومرَّ خَلْفَهَ رجلٌ يقول: مات الحَجّاج ! قال أبو عمرو : فما أدرى بأيِّهما كُنت أفرحَ ، أبموت الحجّاج ، أم بقوله : فَرْجة بفتح الفاء ، وكنا نقوله بضمِّها . اهـ .

---

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة . وقراءة الفتح هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو . ووافقهم ابن محيصن واليزيدى والشنبوذى . الاتحاف ١٦١ وتفسير أبى حيان ٢ : ٢٦٥ . والخبر كذلك فى معجم المرزبانى ٢٤٣ .

٥٤٥ ومنها ما رواه الدماميني (في الحاشية الهندية) قال : يُحكى عن أبي عمرو ابن العلاء أنَّه كان له غلامٌ ماهر في الشِّعر ، فوُشيَ به إلى الحجاج فطلبَهُ ليشتريَه منه . قال : فلما دخلتُ عليه وكلَّمني فيه قلت : إنَّه مُدَبَّر . فلمَّا خرجتُ قال الواشي : كذَب . فهربتُ إلى اليمن خوفاً من شرِّه ، فمكثتُ هناك وأنا إمامٌ يُرجَع إليَّ في المسائل ، عَشرَ سنين ، فخرجتُ ذاتَ يوم إلى ظاهر الصَّحراء فرأيتُ أعرابيًّا يقول لِآخَر : ألا أُبشِّرك ؟ قال : بلى . قال : مات الحجَّاج ! فأنشده :

ربمَّا تكره النفوسُ من الأمـ
ر له فَرْجَةٌ كحلِّ العِقالِ

وأنشده بفتح الفاء من « فَرجة » . قال أبو عمرو : لا أدرى بأيِّ الشيئين أفرحُ ، أبموت الحجَّاج أم بقوله فَرْجة بفتح الفاء ، ونحن نقول فرجة بضمِّها ، وهو خطأ . وتطلبت ذلك زماناً في استعمالاتهم . قال أبو عمرو : وكنت بقوله فَرجة أشدَّ منى فرحًا بقوله مات الحجَّاج . اهـ .

كذا ساق الحكاية . وفي قوله في آخرها « وهو خطأ » نظرٌ لا يخفى . والمشهور أنَّ سببَ هروب أبي عمرو إلى اليمن طلبُ الحجَّاج منه شاهداً من كلام العرب لقراءته : ﴿ غَرفة ﴾ ، بالفتح ، فلما تعذَّر عليه هرب إلى اليمن. ولم تحضرْني الآن هذه الرواية .

تتمة

روى السيد المرتضى رحمه الله : (في أماليه الغرر والدرر [1]) عن

---

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤٨٦ .

الصُّولى أنَّ منشدًا أنشد إبراهيم بن العبَّاس، وهو فى مجلسه فى ديوان الضِّياع :

* ربما تكرهُ النُّفوسُ من الأمر * البيت

قال: فنكَتَ بقلمه ساعةً ثم قال :

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفَتى

ذَرعًا وعند الله منها المخرجُ

كَمُلَت فلمَّا استحكمتْ حَلَقاتُها

فُرِجَتْ وكان يظنُّها لا تفرجُ

فعجب من جَودة بديهته . اهـ .

* * *

وأنشد بعده :

(لأمرٍ مايسَوَّدُ من يَسُودُ)

على أنَّ ماهنا لإفادة التعظيم . ويسوَّدُ بالبناء للمفعول ، أى يُجعَل سيداً .
وهذا عجزٌ وصدره :

(عزمتُ على إقامة ذى صَباحٍ[1])

وقد تقدَّم الكلامُ عليه فى الشاهد السبعين بعد المائة من باب المفعول فيه[2] .

* * *

(١) ط : « ذى صداء » ، صوابه فى ش والخزانة ٣ : ٨٧ .
(٢) الخزانة ٣ : ٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الأربعمائة[1] :

٤٣٨ (فكَفَى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرُ نا
حبُّ النبيِّ محمـــــدٍ إيَّانا)

على أنّ (مَنْ) نكرة موصوفة بمفرد ، وهو قوله (غيرنا) .

قال سيبويه : قال الخليل رحمه الله : إنْ شئت جعلتَ مَن بمنزلة إنسان وجعلت نا بمنزلة شيء نكرتين . وزعم أنّ هذا البيت عنده مثلُ ذلك :

وكفى بنا فضلاً على مَن غيرنا حبُّ النبيِّ محمـــــدٍ إيانا

وكذا أورده الفرّاء (في أوّل تفسيره) من سورة البقرة[2] .

قال الأعلم : الشاهد فيه حمل غير[3] على مَنْ نعتاً ، لأنها نكرةٌ مبهمة ، فوصفت بما بعدها وصفاً لازماً يكون لها كالصِّلة ، والتقدير: على قومٍ غيرنا .

٥٤٦ ورفع غيرٍ جائزٌ على أن تكون مَنْ موصولة ، ويحذف الراجعُ عليها من الصلة ، والتقدير : من هو غيرنا . والحبُّ مرتفع بكفى ، والباء في بنا زائدة مؤكِّدة ، والمعنى كفانا . اهـ .

وأورده ابن الشجرى فى ثلاثة مواضع (من أماليه) قال فى الموضع الثانى: رفع غَيْرُ رواية .

---

(١) لم ينص هنا على أنه من شواهد سيبويه . وهو فى سيبويه ١ : ٢٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٠ وتفسير الطبرى ١ : ٤٠٤ والجمل ٣١١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ ، ٣١١ وابن يعيش ٤ : ١٢ والمقرب ٤٣ وشرح شواهد المغنى ١١٦ ، ٢٥٢ والعينى ١ : ٤٦٨ والهمع ١ : ٩٢، ١٦٧ وديوان كعب بن مالك ٢٨٩ . ولم أجده فى ديوان حسان .

(٢) معانى القرآن ١ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤٥ .

(٣) ش : « غيره » ، صوابه فى ط والشنتمرى .

وقال فى الثالث [١] : وإنْ رفعتَ غيرُ فإنّه خبر مبتدأ محذوف ، تريد من هو غيرُنا ، فجعلتَ مَنْ موصولة ، كقراءة من قرأ : ﴿ تمَامًا على الذى أحْسَنُ [٢] ﴾ يريد : هو أحسن .

وقال ابن هشام (فى المغنى) فى بحث مَنْ : ويروى برفع غير ، فيحتمل أنَّ من على حالها ، ويحتمل الموصوليَّة . وعليهما فالتقدير : من هو غيرُنا ، والجملة صفةٌ أو صلة . وقال الكسائى : من هنا زائدة وغيرِنا مجرور بعلى . نقله العينى عنه .

وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ الباء قد زيدت فى مفعول كفى المتعدِّية لواحد ، ومنه الحديث : « كفى بالمرء إثمًا أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سمع » . وقيل : إنَّما هى فى البيت زائدةٌ فى الفاعل ، وحبُّ بدل اشتمال على المحلّ . اهـ .

قال المرادىّ : صاحب هذا القيل ابنُ أبى العافية . وعلى هذا حمل بعضهم قولَ المتنبِّى :

كفى بجسمى نُحولاً أنَّنى رجلٌ
لولا مخاطبتى إيّاكَ لم ترَنى

ونقل ثعلب (فى أماليه) عن المازنى أنَّ زيادة الباء فى قوله : « فكفى بنا » شاذّ ، وإنَّما تدخل الباء على الفاعل .

وحُبُّ النبىّ فاعل كفى ، و(محمّدٍ) عطف بيان للنبى ، وحبُّ مصدر مضاف

---

(١) هذا الموضع الثالث لم أعثر عليه فى أمالى ابن الشجرى ، فهو مما سقط من النسخة المطبوعة .
(٢) الآية ١٥٤ من الأنعام .

إلى فاعله ، وإيانا مفعوله ، و(فضلاً) : تمييز محوَّل عن الفاعل ، والأصل كفانا فضلُ حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الدماميني : فضلاً حال وتنوينه للتفخيم ، أي كفانا حبُّ النبي حالة كونه فضلا عظيما . ولا يصحُّ كونه مفعولاً ثانيا لكفى ، لفساد المعنى . انتهى .

وروى بدله : (شرفًا) ، وهُمَا بمعنى المزيّة والفضيلة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لكعب بن مالك شاعِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد السادس والستين[1] . ونُسب إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً، ولم يوجد في شعره . قال ابن هشام اللخمي (في شرح شواهد الجمل) : وقيل: هو لعبد الله بن رَوَاحة الأنصاري . وقيل: لبشير بن عَبْدالرحمن بن كعب بن مالك .

وهو مع كثرة وجوده في كتب النحو لم يذكر أحدٌ ماقبله ، إلا الشيوطي (في شرح شواهد المغني) ، وهو :

(نصَرُوا نبيَّهمُ بنصرِ وليِّـهِ
فالله عـــزَّ بنصره سَمَّانا)

يعني أنّ الله عز وجل سمّاهم الأنصارَ لأنهم نصروا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ومن والاه . والباءُ في « بنصر وليِّه » بمعنى مع .

---

(١) الخزانة ١ : ٤١٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الأربعمائة[1] :

٤٣٩ (ربَّ مَنْ أنضجْتُ غيظًا صدرَه

قد تمنّى لىَ موتًا لم يُطَعْ)

على أنَّ جملة (أنضجت) فى موضع جرّ على أنهَا صفة لمن، لأنّها نكرة بمعنى إنسان ، بدليل دخول ربَّ عليها .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إنْ كلُّ مَنْ فى السّمٰوات والأرض إلاَّ آتِى الرَّحمٰنِ عَبْدًا[2] ﴾ على أنَّ من فيها نكرةٌ موصوفة بالظرف، لأنّها وقعت بعد كلّ كوقوعها بعد ربَّ فى البيت .

قال ابن هشام (فى المغنى) : زعم الكسائى أنَّ من لاتكون نكرة إلا فى موضع يخصّ النكرات . ورُدَّ بقوله :

* فكفى بنا فضلاً عَلَى مَنْ غيرنا *

وبقول الفرزدق : ٥٤٧

إنّى وإيّاكَ إذْ حلّت بأرحُلنا

كمَنْ بوادِيه بعدَ المَحْلِ ممطورِ

أى كشخص ممطورٍ بواديه ، لأنَّ مجرور عَلَى والكاف لايجب أنْ يكون نكرة . وقد خُرِّج مَنْ فيهما على الزيادة ، وذلك شىء لم يثبت . وروى أيضًا :

ربَّما أنضجتُ غَيظًا قلب مَنْ قد تمنّى ... إلخ .

---

(١) ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ١١ وشرح شواهد المغنى ٢٥٢ والشذور ١٣١ والهمع ١ : ٢/٩٢ : ٢٦ والأشمونى ١ : ٥٤ والمفضليات ١٩٨ .

(٢) الآية ٦٣ من مريم .

فلا شاهدَ فيه ، وما حينئذ كافة مهيِّئة لدخول ربَّ عَلَى الجملة . ومجرور ربَّ هنا فى محل رفع على الابتداء ، والخبر إمَّا قد تمنى ولم يُطَعْ خبر بعد خبر ، وإمَّا لم يطع وجملة قد تمنَّى صفه ثانية . وإنضاج اللحم : جعلُه بالطَّبيخ [أو الشيِّ (٢)] مستويًا يمكن أكله ويحسُن ، وهو هنا كناية عن نهاية الكمد الحاصل للقلب ، أو استعارة ، شبَّه تحسيرَ القلب وإكاده بإنضاج اللحم الذى يؤكل . وغيظا إمَّا مفعول لأجله أى أنضجت قلبه لأجل غيظى إيّاه ، وإمَّا تمييز عن النسبة ، أى أنضج غيظى إيّاه قلبه ، وهو مصدر غاظَه ، إذ أغضبَه . قال ابن السِّكِّيت : ولا يقال أغاظه . وأثبته صاحبُ القاموس قال : يقال غاظهُ وغَيَّظه وأغاظه . و رُوى « قلبَه » موضع « صدرَه » المرادِ به قلبه . وروى أيضا: « كِبْدَه » .

صاحب الشاهد وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلة ، عدَّتها مائة بيت وثمانية أبياتٍ ، لسويد ابن أبى كاهل اليشكُرىّ ، مسطورةٍ فى المفضليَّات ، مطلعُها :

(بسطَتْ رابعةُ الحَبْلَ لنا
فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتَّسَعْ)

وهذه أبياتٌ منها بعد الشاهد المذكور . قال ابن قُتيبة فى ترجمة سويد (من كتاب الشعراء) : كان الحجاج تمثَّل يوم رُسْتَقَاباد(٣) على المنبر بأبياتٍ من شعره ، وهو قوله :

(ربَّ مَن أنضجتُ غيظًا قلبَه قد تمنَّى لىَ موتًا لم يُطَعْ
ويرانى كالشَّجا فى حَلْقه عسِرًا مخرجُه ما يُنتزَعْ

(١) ديوان الفرزدق ٢٦٣ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢٦٩ .
(٢) أو الشى ، من ش فقط .
(٣) الذى فى الشعراء ٣٨٤ ومعجم البلدان : « رستقباذ » ، والدال والذال متعاقبتان . وقال ياقوت : « من أرض دستوا » . ودستوا : بلدة بفارس .

مُزبِدٌ يَخطِرُ مالم يرنى فإذا أسمعتُه صوتى انقمَعْ
قد كفانى اللهُ مافى نفسه ومتى ما يكفِ شيئاً لم يُضَعْ
لم يَضِرْنى غير أن يَحْسُدَنى فهو يزقُو مثل مَا يزقُو الضُّوَعْ
ويحيِّينى إذا لاقيتُــــه وإذا يخــلو له لحمى رَتَعْ
كيف يَرجُونَ سقاطى بعدما جَلَّلَ الرأسَ مَشيبٌ وصَلعْ)

قال ابن الأنبارى (فى شرح القصيدة) : روى أيضا :

* ربمَّا أنضجت غيظاً قلبَ مَنْ * ... إلخ

والشجا : الغَصَص ونحوهُ . ومُزْبِد من أزبد . واصل الخطْر فى الناس : تحريك اليدين فى المشى والاختيالُ بهما . وانقمع : دخَل بعضُه فى بعض . والمعنى أنَّه يتعظم إذا لم يرنى ، فإذا رآنى تضاءل . والضُّوَع بضم الضاد : ذكَر البُوم . ويَزقُو : يصيح . ورَتَعَ : أكل . والسِّقاط : الفَترة . يقول على طريق التعجُّب كيف يؤمِّلون فترتى وسَقَطى وقد بلغتُ هذه السِّنّ .

سويد بن أبى كاهل

وسويد هو ابن أبى كاهل، واسمه غُطَيف بن حارثة بن حِسْل بن مالك بن عبدِ سعد بن عدىّ بن جُشَمَ بن ذُبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل . ويكنى أبا سعد ، وفى ذلك يقول :

أنا أبو سعدٍ ، إذا الليــلُ دَجا
دخلتُ فى سِرباله ثُمَّ النَّجا

٥٤٨

ويقال اسم والده شَبيب . وهو شاعرٌ مقدَّم مخضرم ، أدرك الجاهليَّة والإسلام . عدَّه ابن سَلاَّمٍ الجُمَحىُّ فى الطبقة السادسة ، وقرنه بعنترة العبسى . قال أبو نصر أحمد بن حاتم : قرأت شعر سُويدٍ على الأصمعىّ ، فلما بلغت قصيدتَه التى أوَّلها :

بَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتَّسعْ

فضَّلها الأصمعيُّ وقال: كانت العرب تفضِّلها وتقدِّمها، وتعدُّها من حكمها، وكانت فى الجاهلية تسمَّى اليتيمة، لما اشتملتْ عليه من الأمثال . وعاش سويدٌ فى الجاهليّة دهراً، وعُمِّرَ فى الإسلام ستِّين سنة بعد الهجرة إلى زمن الحجّاج . كذا فى الإصابة .

وهو من المعمَّرين، ولم يذكره أبو حاتم فى (كتاب المعمرين) .

وكان زيادُ الأعجم قد هجا بنى يشكُر بقوله :

إذا يَشكرىٌّ مَسَّ ثَوبَكَ ثوبُهُ فلا تذكُرَنَّ اللهَ حتَّى تَطَهَّرا
فلو أنَّ مِن لؤمٍ تموتُ قبيلةٌ إذا لأماتَ اللُّؤمُ لا شكَّ يشكُرا

فأتت بنو يَشكُرَ [تشكو[1]] سويداً ليهجوَ زياداً، فأبى سويدٌ فقال زياد :

وأُنبئتُهمْ يَستصرخون ابنَ كاهلٍ وللُّؤمِ فيهم كاهلٌ وسَنامُ
فإن يأتنا يرجعْ سُويدٌ ووجهُهُ عليه الخزايا غُبرة وقَتامُ
دعىٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً إلى يشكرٍ، مافى الجميع كِرامُ

فقال لهم سُويد : هذا ما طلبتم لى ؟ وكان سويدٌ مغلَّبا .

وأمّا قول زياد الأعجم « دعىٌّ » فإنَّ أمَّ سويد كانت قَبل أبى كاهل عند رجلٍ من بنى ذُبيان بن قيس، فمات عنها، فتزوَّجها أبو كاهل، وكانت فيما يقال حاملاً، فلما ولَدتْه استلحقه أبو كاهل وسمّاه سُويدا، وكان سُويدٌ

---

(١) التكملة من ش . والمعنى : أتت سويدا شاكية .

إذا غضب على بنى يشكر انتمى إلى ذبيان ، وإذا رضىَ عنهم أقام على نَسَبه فيهم .

وهاجى سويدٌ حاضرَ بن سَلَمة العنزى ، فطلبهما عبدُ الله بن عامر فهربا من البصرة . ثم هاجَى الأعرجَ أخا بنى حماد بن يشكر[1] ، فأخذهما صاحبُ الصّدقة فى أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحىِّ الكوفة ، فحبسهما وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتّى يؤدِّيا مائةً من الإبل ، ففكَّ بنو حمَّاد صاحبَهم وبقى سُويد ، فخذله بنو عبدِ سَعد[2] وهم قومُه ، فلم يزل محبوساً حتّى استوهبَتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، وأطلقُوه بغير فداء ، وحَلَفَ أن لا يعود .

وهذه أبياتٌ من قصيدةٍ انتهى فيها إلى ذبيانَ ومدحهم :

أنا الغطفانىُّ ابنُ ذبيانَ فابعُدوا وَللزِّنجُ أدنى منكمُ ويُحابِرُ

أبتْ لىَ عبسٌ أن أسامَ دنيّةً وسعدٌ وذبيانُ الهِجانُ وعامرُ[3]

وحىٌّ كرامٌ سادةٌ من هَوازنٍ لهم فى الملمّاتِ الأنوفُ الفواخرُ[4]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الأربعين بعد الأربعمائة[5] :

---

(١) لم أعثر عليهم فى كتب الانســـــاب . والذى فى الأغانى ١١ : ١٦٧ : « أخابنى جمال بن يشكر » .

(٢) فى الأصل : « بنو سعد » ، وما أثبت من الأغانى هو ما يتفق مع نسبه السابق ص ١٢٥ .

(٣) سعد هؤلاء ، هم سعد بن ذبيان . وكان سويد اذا غضب على بنى يشكر قومه ادعى الى بنى ذبيان ، كما سبق .

(٤) ط : « الملامات » ش : « بالملامات » صـــوابهما فى الأغانى ١١ : ١٦٦ . وفى الأصل : « الأنوف النواخر » ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣١٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٣ والهمع ١ : ١٢٠ .

٤٤٠ (آلُ الزُّبيرِ سَنامُ المجدِ قد عَلِمَتْ
ذاكَ العشيرةُ والأثْرَوْنَ مَنْ عَدَدَا)

على أن (مَنْ) عند الكوفيين حرف زائد ، أى : والأثرون عددا . وهى عند البصريين موصوفة ، أى والأثرون إنسانًا معدودا .

٥٤٩ وهذا الجواب أورده الفالى[1] (فى شرح اللباب) ، قال : يجعل عدداً مصدراً بمعنى المفعول ، أى معدوداً ، فتكون صفةً مفردة . فمن اسمٌ موصوفٌ بمفرد ، كقوله :

* فكفى بنا فضلاً على مَنْ غيرِنا *

ويجوز أن تكون موصوفة بجملة محذوفة ، وذلك أنَّ عددا مفعول مطلق وعامله محذوف ، تقديره يُعدّ عددًا بالبناء للمفعول . والجملة صفة مَنْ ، أى إنسانا يعدّ عددًا . وعلى هذا الجواب اقتصر صاحب اللباب ، وابن الشجرى (فى أماليه) قال : زاد الكسائىُّ فى معانى مَنْ قسماً آخر ، وهو أنها قد جاءت صلة — يعنى زائدة — وأنشد :

* والأثرَوْنَ مَنْ عَـدَدا *

وقال غيره : معناه والأثرون من يُعَدُّ عددا ، فحذف الفعل واكتفى بالمصدر منه ، كما تقول : ما أنت إلاَّ سيراً . فمَنْ فى هذا القول نكرةٌ موصوفة بالجملة المحذوفة ، فالتقدير : والأثرون إنسانا يُعَدّ . اهـ .

---

(١) فى الأصل : « القالى » صوابه بالفاء كما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ وانظر هذا الجزء ص ١٠٠ .

وأجاب بهما ابن هشام (فى المغنى) فقال: عددًا إمَّا صفةٌ لمن على أنه اسمٌ وضعٌ موضع المصدر، وهو العدّ، أى والأثرون قوماً ذوى عدَدٍ[(١)] أى قوماً معدودين. وإما معمول ليعدّ محذوفا صلة أو صفة لمن، ومن بدل من الأثرَوْن. اهـ

وإنَّما نصبوا تفسير مَنْ، وهو قولهم إنساناً أو قوما، لأنّ مَن تمييز. وعلى قول الكوفيين من زائدةٌ وعَدداً هو التمييز. وفى تخريجهم نظرٌ لاتخفى سماجتُه، مع أنَّه ليس فيه كبير مدح؛ فإنّ مراد الشاعر أنّ آل الزبير سَنام المجد والأكثرون عدداً، فإنّ أتباعهم أكثرُ من أتباع غيرهم عدداً، إلا أنَّهم يُعَدُّون عدداً؛ فإنّ من يُعَدُّ قليل، والقِلَّة لا فخر فيها ولا مدح.

وجعْلُ ابنِ هِشامٍ مَنْ بدلاً من الأثرَوْن على تقدير الفعل، لا وجه له، إذْ لا فرق فى المعنى بين قولنا قوما معدودين وبين قوما يعدُّون. فتأمّل. ونقلُه كونَها اسماً فى حال الزيادة، يخالفه صريحُ نقل الشارح المحقِّق، وصريحُ كلام ابن الشجرى. وتخريج الكوفيين خالٍ عن التعسُّف مع صحــة معناه ومتانة مغزاه.

وقال الأندلسى (فى شرح المفصل): الرواية عند البصريِّين: «والأثرَوْنَ ماعددا»، وزيادة ما جائزة لا اختلاف فيها[(٢)].

وقوله (آل الزبير) مبتدأ و(سنام المجد) خبره، و(الأثرَوْن) معطوف على الخبر، وجملة (قد علمت ذاك العشيرة) اعتراضية لتقوية المعنى وتسديده؛

---

(١) ط: «ذوى عد»، صوابه فى ش.

(٢) ط: «لا خلاف فيها»، وأثبت ما فى ش.

و (ذاك[١]) مفعول علمت ، وهو إشارة إلى كونهم سَنام المجد والأكثرين عددا . و (العشيرة) فاعل علمت ، وروى بدله (القبائل) أى قبائل العرب. وعلم هنا متعدٍّ لمفعول واحد ، لأنه بمعنى عرف . و (سنام المجد) : أعلى المجد ، استعير من سَنام الإبل . و (الأثْرَوْن) : جمع أثرى ، وهو أفعل تفضيل من ثَرِيتُ بك بكسر الراء ، أى كَثُرْتُ بك . قاله فى الصحاح .

وهذا البيت مع كثرة دَوَرانه فى كتب النحو لا يُعرف له قائل ، ولا تتمة. والله أعلم به .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الأربعمائة[٢] :

٤٤١ (ياشاةَ مَنْ قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ له

حَرُمَتْ علىَّ وليتَها لم تَحْرُمِ)

على أنّ (من) عند الكوفيين زائدة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : من هنا أيضا نكرة موصوفة بمفرد ، أى ياشاةَ إنسانٍ قَنَص ، على أنه من الوصف بالمصدر للمبالغة .

يريد أنّ قنصا مصدر بمعنى الصَّيد أريد به اسم الفاعل ، أى ياشاة إنسان قانص . وأراد بالإنسان نفسه . وهذا تخريجٌ جيد لاَ مطعنَ فيه ، والمشهور فيه كما قال الشارح المحقق : ياشاة ما قنصٍ بزيادة ما ، وهى رواية شُرّاح المعلقّات ، ولم يروِ أحد منهم الرّواية الأولى ، فإنّ البيت من معلقة عنترة ابن شدّاد العبسى .

٥٥٠

---

(١) ط : « وذلك » ، صوابه فى ش .

(٢) شرح شواهد المغنى ٢٥٢ . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

و (الشاة) هنا : كناية عن المرأة ، والعرب تكنى عنها بالنَّعجة أيضا .

وقد أورده صاحب الكشاف برواية (ما) عند قوله تعالى : ﴿ إنَّ هذا أخى له تِسْعٌ وتِسعُونَ نَعْجَةً [1] ﴾ ، على أنّ النعجة استُعيرت للمرأة ، كما استعار عنترة للشَّاة ، فقنص على هذه الرواية مصدرٌ بمعنى المفعول ، وهو مجرور بإضافة شاة إليه . وفى زيادةِ ما وتنكير قنص ما يدلُّ على أنَّها صيدٌ عظيم يَغتبِط بها مَن يَحُوزها أىَّ اغتباط ، فيكون[2] فى قوله (حُرِّمَتْ علىَّ) الدلالة على التحزُّن التامِّ على فواتِ تلك الغنيمة .

قال الخطيب التِّبريزىُّ فى شرح هذه المعلقة : قوله (لمن حَلَّتْ) أى لمن قدر عليها . وقوله (حرمَتْ علىّ) معناه هى مَن قوم أعداء ، ويدلُّ على هذا قوله فى القصيدة :

* عُلِّقْتُها عَرَضًا وأقتلُ قومَها *

والمعنى : أنَّها لمَّا كانت فى أعدائى لم أصلْ إليها وامتنعت منِّى . وأصل الحرام الممنوع . والمعنى : أنَّها حرمت علىّ باشتباك الحرب بينى وبين قبيلتها . وقوله : (وليتَها لم تحرُمِ) هو تمنٍّ فى بقاء الصلح . وقال الأخفش : معنى حرمت علىّ : أى هى جارتى ، وليتها لم تحرُمْ : أى ليتها لم تكن جارةً حتّى لا يكون لها حرمة .

وقال الزوزنى فى شرحه : هى امرأة أبيه ، يقول : حرُم علىَّ تزوُّجها لتزوُّج أبى إيَّاها ، وليتها لم يتزوَّجها حتّى كانت تحلّ لى . اه .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة ص .
(٢) ش : « فيكون » بالياء .

أقول :لا ينبغى أن يَذكر هذا ، فإنَّ التزوّجَ بامرأة الأب كان جائزاً فى الجاهلية ، ويشهد له القرآن[١] . و (شاة) بالنصب ، لأنَّه منادًى مضاف عند أبى جعفر النحوىّ ، ومفعولٌ لفعل محذوفٍ مع المنادى عند الزوزنى ، قال : التقدير : ياهؤلاء اشهدُوا شاةَ قنصٍ لمن حَلَّت له ، فتعجَّبُوا من حسنها وجمالها، فإنَّها قد حازت الجمال . والمعنى : هى حسناء جميلة .

وترجمة عنترة قد تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب .

وقد أورد البدر الدمامينى هنا أبياتاً قد ضُمِّن فيها البيتُ الشاهد ، قال : أنشدنى شيخُنا شمس الدين الغُمارىّ إجازةً قال: أنشدنى أبو حَيَّانَ قال: أنشدنا جعفر بن الزُّبير قال : أنشدنى القاضى أبو حفص عُمر بن عُمر الفاسىُّ لنفسه ، وقد أُهدِيتْ إليه جارية فوجدها ابنةَ سُرِّيَّةٍ كان تسرَّاها ، فردَّها وكتب إلى مهديها :

يا مُهدِىَ الرشأ الذى ألحاظُه ... تركتْ فؤادى نَصْبَ تلك الأسهم
ريحانةٌ كلُّ المنى فى شَمِّها ... لولا المهيمنُ واجتنابُ المَحْرَمِ
ما عن قِلًى صُرِفتْ إليك ، وإنَّما ... صيدُ الغزالة لم يُبَحْ للمحرمِ
إنَّ الغزالة قد علمنا سرَّها ... قبلَ المهاةِ ، وليتنا لم نَعلمِ
يا ويحَ عنترةٍ يقولُ وشفَّهُ ... ما شَفَّنى فشدا ولم يتكلَّمِ
« ياشاةَ ما قنصٍ لمَنْ حَلَّتْ له ... حَرُمَتْ علىَّ وليتها لم تحرمِ »

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الأربعمائة[٢] :

٤٤٢ (أو تُصْبِحى فى الظَّاعِنِ المُوَلَّى)

---

(١) يعنى الاشارة التى فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف » . سورة النساء ٢٢ .

(٢) نوادر أبى زيد ٥٣ .

على أنّ (أل الموصولة) المستعملة فى الجمع إذا لم تصحب موصوفها يجوز مراعاةُ لفظها كما هنا ، إذ المراد : فى الظاعنين المولّين . ويجوز أن يكون الإفراد باعتبار أنّ موصوفَها المقدّر مفردُ اللفظ ، أى فى الجمع الظاعن؛ وإنّما حُمِلَ أل فى الوصفين على الجمع لأنّ المعنى دلّ على أنّ المراد : إن تصبحى راحلةً مع الظاعنين . وليس لإفرادهما معنًى بدون ما ذكره الشارح المحقّق . ٥٥١

وذهبَ أبو على الفارسىّ (فى المسائل البصرية) إلى أنّ الجمعية مستفادةٌ من كون أل للجنس ، لا أنّها تدلُّ عليها وضعاً ، قال : أنشد المازنى :

* أو تصبحى فى الظّاعن المولّى *

وفسّره بالظاعنين . وسألنى أبو يعقوبَ الماوَرْدىُّ : إذا حسُن أن تكون[1] اللام للجمع فى الظاعنين دالةً على الجمع فيه على قول المازنىّ وابن السَّرّاج ، فلم لا يحسنُ ذلك فى الظاعن مع إفراد ظاعِن ، كما جاز ﴿ مثَلِ الذى استوقَدَ نارًا فلمّا أضاءتْ ما حَوْلَه[2] ﴾ ؟ فقلت له : الفرق بينهما أنّ ذلك فى الذى اتساع ، وأنّه لم يخلُ ذلك من دليل يدلُّ عليه ملفوظٍ به . ألا ترى أنّه قال فلمّا أضاءت ما حوله ! وقال :

* إنّ الذى حانت بفَلْج دماؤهمْ *

واللام محمولةً على الذى اتساعًا ، فلا تحتمل من الاتساع مايحتمله الأصل . ألا ترى أنّ حملها على الذى اتساعٌ فيها ، حتّى قال أبو عثمان : ليست بمعنى الذى ، ولكنها دالّة على الذى . وتوالى الاتّساع مرفوض ، وإذا لم يحسن

---

(١) ش « يكون » .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة . ونصها : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » . والاكتفاء ببعض النص القرآنى جائز .

أنْ يجعل بمنزلة الذى فى هذا ، فأنْ لا تحسن أن تجعل بمنزلة الذى فيه مع تعرِّيها من دليل يدلُّ عليه أولى ، وإنَّ الذى ، لا يسوغ ذلك فيها متعرِّية من دليل . اهـ .

وفيه نظر من وجهين :

الأول : أنَّ قوله اللام محمولة على الذى اتساعاً ممنوعٌ ، فإنَّها موضوعة لمعنى الذى وفرعيـــه بالاشتراك ، وليست محمولةً على الذى .

والثانى : قوله وتوالى الاتِّساع مرفوضٌ ، ممنوع أيضاً ، فإنَّ المجاز وهو من الاتِّساع فى اللغة ، قد يُتجوَّز به إلى مجازَين أو أكثر .

وكذلك ذهب ابن الشجَرىّ (فى أماليه) إلى أنَّ الجمعية مستفادةٌ من من لام الجنس ، قال : والشَّكور من قوله تعالى : ﴿وقليلٌ من عبادىَ الشَّكورُ[1]﴾ اسمُ جنس ، والمعنى : وقليلون من عبادى الشكورون . وكون اسم الجنس مشتقٌّ قليل ، وإنَّما يغلب على أسماء الأجناس الجمود ، كالدينار والدِّرهم ، والقفيز والإردبِّ . إلى أنّ قال : ومِمَّا جاء من المشتقِّ يراد به الجنس : المفسِد والمُصلح ، فى قوله تعالى : ﴿ والله يَعْلَمُ المُفْسِدَ من المُصلح[2] ﴾ أى المفسدين من المصلحين . ومنه قول الراجز :

* أو تُصبِحى فى الظَّاعِن المولِّى *

أراد : فى الظاعنين المولِّين . وقولُ الأخيليَّة :

---

(١) الآية ١٣ من سورة سبأ .

(٢) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

كأن فتى الفتيانِ توبة لم يُنِخْ

ينجدٍ ولم يَهْبط مع المتغوِّرِ[1]

أرادت : مع المتغوِّرين . اه

والبيت من أرجوزةٍ أورد بعضَها أبو زيد (فى نوادره) ، وهذا مقدارُ ما أوردَه :

(إنْ تَبخلى يا جُمْلُ أو تعتلِّى

أو تُصْبحِى فى الظاعن المولِّى

نُسَلِّ وجدَ الهائم المغتلِّ

ببازلٍ وَجناءَ أو عَيْهَلِّ

كأنَّ مَهواها على الكلكلِّ

ومَوقعًا من ثَفِناتٍ زُلِّ

موقعُ كفَّىْ راهبٍ يُصلِّى)

وأورد ابنُ الاعرابى (فى نوادره أيضاً) هذا المقدار ، وزاد عليه بعدَه ، وهو :

(فى غَبَشِ الصُّبح وفى التجلِّى) ٥٥٢

وقال أبو زيد بعد إيراده الأبيات : المغتلّ : الذى اغتلّ جوفُه من الشَّوق والحب والحُزْن ، كغُلَّة العطش . والوجْناء : الوثيرة القصيرة . والعيهَلّ : الطَّويلة . والزُّلُّ : المُلْس اه

(١) ط : « لم يتنح » صوابه فى ش وديوان ليلى ٧٢ .

وقوله : « إنْ تبخلى » هو من البُخل ، أى إن تبخلى علينا بوصلك. وجُمْل ، بضم الجيم ، من أسماء نساء العرب . وتَعتلّى ، من الاعتلال ، وهو التمارُض والتمسُّك بحجة . والظاعن ، مِن ظعنَ من باب نفع ، إذا ارتحل . والمولّى، من ولّيت عَنه ، إذا أعرضتَ عنه وتركتَه . وتعتلّى وتصبحى معطوفان على تبخلى ، ولهذا جُزِما بحذف النون .

وقوله «نُسَلِّ »جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء وأوّله نون المتكلم ، من التسلية ، وهو إذهاب الهمّ ونحوِه بالسلوّ . قال أبو زيد : السُّلوُّ : طيب نفس الإلف عن إلفه . والوجد : الغمُّ والحزن . والهائم ، أراد به الشاعر نفسَه ، وهو من هام ، إذا خرجَ عَلَى وجهه لا يدرى أين يتوجّه إن سلكَ طريقاً مسلوكاً ، فإنْ سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكبُ التعاسيف . كذا فى المصباح . والمغتلّ بالغين المعجمة ، من الغُـلّة بالضم ، وهى حرارة العطش . وفسر المغتلّ صاحبُ الصحاح بشديد العطش .

وقوله « ببازل » متعلق بنسلِّ ، والبازل : الداخل فى السنة التاسعة من الإبل ذكراً كان أو أنثى ، والمراد هنا الثانى لقوله وَجْناء . وفسَّرها أبوزيد بالوثيرة ، بالثاء المثلّثة،وهى الكثيرة اللحم ،والتى لا تُتعِب راكبَها . والمشهور تفسيرها بالنّاقة الشديدة . والعَيهَلّ ، فسّره أبو زيد بالطويلة ، وقال غيره : هىالسريعة . قال صاحب العباب :العيهلُ والعيهلّة:الناقة السريعة. قال أبوحاتم: ولا يقالجمل عيهلٌ ، وتشديد اللام لضرورة الشعر . اهـ .

وبه يظهر فساد قول السخاوىّ (فى سفر السعادة) إن العيهلَّ النجيبُ من الإبل ، والأنثى عيهلّة . ويردُّ عليه أيضاً قوله وجناء .

وقوله « مَهْواها » مصدر بمعنى الهُوِىّ والسقوط . والكَلْكَل ، كجعفر : الصدر ، وتشديد اللام ضرورة أيضاً . وثفِنات : جمع ثَفِنَة بفتح المثلثة وكسر الفاء بعدها نون ، وهو ما يقع على الأرض من أعضاء الإبل إذا استناخ وغَلُظ كالركبتين وغيرها . وزُلّ بالضم : جمع أزلّ ، وهو الخفيف . وفسّره أبو زيد بمُلْس ، وهو غير مناسب ، إذ المرادُ تشبيه الأعضاء الخشنة الغليظة من النّاقة بكثرة الاستناخة بكفّىْ راهب قد شَثُنَت وخشنت من كثرة اعتماده عليهما فى السُّجود . وروى : « رِجْلَىْ راهب » بدلَ « كفّىْ راهب » . والنَبَش بفتحتين : بقيَّة الليل . وأراد بالتجلّى النهار .

وهذه أرجوزةٌ طويلة أورد منها شُرّاح شواهد سيبويه جملةً ، وكذلك أبو على (فى المسائل العسكرية) .

وقوله :

* ببازل وجناء أو عيهَلّ *

أورده سيبويه فى باب الوقف[1] ، لرجلٍ من بنى أسد ، على أنّ تضعيف الآخِر فى القافية ضرورة . قال الأعلم : الشاهد فيه تشديد عيهلّ فى الوصل ضرورة ، وإنما يشدَّد فى الوقف ليعلم أنّه متحرِّك فى الوصل .

قال أبو على (فى المسائل العسكرية) أما العيهلّ والكلكلّ فاستعمالها بتخفيف ، فقدّر الوقفَ عليه فضاعف ، إرادةً للبيان . وهذا ينبغى أن يكون فى الوقف دون الوصل ، لأنّ ما يتصّل به فى الوصل يبيّن الحرف وحركته . فمن ذلك من قال فى الوقف هذا خالدّ فإذا وصل قال : هذا خالدٌ كما ترى . ويضطر الشاعر

(١) سيبويه ٢ : ٢٨٢ .

٥٥٣ فيجرى الوصلَ بهذه الإطلاقات فى القوافى مجرى الوقف . وقد جاء ذلك فى النصب أيضاً . قال :

* مثل الحريق وافق القَصَبَا *

وهذا لا ينبغى أن يكون فى السَّعة . ا هـ

صاحب الرجز وهذه الأرجوزة نسبها السخاوى (فى سفر السعادة) لمنظور بن مَرثد الأسدى . قال : وقيل لغيره . ونسبه الصاغانى (فى العباب) لمنظور بن حَبَّة الأسدى ، وهما واحد ، فإنَّ مرثداً أبوه وحَبَّة أمُّه ، فبعضهم ينسبه إلى أبيه وبعضهم إلى أمّه .

منظور بن حبة قال الصاغانى (فى العباب) : منظور بن حَبَّة راجزٌ من بنى أسد . وحَبَّة أمه ، واسم أبيه مرثد بن فروة بن نَوفل بن نضلة بن الأشتر بن حَجْوان بن طريف بن عمرو بن قُعَين . ا هـ

وقعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسَد بن خُزيمة .

* * *

وأنشد بعده :

(جَاؤا بِمَذْقٍ هَلْ رأيتَ الذِّئبَ قَطْ)

على أنَّ جملة (هل رأيت) إلى آخرها صفةٌ لمذق ، بتقدير القول .

وتقدم شرحُه مستوفًى فى الشاهد السادس والتسعين[1] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٤٤٣ (ولقَد أبيتُ من الفَتاةِ بمنزلٍ
فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا محرومُ)

على أنّ (لا حَرِجٌ) عند الخليل مرفوعٌ على أنّه خبر مبتدأ محذوف ، والجملة محكيّةٌ بقول محذوف، أى أبيتُ مقولًا فىّ : هو لا حَرِجٌ ولا محروم. وهذا من حكاية الجمل بتقدير المبتدأ ، ولا يصحّ أن يكون من حكاية المفرد ، لأنّ حكايةَ إعرابه إنّما تكون إذا أريد لفظُه ، نحو: قال فلان: زيدٌ ، إذا تكلّم بزيد مرفوعا ، وفى غير هذا يجب نصبُه ، إلاّ أن يكون بتقدير شيء ، فتجب حكايةُ إعرابه كما هنا .

وهذا نصّ سيبويه فى المسألة : وزعم الخليلُ أنّ أيُّهم إنّما وقع فى قولهم: اضربْ أيُّهم أفضل على أنّه حكاية ، كأنه قال : اضرب الذى يقال له : أيُّهم أفضل .وشبّهه بقول الأخطل :

ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزل . . . . . البيت

قال الأعلم : الشاهد فى رفع حرجٌ ومحروم ، وكان وجه الكلام نصبَهما على الحال . ووجهُ رفعهما عند الخليل الحملُ علَى الحكاية ، والمعنى : فأبيت كالذى يقال له لا حرجٌ ولا محروم . ولا يجوز رفعُه حملًا عَلَى مبتدأ مضمر ، كما لا يجوز كان زيد لا قائم ولا قاعد ، على تقدير لا هو قائم ولا هو

(١) فى كتابه ١ : ٢٥٩ ، ٢٩٨ . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٩٧ والانصاف ٧١٠ وابن يعيش ٣ : ١٤٦/٧ : ٨٧ .

قاعد[1] لأنه ليس موضع تبعيض ولا قطع ، فلذلك حَملة على الحـكاية . ا هـ

وقال النحاس : قال سيبويه : زعم الخليل أنّ هذا ليس على إضمار أنا ، ولو كان كذلك لجاز : كان عبد الله لامسلم ولا صالح ،ولـكنّه فيما زعم الخليل : فأبيتُ (كالذى يقال له لا حرجٌ ولا محروم . وإنّما فرَّ الخليل من إضمار أنا وإن كانت قد تضمَر فى غير هذا الموضع ، لأنَّه يلزم عليه أن يقول كنت لا خارج ولا ذاهب . وهذا قبيحٌ جدّا ، فجعله عَلَى الحكاية: فأبيت بمنزلة الذى يقال له لا حرجٌ ولا محروم ، أى إنّها لم تحرمنى فيقال لى محروم ، ولم أتحرَّج من حضورى معها فيقال لى حَرِج . وقال أبو إسحاق الزجاج : هو بمعنى لا حرج ولا محروم فى مكانى . فإذا لم يكن فى مكانه حرجًا ولا محروما فهو لا حرج ولا محروم . وزعم الجرمىُّ أنه على معنى فأبيت وأنا لا حرجٌ ولا محروم . قال سيبويه : وقد زعم بعضهم أنَّه على النفى ، كأنه قال : فأبيت لا حرج ولا بمحروم بالمكان الذى أنا فيه . وكلام أبي إسحاق شرحٌ لهذا . قال أبو الحسن : فيكون فى المكان الذى أنا فيه خبراً عن حرج ، والجمله خبر أبيتُ . انتهى كلام النحاس . ٥٥٤

قال السيرافى : وهذا التفسير أسهلُ ، لأنَّ المحذوف خبر حرج ، وهو ظرف ، وحذف الخبر فى النفى كثير كقولنا : لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، أى لنا .

وقوله : (ولقدْ أبيتُ) قال صاحب المصباح : بات له معنيان : أحدهما كما نقل الأزهرى عن الفرّاء : باتَ الرجل ، إذا سهر الليلَ كلَّه فى طاعة

---

(١) من « على تقدير » فى ص ١٣٩ الى هنا ، ساقط من ش .

أو معصية . وثانيهما بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواء كان في ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فإنَّه لا يدرى أين باتت يده » ، أى صارت ووصلت . اهـ .

والمناسب هنا المعنى الثانى .

صاحب الشاهد

والرواية فى ديوان الأخطل : « ولقد أكون » . والمستقبل هنا فى موضع الماضى ، لأنَّه يريد أن يخبر عن حاله فيما مضى ، وأكثر مايجىء هذا فيما عُلم منه ذلك الفعلُ خُلقا وطبعا وقد تكرَّر ذلك الفعل منه ، ولا يكون كفعلٍ فعلَه فى الدَّهر مرَّة واحدة . و (الفَتاة) : الجارية الشابَّة ، يريد أنَّه كان فى شبابه تحبُّه الفَتَيات ، ويبيت عندهنَّ (بمنزلٍ) يعنى بمنزلة جميلة . و (الحرِج) بفتح الحاء وكسر الراء : المضيَّق عليه . يقول : إنَّ موضعه لم يكن مضيَّقا به ، ولا هو محرومٌ من جهتها ما يريده .

وقبل هذا البيت :

(ولقد يكُنَّ إلىَّ صُوراً مَرَّةً أيَّامَ لونُ غدائرِى يَحمومُ)

والنون فى يكُنَّ ضمير النِّساء الغوانى فى بيتٍ قبله . والصُّور : جمع صائرة بمعنى مائلة . والغدائر : الذوائب ، جمع غديرة . واليحموم : الأسود .

والبيتان من قصيدة ذكر فيها ما كان يفعله أيَّامَ الشباب، ثم توعَّد جُمَيعاً ، وهو رجلٌ من كلب ، بأنَّه إن لم يُمسكْ لسانه عنه هَجاه وهجا قبيلته .

والأخطل شاعرٌ نصرانىٌّ من شعراء الدَّولة الأموية . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين[1] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهـو الشاهد الرابع والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٤٤٤ (دَعِى ماذا عَلِمْتُ سأتقيه ولـكنْ بالمغيَّبِ نبِّئينى)

على أنَّ (ذا) هنا زائدة بعد ما الموصولة .

وهذا مخالفٌ لكلام سيبويه فيهما ؛ فإنَّ ما عنده فى البيت استفهامية، وذا اسمٌ مركَّب معها ، جُعلا بمنزلة شىء واحِد . وهذا نصُّ كلامه : وأمّا إجراؤهم ذا مع ما بمنزلة اسم واحد، فهو قولك: ماذا رأيت ؟ فتقول : خيراً ، كأنّك قلت: ما رأيت . فلو كانت ذا لغواً لَمَا قالت العرب: عمّا ذا تسأل ، ولقالوا : عمّ ذا تسأل ، ولـكنّهم جعلوا ما وذا اسماً واحدا كما جعلوا ما وإنّ حرفًا واحداً حين قالوا إنّما . ومثل ذلك : كأنّما وحبّذا فى الجزاء . ولو كان ذا بمنزلة الذى لـكان الوجه فى ماذا رأيت إذا أراد الجواب أن يقول : خير . وقال الشاعر ، وسمعنا بعضَ العرب يقوله :

دَعِى ماذا علمتُ سأتّقيـــه ولـكنْ بالمغيَّبِ نبّئينى

فالذى لا يجوز فى هذا الموضع ، و«ما» لا يحسن أن تلغيها . انتهى كلامه .

٥٥٥ وقال أبو حيان (فى تذكرته) قال بعضهم : ذا مع ما شىء واحد، وموضع ماذا نصب بعلمتُ ، وهى الاستفهامية على ما حكى سيبويه . وحكى السيرافى أنّ ماذا فى البيت بمعنى الذى ، وعلمتُ صلة ، وحذفت الهاء العائدة ، وماذا فى موضع نصب بدَعِى ، والتقدير : دعى الذى علمتِ فإنّى سأتقيه . وهو أصحّ

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر شرح شواهد المغنى ٦٩ ، ٢٤٣ والعينى ١ : ٤٨٨ والهمع ١ : ٨٤ واللسان (ذا ٣٤٩) .

معنيٌّ مما حكى سيبويه ، لأنه جعلها استفهامية منصوبة[1] بعلمت الواقع بعدها ، وهو فاسدٌ من طريق المعنى . ويمكن أن يكون منصوباً بإضمار فعل يدلُّ عليه سأتقيه ، كأنه قال: دعى كلَّ شيء سأتقي ماذا علمت سأتقيه . اهـ .

وقد خفِى على الأعلم ظهور كون ما فى البيت استفهاميّة ، فزعم أنها موصولة : قال: الشاهد فيه جعل ماذا اسماً واحداً بمنزلة الذى ، والمعنى دعى الذى علمتهِ فإنى سأتَّقيه لعامى مثلَ الذى علمت ، ولكن نبِّئينى بما غاب عنِّى وعنك ، مما يأتى به الدَّهر ، أى لا تعذُلينى فيما أبادر به الزَّمانَ[2] من إتلاف مالى فى وجوه الفتوَّة ، ولا تخوِّفينى الفقر . اهـ .

والمفهوم من تقريره أنَّ التاء من علمتِ مكسورة . قال النحاس : وهى رواية أبى الحسن ، وأمّا رواية أبى إسحاق فهى بضم التاء . قال النحاس : فذا هنا لا تكون بمعنى الذى ، لأنَّه لا يجوز دعى ما الذى علمت . قال أبو إسحاق: لا يكون ذا هنا إلاَّ بمنزلة اسمٍ مع ما ، وذلك أنها لا تخلو من إحدى ثلاث جهات : إمّا أنْ تكون ما صلة وذا بمعنى الذى ؛ وهذا لا يجوز لأنّ ذا لا يكون بمعنى الذى إلا مع ما ومن الاستفهاميَّتين ، كذا استعملت .

وإمّا أن يكون ما بمعنى الذى ، وذا بمعنى الذى ، فتكون ما مفعولة وذا مبتدأ وعلمت صلة ، ويبقى المبتدأ بلا خبر . فإن قلت : أضمِرُ هو ، فكأنك قلت :دعى الذي هو الذى علمت . فهذا قبيح . وهذا الذي قال سيبويه ، والذي لا يجوز فى هذا الموضع ، لئلا يلزم أن تحذف هو منفصلة .

الثالث : أن تكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد .اهـ .

---

(١) ش : « منصوبا » .
(٢) فى النسختين : « فيما أبادر بالزمان » ، صوابه ما أثبت من شرح الأعلم .

ولا يخفى أنه لم يعيّن معنى ماذا بعد هذا التّرديد ، هـل هى استفهام أو موصول .

وذهب ابن عصفور إلى أنّ ما استفهامية وذا موصولة ، وقال : لا يكون ماذا مفعولاً لدعى ، لأنّ الاستفهام له الصدر . ولا لعلمت ، لأنه لم يرد أن يستفهم عن معلومها ما هو . ولا لمحذوف يفسّره سأتقيه ، لأنّ علمت حينئذ لا محلّ له . بل ما استفهام مبتدأ ، وذا موصول خبر ، وعلمت صلة ، وعُلّق دعى عن العمل بالاستفهام اهـ.

ولا يخفى أنّ هـــذا مبنىٌّ على رواية كسر التاء من علمتِ ، وأمّا على رواية ضمها فلا استفهام ، إذ المعنى : دعى ما علمتُه أنا وخبِّرينى ما جهلتُه .

وأورد عليه ابن هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامه أنّ قوله لم يرد أن يستفهمها عن معلومها ، لازمٌ له إذا جعل ماذا مبتدأ وخبراً . ودعواه تعليق دَعِى مردودةٌ ، لأنّها ليست من أفعال القلوب . فإن قال : إنّما أردت أنّه قدّر الوقف على دعى ، فاستأنف ما بعده . ردّه قول الشاعر ولـكن ، فإنّها لا بدّ أن يخالف ما بعدها ما قبلها ، والمخالف هنا دعِى ، فالمعنى دعِى كذا ولـكن افعلى كذا . وعلى هذا فلا يصحّ استئناف ما بعد دعِى ، لأنّه لا يقال من فى الدار فإننى أكرمه ولـكن أخبرنى عن كذا . اهـ .

وذهب أبو على (فى المسائل المنثورة) إلى أنّ ماذا بمعنى شىء نـكرة . قال: ولا يجوز أن أجعل ذا فى تأويل الذى ، لأنّها لم تجىء فى تأويل الذى إلا فى الاستفهام ، وههنا ليس معنى استفهام ، ولـكن معنى ما وذا بمعنى شىء ، فيكون بمعنى اسم واحد ، فيكون تقديره : دعى شيئاً علمت ، ويكون علمت صفةً لماذا .

٥٥٦

والشاهد على هذا القول أنّ ما وذا إنّما جاءت بمعنى شىء واحد فى الاستفهام، والاستفهام نكرة، وهى ههنا أيضاً مبهمة، فحملتها على النكرة التى جاءت فى الاستفهام . اهـ

وعلمت هنا بمعنى عَرَفت، ولهذا تعدّى إلى مفعول واحد . والنبأ : الخبر.

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرِف قائلها، والله أعلم به .

صاحب الشاهد

وزعم العينى وتبعه السُّيوطى (فى شرح شواهد المغنى) أنّه من قصيدة للمثقِّب العبدى، مطلعها :

(أفاطمُ قبلَ بينِكِ متّعينى ومنعُكِ ما سألتِ كأنْ تَبينى)

وهذا لا أصل له، وإنْ كان الروىُّ والوزن شيئاً واحداً ؛ فإنّ قصيدة المثقّب العبدى قد رواها جماعةٌ، منهم المفضّل الضبى (فى المفضليات)، ومنهم أبو علىّ القالى (فى أماليه) و (فى ذيل أماليه)، ولم يوجد البيتُ فيها، ولم يعزُه إليه أحدٌ من خَدَمة كتاب سيبويه، وهم أدرى بهذه الأمور. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الأربعمائة، وهو من شواهد س[1] :

(ألا تسألانِ المرء ماذا يُحاوِلُ أنحبٌ فيُقضَى أم ضلالٌ وباطلُ)

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٩ والمعانى الكبير ١٢٠١ والجمل ٣٣١ والمخصص ١٤ : ١٠٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٧١، ٣٠٥ وابن يعيش ٣ : ١٤٩/٤ : ٢٣ وشرح شواهد المغنى ٥٥ والعينى ١ : ٧، ٤٤٠ واللسان (ذو، ذوات، حول) .

على أنّ ما مبتدأ وذا زائدة ، وجملة يحاول خبر المبتدأ ،والرابط محذوف، أى يحاوله .

وهذا مخالفٌ لسيبويه ومَن تبعه ، فإنّه جعل ذا هنا موصولة، وهذا نصُّه : أمّا إجراؤهم ذا بمنزلة الذى فهو قولهم : ماذا رأيت ؟ فيقول : متاعٌ حسن . وقال لبيد :

ألا تسألانِ المرء ماذا يحاولُ ... ... البيت

قال الأعلم وابنُ السيرافى:التقدير : ما الذى يحاول ، فما مبتدأ وذا خبره ، ويحاول صلة ذا ، كأنّه قال : أى شىء الذى يحاوله ، بدليل قوله : أنحبٌ . ولو كان ذا مع ما كشىء واحد لكان ماذا منصوباً بيحاول ، وكان مفسِّره الذى هو نحبٌ منصوبًا ، لأنّه استفهام مفسِّر للاستفهام الأول ، فهو على إعرابه ، ولوجَبَ أن يقال: أنحبا فيُقضَى أم ضلالاً وباطلا . ا هـ

وكذلك قال أبو على (فى إيضاح الشعر) كأنه قال : ما الذى يحاوله ، أالذى يحاوله نحبٌ أم ضلال . ولو كان ذا مع ما فى البيت اسمًا واحداً كما كان فى قوله تعالى : ﴿ ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْرًا[1] ﴾ لكان النّحب نصبًا . ا هـ .

ونقل النحّاس عن ابن كيسان أنّه قال هنا : إن شئت جعلت ما وذا شيئًا واحداً ، لأنّ ما تكون لكلِّ الأشياء وذا كذلك ، فوافقتْها فى الإبهام فقرنتا. والذى أختارُ إذا جعلا شيئاً واحداً أن يكون ذا صفة لما . انتهى .

---

(١) الآية ٣٠ من سورة النحل .

وكذلك قال الدماميني (فى الحاشية الهندية) : كون ذا موصولاً لايتعيّن ؛ لاحتمال أن يكون ماذا كلّه اسماً واحدا مرفوعا على أنّه مبتدأ ، ويحاول خبره ، والرابط محذوف أى يحاوله . ومثله فى الشعر جائز . ونحبٌ بدل من المبتدأ ، ويحتمل أن يكون ماذا كلّه فى محل نصب على أنّه مفعول يحاول ، ولا ضمير محذوفا . فإنْ قلت : يبطله رفع البدل . قلت : لا يكون نحب حينئذ بدلاً ، بل يكون خبر مبتدأ مضمر . اﻫ

أقول : أما النصب فقد جوّزه الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ويَسْأَلونكَ ماذا يُنْفِقونَ قُلِ العَفْوُ[٣] ﴾قال: تجعل ما فى موضع نصب،وتوقع ٥٥٧ عليها يُنفقون ، ولا تنصبُها بيسألونك . وإن شئت رفعتَها من وجهين : أحدهما أن تجعل ذا اسما يرفع ما ، كأنّك قلت : ما الذى ينفقون . والعرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى . والرفع الآخر : أن تجعل كلّ استفهام أوقعتَ عليه فعلًا بعده رفعا ، لأنّ الفعل لا يجوز تقديمه قبل الاستفهام ، فجعلوه بمنزلة الذى إذْ لم يعمل فيها الفعل الذى بعدها . فإذا[١] نويت ذلك رفعت العفو كذلك ، كما قال الشاعر :

ألا تسألانِ المرء ماذا يحاولُ . . . البيت

رفع النحب لأنّه نوى أن يجعل ما فى موضع رفع ، ولو قال أنحباً فيقضى أم ضلالا وباطلا كان أبينَ فى كلام العرب وأكثر . اﻫ .

وأمّا جعل نحبٌ خبر مبتدأ فقد نقله ابن هشام اللخمى (فى شواهد الجمل) وقوّاه . قال : نحب بدل من ما ، وقيل إنّ نحبا خبر مبتدأ مضمر ، والتقدير

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة .
(٢) ط : « وإذا » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء .

أهو نحب ، والمبتدأ والخبر بدل من موضع ماذا . وهذا أقوى ، لأنّه أبدل جملة من جملة لمّا كانت فى معناها . اهـ.

ومثله لابن السِّيد (فى شرح شواهد الجمل) قال : من اعتقد فى نحب البدل فموضع ما رفع على كلّ حال ، ومن اعتقد أنّ قوله أنحب مرتفع على خبر مبتدأ مضمر كأنه قال : أهو نحب، جاز أن تكون ما مرفوعة المحل، وجاز أن تكون منصوبة الموضع . اهـ

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : إذا كان ذا بمعنى الذى ففيه وجوه : أحدها أن يكون خبر ما ، وأن يكون بدلًا منها[١] ، وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : ما هو الذى يحاول . اهـ .

أقول : أما الثانى فباطل ، لأنَّه لو كان كذلك لوجب أن يقترن مع البدل استفهام ، كما اقترن بقوله نحب ، على تقدير كونه بدلًا من ما . وأما الثالث فلا يجوز ، لعدم القرينة على الحذف . وبقى عليه أنْ يقول : ما خبر مقدم وذا مبتدأ مؤخر ، كما اختلفوا فى قولهم : كم مالك ؟

وقوله (ألَا تسألانِ) إلخ ألا : كلمة يستفتح بها الكلام، ومعناها التنبيه . وتسألان خطابٌ لصاحبين له . وقيل: إنّما هو خطابٌ لواحد. وزعم بعضُهم أنّ العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين . وحُكى عن بعض الفصحاء[٢] : يا حَرَسِىُّ اضربَا عنقَه ! وزعموا أنّ قوله تعالى : ﴿ ألْقِيا فى جَهَنَّم كلّ كَفّارٍ عَنيد[٣] ﴾ أنّه خطاب للمَلَك . وهذا شىء ينكره حُذّاق البصريّين ، لأنّه إذا خاطب الواحد

(١) ش : « أن يكون خبرا أو بدلا منها » .
(٢) هو الحجاج ، كما سيأتى فى الشاهد رقم ٥٠٧ .
(٣) الآية ٢٤ من سورة ق .

بخطاب الاثنين وقع اللَّبس . وذهب المبرد إلى أنَّ التنبيهَ على التوكيد يؤدّى عن معنى ألقِ ألقِ . وخالفه أبو إسحاق بأنّه فى كلّهِ خطابٌ لاثنين ، وهو الظاهر هنا . والسؤال هنا بمعنى الاستفهام ، يقال سألته عن كذا ، فهو يتعدّى إلى المسئول منه بنفسه ، وإلى المسئول عنه بحرف عن ، فجملة ماذا يحاول فى موضع المفعول الثانى المقيَّد ومن المعلَّق عن العمل بالاستفهام. والمحاولة : استعمال الحِيلة ، وهى الحذق فى تدبير الأمور ، وهو تقليب الفكر حتّى يهتدىَ إلى المقصود . والحِيلة أصلها حِوْلة، انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. ولامُ (المرء) للعهد الذهنى ، نحو ﴿إذ هُمَا فى الغار[1]﴾ . أى سلا الإنسانَ الساعىَ فى تحصيل الدُّنيا . وقيل اللام للجنس ، لا يَعْنى به امرأً معيَّناً . وقال ابن المستوفى : يعنى بالمرء نفسه ، والناس فيه سواء . و (النَّحبُ) بفتح النون وسكون المهملة له معان ، المراد هنا النَّذر ، وهو ما ينذُرُه الإنسان على نفسه ويُوجِب عليهافعله على كلٍّ حال . يقول اسألوا هذا الحريصَ على الدنيا عن هذا الذى هو فيه ، أهو نذر نذَره على نفسه فرأى أنَّه لابد من فعله ، أم هو ضلال وباطلٌ من أمره . ٥٥٨

وقوله : (فيُقضَى) روى بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول، وعليهما[2] الجملة خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو يقضى . وهذا المبتدأ ضمير المرء على الرواية الأولى ، وضمير النحب على الرواية الثانية . والفاء هنا للاستئناف ، كقوله:

* يريد أنْ يُعْرِبَه فيُعجِمُهُ[3] *

وقصره بعضهم على الرواية الثانية فقال : هو فى موضع نصب على أنَّه جواب الاستفهام ، وليس بمعطوف على يحاول .

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .
(٢) ش : « وعليه » .
(٣) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ٤٣٠ ونسبه الى رؤبة .

وقد سَهَا العينى هنا سهواً فاحشا ، فزعم أنَّ جملة يقضى فى محل رفع صفة لنحب . ويجوز أن تكون فى محل نصب على تقدير انتصاب النحب . اﻫ فإن الفاء مانعةٌ من الوصفية ، وكأنَّه قاسها على واو اللصوق [1] .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل قصيدة للبيد بن عامر الصحابى[2] ، وتقدَّمت ترجمته مع شرح أبياتٍ منها فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الأربعمائة[4] :

٤٤٦ (وماذا عَسَى الواشُونَ أنْ يتحدَّثوا
سِوَى أن يقولوا : إنَّنى لكِ عاشقُ)

على أنَّ « ذا » قيل إنها زائدة لا موصولة .

وذهب ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول المعلُوط السعدىّ :

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْنَ لى ماذا لقيتَ من الهوَى ولَقِينا[5]

---

(١) أثبتها الزمخشرى ومن قلده . وانظر معنى اللبيب فى حرف الواو ص ٣٦٤ .

(٢) كتب ناسخ ش : « قوله لبيد بن عامر » ، كذا بخط المؤلف رحمه الله ، والصواب لبيد بن ربيعة بن مالك » . وأقول : نسبه البغدادى الى جده الأعلى « عامر بن صعصعة » ، وكذلك كانوا يفعلون . وانما هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وفى ذلك يقول لبيد فى رجزه :

* ونحن خير عامر بن صعصعه *

(٣) الحق أن ترجمته انما هى فى الشاهد ١٢٢ فى الخزانة ٣ : ٢٤٦ . أما شرح ابيات الشاهد فهى فى الشاهد ١٢٣ فى الخزانة ٣ : ٢٥٢ .

(٤) انظر ديوان المجنون ٢٠٣ والمقتضب ٣ : ١٩٥ والأشمونى ١ : ١٦٣ والحماسة بشرح المرزوقى ١٣٨٣ .

(٥) ذكر ابن جنى فى اعراب الحماسة الورقة ١٨٨ أن البيت يروى لجرير : وهو كذلك فى ديوان جرير ٥٧٨ . وانظر مجالس ثعلب ٦٦٥ والعمدة ٢ : ٢١٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٦٨ .

إلى أنَّ ماذا فيه مركبة بمعنى المصدر مبتدأ ، أى تحديث ، وجملة عسى خبره . ولم يلتفت إلى إنشائيته لوروده فى الخبر ، إمّا لأنّه بتقدير قول محذوف كما هو مذهب الجمهور ، وإمّا بدونه كما هو مذهب البعض . وهذه عبارته :

لا سبيلَ إلى أن تنصب ماذا على أنّهما اسم واحد يتحدثوا[1] لأنّه فى صلة أنْ ، فيجرى هذا،فى امتناع ما بعدأنْ من الموصول إليه، مجرى«ذَكَرٌ[2]»، من قولك : أذَكَرٌ أن تلد ناقتُك أحبُّ إليك أم أنثى ؟ وماذا هنا بمعنى المصدر[3] فترفعه بالابتداء وتضمر له عائداً ، كقولك : أىُّ قيام عسى زيد أن يقوم ، وأنت تريد يَقومه، فتحذف الهاء وترفع الأوَّل مضطرًّا إلى رفعه ، إذ لا سبيل إلى نصبه . ويُضعف أن تكون ذا بمنزلة الذى ، وذلك لما تصير إليه من وَصْل[4] الذى بعسى . وفيه ذهابٌ عن البيان والإيضاح بالصِّلة . فإنْ قلت : فقد قال الفرزدق :

وإنِّى لرامٍ نظرةَ قِبَلَ التى لعلِّى وإنْ شطَّت نواها أزورُها

فإنَّ أبا علىٍّ يتأوّل هذا ويتناوله[5] على الحكاية ، حتى كأنَّه قال : قِبَل التى يقال فيها لعلِّى . وبابُ الحكاية طريقٌ مَهْيَع يتقبَّل فيه كلُّ تأوُّل . وما أشبَهُه إلّا بالمنام ، أو حديث البحر الذى انطوت النفُوس على تقبُّل ما يَعرض فيه ، وترك التناكر لشىء يرِدُ عنه . اهـ مختصرا .

(١) ط : « يتحدثوا » ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .
(٢) ط : « ذكره » ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .
(٣) ط : « الصدر » ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .
(٤) ش : « وصله » ، وصوابه فى ط واعراب الحماسة .
(٥) فى النسختين : « ويتأوله » ، والوجه ما أثبت من اعراب الحماسة .

صاحب الشاهد

والبيت أورده أبو تمام (فى الحماسة) ، وبعده بيتٌ ثان ، ونسبهما لجميل العُذْرىّ ، وهو :

(نَعَمْ صدَقَ الواشون أنتِ كريمةٌ
علينا وإنْ لم تصفُ منكِ الخلائقُ)

يقول : الواشون لا يقدرون فى وشايتهم على أكثر ممَّا أن يقولوا : إنَّنى لك عاشق . ثم أوجبَ بقوله نعم ، فكأنَّه قال : قد صدقوا فيما ادَّعوه، أنت تكرُمينَ[1] علينا وإن لم نصادفْ من أخلاقك صفاء. والواشى: النَّمام الذى يُحسِّن الكلام ويزوِّقه للإفساد بين اثنين ، من الوَشْى ، وهو التَّزيين. وروى: (وامق) بدل عاشق ، وهو بمعناه . وروى :(حبيبة إلىّ) بدل كريمة علينا . وهو مناسب .

٥٥٩

وترجمة جميل العذرى تقدّمت فى الشاهد الثانى والستين[2] .

وقد روى صاحبُ الأغانى هذين البيتين من جملة أبياتٍ لمجنون بنى عامر؛ وهو قيس بن الملوَّح، المشهور بمجنون ليلى . رَوَى بسنده عن الهيثم بن عدىّ أنَّ رهط المجنون اجتازوا فى نُجعةٍ لهم بحىِّ ليلى ، فرأى أبياتَ أهلها ولم يقدِرْ على الإلمام ، وعدَل أهله إلى وِجهةٍ أُخرى، فقال المجنون :

(لعمركَ إنَّ البيت بالقَبَل الذى مررتُ ولم ألم عليهم لشائقُ[3]
كأنِّى إذا لم ألقَ ليلى مُعَلَّقٌ بِسبَّيْنِ أهفُو بين سهلٍ وحالقِ[4]

(١) فى النسختين : « تكرمى » ، والوجه ما أثبت من شرح المرزوقى ١٣٨٤ .

(٢) ١ : ٣٩٧ .

(٣) القبل ، بالتحريك : النشز من الأرض يستقبلك . فى النسختين : « لسائق » صوابه فى الأغانى ٢ : ٢ وديوان المجنون ٢٠٢ . وفى الديوان والأغانى : « ولم ألمم عليه » .

(٤) السب ، بالكسر : الحبل . وفى النسختين « بشيئين » ، صوابه فى الديوان والأغانى . وفى البيت اقواء .

على أنّي لو شئتُ هاجت صَبابتى   علىَّ رسومٌ عَىَّ منها المناطقُ[١]
لعمركِ إنَّ الحبَّ يا أمَّ مالك   بقلبى،يَرَانىالله، منكِ لَلاصقُ[٢])

وماذا عسى الواشُون . . . إلى آخِرِ البيتين .

وكذلك نسبهما ابن نُباتةَ المِصرىّ (فى شرح رسالة ابن زيدون) إلى المجنون ، إلاَّ أنه أورد بعدهما بيتين آخرين ، وهما :

(كأنَّ على أنيابها الخمرَ شجَّها   بماء سحابٍ آخرَ الليل غابقُ
وما ذقتُـه إلاَّ بعينى تفـرُّسا   كما شيمَ فى أعلى السَّحابة بارقُ)

وترجمة المجنون قد تقدَّمت أيضاً فى الشاهد التسعين بعد المائتين[٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(وإنّى لرامٍ نظرةً قِبَلَ التى   لعلِّى وإن شطَّتْ نواها أزورُها)

على أن جملة لعلى الخ مقولة بقول محذوف هو الصلة ، أى قِبَلَ التى أقول لعلى الخ .

وقد تقدَّم الـكلام عليه مفصَّلا فى أول الباب فى الشاهد الخامس عشر بعد الأربعمائة[٤] .

---

(١) فى الديوان والأغانى : « عى فيها التناطق » .
(٢) يرانى الله ، يعنى يعلم الله ، وهو شاهد على ما أقول . وفى الديوان والأغانى « برانى » . والمعروف من البرء بمعنى الشفاء ، أن يقال أبرأه ، من المزيد .
(٣) الخزانة ٤ : ٢٢٩ .
(٤) الخزانة ٥ : ١٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الأربعمائة[1] :

٤٤٧ (من اللَّواتى والتى واللاتى   زَعمْنَ أنِّى كَبِرتْ لِداتى)

على أن جملة (زعمن) إلخ صلة الموصول الأخير ، وصلة كلٍّ من وصولين الأوَّلين محذوفة للدلالة عليها بصلة الثالث ، والتقدير : من اللَّواتى زعمن ومن النساء التى زعمن[2]. ويجوز أن تكون صلةً للموصولات الثلاثة، لاتّحاد مدلولها ، ولا يجوز أن تكون صلةً للثانى فقط .

هذا تقرير كلام الشارح المحقّق ، وأمّا غيره فقد جعل الصّلة للموصول الأخير فقط ، وصلة كلٍّ ممّا قبله محذوفة ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) قال : أنشد المبرد (فى المقتضب) :

بَعْــدَ اللّتيَّا واللّتيَّا والتى   إذا علتْها أنفسٌ تردّتِ[3]

٥٦٠ لم يأت للموصولين الأوَّلين بصلة ، لأنَّ صلة الموصول الثالث دلَّت على ما أراد . ومثله :

من اللواتى والتى واللاتى ... البيت

وصل اللاتى وحذف صلة اللواتى والتى للدّلالة عليها .

---

(١) الشعراء ٣٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٤٤ . وقد سبق عرضا فى الشاهد ٤٣٣ .

(٢) ش : « ومن النساء اللواتى زعمن » ، والوجه ما أثبت من ط . من ط .

(٣) المقتضب ٢ : ٢٨٩ . والرجز للعجاج ، وهو من شـــواهد سيبويه ١ : ٣٧٦/٢ : ١٤٠ .

ومما حُذِف منه صلةُ موصولين فلم يؤت فيه بصلة قول سُلمىّ بن ربيعة السَّيدِىّ[١] :

ولقد رأَيْتُ تَأَى العشيرةِ بينَها وكَفيتُ جانبَها اللَّتيَّا والتى

أراد اللاتيَّا والتى تأتى على النفوس ؛ لأنَّ تأنيث اللتيا والتى ههنا إنّما هو لتأنيث الداهية . ألا ترى إلى قوله :

* بعدَ اللَّتيَّا واللّتيَّا والتى *

وتردَّت : تفعَّلت من الرَّدى ، مصدر رَدِىَ يرْدَى ، إذا هلك ؛ أو من التردِّى الذى هو السقوط من علو . وحذف الصِّلة[٢] من هذا الضَّرب من الموصولات إنّما هو لتعظيم الأمر وتفخيمه . وقد جاء التَّصغيرُ فى كلامهم للتعظيم ، كقوله :

* دوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ[٣] *

أراد بالدُّويهية الموت ، ولا داهيةَ أعظم منها ، فتحقير اللتيا ههنا للتعظيم . والرَّأب : الإصلاح . والثأى بفتح المثلثة والهمزة ، وبعدها ألف تكتب ياء : الفَساد . والظرف متعلّق بالثأى ، أى أصلحت ما فسد بينها . اه

وإنَّما نقلته هنا بتمامه لأنَّه كالشرح لما سيأتى قريبا .

(١) السيدى : نسبة الى بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، كما سيأتى فى ترجمته فى الشاهد ٥٨٢ . والسيد بكسر السين . وفى النسختين : « السدى » ، والصواب ما أثبت ، وسلمى بضم السين وسكون اللام وآخره ياء مشددة ، ويقال أيضا « سلمى » بفتح السين والقصر .

(٢) ط : « والحذف » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) للبيد بن ربيعة فى ديوانه ٢٥٦ . وهو الشاهد ٤٤٩ الآتى .

ومنهم أبو علي، قال (في إيضاح الشعر) عند قول الشاعر، وتقدّم شرحه:

من النفر اللاء الذين إذا همُ . . . (البيت المتقدم)

يجوز أن يكون حذف صلة الأوّل لأنّ صلة الموصول الذي بعده تدلُّ عليها، كقول الآخر:

من اللواتي والتي واللاتي . . . (البيت)

فلم يأت للموصولين الأوّلين بصلة. اهـ

وقوله (من اللّواتي) حرف الجر متعلّق بما قبل البيت. واللواتي واللاتي كلاهما جمعُ التي. و (كبِرتُ) من الكِبَر في السن، وقد كَبِر الرجل بكسر الباء، يكبَر بفتحها، كِبَراً بكسر الكاف وفتح الباء. وروى صاحب الصحاح:

* زعمنَ أنْ قد كبِرتْ لِداتي *

و (لِدَاتي): جمع لِدة، ولِدة الرجل: تِرْبُه الذي وُلد معه قريبا، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوّله، لأنه من الولادة، ويجمع على لِدُون أيضاً. و (الزّعم) يطلق على القول والظنّ، قال الأزهريّ: وأكثر مايكون الزعم فيما يشكُّ فيه ولا يُتحقّق. وقال بعضهم: هو كنايةٌ عن الكذب. وقال المرزوقي: أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب.

والبيت لا أعرف ماقبلَه ولا قائله، مع كثرة وجودِه في كتب النحو. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الأربعمائة[١] :

٤٤٨ (فإنْ أَدَعِ اللواتى مِنْ أُناسٍ
أضاعوهنَّ لا أَدَعِ الَّذينـــا)

على أنَّه حَذَفَ صلة الموصول فيه قليلا[٢] .

قال أبو على الفارسى (فى إيضاح الشعر) : أنشده أحمد بن يحيى ثعلب وقال : يقول : فإن أَدَعِ النساء اللاتى أولادُهنَّ من رجال قد أضاعوا هؤلاء النساء . أى لا أهجو النِّساء ، ولكن أهجو الرجال الذين لم يمنعُوهنَّ . فعلى تفسيره ينبغى أن يكون المبتدأ مضمراً فى الصلة ، كأنَّه قال : فإن أدع اللواتىأولادُهن من أناسأضاعوهنَّ فلم يَحموهنَّ كما تَحمى[٣] البعولة أزواجها فلا أدع الذين . والتقدير: إن أَدَعْ هجوَ هؤلاء النساء الضعاف لا أدعْ هجوَ الرجال المضيِّعين ، وذمَّهم على فعلهم . فالمضاف محذوف فى الموضعين . وتقديرُ حذفِ المبتدأ غير ممتنعٍ هنا ، وقد حُذف المبتدأ من الصِّلة ، نحو قول عدى : ٥٦١

لم أرَ مِثْلَ الفِتيان فى غَبَنِ الـ أيَّامِ يَنْسَوْنَ ما عَواقِبُها

أى ما هو عواقبها ، فحذف . وكذلك يمكن أن يكون قوله :

* ألا ليتَمَا هـذا الحَمامُ لنـا *

وقد يستقيم أن تكون الصلة من أناس ، فتكون مستقلّة . وإن لم تقدِّر حذفَ المبتدأ فيكون التقدير على أحد أمرين : إمَّا أن يكون اللواتى من نساء أناس ، فحذف المضاف ، أو يكون اللواتى من أناسٍ عَلَى ظاهره ، لا تقدِّر

---

(١) ديوان الكميت ٢ : ١٣٠ وفصل المقال ٢٩٥ .
(٢) الذى فى الرضى ٢ : ٥٧ : « ويجوز قليـلا حذف صلة الموصول الاسمى غير الألف واللام اذا علمت » . ثم أنشد هذا الشاهد .
(٣) ط : « يحمى » ، وأثبت ما فى ش .

فيه حذفا، فيكون معنى قوله فى النساء هنّ من أناس، عَلَى معنى أنّهم يقومون بهنّ وبالإنْفاق عليهن . وأمّا صلة الذين فمحذوفٌ من اللفظ للدلالة عليها فيما جرى من ذكرها، تقديره : الذين أضاعوهنَّ . ا هـ

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (فى أمثاله) وقال : الذين ههنا لا صلة لها . والمعنى إنْ أدعْ ذكر النساء فلا أدع الذين ، يريد الرّجال ، أى إنّى إن تركت شتم النساء فلا أتركُ شتم الرجال . ا هـ

وأورده أبو بكر بن السّراج أيضاً (فى أصوله) قال : إنّ الكوفيين يقولون : إنّ العرب إذا جعلت الذى والتى لمجهولٍ مذكّر أو مؤنث ، تركوه بلا صلة ، نحو قول الشاعر :

فإنْ أدعِ اللواتى مِنْ أناسٍ . . . البيت

و (لا أدع) جوابُ الشرط ، ولهذا جزم ، وكسرة العين لدفع التقاء الساكنين .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للكميت بن زيد ، هجا بها قحطان ، أعنى قبائل اليمن ، تعصُّباً لمضر .

وتقدّم سببُ هجوه لأهل اليمن بهذه القصيدة فى الشاهد الرابع والعشرين[1] ، وتقدم أيضاً بعضُ من هذه القصيدة مع ترجمة الكميت فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[2] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٩ – ١٨١ .
(٢) الخزانة ١ : ١٤٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة[١] :

٤٤٩ (دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأناملُ)

على أنّ تصغير دويهية للتعظيم، فإنّه أراد بها الموت ، ولا داهية أعظم منها، والتصغير غير مناسب لذكر الموت.والدليل على أنّه أراد بها الموت قوله: تصفرُّ منها الأنامل .

والمراد من الأنامل الأظفار ، فإنّ صُفرتها لا تكون إلا بالموت . وقال الطوسيُّ (فى شرح ديوان لبيد) : إذا مات الرجل أو قُتل اصفرّت أناملُه واسودّت أظافره .

ولم يرتضه الشارح المحقق (فى شرح الشافية) فإنّه قال : قيل: مجىء التصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية؛ لأنّ الشىء إذا جاوز حدّه جانَسَ ضِدّهُ . وقريبٌ منه قولُ الشاعر :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخُل بينهم   دُويهيَة تصفرُّ منها الأناملُ

ورُدّ بأنّ تصغيرها على حسب احتقار الناس لها، وتهاونهم بها؛ إذ المرادُ بها الموت ، أى يجيئهم[٢] ما يحتقرونه مع أنّه عظيم فى نفسه تصفرّ منه الأنامل. واستدلّ بقوله :

فُوَيقَ جُبيلٍ سامِقِ الرأس لم تكنْ   لتبلغَه حتّى تَكِلّ وتَعملا[٣]

(١) ديوان لبيد ٢٥٦ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٢٥ : ٤٩ ، ١٣١ والانصاف ١٣٩ وابن يعيش ٥ : ١١٤ وشرح شواهد الشافية ٨٥ وشرح شـــواهد المغنى ٥٥ ، ١٣٧ ، ١٨٢ والعينى ٤ : ٥٣٥ والهمع ٢ : ١٨٥ والأشمونى ٤ : ١٥٧ .

(٢) ش : « يحسنهم » ، صوابه فى ط وشرح شواهد الشافية .

(٣) لأوس بن حجر فى ديوانه ٨٧ . وهو من شواهد ابن يعيش ٥ : ١١٤ .

٥٦٢ وردّ بتجويز كون المراد دقّة الجبل وإن كان طويلا ، وإذا كان كذا فهو أشدّ لصعوده . اهـ

وكذلك الجاربَرْدىّ لم يرتضِه، وأوّله بوجهين : أحدهما أنّ التصغير فيه لتقليل المدّة . وثانيهما بأنّ المراد أنّ أصغر الأشياء قد يُفسد الأمورَ العظائم ، فحتف النفوس قد يكون بالأمر الصغير الذى لا يُؤْبَه به .

وقال القالى[1] (فى شرح اللباب) : هذا على العكس ، كتسمية اللّديغ سليماً ونظائره ، إطلاقاً لاسم الضِّدّ على الضِّدّ .

وقد أورده المرادى (فى شرح الألفية) بأنّ الكوفيين استدلوا به على مجيء التصغير للتعظيم .

وأنشده ابن هشام فى أربعة مواضع (من المغنى) فى أمْ ، وفى ربّ ، وفى كلّ ، وفى حذف الصلة من الباب الخامس .

و (الداهية) : مصيبة الدّهر ، مشتقة من الدّهْى ، بفتح الدال وسكون الهاء ، وهو النُّكْر ، فإن كلّ أحد ينكرها ولا يقبلها. ودهاهُ الأمر يَدْهاهُ ، إذا أصابه بمكروه . ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) :

* خُوَيْخِيَة تصفرّ منها الأناملُ *

وقال: الخُوَيْخِيَة : الدّاهية ، وهى بخاءين معجمتين: مصغر الخَوْخة بالفتح، وهى الباب الصغير .

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، صوابه ما أثبت . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

ورواها الطوسى أيضا عن أبى عمرو ، وقال : يقول : يَنْفَتِحُ عليهم بابٌ يدخل منه الشر .

و (سوف) هنا للتحقيق والتأكيد .

والبيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصحابى ، وتقدمت ترجمتُه مع شرح أبيات منها فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة[1] . صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسينَ بعد الأربعمائة[2] :

٤٥٠ قولَ المتنبى :

(بئسَ الليالِى سَهِدتُ مِنَ طَرَبى)

هذا صدر ، وعجزه :

(شوقاً إلى من يبيتُ يَرقُدها)

عَلَى أنه يخرَّج بحذف الموصول ، والتقدير : بئس الليالى التى سهدت ، قياساً على تخريج الكوفيِّين قولَه تعالى: ﴿ وما مِنّا إلا له مَقَامٌ معلوم[3] ﴾، أى إلاّ من له مقام ، فإنّ الموصول يجوز حذفه عندهم .

وقد ارتضاه الشارح المحقِّق[4] ، وأشار إليه الواحدىُّ فى شرحه بقوله : يريد الليالى التى لم يَنَمْ فيها ، لما أخذه من القلق وخِفَّة الشوق إلى الحبيب الذى كان يرقُد تلك الليالى .

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ١٨٥ ودلائل الاعجاز ٣٠٤ .

(٣) الآية ١٦٤ من سورة الصافات .

(٤) المحقق ، ساقطة من ش .

وخرّجه ابن الشجرى[1] (فى أماليه) على حذف الموصوف ، أى ليالٍ سهدت . وهذا خاصٌّ بالشعر ؛ لأنّ الموصوف بالجملة أو الظرف إنما يجوزُ[2] حذفُه إذا كان بعضاً من مجرور بمِنْ أو فى قال ابن الشجرى : ومما أهملوا، مفسِّرو شعرِ أبى الطيِّب المتنبِّى ، تعريبَه قوله :

بئس الليالى سَهِدْتُ من طربى ... البيت

يتوجَّه فيه السؤال عن المقصود فيه بالذّم ، وما موضع من طربى من الإعراب ، وما الذى نصب شوقاً ، وكم وجهاً فى نصبه ، وبم يتعلق إلى ، وكم حَذفاً فى البيت ؟

فأمّا المقصود بالذم فمحذوف ، وهو نـكرةٌ موصوفة بسهدت ، والعائد إليه من صفته محذوفٌ أيضًا ، فالتقدير : ليالٍ سهدت فيها . ونظير هـذا الحذف فى قوله تعالى : ﴿ ومِنْ آياتِه يريكُمُ البَرْقَ [3] ﴾ . التقدير : آيةٌ يريكم البرقَ فيها . وجاء فى الشعر حذفُ النـكرة المجرورة الموصوفة بالجملة ، فى قوله :

* جادت بكَفَّىْ كانَ مِنْ أرْمَى البَشَرْ *

أراد: بكفَّىْ رجل، فحذف رجلاً وهو ينويه. وقوله «من طربى» مفعول له، ومن بمعنى اللام ، وشوقا يحتمل أن يكون مفعولا من أجله عمل فيه طربى[4] فيكون الشوق عِلةً للطرب ، والطرب عِلّةً للسُّهاد . ولا يعمل سهدتُ فى شوقاً ، لأنّه قد تعدّى إلى علّةٍ فلا يتعدّى إلى أخرى ٥٦٣

(١) هذا النص التالى لابن الشجرى ساقط من النسخة المطبوعة من الأمالى ، ولم أعثر عليه فيها .

(٢) ط : « جوز » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) الآية ٢٤ من سورة الروم .

(٤) الكلام بعده الى كلمة « بعاطف » ساقط من ش .

إلاّ بعاطف كقولك: سهدتُ طربًا وشوقا . ويحتمل أنْ ينتصب شوقًا انتصابَ المصدر ، كأنّه قال : شُقت شَوقا أوشاقنى التذكُّر شوقا . وشُقْت بالبناء للمفعول، كقول الملوك: قد بُعْت،أى باعنى مالكى. فأمّا « إلى »فالوجه أن تعلّقها بالشوق ، لأنّه أقربُ المذكورين إليها ، وإن شئت علّقتها بالطّرب ، وذلك إذا نصبتَ شوقا بطربى . فإن نصبتَه على المصدر امتنع تعليق إلى بطربى ؛ لأنّك حينئذ تَفصل شَوقًا وهو أجنبىٌّ بين الطّرب وصلته . وكان الوجه فى يرقدها يرقد فيها ، كما تقول : يوم السبت خرجت فيه، ولا تقول خرجته ، إلاّ على سبيل التوسّع فى الظرف، تجعله مفعولا به . ففى البيت أربعة حذوف :

الأوّل : حذف المقصود بالذمّ ، وهو ليال .

والثانى : حذف فى من سهدت فيها ، فصار سهدتّها .

والثالث : حذفُ الضّمير من سهدتها .

والرابع : حذف فى مِنْ يرقدها .

وقد روى : « سَهِدتُّها طربًا » .

وقد فرّق بعضُ اللغويين بين السُّهاد والسّهر ، فزعم أنّ السُّهاد للعاشق واللديغ ، والسهر فى كلّ شىء . وأنشد قول النابغة :

* يسهّدُ فى لَيل التمامِ سَليمُها[1] *

وقول الأعشى :

* وبتُّ كما باتَ السّليمُ مُسهَّدَا[2] *

(١) عجزه فى ديوان النابغة ٥١ :
* لحلى النساء فى يديه قعاقع *

(٢) صدره فى ديوان الأعشى ١٠١ :
* ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا *

والطرب: خفّةٌ تُصيب الإنسان لشدة سرور أو حُزن . اهـ .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للمتنبّى قالها فى صباه، مدحًا فى محمد بن عبد الله العَلوىّ.

أبيات الشاهد — وهذه أربعةُ أبياتٍ من مطلعها :

(أهلاً بدارٍ سباكَ أغيَدُها
أبْعَدُ مابانَ عنك خُرَّدُها

ظَلْتَ بها تَنطوِى على كبدٍ
نَضيجةٍ فوقَ خِلْبِها يدُها

يا حادِيَىْ عِيسِها وأحسَبُنى
أُوجَدُ ميتًا قُبيلَ أفقدُها

قِفا قليلاً بها علىّ فلا
أقلَّ مِنْ نظرةٍ أُزوَّدُها)

نصب أهلاً بمضمر، تقديره: جعل الله تعالى بتلك الديار أهلاً. وإنما تكون مأهولةً إذا سُقِيت الغيث، فينبت الكلأُ ، فيعود إليها أهلُها . وهو فى الحقيقة دعاء لها بالسَّقى . والأغيَد : الناعم البدَن ، وأراد جارية ، وذكّر اللفظ لأنه عنى الشخص . والخُرَّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تُمسس . وأبعدُ مبتدأ وخُرَّدها الخبر ، أى أبعد شىء فارقك جَوارِى هذه الدار .

وقوله « ظَلْتُ بها تنطوى » إلخ ، يريد ظَلِلت فحذف إحدى اللامين تخفيفا . يقول : ظَلِلتَ بتلك الديار تنثنى على كبدك ، واضعًا يدَك فوق خِلْبها . والمحزون يفعل ذلك كثيراً ، لما يجد فى كبدهِ من حرارة الوجد ، يخاف على كبدهِ تنشقّ ، كما قال الصِّمَّة القُشَيرى[1] :

---

(١) ط : « القسرى » ، صوابه فى ش . والبيت فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٢١٨ .

وأذكرُ أيّامَ الحِمى ثم أنثنى على كبدى من خشيةٍ أنْ تقطّعا

والانطواء كالانثناء . والنَّضِج لليد ، ولكن جرى نعتا للكبد لإضافة اليد إليها . وجعل اليد نضيجة ، لأنه أدام وضعَها على الكبد ، فأنضجَتْها بما فيها من الحرارة ، ولهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمِّى الشىء باسم غيره إذا طالت صُحبتُه إيّاه ، كقولهم لفناء الدار : العَذِرة . وإذا جازت هذه التَّسمية كانت الإضافة أهونَ ، فلطُولِ وضع يدهِ على كبده أضافها إليها ، كأنَّها لها ، لأنَّها لم تزلْ عليها . والخِلْب : غشاء للكبد رقيق لازبٌ بها .

وارتفع يدها بنضيجة ، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل . ويجوز أن تكون نضيجة من صفة الكبد وتمَّ الكلامُ ، ثم وضع اليد على الكبد ، والأوَّل أجود . كذا فى شرح الواحدى . ٥٦٤

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى الباب الثالث من المغنى) وقال : يحتمل قول المتنبى يذكُر دارَ المحبوب : ظَلْتَ بها تنطوى البيت ، أن تكون اليد فيه فاعلة بنضيجة ، أو بالظرف ، أو بالابتداء . والأوّل أبلغ ، لأنَّه أشدُّ للحرارة . والخِلْب : زيادةُ الكبد ، أو حجاب القلب ، أو ما بين الكبد والقلب. وأضاف اليد إلى الكبد للملابسة بينهما ؛ لأنَّهما فى الشخص . اهـ .

وقوله « ياحاديَىْ عِيسِه » البيتين قال الواحدىّ : دعا الحاديَين ، ثُمَّ ترك مادعاهما إليه حتى ذكره فى البيت الذى بعده وأخَذَ فى كلام آخر . وتسمِّى الرواةُ هذا الالتفاتَ ، كأنّه التفتَ إلى كلامٍ آخر .

أقول : هذا اعتراضٌ ، وليس من الالتفات فى شىء .

وأراد قُبَيل أنْ أفقدَها ، فلما حَذف أنْ عاد الفعلُ إلى الرفع . وقال

للحاديين اللذَين يحدُوان عِيرها : احتبساها علىّ زمانًا قليلا لأنظرَ إليها وأتزوّدَ منها نظرة ، فلا أقلّ منها . ومن رفع أقلّ جعله بمنزلة ليس . وضمير بها يجوز أن يعود إلى العيس وإلى المرأة .

وقريبٌ من هذا فى المعنى قولُ ذى الرمّة :

وإن لم يكنْ إلاَّ تعلُّلَ ساعةٍ قليلٌ فإنّى نافعٌ لى قليلُها

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى المغنى) على أنَّ لا فيه نافيةٌ للجنس عاملةٌ عمل إنّ . ويجوز رفع أقلُّ على أن تكون عاملة عملَ ليس .

وترجمة المتنبى قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(لَعَمْرِى لأنْتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه وأقْعُدُ فى أفيائه والأصائِل)

على أنّ فيه حذف موصول عند الكوفيّين، والتقدير: لأنت البيتُ الذى أكرم أهله .

وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد الثامن عشر بعد الأربعمائة[2]

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ .

(٢) أنظر الخزانة ٥ : ٤٨٤ ــ ٥٠٣ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » ، تحريف . والى هنا ينتهى الجزء الثانى من الخزانة من تقسيم الطبعة الأولى طبعة بولاق .

أول الجزء الثالث
من طبعة بولاق
٣ : ٢ بولاق

باب الحكاية بمن وما وأى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[١] :

(أتَوْا نارِى فقُلْتُ : مَنُونَ أنتمْ
فقالوا : الجِنُّ ، قلتُ : عِمُوا ظلاما)

على أنَّ يونس يجوِّز الحكاية بمَنْ وصلا ، كما فى البيت .

قال سيبويه : وأمَّا يونس فإنه يقيس مَنَهْ على أيَّةٍ فيقول : مَنَةٌ ومَنَةً ومنةٍ إذا قال، يافتى . وهذا بعيد، وإنما يجوز عَلَى قول شاعر قاله مرَّة فى شعر ثم لم يُسمَع بعد :

أتوا نارى فقلت : منون أنتم . . . . . البيت

وزعم يونس أنه سمع عربياً[٢] يقول : ضربَ مَنٌ مَنَاً . وهذا بعيدٌ لاتتكلَّم به العرب ، ولاتستعمله ناس كثير[٣] ، وكان يونس يقول : لايقبل هذا كلُّ أحد ، فإنَّما يجوز مَنُون يافتى على هذا . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٢ . وانظر نوادر أبى زيد ١٢٣ والمقتضب ٢ : ٣٠٧ والجمل ٣٢٠ والخصائص ١ : ١٢٩ وابن يعيش ٤ : ١٦ والمقرب ٦٥ والعينى ٤ : ٤٩٨ ، ٥٥٧ والتصريح ٢ : ٢٨٣ والهمع ٢ : ١٥٧ ، ٢١١ والأشمونى ٤ : ٩٠ ، ٢٢٠ .

(٢) فى سيبويه : « أعرابيا » .

(٣) سيبويه : « ولا يستعمله منهم ناس كثير » .

قال النحاس : وهذا عند سيبويه ردىء ، لأنّ هذه العلامة إنّما تقع فى الوقف ولا تقع فى الوصل ، فلما اضْطُرَّ أجْراه فى الوصل عَلَى حالِهِ فى الوقف .

وأنشد أبو الحسن بن كيسان :

أتَوا نارى فقلت مَنُونَ قالوا
سَراةُ الجنِّ قلت عِمُوا ظَلاما

وقال : إنما حكى كيف كان كلامُه وجوابه . انتهى .

وهذه الرواية هى رواية أبى زيد (فى نوادره) كما يأتى . فنى الرواية الأولى شذوذانِ كما فى المفصل : إلحاق العلامة فى الدَّرْج ، وتحريك النون . وفيه أيضاً كما قال ابن الناظم (فى شرح الألفية) أنه حكى مقدراً غير مذكور . وفى الثانية شذوذٌ واحد ، وهو تحريك النون . قال ابن جنى (فى الخصائص): من رواه : «منُونَ قالوا» فإنّه أجرى الوصل مجرى الوقف . فإن قلت : فإنَّه فى الوقف إنما يكون « مَنُونْ » ساكن النون[1] وأنت فى البيت قد حرَّكته . فهذا إذن ليس عَلَى نيّة الوقف ولا على نيّة الوصل. فالجواب : أنّه إنّما أجراهُ فى الوصل عَلَى حدِّه فى الوقف ، فلما أثبت الواوَ والنون التقيا ساكنين ، فاضْطُرَّ حينئذٍ إلى أنْ حَرّكَ النون لإقامة الوزن . فهذه الحركة إذن إنما هى حركةٌ مستحدثة لم تكن فى الوقف ، وإنّما اضْطُرّ إليها فى الوصل . وأمّا من رواه : «منون أنتم» فأمره مشكل. وذلك أنّه شبَّه مَنْ بأىّ فقال :منون أنتم ،عَلَى قوله : أيُّونَ أنتم . فكما حُمِلَ ههنا أحدهما عَلَى الآخر كذلك جمع بينهما ، فى أنْ جُرِّد من الاستفهام كل منهما . ألا ترى إلى حكاية يونس عنهم : ضرب مَنٌ منًا ، كقولك : ضرب رجلٌ رجلا . انتهى .

---

(١) ش : « انما يكون ساكن النون » ، صوابه فى ط والخصائص .

وقوله: (أتوا نارى فقلت) إلى آخره، الفاء عطفت جملة قلتُ عَلَى أتوا . وهى للترتيب الذِّكرى ، وهو عطفُ مفصَّل عَلَى مجمل ، نحو : ﴿ فأزلَّهُما الشيطانُ عنها فأخرجَهُما ممَّا كانا فيه[1] ﴾ . وجملة منون أنتم من المبتدأ والخبر محكيَّة بالقول . و (مَنُون) إمَّا مبتدأ وأنتم خبره أو بالعكس . والفاء من (فقالوا) عطفت مدخولها عَلَى قلت . و (الجنّ) خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن الجن . والجملة محكيَّة بقالوا . وكذلك عَلَى الرواية الثانية : « فقلت منون قالوا سَراةُ الجن » أى نحن أشرافُها . وهو بفتح السين جمع سَرِىّ عَلَى ماقيل بمعنى الشريف . وكذلك مَنون عَلَى تقدير منون أنتم . قال الجوهرى : « عِمُوا صباحًا : كلمة تحية » . قال ابن السيرافى : وإنما قال لهم : عموا ظلامًا لأنهم جنٌّ، وانتشارهم بالليل ، فناسب أن يذكر الظلام، كما يقال لبنى آدم إذا أصبحوا : عموا صباحا .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى عِمُوا انعَموا ، يقال عِمْ صباحًا بكسر العين وفتحها . ويقال وعم يعم من باب وعَد وومِق . وذهب قومٌ إلى أنّ يعم محذوفةٌ ينعم. وقالوا: إذا قيل عَمْ بفتح العين فهو محذوف من انعَمْ المفتوح. وإذا قيل عِم بكسر العين فهو محذوف من ينَعِم المكسور العين. وحكى يونس أنّ أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة :

* وعمى صباحا دارَ عبلة واسلمى *

فقال : هو من نَعِم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كثر زَبَده ، كأنّه يدعو له بالسُّقيا وكثرة الخير .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة البقرة .

وقال الأصمعيُّ والفراء فى قولهم : عم صباحا: إنّما هو دعاء بالنعيم والأهل. وهذا هو المعروف، وماحكاه يونس نادر غريب . و (ظلاما) : ظرف ، أى انعموا فى ظلامكم ، أو تمييز والأصل لينعم ظلامُكم ، فحوّل إلى التمييز . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : ظلامًا تمييز ، أي نعِمَ ظلامُكم ، كما تقول : أحسن الله صباحك . ولا يحسن أن يكون ظرفا ، إذ ليس المراد أنّهم نعموا فى ظلام ولا فى صباح ، وإنّما المراد أنه نعِمَ صباحُهم ، وإذا حسُن صباحهم كان فى المعنى حُسنهم .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات أربعةٍ رواها أبو زيد (فى نوادره) ونسبها لشُمَير بن الحارث الضبى ، مصغَّر شِمْر بكسر المعجمة . قال أبو الحسن فيما كتبه عَلَى نوادر أبى زيد : سُمير المذكور ، بالسين المهملة . وهى هذه :

(ونارٍ قد حضأتُ لها بليلٍ
بدارٍ لا أريد بها مُقاما

سوى تحليلِ راحلةٍ وعَينٍ
أكالئُها مخافةَ أن تناما

أتَوْا نارى فقلتُ منونَ قالوا
سَراةُ الجنِّ قلت عِمُوا ظلاما

٤ فقلت : إلى الطَّعام ، فقال منهمْ
زعيمٌ : نحسُد الإنسَ الطّعاما)

وزاد بعده غيرُهُ بيتًا آخر ، وهو :

(لقد فُضِّلتم بالأكل فينا ولكنْ ذاكَ يُعقِبكم سَقاما)

وزادَ بعضهم بعده :

(أمِطْ عنّا الطعام فإنّ فيــــه
لآكِلِه النقّاصـــــةَ والسّقاما)

قال السكرىُّ فيما كتبه هنا : حضأتُ أى أشعلت وأوقدت ، يقال فى تصريفها حضأت النارَ أحضؤها حَضْئًا ، وهو بالحاء المهملة والضاد المعجمة . والهمزة واللام فى لها زائدة ؛ لأنّ حضأت متعدّ . وروى ابنُ السِّيد وغيره :

* ونارٍ قد حضأتُ بُعيدَ وَهْنٍ *

وقال : الوهن والموهن : نحوٌ من نصف الليل . والذى ذكره الأصمعىُّ أنّ الوهن هو حين يُدبر الليل . وهذا يدلّ له الاشتقاق . فالمجرور بواو ربَّ فى محل نصب عَلَى المفعول بحضأت .

وقوله : « سوى تحليل راحلة » قال السكرى : أراد: سوى راحلةٍ أقمت فيها بقدر تَحِلّة اليمين. وروى غيره : « سوى ترحيل راحلة » . قال ابن السِّيد: ترحيل الراحلة : إزالة الرحل عن ظهرها . والرحل للإبل كالسَّرج للخيل . والراحلة : الناقة التى تُتَّخذ للركوب والسّفر ، سمِّيت بذلك لأنها ترحل براكبها . وأكالئها : أحرسها وأحفظها لئلا تنام . قال ابن السِّيد : وكان المفضّل يروى: « وعيرٍ أكالئها » بالراء بدل النون ، وقال: العَيْر : إنسان العين . قال ابن هشام اللخمى بعد هذا : وهذه هى الرواية الصحيحة . وعير تُؤنَّث عَلَى المعنى ، لأنها عين ، وتذكَّر . ومخافة مفعول لأجله .

وقوله : « فقلت إلى الطعام » إلى متعلقة بفعل محذوف ، أى هلمُّوا إليه . وأورده الزمخشرى فى : (أول الكشّاف) على أنّه حذفَ متعلّق الجار من

بسم الله الرحمن الرحيم ، كما حذف متعلق إلى الطعام ، وهذا المحذوف فى حكم الموجود ، والمجموعُ محكىٌّ بالقول .

وقول ابن السِّيد: هذا الفعل المحذوف فى حكم الظاهر، فلذلك لم يكن له موضع من الإعراب ، لا يظهر لتعليله وجهٌ .

وقال ابن خروف : يجوز أن تكون إلى اسم فعل. وجَزم اللخمىُّ بأنّ إلى هنا إغراء .

وفسّروا الزّعيم بالرئيس والسَّيِّد ، وقال بعضهم : الزعيم بمعنى القائل ، كما تقول زعم زاعمٌ أى قال قائل، ولامعنى للسيِّد هنا. وزعيمٌ فاعل. قال. وروى بدل زعيم «فريق » ، و«منهم» كان فى الأصل وصفَه فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . وقوله « نحسد » إلخ يروى بالنون ، فالجملة مقول القول . ويروى بالمثناة التّحتية فالجملة صفةٌ لزعيم ، فيكون البيت الذى بعده مقول القول . والأنَس يروى بفتحتين ، وبكسرة فسكون ، ومعناهما البشَر .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : الطعام : مفعول ثان ، إما على تقدير حرف خفض ، أى نحسد الإنس على الطعام . وإمّا على أنّه متعدٍّ بنفسه من أصله ، كقوله : استغفرت الله الذنب(١) ، ومن الذنب . وقال اللخمى : الطّعام مفعول ثان على إسقاط حرف الجر ، أى نحسد الإنسَ فى الطعام .

وقال الأندلسى : الأولى تقديره بعلى ، لأنّه يقال حسَدته على كذا . وقد ورد قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حَسَدَ إلاَّ فى اثنتين » يجوز أن يكون ٥ أقام بعضَ حروفِ الصفات مقامَ الآخر . ويؤيِّده قول الجوهرى : « حسدتُك على الشىء وحسدتك الشىء بمعنى » .

---

(١) شاهده قول القائل ، وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ١٧ :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه ... رب العباد اليه الوجه والعمل

وقوله « لقد فُضِّلتم » بالبناء للمفعول ، وفينا بمعنى علينا .

وقوله «أمِطْ عَنا» إلخ أى أزِلْه عنا. و«النَّقاصة» بالفتح،هو مصدر كالنَّقْص بالنون والقاف والصاد المهملة[1] .

ذكر فى أبياته أنّ الجن طرقته وقد أوقدَ ناراً لطعامه ، فدعاهم إلى الأكل منه فلم يجيبوه ، وزعموا أنَّهم يحسدون الإنسَ فى الأكل ، وأنَّهم فضلوا عليهم بأكل الطعام ، ولكنَّ ذلك يُعقبهم السَّقام .

وقوله :

* لقد فُضِّلتم بالأكل فينا *

ظاهره أنّ الجن لا يأكلون ولا يشربون. وقال ابن السيرافى :قال زعيمهم: نحسد الإنس على أكل الطعام والالتذاذ ، وليس من شأننا أنْ نأكل ما يأكله الإنس .

وقال ابن المستوفى : لم يُرد أنَّ الجنّ لا تأكل ولا تشرب ، وإنمَّا أراد أنَّ طعامَ الإنس أفضلُ من طعام الجنّ .

وهذان القولان خلافُ الظاهر . ويؤيِّد ما قلنا قولُ ابن خروف (فى شرح أبيات سيبويه) : قوله لقد فُضِّلتم بالأكل فينا ، مخالفٌ للشَّرع ، لأنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الجنّ تأكل وتشرب . وفى (آكام المرجان فى أحكام الجان) ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى الشامى، وقد صنفه كما قال

(١) لم يرد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة : والمعروف النقص ، والنقصان ، والنقيصة .

الصفدى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة : وقد[١] اختلف العلماء فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنّ جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون[٢] .

وهذا قول ساقط .

ثانيها : أنّ صنفاً منهم يأكلون ويشربون ، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون .

ثالثها : أنّ جميع الجن يأكلون ويشربون .

فقال بعضهم : أكلهم وشربهم تشمّمٌ واسترواح ، لا مضغ وبلع . وهذا لا دليل له . وقال آخرون : أكلهم وشربهم مَضغ وبلع ، ويدلُّ لهذا حديث أميّة بن مخشىّ [٣] ، من رواية أبى داود : « ما زال الشيطانُ يأكل معَه فلما ذكرَ الله تعالى استقاء ما فى بطنه » . وفى الصحيحين أنّ الجن سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الزاد ، فقال : « كلُّ عظمٍ ذُكر اسمُ الله عليه يقع فى يد أحدهم أوفَر ما يكون لحماً ، وكل بعر عَلفٌ لدوابّهم » . وفى حديث يزيد بن جابر قال : « مامِنْ أهل بيتٍ من المسلمين إلاّ وفى سقفِ بيتهم من الجنِّ من المسلمين ، إذا وُضع غَدَاؤهم نزلوا فتغَدَّوْا معهم ، وإذا وُضِع عَشاؤهم نزلوا فتعشَّوا معهم ، يدفع الله بهم عنهم » .

---

(١) ش : « قد » بدون واو .

(٢) الكلام بعده الى « أن جميع الجن يأكلون ويشربون » ساقط من ش .

(٣) الاصابة ٢٥٨ . وحديثه فى سنن أبى داود ٣ : ٣٤٧ برقم ٣٧٦٨ .

والجنّ على مراتب، قال ابن عبد البر : إذا ذكروا الجنّ خالصاً قالوا: جنّىّ .فإن أرادوا أنه ممن يسكُن مع الناس قالوا : عامر ، والجمع عُمّار . فإنْ كان ممّا يَعرِض للصِّبيان قالوا : أرواح . فإنْ خَبُث ولؤم قالوا : شيطان . فإن زادَ على ذلك فهو مارد . فإنْ زاد على ذلك وقوىَ أمرُه قالوا : عِفريت .

وقال ابن عقيل:الشياطين : العُصاة من الجنّ ، وهم من ولد إبليس،والمرَدةُ أعتاهم وأغواهم ، وهم أعوان إبليس .

وقال الجوهرى : « كلُّ عاتٍ متمرِّد من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان » .

وقال ابن دريد : الجنُّ خلاف الإنس . ويقال جَنّه الليل وأجَنّه ، وأجَنَّ عليه وغطّاه فى معنىً واحد ، إذا ستره. وكلّ شىء استتر عنك فقد جُنَّ عنك. وبه سمِّيت الجنّ . وكان أهل الجاهلية يسمُّون الملائكة جنًّا لاستتارهم عن العيون . قالوا : والحِنّ بالحاء المهملة زعموا أنه ضربٌ من الجن. وقال أبو عُمَر الزاهد : الحِنّ : كلاب الجن وسَفِلتهم . والجانُّ : أبو الجن .

قال السهيلى (فى كتاب النتائج[1]) : ومِمّا قدِّم للفَضْل والشرف تَقديمُ الجنّ على الانس ، فى أكثر المواضع ، لأنّ الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتنّ عن الأبصار . قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنّة نَسبا[2] ﴾ ، وقال الأعشى[3] :

(١) لم يذكر فى كشف الظنون ، كما لم يذكر فى الخزانة الا فى هذا الموضع .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الصافات .

(٣) لم يرد البيت التالى فى ديوان الأعشى .

وسَخَّرَ من جنٍّ الملائكَ سبعةً
قِيامًا لديه يَعمـلون بلا أجْرِ

فأما قوله تعالى : ﴿ لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌّ[1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا يُسْئَل عن ذنبِهِ إنسٌ ولا جَانٌّ[2] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنا ظَنَنَّا أنْ لن تقولَ الإنسُ والجِنُّ على الله كذبا[3] ﴾ فإنّ لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة ، لنزاهتهم عن العيوب ، فلمّا لم يتناولهم عمومُ اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ الإنس لفضلهم وكمالهم .

وشمير بن الحارث الضّبي ، ناظمُ هذه الأبيات ، تقدم ذكره فى الشاهد الخامس والستين بعد الثلثمائة[4] .

تتمـــة

قد رُوِى البيتُ الشاهد من قصيدة قافيتها حائيّة . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل للزجاجى) : ذكر أبو القاسم مؤلِّف الجمل أنّ الناس يَغلطون فى هذا الشعر فيَروونه عِمُوا صباحا ، وجعل دليله الأبياتَ الميمية المنقولةَ عن أبى زيد . ولقد صَدَق فيما حكاه ولكنّه أخطأ فى تخطئة رواية من روى : «عِموا صباحا» ، لأنّ هذا الشعْر الذى أنكره وقعَ فى (كتاب خبر سَدّ مأرِب) ونسبَه إلى جذع بن سنان الغَسّانىّ فى حكاية طويلةٍ زعم أنّها جرت له مع الجن . وكلا الشعرين أكذوبة من أكاذيب العرب لم تقع قَطُّ .

---

(١) الآية ٧٤ من سورة الرحمن .
(٢) الآية ٣٩ من سورة الرحمن .
(٣) الآية ٥ من سورة الجن .
(٤) صوابه السادس والستين بعد الثلاثمائة . وانظر الخزانة ٥ : ١٨٢ .

والشعر الذى على قافية [الميم ينسب إلى شُمَيْر بن الحارث ، وينسب إلى تأبّط شَرًّا . وأما الشعر الذى على قافية (١)] الحاء فلا أعلم خلافًا فى أنّه لجذع بن سِنان ، وهو :

أَتَوْا نارى فقلتُ مَنُون أنتم
فقالوا الجِنُّ قلت عِموا صَباحا

نزلتُ بشِعب وادى الجِنِّ لما
رأيتُ الليلَ قد نَشر الجناحا

أتيتهمُ وللأقـــدارِ حَتمٌ
تُلاقى المرء صبحاً أو رَواحا

أتيتهمُ غريباً مستضيفـــا
رأوا قتلى إذا فعلوا جُناحا

أتونى سافرِينَ فقلت : أهـلاً
رأيتُ وجوههم وُسُمًا صِباحا

نحرتُ لهم وقلت : ألاَ هَلُمُّوا
كُـــلوا مما طَهَيْتُ لكم سِماحا

أتانى قاشرٌ وبنــو أبيــه
وقـد جَنَّ الدجا والليلُ لاحا

فنازعَنى الزُّجاجةَ بعـدَ وهْنٍ
مزجتُ لهم بهـا عَسَلا وراحا

وحذّرنى أمـوراً سوف تأتى
أهُزُّ لهـا الصّـوارمَ والرِّماحا

(١) هذه التكملة من ش .

سأمضى للذى قالوا بعزمٍ
ولا أبغى لذلكمُ قِداحا
أساتُ الظن فيه ، ومَن أساهُ
بكلِّ الناس قد لاقى نجاحا
وقد تأتى إلى المرء المنايا
بأبواب الأمانِ سُدًى صُراحا
سيُبقى حكمُ هذا الدهرِ قوماً
ويَهلِك آخرون به ذُباحا
أثعلبةَ بن عمرٍو ليس هذا
أوانَ السَّير فاعتَدَّ السِّلاحا
ألم تعلمْ بأن الذلَّ موتٌ
يُتيح لمن ألمَّ به اجتياحا
ولا يَبقى نعيمُ الدهر إلاّ
لقَرْمٍ ماجدٍ صَدَق الكِفاحا

٧ قال ابن السِّيد : إن قيل كيف جاز أنْ يقول لهم: عِموا صباحا، وهمْ في الليل ، وإنّما يليق هذا الدُّعاء بمن يُلقَى في الصباح . فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنّ الرجل إذا قيل له عِم صباحا فليس المراد أن ينعم في الصباح دونَ المساء ، كما أنّه إذا قيل أرغم الله أنفه، وحيّا الله وجهه، فليس المراد الأنفَ والوجهَ دون سائر الجسم . وكذلك إذا قيل له : أعلى الله كعبك . وإنّما هى ألفاظٌ ظاهرها الخصوص ومعناها العموم . ومثله قولُ الأعشى :

* الواطئين على صدور نعالهم[1] *

والوطء لا يكون على صدور النعال دون سائرها .

والوجه الثانى : أن يكون معنى أنعم الله صباحك: أطلع الله عليك كلَّ صباح بالنعيم ، لأنَّ الصباحَ والظلام نوعان ، والنَّوع يسمى به كلُّ جزء منه بما نسمّى به جملته .

والشعب ، بالكسر : الطريق فى الجبل .

ووُسُما بالضم : جمع وسيم ، وهو الذى عليهِ سمة الجمال . وكذلك الصِّباح بالكسر : جمع صبيح . شبِّه بالصبح فى إشراقه .

وطهيت : طبخْت ، يقال طهيت اللحم وطهوتُه فأنا طاهٍ .

وقوله: «لا أبغى لذلكم قِداحا» أى لا أطلب ضَرب القداح ، لأنَّهم كانوا إذا أرادوا فعلَ أمرٍ ضربوا بالقداح ، فإن خرج القِدح المكتوب عليه : افعلْ ، فَعَلَ الأمر . وإن خرج القِدح المكتوب عليه : لا تفعل ، لم يفعل الأمر .

وقوله : أسأتُ الظن فيه ، يقول :أسأت الظنَّ بضرب القداح والتعويلِ على ما تأمر به وتنهى عنه ، وعلمت أنَّ ما أمرَتْنى به الجنُّ أحرَى أن يُعَوَّل عليه .

وقوله «سُدًّى صُراحًا» ، السُّدى: الإبل المهملة التى لا يردُّها أحد. والصُّراح : الظاهرة .

والذُّبَاح ، بضم الذال المعجمة بعدها موحَّدَة: نباتٌ يقتل مَن أكله . ومَنْ رواه بكسر الذال حمله جمع ذبيح .

(١) عجزه فى الديوان ٩٩ واللسان (دفن) :
* يمشون فى الدفنى والأبراد *

وقولهُ «يُتيح» أى يقدِّر ويَجلب، يقال أتاح الله كذا أى قدّره. وألَّم: نزل .
والاجتياح، بجيم بعدها مثناة فوقية : الاستئصال .

والقَرْم ، بفتح القاف وسكون الراء : السَّيد ، وأصله الفحل من الإبل .
والكفاح، بالكسر : ملاقاة الأعداء . انتهى .

جذع بن سنان

وجذع بن سِنانٍ الغسَّانىّ بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، شاعرٌ جاهلى قديم . وغسَّان : قبيلة من الأزد من قحطان . وجذعٌ خرجَ مع مَن خرجَ من الأزْد قبلَ سيل العرِم وجاءوا إلى الشام ، وكان ملكها إذ ذاك سَليح ، وهم من غَسَّان أيضا ، وقيل من قضاعة . وكانوا يؤدُّون لسليح عن كلّ رجل دينارين ، فجاء عاملُ الملك إلى جذعِ بن سِنانٍ يطلُب الخراج الذى وجَب عليه ، فدفع إليه سيفَه رَهناً ، فقال : أدخله فى حِرِ أمِّك ! فغضب جذعٌ وقدّمه به ، فقيل : « خُذْ من جذعٍ ما أعطاك » وسارت مثلا . تُضرَب فى اغتنام ما يجود به البخيل . وقيل فى سبب المثل غير هذا .

وامتنعت غَسّانُ من هذا الخراج بعد ذلك ووَلُوا الشّام ، كما تقدم شرحُه فى ملوك بنى جفنة[١] .

و(فى العباب) للصّغانى أنّ جذعًا هو جِذع بن عمرو . وهو غلط .

(١) الخزانة ٤ : ٣٨٤ — ٣٩٩ .

باب أسماء الأفعال

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الأربعمائة[1] :

(فداء لك الأقوامُ)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(مهلاً فداء لك الأقوامُ كلُّهمُ ٨
وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولدِ)

على أنّ (فداء) اسم فعل منقول من المصدر . قال صاحب الصحاح : الفِدَا إذا كسر أوله يمدّ ويقصَر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فَدًى لك أبى . ومن العرب من يكسر فداء بالتنوين إذا جاور لامَ الجرّ خاصّة ، فيقول : فداء لك ، لأنّه نكرة ، يريدون به معنى الدعاء . وأنشد هذا البيت للنابغة عن الأصمعى .

وهذا التعليل فيه خفاء . والواضحُ قول أبى علىّ (فى المسائل المنثورة) وقد أنشده فيها قال : بُنى على الكسر لأنه قد تضمّن معنى الحرف ، وهو لام الأمر ، لأنّ التقدير : ليفدك الأقوام كلُّهم . فلمّا كان بمعناه بُنى . وبُنى على الكسر لأنّه وقع للأمر ، والأمرُ إذا حرِّك تحرك إلى الكسر . ونوّنوه لأنّه نكرة . انتهى .

---

(١) ابن يعيش ٤ : ٧٠ ، ٧٣ وديوان النابغة ٢٦ .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : ومنه فداءِ لك ، بالكسر والتنوين ، أى ليفدك . وأنشد البيت .

قال ابن المستوفى : قوله « ومنه » : يريد ماالتزم فيه التنكير ، كإيهاً فى الكف ، وويْها فى الإغراء ، وواهًا فى التعجب . وعقَّبه بقوله : ومنه فداء ، يستعمل مكسورا منوّنا وغيرمنون ، حملا على إيهٍ وإيه . ثم نقل عن الزمخشرى فى حواشيه أنه قال : فداءٌ بالرفع ، عَلَى أنه خبر الأقوام . وفداءِ بالكسر ، لما ذكرنا[1] . وفداءً بالنصب على أنّه مصدر لفعله ، وهو ليفدك الأقوام . ويرفع الأقوام مع كسر فداء بالفاعل أيضاً لأنه أمرٌ لهم بالفداء . يعنى أنّ الأقوام فاعل فداء أيضا فى حالة النصب ، لأنَّه فاعل المصدر ، كما أنه فاعله فى حالة الكسر والتنوين .

وذكر القواس (فى شرح ألفية ابن معطى) أنّ فيه لغات: فدًى بفتح الفاء وضمها مع القصر ، وكسرها مع القصر والمد .

وروى أبو زيد (فى نوادره[2]) قولَ الراجز :

* ويهاً فداءٍ لك يافَضاله *

بالكسر والتنوين . وهذا لافاعل له فى اللفظ ، وإنما الفاعل مفهومٌ من المقام ، أى ليفْدِك الناسُ ونحوه .

وويها : كلمةُ إغراء . وقوله(مهلا) ، بمعنى أمهل وتأنَّ . وقولة (وما أُثمِّر) معطوفة على الأقوام ،وهى موصولة والعائد محذوف ، أى أثمره . وأُثمِّر : أجمع وأصلح . يقال ثمَّرَ فلانٌ مالَه ، إذا أصلحه وجمعه .ومِنْ للبيان .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدحَ بها النعمانَ بنَ المنذر ، وتنصَّل عن ما قذفوه به حتّى خافه وهربَ منه إلى بنى جفنة ملوكِ الشام .

---

(١) ط : « كما ذكرنا » صوابه فى ش .

(٢) نوادر أبى زيد ص ١٣ .

وقد تقدّم شرحُ أبياتٍ كثيرة منها فى باب الحال ، وفى باب خبر كان ، وفى النعت ، وفى البدل وغير ذلك .

قرين الشاهد

وبعد هذا البيت بيتٌ يورده علماء التصريف فى كتبهم ، وهو :

(لاتقذِفنِّى بركنٍ لا كِفاء له
ولو تأثَّفك الأعداءُ بالرِّفَدِ)

وقوله لاتقذِفنِّى ، أى لاتركبنى بما لا أطيق ولا يقوم له أحد . والكِفاء بالكسر : المِثْل . وتأثّفك الأعداء : اجتمعوا حولك واحتوشوك ، فصاروا منك موضعَ الأثافىِّ من القِدر .

وقوله بالرِّفد ، بكسر ففتح : جمع رِفْدة بكسر فسكون ، أى يَرفِد بعضهم بعضاً ، يتعاونون بالنَّمَّام عَلَىَّ ويسعَوْن بى عندك . يقال رفدَ فلانٌ فلاناً يرفِدُه رَفدا ، إذا أعانه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

(كَذبَ العتيقَ وماءَ شَنٍّ بارداً
إن كنتِ سائلتى غَبوقاً فاذهبى)

على أنَّ كذب فى الأصل فعل ، وقد صار اسمَ فعل أمرٍ بمعنى الزم . ٩
لم أرَ مَنْ قال مِن النحويِّين وغيرهم أنَّ كذبَ اسمُ فعلٍ . وهذا شىءٌ

(١) فى كتابه ٢ : ٣٠٢ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٦٠ واللسان (كذب ٢٠٤ عتق ١٠٨) .

انفرد به الشارح المحقق وإنّما ذكروه فى جملة الأفعال التى مُنِعت التصرُّف ، منهم ابن مالك (فى التسهيل) .

وقول الشارح المحقق « إذا رُوِى بنصب العتيق » ، تحقيقٌ لـكونه اسمَ الفعل ، فإنّ أكثر اسم الفعل يكون بمعنى الأمر كما قاله الشارح ، ففاعله مستترٌ فيه وجوبا تقديره أنت ، والعتيقَ مفعوله وماء معطوف على العتيق ، وبارداً صفة ماء . ومفهومه أنّ العتيق إذا رُوِى بالرفع لم يكن كذب اسمَ فعل . ولم يبيِّن حكمه ، وكأنه ترك شرحه لشهرته بمعنى الإغراء .

وفيه أن كذبَ سواءٌ نصبَ مابعده أو رفع ، بمعنى الإغراء كما فى الأمثلة المذكورة فى الشرح ، فجعله مع المنصوب دون المرفوع اسمَ فعل تحكُّمٌ لا يظهر له وجه . على أنّ النصب قد أنكره جماعة وعيَّنوا الرفع ، منهم أبو بكر بن الأنبارى (فى رسالة شرح فيها معانى الـكذب) على خمسة أوجه ، قال[1] :

كذبَ معناه الإغراء ومطالبة المخاطَب بلزوم الشىء المذكور ، كقول العرب : كذبَ عليك العسلُ ، ويريدون كُل العسل . وتلخيصه[2] : أخطأ تاركُ العسلِ ، فغلب المضافُ إليه على المضاف . قال عمر بن الخطاب : « كذبَ عليكم الحجّ ، كذب عليكم العمرةُ ، كذب عليكم الجهادُ ، ثلاثة أسفار كذبنَ عليكم » معناه الزموا الحجّ والعمرةَ والجهاد . والمغرى به مرفوع بكذبَ ، لا يجوز نصبه على الصحّة ، لأنّ كذب فعلٌ لابد له من فاعل ، وخبرٌ لابدَّ له من محدَّث عنه . والفعلُ والفاعل كلاهما تأويلهما الإغراء . ومَنْ زعم أنّ الحجّ والعمرة والجهادَ فى حديث عمر حكمهنّ النصبُ لم يصبْ ، إذ قضى بالخلوّ عن الفاعل . وقد حكى أبو عبيدٍ عن أبى عبيدة عن أعرابىّ ، أنّه نظر إلى ناقةٍ نضوٍ لرجل فقال : كذبَ البَزْرَ والنَّوى . قال أبو عبيد : لم يسمع النصبُ مع كذب فى الإغراء

---

(١) سيذكر هنا الخامس فقط . وانظر ما سيأتى فى ١٩٤ – ١٩٩ .

(٢) التخيص : التبيين والشرح . وهو أيضا الاختصار .

إلا فى هذا الحرف . قال أبو بكر : وهذا شاذٌّ من القول ، خارجٌ فى النحو عن منهاج القياس ، ملحقٌ بالشواذّ التى لا يعوّل عليها ولا يُؤخذ بها . قال الشاعر :

* كَذَبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ *

معناه الزمى العتيق وهذا الماء ، ولا تطالبينى بغيرهما . والعتيقُ مرفوع لاغير . انتهى .

ومن الغريب قولُ ابن الاثير (فى النهاية) فى حديث عمر ، برفع الحج والعمرة والجهاد ، معناه الإغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة . وكان وجهه النصب ، ولكنّه جاء شاذًّا مرفوعا . انتهى .

وقد نقل أبو حيان كلام ابن الأنبارى (فى تذكرته ، وفى شرح التسهيل) وزاد فيه بأنّ الذى يدلُّ على رفع الأسماء بعدَ كذب أنّه يتّصل بها الضمير كما جاء فى كلام عمر : « ثلاثة أسفار كذبن عليكم » . وقال الشاعر :

* كذبتُ عليك لا تزال تقوفنى[1] *

معناه عليكَ بى[2] : فرفع التاء وهى مغرًى بها ، واتصلت بالفعل لأنّه لو تأخر الفاعل لكان منفصلا ، وليس هذا من مواضع انفصال الضمير[3] . انتهى .

---

(١) للقطامى فى اللسان (كذب ، قوف) وليس فى ديوانه . ويروى أيضا للأسود بن يعفر . ط : « تتوقنى » ش : « تبــوقنى » والصواب ما أثبت . وقافه يقوفه مثل قفاه يقفوه ، أى تبعه .

(٢) فى الأصل ، أى النسختين : « عليكنى » ، صوابه من اللسان (كذب ، قوف) . وفى اللسان : « فأغراه بنفسه ، أى عليك بى »

(٣) كلمة « الضمير » ساقطة من ش .

والصحيح جواز النصب ، لنقل العلماء أنّه لغة مضَر ، والرفع لغة اليمن.
ووجهه مع الرفع أنه من قبيل ماجاء لفظ الخبر بمعنى الإغراء كما قال ابن الشجرى (فى أماليه) كتؤمنون بالله ، بمعنى آمنوا بالله . ورحمهُ الله ، بمعنى اللهم ارحمْه، وحسبك زيد ، بمعنى اكتف به . ووجهه مع النصب من باب سِراية المعنى إلى اللفظ[1] فإنّ المغرى به لمّا كان مفعولا فى المعنى اتّصلت به علامةُ النصب ليطابق اللفظ المعنى .

وقال عبد الدائم بن مرزوق القيروانى (فى كتاب حُلَى العُلَى فى الأدب) : إنه يروى العتيق بالرفع والنصب ، ومعناه عليك العتيق وماء شنّ ، وأصله كذب ذاك ، عليك العتيق ، ثم حذف عليك وناب كذب منابه ، فصارت العرب تُغرِى به .

وقال الأعلم (فى شرح مختار الشعراء الستة) عند كلامه على هذا البيت : قوله كذب العتيقُ ، أى عليك بالتمر . والعتيق : التمر البالى . والعرب تقول : كذَبَك التمرُ واللبن ، أى عليك بهما . وبعض العرب ينصب ، وهم مضر ، والرفع لليمن . وأصل الكذب الإمكان . وقول الرجل للرجل : كذبت ، أى أمكنت من نفسك وضَعُفت . فلهذا اتّسع فيه وأغرِىَ به ، لأنه متى أغرى بشىء فقد جعل المغرَى به ممكنا مستطاعاً إن رامَه المغرَى . انتهى .

قال أبو حيان (فى شرح التسهيل) بعد نقله لهذا الكلام : وإذا نصبنا بقِىَ كذبَ بلا فاعل على ظاهر اللفظ ، والذى تقتضيه القواعد أنّ هذا يكون من باب الإعمال ، فكذب يطلب الاسم على أنه فاعل ، وعليك يطلبه على أنه

(١) أصل السراية بالكسر سرى الليل .. وفى اللسان : « ويقل فى المصادر أن تجىء على هذا البناء لأنه من أبنية الجمع . يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السرى والهدى ، وهم بنو أسد ، توهما أنهما جمع سرية وهدية » .

مفعول ، فإذا رفعنا الاسم بكذب كان مفعول عليك محذوفا لفهم المعنى ، التقدير كذب عليكه الحجُّ . وإنما التزم حذف المفعول لأنه مكان اختصار، ومحرَّف عن أصل وضعه ، فجرى لذلك مجرى الأمثال فى كونها يلتزم فيها حالةٌ واحدة يتصرَّف فيها . وإذا نصبنا الاسمَ كان الفاعل مضمراً فى كذب يفسِّره مابعده على رأى سيبويه ، ومحذوفا عَلَى رأى الكسائى . وقال ابن طريف (فى الأمثال) : وكذب عليك كذا ، أى عليك به ، معناه الإغراء ، إلا أنَّ الشيء الذي بعد عليك يأتى مرفوعا . انتهى .

وقد بسط الكلامَ عَلَى هذه الكلمة الزمخشريُّ (فى الفائق) فلا بأس بإيراده هنا ، وإن كان فيه طول . قال فى حديث الحجامة : « فمن احتجم فى يوم الخميس والأحد كذَباك » أى عليك بهما . ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « كذب عليكم الحج » الحديث السابق . وعنه : أنَّ رجلا أتاه يشكو إليه النِّقرس ، فقال : كذبتك الظهائر ، أى عليكَ المشىَ فى حرِّ الهواجر وابتذالَ النفس . وعنه أنَّ عمرو بن معديكرب شكى إليه المَعَص[1] . فقال : كذب عليك العسل ، يريد العَسَلان[2] . فهذه كلمة مشكلة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتّى قال بعض أهل اللغة : أظنُّها من الكلام الذى درجَ ودرج أهُله ومَنْ كان يعلمه . وأنا لا أذكر من ذلك إلاّ قولَ من هِجِّيراه التحقيق[3] . قال أبو على : الكذب ضربٌ من القول، وهو نطق كما أنَّ القول

---

(١) المعص ، بالتحريك : التواء فى عصب الرجل ، ويقال أيضا معصت قدمه : التوت من كثرة المشى . ط : « المغص » صوابه بالعين المهملة كما فى الفائق ٢ : ٤٠٠ وكما فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) العسل والعسلان : ضرب من المشى فيه سرعة : وانظر جمهرة العسكرى ٢ : ١٦٦ .

(٣) الهجيرى : الدأب والشأن والعادة .

نطق . فإذا جاز في القول الذي الكذبُ ضربٌ منه أن يُتّسَع فيه فيُجعل غيرَ نطق ، في نحو قوله :

* قد قالت الأنساع للبَطْن الحَقِ[(١)] *

جاز في الكذب[(٢)] أن يجعل غير نطق ، في نحو قوله :

* كذبَ القراطفُ والقروف *

فيكون ذلك انتفاء لها ، كما أنه إذا أخبر عن الشيء عَلَى خلاف ما هو به كان انتفاء للصدق فيه . وكذلك قوله :

* كذبت عليكم أوعدوني *

معناه : لست لكم ، وإذا لم أكن لكم ولم أُعِنكم كنت مُنابذاً لكم ، ومنتفيةً نُصرتي عنكم . وفي ذلك إغراء منه لهم به .

١١ وقوله « كذب العتيق » ، أي لا وجود للعتيق وهو التمر فاطلبيه ، وإذا لم تجدي التمر فكيف تجدين الغَبوق[(٣)] .

وقال بعضهم في قول الأعرابيّ وقد نظر إلى جملٍ نِضوٍ : « كذبَ عليك القَتُّ والنوى » وروى : « البزر والنوى » ومعناه أنّ القتّ والنوى ذكرا أنك لا تسمن بهما ، فقد كذبا عليك ، فعليك بهما ، فإنك تسمن بهما . وقال

---

(١) ش والخصائص ١ : ٢٣ : « الحق » بدون ياء . وأثبت ما في ط وفائق الزمخشري . وفي اللسان أن « البطن » من الانسان مذكر ، وحكى أبو عبيدة أن تأنيثه لغة .

(٢) ط : « معاندا » ، وأثبت ما في ش والفائق .

(٣) ما بعد « فاطلبيه » الى هنا ليس في فائق الزمخشري ، ولعله سقط من أصوله .

أبو على : فأمّا من نصب البزرَ فإنّ عليك فيه لا يتعلق بكذب ولكنه يكون اسمَ فعل وفيه ضمير المخاطب ، وأمّا كذب ففيه ضمير الفاعل ، كأنه قال : كذب السِّمَن ، أى انتفى من بعيرك ، فأوجِدْه بالبزر والنوى . فهما مفعولا عليك ، وأضمر السِّمن لدلالة الحال عليه فى مشاهدةِ عدَمه .

و (فى المسائل القصريات) : قال أبو بكر فى قول من نصب الحجّ ، فقال كذب عليك الحجَّ : إنه كلامان ، كأنّه قال : كذب ، يعنى رجلا ذمّ إليه الحجّ . ثمّ هيجّ المخاطَب عَلَى الحج فقال : عليك الحج . هذا ، وعندى قولٌ هو القولُ ، وهو أنّها كلة جرت مجرى المثل فى كلامهم ، ولذلك لم تَصرَّف ولزمت طريقةً واحدة فى كونها فعلاً ماضياً معلّقا بالمخاطب ليس إلاّ ، وهى فى معنى الأمر[١] ، كقولهم فى الدعاء : رحمك الله ! والمراد بالكذب الترغيب والبَعث ، من قول العرب : كذَبتْه نفسه ، إذا منّته الأمانىّ وخيّلت إليه من الآمال مالا يكاد يكون ، وذلك مايرغّب الرجلَ فى الأمور ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون فى عكس ذلك : صدقَتْه ، إذا ثبّطتْه وخيّلت إليه العجز[٢] والنَّكَد فى الطلب . ومن ثَمّ قالوا للنفس « الكذُوب » . قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للرجل يتهدَّد الرجل ويتوعّده ثم يكذب ويَكِعُ[٣] : صدقَتْه الكذوبُ ! وأنشد :

فأقبل نحوى عَلَى قُدرة ... فلما دنا صدَقَتْه الكذوبُ[٤]

(١) ش : « الكلام » ، صوابه فى ط والفائق .
(٢) فى الفائق : « المعجزة » .
(٣) يقال كع يكع ويكع ، والكسر أجود ، أى جبن وضعف .
(٤) فى الأصل : « على قدره » ، وأثبت ما فى الفائق .

وأنشد الفراء :

* حتىَّ إذا ماصدَّقته كُذُبُهْ (١) *

أى نفوسه ، جعل له نفوساً لتفرّق الرأى وانتشاره . فمعى قوله كذبك الحج : ليكذِّبك أى ينشِّطك ويبعثك عَلَى فعله .

وأما كذب عليك الحجُّ فله وجهان : أحدهما أن يضمن معنى فعلٍ يتعدّى بحرف الاستعلاء ، أو يكون عَلَى كلامين كأنّه قال : كذب الحجُّ ، عليك الحج ، أى ليرغِّبك الحج وهو واجبٌ عليك . فأضمر فى الأوّل لدلالة الثانى عليه ، ومن نصب الحجَّ فقد جعل عليك اسم فعل كما سبق ، وفى كذب ضمير الحج . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد هو من أبياتٍ سبعة لعنترَة صاحب المعلقة . ورُوِى أيضاً أنه لُخزَز بن لَوْذان السَّدوسى ، وَكلاهما جاهليّان .

قال الصاغانى : وهو موجود فى ديوان أشعارهما(٢) .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتُ عنترة خاطبَ بها امرأته وكانت لاتزال تذكر خيلَه وتلومُه فى فرسٍ كان يُؤثره عَلَى سائر خيله ويَسقيه اللبن :

(لاتذكرى فرسى وما أطعمتُه
فيكونَ جلدُكَ مثلَ جلدِ الأجربِ

---

(١) الكذب ، بضمتين : جمع كذوب . وفى ط : « كذوبه » صوابه فى ش والفائق وتاج العروس (كذب ٤٤٩) ، وهو ما يقتضيه التفسير بعده .

(٢) ديوان عنترة ٢٤ — ٢٥ .

إنّ الغبوق له ، وأنت مَسُوءة
فتأوّهي ما شــئتِ ثم تحوّبي
كذب العتيقُ وماء شَنّ باردٍ
إنْ كنت سائلتى غَبوقًا فاذهبى
إنّ الرجال لهم إليكِ وسيلةٌ
إن يأخذوكِ تكحّلى وتخضّبى
ويكون مركبُك القعودَ وحِدجَه
وابنُ النعامة عند ذلكِ مَرْكَبِى
وأنا امرؤ إنْ يأخــذونىَ عَنوةً
أُقرَنْ إلى شرّ الرّكاب وأُجنبِ
إنى أحاذر أن تقول ظعينتى :
هـــذا غبارٌ ساطعٌ فتلبّبِ)

١٢

وقوله[1]:مثل جلد الأجرب ، أى لاتلومينى فى إيثار فرسى فأبغضَك وأهجرَ مضجعَك وأتحاماك ، كما يُتحامىَ الأجربُ من الإبل ويُبعَد عنها لئلاّ يُعديها . وقيل معناه أضربك فيبقى أثرُ الضَّرب عليك كالجرب . فيكون تهدّدها بالضرب الأليم .

وقوله « إنّ الغبوق له » إلخ الغَبوق : شُربُ اللبنِ بالعشىّ .والعشىُّ: مابين الزوال إلى الغروب ، وقيل من الزوال إلى الصَّباح . ومَسُوءة ، أى آتٍ إليكِ مايسوءكِ بإيثار فرسى عليك . والتأوُّه : التحزُّن ، وأن تقول : آهِ ! توجُّعا . والتَّحوُّب : التوجُّع ، ويقال هو الدعاء على الشىء .

(١) ش : « قوله » بدون واو .

وقوله : (كذب العتيق) إلخ العتيق هو التَّمر القديم . قال الدِّينورى (فى كتاب النبات) : يقال عتق وعُتق بالفتح والضمّ ، إذا تقادم . والعتيق : اسمٌ للتمر عَلَم . وأنشد هذا البيت . و (الشَّنُّ) : القِربة الخلق ، والماء يكون فيها أبردَ منه فى القِربة الجديدة . يقول : عليكِ بالتمر فكليه ، والماء البارد فاشربيه ، ودعينى أوثر فرسى باللبن . وإن تعرَّضتِ لشُرب اللبن فاذهبى . وإنما يتوعَّدها بالطلاق .

وقد أورد سيبويه هذا البيت فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد ، على أنَّه سمع من العرب من ينشده :

إنْ كنتِ سائلتى غبوقاً فاذهبْ

بسكون الباء ، لأنَّهم لم يريدوا الترنم .

وقوله « إن الرجال » الخ ، ويروى « إنَّ العدوّ » . والوسيلة : القربة ، وقيل المنزلة القريبة . قال الأعلم (فى شرح مختار شعر عنترة) : هذا منه وعيدٌ وتخويفٌ أن تُسبَى فيستمتِعَ بها الرجال ، [ولذلك(١)] قال : تكحَّلى وتخضَّبى . والمعنى : إن أخذوك تكحَّلتِ وتخَضَّبتِ لهم ليستمتعوا بك .

وقال ابن الشجرى : أن يأخذوك موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك ، أى لهم قُربةٌ إليك فى أخذهم إياك . قَذَفها بإرادتها أن تؤخذ مسبيَّة .

هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه ، فإنَّ إنْ شرطية لامفتوحة مصدرية ، وقد جَزمت الشَّرطَ والجزاء . وقد غفل عنهما .

---

(١) التكملة من ش .

وقوله : « ويكون » إلخ القَعود بفتح القاف : ما اتخذ من الإبل للركوب خاصّة . والحِدْج ، بكسر المهملة وآخره جيم : مركبٌ من مراكب النساء . وروى بدله « رحله » . وابن النعامة : اسم فرسه . وقيل هو الطريق ، وقيل هو صدر القدم . يقول : إن أخذوكِ حُمِلت سبيةً على قَعود ونجوتُ أنا على فرسى . والمعنى على الثانى والثالث أنّه إن أسِر يمشى راجلاً مُهانا .

وقوله « وأنا امرؤ » إلخ العَنوة بالفتح : القسر والقهر . والرِّكاب : الإبل التى يُحمَل عليها الأثقال . وأقرنْ أى ألصَق بها وأجعلْ مقروناً إليها . وأجنَب : أقاد . يقول : إن أُخذتُ عَنوةً قُرِنتُ إلى شرِّ الإبل وجُنِبتُ كما تُجنب الدابة .

وقوله: « إنِّى أحاذر »الخ الظعينة: الزّوجة مادامت فى الهودج . والتلبُّب: التحزُّم ، أى تحزّمْ للمحاربة . وقيل هو الدخول فى السلاح . وقوله : « هذا غبارٌ » ، يعنى غبار الخيل عند الغارة . والسّاطع : المستطير فى السّماء .

وترجمة عنترة تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين أول الكتاب(١) .

وترجمة ابن لوذان تقدمت أيضاً فى الشاهد العشرين بعد المائة(٢) .

تتمة

١٣ أصل الكذب الإخبار على خلاف الواقع .قال ابن قتيبة : الكذب يكون فى الماضى ، والخُلْف فى المستقبل . قال ابن السِّيد : هذا الأكثر والأشهر . وقد

(١) صوابه « الثانى عشر » . انظر الخزانة ١ : ١٢٨ .
(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٣٢ ــ ٢٣٣ .

جاء الكذب مستعملاً في المستقبل . قال تعالى: ﴿ ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب[١] ﴾
ومن المجاز حديثُ: « صدق الله وكذبَ بطنُ أخيك ». قال صاحب النهاية:
استعمل الكذب ههنا مجازاً ، حيث هو ضدُّ الصدق . والكذب يختصُّ
بالأقوال ، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كاذباً ، لأنَّ الله تعالى
قال : ﴿ فيه شفاء للناس[٢] ﴾ .

وقد ألَّف أبو بكر بن الأنبارى (رسالة في معانى الكذب) قال : الكذب
ينقسم على خمسة أقسام :

إحداهنّ: تغيير الحاكى ما يسمع ، وقوله مالا يعلم نقلاً ورواية[٣] . وهذا
القسم هو الذى يؤثِم ويَهضم المروءة .

الثانى :أنْ يقول قولا يشبه الكذب ولا يقصد به إلاّ الحقَّ ،ومنه حديث
« كذب إبراهيم ثلاث كِذْبات : فى قوله إنى سقيم ، وفى قوله بل فعلَه كبيرهم
هذا ، وفى قوله: سارَة أختى[٤] » ، أى قال قولا يشبه الكذب . وهو صادقٌ فى
الثلاث ، لأنّ معنى إنِّى سقيم : الموت فى عنقى ، ومَن الموتُ فى عنقه سقيمٌ
أبدا . وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، تأويله فعَلَه الكبير إن كانوا ينطقون ،
فهو فى الحقيقة لا يفعل كما لا ينطقون أبدا . وتأويل قوله : سارَة أختى ، هى أختى
فى دينى لا فى نسبى .

الثالث : بمعنى الخطأ ، نحو : أُقدِّر أنَّ فلاناً فى منزله الساعة ، فيقال لقائله:

---

(١) الآية ٦٥ من هود .
(٢) الآية ٦٩ من النحل .
(٣) ط : « رواية » ، صوابه فى ش .
(٤) هو من حديث عبادة بن الصامت ، انظره بتفصيل فى سنن
أبى داود ٢ : ٣٦ فى (باب فيمن لم يوتر) .

صدقت وكذبت . فتأويل صدقت أصبت ، ومعنى كذبت أخطأت . قال ابن الأثير (فى النهاية) : ومنه حديث صلاةِ الوتر : « كَذَبَ أبو محمد » أى أخطأ ، سمَّاه كذبا لأنَّه شبيهُه فى كونه ضدَّ الصواب ، كما أنَّ الكذب ضدُّ الصدق وإن افترقا من حيث النيَّةُ والقصد ، لأنَّ الكاذبَ يعلم أنَّ مايقوله كذب ، والمخطىء لا يعلم . وهذا الرجل ليس بمخبر ، وإنما قاله باجتهاد أدَّاهُ إلى أنَّ الوتر واجب . والاجتهاد لا يدخُله الكذب ، وإنما يدخله الخطأ . وأبو محمد صحابىٌّ اسمه مسعود بن زيد[1] .

وقد استعملت العربُ الكذبَ فى موضع الخطأ . قال الأخطل :

كذبتكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ
غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّباب خيالا[2]

انتهى .

الرابع : البُطول ، كَذَبَ الرجل بمعنى بَطَلَ عليه أملُه وما رَجاه . قال أبو دُوَادٍ الإيادىّ :

قلت لمـــَّا ظهرَا فى قُنَّةٍ
كَذبَ العَيرُ وإنْ كان بَرَحْ[3]

معناه كذب العيرَ أملُه وبطل عليه ماقدَّر ، لأنَّه كان أمَّل السلامة منِّى لما بَرَحَ . وتفسير برحَ أخذَ من جهة شِمالِى ماضياً على يمينى ، فلمَّا قلبتُ

(١) الى هنا ينتهى نص ابن الأثير . وترجمة أبى محمـــد فى الاصابة ٧٩٣٩ .
(٢) ديوان الأخطل ٤١ .
(٣) فى المقاييس واللسان (كذب) والمعانى الكبير ١١٨١ وجمهرة لعسكرى ٢ : ١٦٦ . وروايته فيه : وقلت لما نصلا من قنة .

عليه الرمحَ وطعنتُه بطلَ عليه ما كان أمّل من التخلُّص والسلامة .

وقد قيل فى هذا البيت :

كذبتم وبيتِ الله لاتأخذونها
مُغالبـــةً مادام للسَّيف قائمُ

إنّ معناه : كذبكم أملُـكم . ومثله أيضاً قوله :

كذبتم وبيت الله لاتَنكحونها
بنى شابَ قرْناها تَصُرُّ وتَحلُبُ[1]

تقديره : كذبَكم أملكم .

وفسِّر قولُ أبى طالب :

كذبتم وبيت الله نُبزَى محمّداً
ولمـا نطاعنْ دونه ونناضلِ[2]

معناه : بطلَ عليكم ما أمّلتم .

١٤ وقال بعض أهل اللغة فى قول الله تعالى : ﴿انظُرْ كَيفَ كَذَبُوا على أنفسهم[3]﴾ انظر كيف بطلَ عليهم أملُهم ، لأنَّهم لما قالوا: ﴿واللهِ ربِّنا ما كنا مُشرِكين﴾ ، رجَوْا أن يزولَ عنهم بهذا القولِ البلاء ، ولم يحلفوا على الذى أقسموا عليه إلاَّ وهو فى معتقدهم حقّ ؛ إذْ كانوا فى حالة ما أقسموا ، على ماقدَّروه فى دار الدنيا ، من أنّ الشرك غير شرك ، وأنّ الكفر هدًى وإيمان

(١) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ٢٥٩/٢:٧ ، ٦٤
(٢) ديوان أبى طالب الورقة الثانية مخطوطة الشنقيطى .
(٣) الآية ٤٣ من سورة الأنعام .

ومن كانت هذه سبيلَه فليس كذبُه إلا من جهة بُطول أمله . وقد خولف هذا اللغوى . انتهى .

ومنه قول سيبويه : « وهو محالٌ كذب » أى باطل وفاسد[١] ، قاله فى الكلام المختلّ وهو الذى لاتحصُل فائدته ، نحو:سوف أشربُ ماء البحر أمس، وقد شربت ماء البحر غداً .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : وخالفه فيه أصحابه : الأخفشُ ، والمازنى ، والمبرد،فقالوا :هذا القِسْم محالٌ وليس بكذب، لأنه لا يحصُل له معنى . والكذب سبيله أن يقع لما يخاطَب بمعناه . قال أبو بكر : وقول سيبويه عندى صحيح ، لأنّ الكذب يقع على الفاسد من القول ، كما يقع الصِّدقُ على الصحيح منه . وجائزٌ عندى أن يقال محالٌ لكلٍّ مالا يحصُل معناه من الخطأ والكذب ، من حيث أنّ تأويل المحال فى اللغة المغيَّر عن الصواب ، المزالُ عن طريق الصحة . فمن كذَب وأخطأ فى قول يُفهَم عنه فقد أحال . انتهى .

قال ابن الأنبارى : ومما يدلُّ على أنّ كذب بمعنى أخطأ ، وهو مصحِّح لقول سيبويه ، ومبطلٌ لمذهب مخالفيه — أنّ عروة بنَ الزبير ذَكر عند عمر بن عبد العزيز ما كانت عائشة رضى الله عنها تخصُّ به عبدَ الله بن الزُّبير من البر والأثرة والمحبَّة ، فقال له عمر: كذبتَ! وبالحضرة عُبيدالله بن عبد الله فقال: إنِّى ما كذبت ، وإنَّ أكذب الكاذبين لمن كذَّب الصادقين .

قال أبو بكر : فلا يُحمل هذا من قول عمر بن عبد العزيز إلا على أنه أراد أخطأت ، إذ المعنى الآخرُ يُلزِم عمرَ كذباً فيأثم . وجواب عُروة وقَع عَلَى غير المعنى الذى قصد له عمر ، لأنّه حين غضبَ حَمَلَ كذب على معنى قلتَ غير الحقّ .

---

(١) انظر سيبويه ١ : ٨ بولاق ، ١ : ٢٦ من نشرتنا .

ومثله قول معاوية للناس : كيف ابنُ زياد فيكم ؟ قالوا : ظريفٌ عَلَى أنه يلحن . قال : فذاك أظرفُ له . أراد القومُ بقولهم يلحن : يخطئُ ، وذهب معاوية إلى أنَّهم أرادوا يلحن بمعنى يَفطِن ويُصيب ، من قول العرب : فلانٌ ألحن بحجَّته من فلان .

وقد حُكِي عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حُكِي له عن صحابيٍّ روايةٌ رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كذب[1] ، يعني أخطأ . لا يُحتَمَل لهذا غيرالتأويل ، إذْ هم مَعادنُ التقوى والورع ، وأربابُ الصِّدق والفضل، وصفهم الله بالصِّدق بقوله : ﴿وينصُرُون اللهَ ورسُولَه أولئك هُمُ الصادِقون[2] ﴾ .

ويقال : كذَّبت الرجل ، إذا كذَّبتَه فيما هو فيه كاذب . وكَذَّبته إذا نسبتَه إلى الكذب فيما هو فيه صادق . قال الله تعالى : ﴿ فإنَّهم لا يُكذِّبونك[3] ﴾ أراد لا يصحِّحون عليك الكذب وإنْ نسبوك إليه .

قال أبو بكر : وقد أجبتُ عنها بجوابٍ آخر ، فإنَّهم لا يُكذِّبونك بقلوبهم عندما ينسبونك إلى الكذب بألسنتهم ، لأنه عليه الصلاة والسلام كان عندهم عَلَماً في الصدق قبل النبوَّة وبعدَها ، ولذلك كانوا يدعونه الأمين .

وأنشدنا أحمد بن يحيى لابن الدُّمينة :

خَلفتُ لها أنْ قد وجَدتُ من الهوى
أخا الموتِ ، لابدعاً ولامتأشِّبا[4]

---

(١) اشارة الى حديث أبى محمد مسعود بن زيد ، الذى سبق قريبا فى ص ١٩٥ .
(٢) الآية ٨ من سورة الحشر .
(٣) الآية ٣٣ من سورة الأنعام .
(٤) أثبت البيتين محقق ديوان ابن الدمينة ٢١٣ نقلا عن هذا الموضع من الخزانة .

١٥ وقد زعمت لى مافعلتُ فكيف بى
إذا كنت مردودَ المقال مكذَّبا

أراد منسوبا إلى الكذب فيما أنا فيه محقٌّ صادق .

المعنى الخامس من المعانى كَذَب : الإغراء . وقد تقدم الكلام فيه فى أول الشاهد[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(وذُبيانيّةٍ أوصَتْ بنيهــا
بأنْ كَذَب القراطفُ والقُروفُ)

على أنّ كذب فيه مستعمَلٌ فى الإغراء والقراطف فاعله ، والمعنى على المفعولية ، أى عليكم بالقراطف وبالقروف فاغنَموها .

وتقدّم مايتعلق بكذب فى البيت الذى قبله . وبعده :

(تجهَّزهمْ بمـا استطاعَتْ وقالت
بَنِىَّ فكلُّكم بطلٌ مُسِيفُ
فأخلفنـا مَودَّتَهـا ففاظت
ومأقِى عينِها حَذِرٌ نَطوفُ)

صاحب الشاهد والأبيات من قصيدةٍ لمعقِّر البارقى ، وكان حليفا لبنى نمير ، مدحَهم فيها وذكر مافعلوا ببنى ذبيان . وقد تقدّمت ترجمته مع شرحها فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الثلثمائة[2] .

---

(١) أنظر ص ١٨٤ .
(٢) الخزانة ٥ : ١٦ ـ ١٨ .

وهذا شرحها باختصار . يقول : ربَّ امرأة ذبيانية أمرَت بنيها أن يكثروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا ببنى نمير[1] وذلك لحاجتهم وقلة مالهم . والقراطف : جمع قَرْطَف كجعفر ، وهو كساء مُخْمَل . والقروف: جمع قَرْف بفتح القاف وسكون الراء : وعاء من جلد يدبغ بالقِرفة بالكسر ، وهى قشور الرُّمّان ، يُجعَل فيه الخَلْع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام ، وهو لحم يطبخ بالتوابل يوضع فى القَرْف ويزوّد به فى الأسفار . وبَنِىّ منادى . والمُسيف : الذى قد هلك إبلُه ومَواشيه . يقال أساف الرجل ، أى هلكت مَواشيه بالسُّواف بفتح السين[2] المهملة وضمها ، وهو مرض الدوابّ وطاعونها . يعنى[3] أنّ أولادها فقراء قد هلكت مواشيهم . تحرِّضهم على الغنيمة .

وقوله:«فأخلفنا مودّتها» الخ، أى أخلفنا مأمولَنا. وفاظت: ماتت . والمأق: لغة فى المُوق، وهو طرف العين من ناحية الأنف. وحَدِر وصفٌ بمعنى منحدر. ونطوف : سائل ، يقال نطف الماء ، إذا سال . يعنى ماتت وهى فى هذه الحالة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الأربعمائة[4] :

٤٥٤ (ياأيُّها المائحُ دلوى دُونَكا
إنّى رأيتُ الناسَ يَحمدونَكا[5])

(١) ط : « ببنى نمر » ، صوابه فى ش .
(٢) ش : « بالهمزة وفتح السين » ، صوابه فى ط .
(٣) ط : « تعنى » ، والوجه ما أثبت من ش .
(٤) أمالى القالى ٢ : ٢٤٤ والعقد ٥ : ١١١ وأمالى الزجاجى ٢٣٧ عن الخزانة ، والانصاف ٢٢٨ ابن يعيش ١ : ١١٧ والمقرب ٢٧ والشذور ٤٠٧ والعينى ٤ : ٢٢١ والتصريح ٢ : ٢٠٠٠ والهمع ٢ : ١٠٥ والأشمونى ٣ : ٢٠٦ واللسان والتاج والمقاييس (ميح) .
(٥) ط : « الماتح » بالتاء فى هذا الموضع وسائر المواضع ، والوجه ما أثبت من ش فى جميع المواضع .

على أنّ معمول اسم الفعل يجوز تقدُّمه عليه كما هنا ، فإنّ قوله دلوى مفعول دونكا ،والمعْنى خذْ دلوى . ومنعه البصريُّون فجعلوا دلوى مبتدأً ودونك[١] ظرفا لا اسمَ فعل ، أى دلوى قدّامك فخُذْها ، فدونك ظرف خبر المبتدأ.

وقد بيّن الفراء مذهب الكوفيين (فى تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿كتابَ اللهِ عليكم[٢]﴾ من سورة النساء ، قال : قوله : كتاب الله عليكم كقولك : كتاباً من الله عليكم . وقد قال بعضُ أهل النَّحو : معناه عليكم كتاب الله . والأوّل أشبه بالصواب . وقلّما تقول العرب : زيداً عليك أو زيداً دونك ، وهو جائز ، كأنّه منصوب بشىء مضمر قبله . وقال الشاعر :

* يا أيها المائحُ دلوى دونكا *

الدلو رفعٌ كقولك : زيد فاضربوه ، هذا زيدٌ فاضربوه[٣] . والعرب ١٦ تقول : الليلُ فبادرُوا ، والليلَ فبادروا . وتنصب الدلو بمضمر فى الخِلْفة[٤] كأنك قلت دونك دلوى دونك . انتهى .

وتعقّبه الزجاج (فى تفسيره) قال فى كتابَ الله: منصوب على التوكيد محمول على المعْنى ؛ لأن المعْنى حُرِّمت عليكم أمهاتكم ، كتب الله عليكم هذا كتابا . وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر ، ويكون عليكم مفسِّرا له ، فيكون المعْنى الزموا كتابَ الله عليكم . ولا يجوز أن يكون منصوبا بعليكم لأن قولك عليك زيداً ليس له ناصب فى اللفظ متصرِّف فيجوز تقديم منصوبه. وقول الشاعر :

---

(١) ش : « ودونكا » .
(٢) الآية ٢٤ من النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٦٠ .
(٣) هذا زيد فاضربوه ، ليست فى معانى الفراء .
(٤) الخلفة ، بالكسر : الذى يخلف صاحبه ، يذهب هذا ويجىء هذا .

* يا أيها المائح دلوى دونكا *

يجوز أن يكون دلوى فى موضع نصب بإضمار خُذْ دلوى ، ولا يجوز أن يكون على دونك دلوى ، لما شرحنا . ويجوز أن يكون دلوى فى موضع رفع ، المعنى : هذه دلوى دونك . انتهى .

وقد أورد هذه المسألة ابن الانبارى (فى مسائل الخلاف) فقال : ذهب الكوفيون إلى أنّ عليك وعندك ودونك يجوز تقديم معمولاتها كما فى الآية والبيت ، ولأنها قامت مقامَ الفعل فتعمل كعمله . ومنعه البَصريون والفرّاء وقالوا : إن كتاب الله منصوب بكتب مقدّراً ، وإنّ دلوى خبر مبتدأ مقدر ، أو منصوب بفعل محذوف كخذ ، يفسِّره دونك ، لابدونك . وأجابوا عن الثانى بأنّ الفعل متصرِّف فى نفسه فتصرّف عمله ، وهذه الألفاظ لا تستحقّ عملا وإنّما أعملت لقيامها مقام الفعل ، وهى غير متصرِّفة فى نفسها فلا تتصرَّف فى عملها ، فلا يقدَّم معمولها .ا نتهى .

وقوله إنّ الفراء تبع البصرِّيين ، مخالف لنصِّ كلامه ، فإنّه صرّح بجواز عمله مؤخَّرا ومحذوفاً .

وردّهما الزجاج وجعل دلوى منصوباً بفعل محذوف يفسِّره دونك. فدونك على هذا اسم فعل قد حذف مفعوله ، أى دونكه . ويكون فى جمله دلوى خبر مبتدأ محذوف ، دونَك ظرفاً فى موضع الحال لا اسمَ فعل .

وهذان الوجهان غير ماوجَّه به الشارح المحقق ، وإنما حكاه عن البصرِّيين، لأنّه تخريجٌ موافق لقواعدهم . وقد وجَّه به أيضاً ابن هشام : (فى شرح القطر ، وفى المغنى) .

وقول الشيخ خالد (فى التصريح) : « وفيه نظرٌ لأن المعنى ليس على الخبر المحض حتى يخبر عن الدلو بكونه دونه »، لا وجهَ له ، كما قال عبد الله الدَّنوشرى. وما المانع من أن يكون خبراً محضا قصد به التنبيه على أنَّ الدلو أمامه ويكون الدالُّ على الأمر بأخْذ الدلو مقدّرًا . والتقدير فتناوله .

وجوّز ابن مالك أن يكون دلوى منصوباً بدونك مضمرة ، مدلولاً عليها بدونك المذكورة ، مستنداً لقول سيبويه فى زيداً عليك، كأنك قلت : عليك زيداً . وقد ردَّه الزجاج وغيره :

قال ابن هشام : (فى المغنى) : شرط الحذف أن لايؤدى إلى اختصار المختصر ، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله ، لأنه اختصار للفعل . وأمّا قول سيبويه فى زيداً فاقتله ، وفى شأنك والحج ، وقوله :

* يا أيها المائح دلوى دونكا *

إنّ التقدير :عليك زيدا ، وعليك الحج ، ودونك دلوى. فقالوا : إنما أراد تفسير المعنى لا الإعراب ، وإنما التقدير خذ دلوى ، والزم زيدا ، والزم الحج . ويجوز فى دلوى أن يكون مبتدأ ودونك خبره . انتهى .

وظاهره أنّ البيت ذكره سيبويه فى كتابه . وليس كذلك ، فإنّه لم يورده فيه البتة . ولم يورد الدماميني هنا شيئاً سوى مانقله عن الشارح المحقق ١٧ من أنه لايجوز تقدُّم معمول اسم الفعل عليه .

و (المائح) : فاعل من الميح بالمثناة التحتية والحاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : المائح الذى ينزل البئر فيملأ الدلو ، وذلك إذا قلّ ماؤها ، والجمع ماحَةٌ ، وقد ماح يميح . وأنشد هذا البيت . وأمّا الماتح بالمثناة الفوقية فهو

الذى يسقى الماء[١]، يقال متح الماء يمتحه متحا، من باب فتح، إذا نزعه بالدّلو .
وبئر مَتوح للتى يُمَدُّ منها باليدين على البكرة .

صاحب الشاهد

والبيتان لراجز جاهلىّ من بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم ، ولهما قصة أوردها أبو رياش ، وأبو عبدالله النمرى ، وأبو محمد الأسود الأعرابى ، (فى شروحهم لحماسة أبى تمام) .

قال أبو محمد الأسود : أملى علينا أبو الندى قال : كان وائل بن صُريم الغُبَرىُّ ذا منزلة من الملوكِ ومكانٍ عندهم ، وكان مفتوق اللسان حُلوَه ، وكان جميلا ، فبعثه عمرو بن هند اللخمى ساعياً على بنى تميم فأخذ الإتاوةَ منهم حتّى استوفى ماعندهم ، غير بنى أسيّد بن عمرو بن تميم ، وكانوا على طُويلع[٢] ، فأتاهم فنزل بهم، وجمع النعمَ والشاء ، فأمر بإحصائه ، فبينما هو قاعدٌ على بئرٍ أتاه شيخ منهم فحدّثه ، فغفل وائل فدفعه الشيخ فوقع فى البئر فاجتمعوا فرمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، وهم يرتجزون ويقولون :

يا أيها المائح دلوى دونكا
إنّى رأيتُ الناسَ يحمدونكا

وإنما هذا هُزءٌ به . فبلغ الخبرُ أخاه باعثَ بن صُريم ، فعقد لواءً ونادى فى غُبَرَ فساروا ، وآلى أنْ يقتلهم على دم وائل حتّى يُلقىَ الدلوَ فتمتلىء دماً ! فقتل باعثٌ منهم ثمانين رجلا ، وأسر عدّة ، وقدّم رجلا منهم يقال له قمامة فذبحه حتّى ألقى داوه فخرجت ملأى دماً . ولم يزلُ يغير عليهم زماناً وقتل

(١) كذا فى النسختين . والمعروف « يستقى الماء » ، كما فى المعاجم .
(٢) طويلع : ماء لبنى تميم .

منهم فأكثر ، حتّى إنّ المرأة من بنى أسيدٍ كانت تعثُر فتقول : تعِسْتِ غُبَر ، ولا لقيتِ الظفر ، ولاسُقيت المَطر ، وعدِمت النفَر ! وقال باعث فى ذلك :

سائل أسَيِّدَ هل ثأرتُ بوائل
أم هل أتيتُهم بأمرٍ مُبْرَمِ
إذْ أرسلونى مائحاً لدِلائهم
فملأْتُها حتّى العَراقىَ بالدمِ

انتهى .

والغُبَرىّ : نسبة إلى غُبَر بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة ، قبيلة . وأسيِّد بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء المكسورة .

وقد أنشدتهما جاريةٌ من بنى مازن وضمّت إليهما بيتين آخرين . قال الصغانى (فى العباب) فى مادة الميح ، ونقله العينى : ومنه حديث البراء بن عازب رضى الله عنه : أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بئرٍ ذَمّةٍ فنزلناها ستةَ ماحَة ، ونزل فيها ناجية بن جندب الأسلمى رضى الله عنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدلت جاريةٌ من بنى مازن دلوَها وقالت :

يا أيُّها المائح دلوى دونكا
إنّى رأيتُ الناسَ يحمدونكا
يُثنون خيراً ويمجِّدونكا
خُذْها إليك اشغَل بها يمينَكا

فأجابها ناجية :

قد علمتْ جاريةٌ يمانيه
أنّى أنا المائح واسمى ناجيه

وطِعْنَةٍ ذاتِ رشاش واهيه
طعنتُها تحتَ صدور العاديه

١٨ انتهى .

وبئر ذَمَّة بالوصف ، أى قليلة الماء ، أى إنّها تُذَمّ لقلة مائها . والذميم : الماء المكروه . ومازن : اسم ثلاث قبائل فى عدنان . وهذا يخالفه قول ناجية :

* قد علمت جارية يمانيه *

فإنّ أهل اليمن كلّهم من قحطان . وأثنى عليه خيرا ، من الثناء وهو الوصف الجميل ، فعليك فى الرجز مقدّرة . ويمجّدونك : يذكرونك بالمجد ، وهو العزّ والشرف والكرم . وشغل من باب نفع . وطعنة أى ربّ طعنة . ورَشاش الطّعنة بالفتح : الدم المتطاير منها . وأرشّت الطعنةُ بالألف : نفذت فأنهرتِ الدم. كذا فى المصباح . وزعم الشامى (فى السيرة) أنّه بالفتح جمع رَشٍّ ، والمراد به المطر القليل . هذا كلامه . وواهية : صفة طعنة ، أى منشقّة مسترخية . والعادية ، قال الشامىّ : هم الذين يَعْدُون يُسرعون الجرىَ .

وأخذ العينىّ من ظاهر نقل الصاغانى أنّ البيتين الأوّلين لتلك الجارية ، وليس كذلك . وروى السّيوطى (فى شواهد المغنى) عن البيهقى (فى الدلائل) ، عن ابن إسحاق قال : زعمت أسلم أنّ جارية من الأنصار أقبلَتْ بدلوها عامَ الحديبيَة ، وناجية بن جُندب الأسلمى صاحب بُدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القليب يَميح على الناس ، فقالت . وأنشد الشعرين .

* خذها إليك اشغلْ بها يمينكا *

وقوله : « جارية من الأنصار » يوافقه قوله جارية يمانية ، فانّ أصل الأنصار من اليمن . وكذا روى الشامى (فى السيرة) .

وزعم ابن الشجرى (فى أماليه) أنَّ البيتين لرؤبة، وأنه لم يستسق ماء فى الحقيقة وإنما طلب عطاء.

وكلاهما لاأصلَ له كما عرفت. والبيت الذى لرؤبة إنما هو هذا:

كأنَّها دلو بئر جَدَّ ماتحُها

حتىّ إذا مارآها خانه الكربُ

أي كأنَّ الناقة فى السرعة دلوٌ ملأى وصلَتْ إلى فم البئر، ثم انقطع حبلُها فهوت فيها. والماتح هنا بالمثناة الفوقية، هو الذى يستقى على رأس البئر. والكرب بفتحتين: الحبل الذى يُشدُّ على عَرقُوَة الدلو.

وروى الزجاجى (فى أماليه) قال: حدَّثنا ابن دريد قال: أخبرنا أبوحاتم قال: أخبرنا أبو عبيدة قال: كتبت امرأةٌ من العرب إلى طَلْحة الطَّلَحات:

يا أيُّها الماتح دَلوى دونكا إنىّ رأيت الناس يحمدونكا

* يُثنون خيراً ويمجِّدونكا *

فلما قرأ طلحةُ الكتابَ أحبَّ أن لايفطن الرسول، فقال: ما أيسَرَ ما سألتْ، إنماسألت جَنْبَة[1]. ثم أمر بجَنْبةٍ[2] عظيمة فقُوِّرت ومُلئت دنانير وكتب إليها:

(١) فى النسختين: «جبنة» تحريف. والجنبة، بتقديم النون: جلدة من جنب البعير يعمل منها علبة. وفى التهذيب: أعطنى جنبة، فيعطيه جلدا فيتخذه علبة.

(٢) كذا على الصواب فى ط. وفى ش: «بجبنة» تصحيف.

إنَّا ملأْناها تفيض فيضا فلن تخافى ما حييتِ غَيْضا

* خُذى لكِ الجَنْبَ وعودى أيضاً[1] *

وغيضاً ، من غاض الماء فى الأرض ، إذا غار فيها وانمحق .

* * *

وأنشد بعده :

(ألا أيها الطَّيْرُ المرِبَّةُ بالضحى

عَلَى خالدٍ لقد وَقَعْتِ عَلَى لحمِ)

على أنّ تنوين لحمٍ للإبهام وَالتفخيم ، أى لحم وأىّ لحم .

تقدم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلثمائة من باب النعت[2] .

* * *

١٩ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الأربعمائة[3] :

٤٥٥ (وقَفْنا فقُلنا إيهِ عن أمِّ سالمٍ وما بالُ تكليم الدِّيارِ البَلاقعِ)

على أن ابن السِّكِّيت والجوهرى قالا : إنَّما جاء ذو الرمة هنا بإيهِ غير منوّن مع أنه موصولٌ بما بعده ، لأنه نوى الوقف .

(١) فى النسختين : « الجبن » ، تصحيف كذلك .

(٢) الخزانة ٥ : ٧٥ — ٨٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٢٧٥ والمقتضب ٣ : ١٧٩ وابن يعيش ٤ : ٣١ ، ٧١/٩ : ٣٠ ، ١٥٦ والشذور ١١٩ وديوان ذى الرمة ٣٥٦ .

هذا الكلام نقله الجوهرىّ عن ابن السكيت ، ثم نقل عن ابن السرىّ الزجّاج[1] أنه قال : إذا قلت إيهِ يارجلُ فإنمّا تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، كأنك قلت: هاتِ الحديث. فإن قلت إيهٍ بالتنوين فكأنك[2] قلت : هات حديثاً مّا ؛ لأنّ التنوين تنكير . وذو الرمة أراد التنوين فتركه للضرورة . انتهى .

وإنمّا كان ترك التنوين ضرورةً لأنه أراد من الطّلل أن يُخبره عنها أىَّ حديث كان ، وليس فيه ما يقتضى أنْ يحدِّثه حديثاً معهوداً . كذا قيل ، وفيه أنّه إنمّا طلب حديثا مخصوصا وهو الحديثُ عن أمّ سالم . وبه يسقط قولُ ثعلب (فى أماليه) : تقول العرب إيه بالتنوين بمعنى حَدِّثنا[3] . وأمّا قول ذى الرمة ، فإنّه ترك التنوين وبَنى على الوقف ، ومعناه إيه أى حدِّثنا[4] .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : تنوين التنكير لا يُوجَد فى معرفة ، ولا يكون إلا تابعاً لحركات البناء ، وذلك نحو إيه ، فإذا نوّنت وقلت إيهٍ فكأنك قلت : استزادةً . وإذا قلت إيهِ فكأنك قلت : الاستزادة . فصار التنوين علمَ التنكير ، وتركُه علمَ التعريف . قال ذو الرمة :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أمّ سالمٍ *

فكأنه قال . الاستزادة . وأما من أنكر هذا البيتَ على ذى الرمة فإنمّا خفىَ عليه هذا الموضع .

---

(١) ش : « الزجاجى » ، تحريف . والزجاج هو ابراهيم بن سهل ، أبو اسحاق ، كان يخرط الزجاج ثم مال الى النحو فلزم المبرد ، وصار اماما فى النحو ، توفى فى سنة ٣١١ . وأما الزجاجى تلميذه فهو عبد الرحمن بن اسحاق ، صاحب كتاب الجمل . توفى سنة ٣٣٩ .

(٢) ش : « كأنك » .

(٣) ط : « حديثا » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) فى المجالس : « ايه حدثنا عن أم سالم » .

هذا كلامه . وفى (شرح الصفَّار لسيبويه) : وأما إيهِ فمناه حدِّث أو زِدْ ، لكن هو لازم ، لا يقال : إيهِ كذا .

قال أبو حيان : قد استعمله بعضُ الشعراء المولَّدين متعدِّيا فقال :

* إيهِ أحاديثَ نعمانٍ وساكِنهِ (١) *

وقال آخر :

* إيهِ حديثَك عن أخبارهم إيه *

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لذى الرمة ، وهذا مطلعها :

خليلىَّ عوجا عوجةً ناقتيكُما على طَلَل بين القِلاتِ وسارع (٢)

به ملعبٌ من مُعْصِفاتٍ نسجنَهُ كنسج اليمانى بردَه بالوشائع (٣)

وقفنا فقلنا إيه . . . . . البيت

وقوله « عُوجا عوجة » يقالُ عجت البعير أعُوجه عَوْجا ومَعَاجا ، إذا عطفتَ رأسه . والتاء فى عوجةً للمرّة . وناقتيكما مفعول عوجا . والطَّلل :

---

(١) ش : « وسأكتبه » ، صوابه فى ط .

(٢) لابن الأثير كما فى حواشى شذور الذهب . وقد استشهد فى الشذور ١١٨ بهذا الصدر أيضا ، وظنه الشيخ محيى الدين عجزا فوضعه فى الفهرس فى قافية النون . والحق أنه صدر ، وعجزه كما فى أزهار الرياض فى أخبار عياض ١ : ٦ :

* ان الحديث عن الأحباب أسمار *

(٣) ش : « الفــلاة » صــوابه فى ط والديوان ٣٥٥ وذكر ياقوت أنهــا جمع قلت وهو كالنقرة تكون فى الجبل . وذكر أنهــا قلات الصمان . وقد وردت « شــارع » فى النسختين بالسين المهمة ، ولم ترد بهذا الرسم فى مواضعهم ، وانما هى « شارع » بالشين المعجمة كما فى الديوان ومعجم البلدان ٥ : ٢١١ وذكرت كذلك فى رسم (القلات) ٧ : ١٤٢ . وشارع : جبل من جبال الدهناء . وذكرت كذلك فى اللسان فى نهاية مادة (شرع) قال : « وفى جبال الدهناء جبل يقال له شارع ذكره ذو الرمة فى شعره » . لكن البغدادى قيدها بالمهملة فيما سيأتى .

(٤) كلمة (اليمانى) مبيض لها فى ش . واثباتها من ط والديوان .

مابقى فى الدار من أثر الراحلين ، كالأثفيّة ونحوها . والقلات ، بكسر القاف وآخره مثناة ، وسارع بالمهملات : موضعان .

وقوله « بهمَلعب » الخ المعصِفة : الريح الشديدة ، يقال عصفت الريح وأعصفت . ونسجنه ، أى ذهبت عليه الريح وجاءت كالنسج . والوشائع : جمع وشيعة ، من وشَمت المرأة الغزلَ على يدها : خالفته . وتوشَّمت الغنمُ فى الجبل ، أى اختلفت .

وقوله (وقفنا فقلنا) إلخ أى وقفنا عليه ، أى الطلَل . والعطف بالفاء لا بالواو كما فى الشرح . قال الأصمعى : أساء فى قوله إيه بلا تنوين . و(البال): الشأن والحال . وما : استفهامٌ انكارىٌّ ، أى ليس من شأنها الكلام .

و(الديار البلاقع) : التى ارتحل سُكَّانها ، فهى خالية . طلبَ الحديثَ من الطلل أوّلاً ليخبره عن محبوبته أمّ سالم ، وهذا من فرط تحيُّره وتدلُّهه فى استخباره ممَّا لا يعقل ، ثم أفاق وأنكرَ من نفسه بأنَّه ليس من شأن الأماكن الإخبارُ عن السَّواكن . ٢٠

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن فى أول الكتاب(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الأربعمائة(٢) :

(تَذَرُ الجماجمَ ضاحياً هاماتُها
بَلْهَ الأكُفِّ كأنَّها لم تُخلَقِ)

على أنَّه قد رُوى (الأكفّ) بالحركات الثلاث .

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) السيرة ٧٠٥ وابن يعيش ٤ : ٤٧ ، ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٢٢ والشذور ٤٠٠ والتصريح ٢ : ١٩٩ والهمع ١ : ٢٣٦ والأشمونى ٢ : ٣/١٢١ : ١٠٣ وديوان كعب ٢٤٥ .

أوّل البيت (فترى الجماجمَ) ، وقبله :

(نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا
قُدُماً ، ونُلْحِقُها إذا لم تَلحَقِ)

وإنّما ينشدونه « تذر الجماجم » ليعرى من التعلق بما قبله .

والقُدُم بضمتين : القُبُل بضمتين أيضاً ، كذا فى المصباح . وقال صاحب الصحاح : « ومَضَى[١] قُدُماً بضم الدال: لم يعرِّج ولم ينثن» . ويجوز أن يكون بكسر القاف وسكون الدال ، اسمٌ مِن القِدَم أى خلاف الحدوث ، وهو ظرف لقوله نصل .

قال الجاحظ (فى كتاب البيان)[٢] : إنّ الفارس ربّما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فَضْل قوّته ، ويُخبرُ عن قصر سيفه ليُخبر عن فضل نجدته . وأنشد هذا البيت ونظائره .

وقوله (فترى الجماجم) ، إلخ الرؤية بصريّة . والجماجم مفعول الرؤية . وضاحيا حال سببية من الجماجم ، وهامانّها فاعل (ضاحياً) وهو من ضحا يضحو ، إذا ظهر وبرزَ عن محلّه . و (الجماجم) : جمع جمجمة ، قال صاحب المصباح : هى عَظْم الرأس المشتملُ على الدماغ ، وربّما عُبِّر بها عن الإنسان فيقال : خُذْ من كلِّ جمجمةٍ درهما ، كما يقال خُذْ من كل رأس ، بهذا المعنى . وقال أيضاً : الهامة من الشخص : رأسه . فالمناسبُ هنا أنَّ الجمجمة بمعنى الإنسان . وقد فرق الزجاج (فى كتاب خلق الإنسان) بين الجمجمة والهامة، بجعل الهامة بعضاً من الجمجمة ، فقال : عَظْم الرأس الذى فيه الدماغ يقال له الجمجمة . والهامة : وسط الرأس ومعظمه . وزعم الدماميني (فى الشرح المزج على المغنى) أنّه يصحُّ أَن تكون الجماجم هنا القبائل التى تجمع البطون ، فينسَب إليها دونهم .

(١) فى النسختين : « ومعنى » ، وصواب النص من الصحاح (قدم) .
(٢) البيان ٣ : ٢٦ .

فمعنى بله الأكفَّ على رواية نصب الأكفّ : إنك ترى رءوس الرجاز أى بعض الرءوس بارزة عن محلِّها بضرب السيوف ، كأنها لم تخلق عَلَى الأبدان، فدعْ ذكرَ الأكفْ فإنَّ قطعهامن الأيدى أهونُ بالنسبة إلى الرءوس. فبَلْهَ على هذا اسم فعل .

وعلى الجر: إنك ترى تطاير الرءوس عن الأبدان، فتركاً لذكر الأكفّ، أى فاترك ذكرها تركًا ؛ فإنها بالنسبة إلى الرءوس سهلة . فَبَلْهَ على هذا مصدرٌ مضاف .

وعلى الرفع : إنك ترى الهامات ضاحية عن الأبدان ، فكيف الأكفُّ لاتكون ضاحية عن الأيدى . يعنى إذا جعلَتِ السيوفُ الأبدانَ بلا رُءوس فلا عجبَ أن تترك الأيدىَ بلا أكفٍ . فبَلْهَ بمعنى كيف الاستفهام التعجُّبى .

فبله الأكفّ على الأوّل والثالث جملة اسمية ، وفتحة بله[1] بنائية . وعلى الثانى جملة فعلية حذف صدرها ، والفتحة إعرابية .

وهى بالمعنى[2] الأوّل والثانى مأخوذة من لفظ البَلَه والتباله ، وهو من الغَفْلة ؛ لأن من غفل عن شىء تركه ولم يسأل عنه ، وكذلك هنا ، أى لا تسأل عن الأكف إذا كانت[3] الجماجم ضاحيةً مقطّعة . كذا (فى الروض الأنف) للسُّهيلى .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قال سيبويه : أما بله زيدٍ فبله هنا ٢١

(١) ش : « بيانية » ، صوابه فى ط .
(٢) ش : « وهى بمعنى » .
(٣) ط : « اذ كانت » ، وأثبت ما فى ش والروض الأنف ٢ : ٢٠٦ .

بمنزلة المصدر ، كما تقول ضربَ زيد . فمن قال بلهَ زيدٍ جعله مصدراً . ولا يجوز أن تضيف ويكون مع الإضافة اسم الفعل ، لأنّ هذه الأسماء التى يسمّى بها الأفعال لاتضاف، ألا ترى أنّه قال: جعلوها بمنزلة النّجاءك، أى لم يضيفوها إلى المفعول به كما أضافوا أسماء الفاعلين والمصادر إليه . فهى فى قوله على ضربين : مرّة تجرى مجرى الأسماء التى تسمّى بها الأفعال ، ومرّة تكون مصدراً . وقال أبو زيد : إنّ فلانا لايطيق أن يحمل الفهرَ فمن بلهِ أن يأتىَ بالصّخرة ؛ يقول : لايطيق أن يحمل الفهرَ فكيف يُطيق أن يحملَ الصخرة . قال : وبعض العرب يقول :مِنْ بَهْلَ أن يحمل الصخرة ! فقلب . وأنشد :

نذر الجماجم . . . . البيت

فما حكاه أبو زيد من دخول مِن عليه والإضافة والقلب ، يدلُّ عَلَى أنّه مصدر وليس باسم فعل ، لأنّ أسماء الفعل لاتضاف ، ولايدخل عليها عوامل الأسماء . ألا ترى أنّ أبا الحسن يقول : إذّ دونك ليس ينتصب عَلَى حدّ انتصابه قبل . ويقوّى كونه مصدراً أن أبا عمرٍو الشيبانىّ حكى : ما بَلْهكَ لاتفعلُ كذا ، أى مالك . ومن الناس من ينشده : « بله الأكفَّ » بالنصب . فهذا عَلَى هذا الإنشاد اسم فعل ، كأنه قال دع الأكفّ ، فجعلها اسماً لدع . والدلالة عَلَى جواز كونها اسماً للفعل كما أجاز سيبويه ، قولُ الشاعر :

يمشى القَطوفُ إذا غنّى الحداةُ به
مَشْىَ الجوادِ فبَلْهَ الجِلّةَ النُّجُبا

فأمّا مايتعلق به «مِنْ» فيما حكاه أبو زيد من قوله «فمن بله» فهو ما ينتصب عليه بله فيمن جعله مصدراً وأضاف .

وهذا خلاف ماقاله الشارح المحقق؛ فإنه جعل بله فيما حكاه أبو زيد بمعنى كيف . ولم يتعرّض أبو على فى هذا الكتاب لمجىء بله بمعنى كيف . ونقلُ الشارح عنه لعلّه من غير هذا الكتاب .

ونقل عنه ابن هشام : (فى المغنى) نقيضَ مانقله الشارح عنه فقال : وإنكار أبى علىّ أن يرتفع مابعدها مردودٌ بحكاية أبى الحسن وقطرب له . انتهى .

والقطوف من الدوابِّ وغيره: البطىء . والجلة بكسر الجيم : جمع جليل، كصبية جمع صبىّ ، وهو المسنُّ من الإبل . والنجبُ بضمتين : جمع نجيب ، وهو الأصيلُ الكريم . والمعنى أنَّ البطىء يمشى كمشى الجواد من الخيل مع الحداء ، فدع الإبلَ الكرام ، فإنها مع الُحداء تسرع أكثرَ من غيرها .
ورواه صاحب الصحاح :

* مشى النجيبة بله الجِلّة النُّجُبا *

ونسبه إلى ابن هَرْمة .

وقال أبو حيان (فى تذكرته) : هذا الذى تأوّله سيبويه فى الخفض، من نيابة بله عن المصدر المضاف إلى المخفوض عند الكوفيِّين عَلَى معنيين، إن كان المخفوض بتأويل مرفوع ، وتقدير ضَرْبَ ليضربْ زيدٌ ، فالكلام صحيح . وإن كان تقدير المخفوض النصب والتأويل اضرب زيداً فالكلام عندهم خطأ ، لأنَّ المصدر الذي يتعدى فعله إلى المفعول إذا أفرد بواحدٍ أضيف إليه ولم يذكر معه غيره فلا بدَّ من أن يكون ذلك الواحد مرفوعاً ، لأنَّ الفعل لايخلو من الفاعل وما يجرى مجراه ، فيعجبنى ركوبُ الفرس ، موضعُ الفرس

عند الكوفيّين رفع لاغير ، لأنّ معناه يعجبك أن يُركبَ الفرس . وجوّز البصريون أن يكون منصوباً بتأويل أن يركب الفرسَ ، أي يركبُ راكبٌ الفرس . وردّ الكوفيون هذا واحتجُّوا بأنّ المصدر لايحتمل ضميراً من الفاعل فإذا إضيف إلى الفرس والفرس منصوب بقى الركوب بلا فاعل له مظهر ولامضمر ، وفى هذا فساد التركيب . وقال البصريُّون : عملت[1] على الاختصار ومعرفة المخاطب بأنّ للركوب فاعلا وإن لم يكن مظهرا ولا مضمرا . وقال الكوفيون : ماوجدنا فاعلا خلا الفعلُ من إظهاره معه أو إضمارِه فيه ، ومايصل إلى إظهار الفاعل ولا إضماره مع المصدر إذا انفرد واحد . والمصدر على الفعل مبنىٌّ ، فمالم يعرف صحته مع الفعل فهو سقيم مع المصدر . انتهى .

٢٢

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدة لكعب بن مالك ، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالها فى وقعة الأحزاب ، وأوردها أصحابُ السيرَ والمغازى فى كتبهم ، وهى :

أبيات الشاهد

(مَن سرّه ضربٌ يُرعبلُ بعضُه
بعضاً كمعمعة الأباء المُحرَقِ[2]

فليأتِ مأسدةً تَسُنُّ سيوفَها
بين المَذاد وبين جِزع الخندقِ

دَرِبُوا بضرب المُعْلَمين فأسلموا
مُهُجاتِ أنفُسِهم لربِّ المشرقِ

(١) ط : « عملنا » صوابه فى ش .

(٢) فى الديوان ٢٤٤ والسيرة ٧٠٥ : « يمعمع بعضه بعضا » .

فى عُصبةٍ نصر الإله نبيَّه

بهمُ وكان بعبده ذا مرفقِ

فى كلِّ سابغةٍ تخطُّ فضولُها

كالنهْى هبَّت ريحُه المسترقرقِ

بيضاء محكمةٍ كأنَّ قتيرها

حَدَقُ الجنادب ذات شَكٍّ مُوثَقِ

جَـدلاء يَحفِزُها نِجادُ مهنَّدٍ

صافى الحديدة صارمٍ ذى رونقِ

تلكمْ مع التقوى تكون لباسَنا

يومَ الهياج وكلَّ ساعةِ مصدَقِ

نصلُ السُّيوف إذا قصُرْنَ بخَطونا

قُـدُماً ونُلحقها إذا لم تَلحقِ

فترى الجماجمَ ضاحياً هاماتُها

بَلْهَ الأكفَّ كأنَّها لم تخلقِ

نَلقى العــدوَّ بفخمةٍ ملمومة

تَنفى الجموعَ كقصْدِ رأسِ المشرقِ

ونُعِدُّ للأعداء كلَّ مقلَّص

وَردٍ ومحجول القوائم أبلقِ

تَردِى بفُرسانٍ كأنَّ كُماتَهم

عندَ الهِياج أسودُ طَلٍّ مُلْثِقِ

صُدْقٍ يُماطون الكماةَ حُتوفَهم
تحتَ العماءة بالوشيج المزهِقِ(١)

أمر الإله بربطها لعــــدوّه
فى الحرب إنّ الله خير مُوفِّقِ

لتكون غيظاً للعدوّ وحُيَّطا
للدارِ إن دَلفت خيولُ النُزَّقِ(٢)

ويُعينُنا اللهُ العزيزُ بقوّةٍ
منه ، وصِدْقِ الصَّبر ساعةَ نلتقى

ونطيع أمرَ نبيِّنا ونُجيبُــه
وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسبَقِ

ومتى ينادِى للشدائد نأتِها
ومتى نرَى الحَوْماتِ فيها نُعنِقِ(٣)

مَن يتّبع قولَ النبىِّ فإنه
فينا مطاعُ الأمرِ حَقَّ مُصَدَّقِ

فبذاك ينصُرنا ويُظهر عزَّنا
ويُصيبنا من نيلِ ذاك بمرفقِ

إنّ الذين يكذّبون محمــــدا
كفَروا وضلُّوا عن سبيل المتّقى)

(١) ط : « بالوشيح » صوابه فى ش والديوان والسيرة . وفى الديوان والسيرة : « تحت العماية » بالياء ، وكلاهما صحيح .
(٢) ش : « وحبطا » ، صوابه فى ط والديوان والسيرة . وفى ط : لا تلفت » ، صوابه فى ش والديوان والسيرة .
(٣) فى الديوان فقط : « ومتى يناد الى الشدائد » .

قوله : « من سره ضرب » الخ رعبلَه : قطعه . والمعمعة ، قال صاحب ٢٢
الصحاح : هو صوت الحريق فى القصَبِ ونحوه ، وصوتُ الأبطال فى الحرب .
وأنشد هذا البيت . والأباء : القصَب ، واحدتها أباءة ، كسحابٍ وسحابة ،
وقيل أجمة الحلفاء والقصَب خاصة . كذا فى الصحاح . وقال السهيلى : (فى
الروض الأنف) : والهمزة الأخيرة بدل من ياء ، قاله ابن جنى ، لأنَّه عنده
من الإباية ، كأنَّ القصب يأبى على من أراده بمضغٍ أو نحوه . ويشهد لما قاله
قولُ الشاعر[1] :

يراه الناس أخضرَ من بعيدٍ
وتمنعُـــــه المرارة والإباءُ

والحرَق : اسم مفعول .

وقوله : « فليأت مأسدة » إلى آخره هذا جواب الشرط . قال السُّهيلى :
المأسدة : الأرض الكثيرة الأُسد ، وكذلك المسبَعة : الأرض الكثيرة
السِّباع . ويجوز أن يكون جمع أسَد ، كما قالوا مشيخة ومَعْلجة . حكى سيبويه
مشيخة ومشيوخاء ، ومعلجة ومعلوجاء .

قوله : « تسنّ سيوفَها » قال السهيلى : نصب الفاء هو الصحيح عند
القاضى أبى الوليد، ووقع فى الأصل عند أبى بحر رفعها . ومعنى الرواية الأولى
تسُنُّ أى تصقُل . ومعنى الثانية أى تَسُنُّ للأبطال ولمن بعدها من الرِّجال
سُنَّةَ الجرأة والإقدام . والمذاد قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) :
هو بفتح الميم بعدها ذال معجمة والآخر دال مهملة ، الموضع الذى حَفَر فيه

(١) هو بشر بن أبى خازم . والبيت فى ديوانه ٤ واللسان (أبى)
وأمالى ابن الشجرى ٦٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق . وقال السيوطى (فى شواهد المغنى) : هو أُطُم بالمدينة . وقال الشامى : هو لبنى حرام غربىّ مساجِد الفتح ، سمِّيت به الناحية . والجزع بكسر الجيم : منعطف الوادى . قال الشامى: وهو هنا جانب الخندق . والخندق هنا خندق المدينة المنورة .

وقوله: « دَرِبوا بضرب » إلخ قال صاحب الصِّحاح : الدربة بالضمّ : عادة وجُرأة على الحربِ وكلّ أمر ، وقد دَرِب بالشىء بكسر الراء ، إذا اعتاده وضرِىَ به . والمُعْلَمون بضم الميم وفتح اللام[1] :الذين يُعلِمون أنفسهم بعلاماتٍ فى الحرب يعرِفَون بها[2] ، وهم الشجعان هنا . وأسلموا من أسلم أمَره لله ، أى سلَّمه له . والمهجة هنا : الرُّوح . وأراد برب المشرق ربَّ المشرق والمَغْرب .

وقوله : « بعبده ذا مرفق » : مصدر كالرفق ضدِّ العنف . قال أبو زيد : رفق الله بك ورفق عليك رِفقًا ومَرْفِقا ومِرفَقا ، بفتح الميم وكسر الفاء فى الأول ، وبالعكس فى الثانى. وزاد غيره مَرفَقا بفتح الميموالفاء ، حكاه الصاغانى (فى العباب) .

وقوله « فى كل سابغة » إلخ السابغة ، الدرع الواسعة . وتخطُّ بالبناء للفاعل . وفُضولها : جمع فضل ، وهو الزائد . أى ينسحب ذيلُ الدرع على الأرض لطولها . والنِّهى بفتح النون : الغدير ، وأهل نجد يكسرون النون . والمترقرِق بالجرّ صفة للنهى ، من ترقرق إذا تحرك وجاء وذهب . والريح إذا هبَّت على الماء حصلَتْ هذه الصفة . وزعم السيوطى أنَّه بمعنى اللامع .

وقوله : بيضاء محكمة ، إلخ البيضاء : المجلوَّة . والقتير ، بفتح القاف

(١) كذا فى النسختين . والوجه كسر اللام كما فى اللسان .
(٢) ط : « ويعرفون بها » .

وكسر المثناة الفوقية قال صاحب الصحاح : رءوس المسامير فى الدروع ، شبّهها بعيون الجُندب ، وهو نوعٌ من الجراد ، فى البريق واللّمعان . والشك : مصدر شككت الشىء ، إذا ضممته إلى غيره ، ومنه شك القومُ بيوتَهم ، إذا جعلوها مصطفّة متقاربة . وهو معنى قول الشامى : الشكّ هنا : إحكام السّرد ، وهو متابعة نسْج حلق الدرع ، وموالاته شيئاً فشيئاً حتى يتناسق . والموثَق : المثبت .

٢٤ وقوله : « جدلاءِ يحفِزُها » إلخ الجدلاء ، بفتح الجيم : الدِّرع المحكمة النسْج . ويقال درع مجدولة أيضاً ، من جدلت الحبل أجدُله بالضم جدلا ، أى فتلته محكما . ويحفزها ، أى يشمِّرها ويرفعها ، بالحاء المهملة والفاء والزاء المعجمة . والنِّجاد : سيور السيف . والمهنَّد : السيف المطبوع من حديد الهند . قال السُّهيلى : هذا كقول ابن الأسلت[1] فى وصف الدرع :

أحفِزُها عنّى بذى رونقٍ
أبيضَ مثـــلِ الملح قطّاعِ[2]

وذلك أنّ الدرع إذا طالت فضولها حَفزوها ، أى شَمّرُوها فربطوها بنجاد السّيف . وقال غيره : كانت العرب تعمل فى أغماد السيوف أشباه الكلاليب ، فإذا ثَقلت الدرع على لابسها رفع ذيلها فعلّقه بالكُلاّب الذى فى غمد السيف ليخفّ عليه . وصارم : قاطع . والرّونق : جوهر السيف .

وقوله : « تلكم مع التقوى » الخ ، الإشارة للدرع الموصوفة . قال السهيلى : هذا من أجود الكلام ، انتزعه من قول الله تعالى : ﴿ ولباسُ التقوى ذلك

(١) هو أبو قيس بن الأسلت الأنصارى . أنظر المفضليات ٢٨٤ .
(٢) فى المفضليات : « مهند كالملح » .

خيرٌ(١)﴾. وموضع الإجادة جعله لباسَ الدروع تَبَعًا للباس التقوى، لأنّ حرف مع يفيد أن ما بعده هو المتبوع ولبس بتابع . ويوم المياج : يوم القتال . والمَصْدَق ، كجعفر : الحملة الصادقة على العدوّ ، يقال للرجل الشجاع والفرس الجواد : إنّه لذو مَصْدق، أى صادق الحملة وصادق الجرى ، كأنه ذو صدق فى وَعد ذلك .

وقوله « نصل السيوف » إلخ قد نُظم هذا المعنى كثيرا . قال الأخنس ابن شهاب :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها
خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وقال السموءل بن عادياء :

إذا قصُرت أسيافنا كان وصلُها
خطانا إلى أعدائنا فتطولُ

وقال رجل من بنى نمير :

وصلنا الرقاق المرهَفات بخَطوِنا
عَلَى الهَوْل حتّى أمكنتنا المضاربُ

وقال آخر(٢) :

إذا الكماة تنحَّوْا أن يصيبَهمُ
حدُّ الظُّبات وصلناها بأيدينا

(١) الآية ٢٦ من سورة الأعراف .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى . الحماسة ١٠٨ بشرح المرزوقى .

وقال آخر :

الطاعنون فى النحور والكُلى
شَزْراً ووَصَّالو السيوفِ بالخطى

وقال آخر :

إنَّ لقيس عادةً تعتادُها
سَلَّ السيوفِ وخُطًى تزدادُها

وهذا كلُّه شعر جاهلى . وقال حُميد بن ثَور الهلالىُّ الصَّحابى :

ووصلُ الخطَى بالسَّيف والسَّيفِ بالخُطَى
إذا ظَنَّ أنَّ السيف ذُو السَّيف قاصرُ

وله نظائرُ أُخَرُ ستأتى إن شاء الله تعالى فى باب الظروف .

وقوله : (فترى الجماجم) قد غيَّره النحويون إلى قولهم : « تذر الجماجم » وتقدم شرحه .

قال السهيلى : خفضُ الأكفِّ هو الوجه ، وقد روى بالنصب لأنَّه مفعول ، أى دع الأكفَّ . وبله كلمة معناها[1] دع ، وهى من المصادر المضافة إلى ما بعدها ، وهى من لفظ البَلَه أى الغفلة ، لأنَّ من غفل ترك ولم يسأل عنه[2] ، وكذلك هذا . أى لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجماجم ضاحيةً مقطَّعة .

٢٥

(١) كلمة « دع » ساقطة من ش .
(٢) فى الروض ٢ : ٢٠٦ : « لأن من غفل عن الشىء تركه ولم يسأل عنه » .

وقال الدماميني (فى الشرح المزج على المغنى) : الجمجمة : عظم الرأس المشتمل على الدماغ ، والقبيلة تجمع البطون فينسب إليها دونهم . والبيت محتملٌ لكلٍّ من المعنيين . والمعنى على رواية رفع الأكف أنّ تلك السيوف تترك قبائلَ العرب الكثيرة بارزة الرءوس للأبصار ، كأنها لم تخلق فى محالِّها من تلك الأجسام ، أو تترك تلكَ العظام المستورةَ مكشوفة ظاهرة ، فكيف الأكفّ . أى إذا كانت حالةُ الرءوس هذه مع عزّة الوصول إليها ، فكيف حال الأيدى التى يتوصّل إليها بسهولة . وعلى رواية النصب أنها تترك الجماجم[1] على تلك الحالة دع الأكفّ فأمرُها أيسر وأسهل . وعلى رواية الجر أنها تترك الجماجم ترك الأكفّ منفصلة عن محالها ، كأنها لم تخلق متّصلة بها .

وقال ابن الملا (فى شرحه على المغنى) : الجمجمة : القِحف ، أو العظم فيه الدماغ ، والسيِّد ، والقبيلة التى تنسب إليها البطون . ومتى أريد بالجماجم القبائل جاز أن يُراد بالهامات رؤساؤها ، وبالأكفِّ من دونهم من الكُفاة . ففى القاموس : الهامة : رأس كلِّ شىء ، ورئيس القوم .

والمعنى على رواية الرفع أنّ تلك السيوف تترك تلك العظام المستورة ظاهرةً فكيف الأكفُّ البادية ، أى إذا كانت حالة الرءوس هذه مع عزّة الوصول إليها فكيف الأكفّ التى يُتوصَّل إليها بسهولة ، فإنها تدعها كأنها لم تخلق فى محالِّها . ولا حاجة إلى دعوى المجاز فى الأكفّ عن الأيدى كما يفهم من صنيع الشارح . أو تتركُ السادات من كلِّ قبيلة أو القبائلَ من العرب بارزةَ الرءوس للأبصار بإبانتها عن محالِّها كأنها لم تخلق فيها . أو تترك

---

(١) من هنا الى « الجماجم » التالية ، سقط فى ش .

القبائل بارزاً رءوسها للقتل ، أى مقتولة . وأراد بالأكفّ من يُتقوَّى به من فُرسان القبائل .

وعلى النصب أنّها تترك الجماجمَ على تلك الحالة ، دع الأكفّ فإنّ أمرها أيسر وأسهل .

وعلى الجرّ أنها تتركها تركَ الأكفّ منفصلة عن محالها كأنها لم تخلق متصلة بها . انتهى .

وهذا كله تكلُّف وتوسيعٌ للدائرة .

وقوله : « نلقى العدُوَّ » إلخ الفخمة : الجيش العظيم ، من الفخامة وهى العِظَم . وملمومة : مجموعة .

وقوله : « كمقصد رأس المشرق » قال السُّهيلى : الصحيح ما رواه ابن هشام عن أبى زيد : «كرأس قدس المشرق»، لأنّ قدس جبلٌ معروف من ناحية المشرق . انتهى .

وظاهره أنّه بفتح الميم . وقول الشامى المشرق نعت لقدس بمعنى جبل ، إشارة إلى ضمة الميم ، وهو اسم فاعل من الإشراق . والظاهر أنّ هذا هو الجيد .

قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : القُدْس بضم القاف وسكون الدال من جبال تِهامة ، وهو جبل العَرْج . قال ابن الأنبارى : قدس مؤنثة لا تنصرف لأنها اسمٌ للجبل وما حوله .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قدس : جبلٌ عظيم بأرض نجد . قال ابن دريد : قدس أوارة جبلٌ معروف . وأنشد الآمدىُّ لبُغَيت[1] :

---

(١) بغيت ، بباء بعدها غين معجمة وآخره تاء مثناة ، كما فى المؤتلف ٥٨ حيث أنشد البيت . وفى الأصل : « لبعيث » ، وفى معجم البلدان : « للبعيث » تصحيف .

وقال الآمدى : « وبغيت : تصغير باغت ، مثل شريح تصغير شارح ، وحريث تصغير حارث ، وهو من تصغير الترخيم » .

ونحن جابنا يوم قُدسٍ أوارة

قنابل خيل تترك الجَوَّ أقتما[١]

وقال الأزهرى : قدس أُوارة[٢] جبلان لمزينة ، وهما معروفانِ بحذاء سقيا مُزَينة . وقال عرّام[٣] : بالحجاز جبلان يقال لهما القدسان : قدس الأبيض وقدس الأسود ، وهما عند وَرِقَان . أما الأبيض فهو جبلٌ شامخ بين العرج والسُّقيا . والقدسان جميعاً لمزينة . انتهى . ٢٦

فظهر بهذا أنَّه ليس جبلٌ فى المشرق اسمه قُدس، فالصواب ما قاله الشامى .

وقوله:« ونعدُّ للأعداء » نعدّ : نهيِّئ ، من الإعداد ، وهو التهيئة . والمقلِّص ، قال صاحب الصحاح : فرس مقلِّص، بكسر اللام ، أى مشْرف طويل القوائم . والوَرد : الفرس الذى تضرب حمرته إلى الصُّفرة . والمحجول الفرس المحجَّل ، والتحجيل : بياضٌ فى قوائم الفرس أو فى ثلاثٍ منها ، أو فى رجليه، قلَّ أو كثُرُ ، بعد أن يجاوز الأرساغ ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين ، لأنها مواضعُ الأحجال ، وهى الخلاخيل والقيود . ولا يكون التحجيل واقعاً بيد أو يدين مالم يكن معها أو معهما رجلٌ أو رجلان . كذا فى العباب للصاغانى . والأبلق : الفرس الذى فيه البلق بفتحتين ، وهو سواد وبياض .

وقوله :« تردى بفرسان» إلخ قال صاحب الصحاح : ردى الفرسُ بالفتح يردِى رَدْيا ورديانا ، إذا رجَم الأرض رَجماً بين العَدْو والمشى الشديد .

---

(١) ط : « قبائل » ش : « قنائل » ، صوابه ما أثبت من المؤتلف والقنابل : ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل .

(٢) فى معجم البلدان : « قدس وآرة » .

(٣) فى النسختين : « أبو عرام » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان الذى ينقل من كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام بن الأصبغ السلمى . وقد قمت بنشره وتحقيقه مرتين ، الأولى فى كتاب مستقل سنة ١٩٧٢ والأخرى فى المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .

والكماة : جمع كَمِيّ ، وهو الشجاع المتكمّي في سلاحه ، لأنه كَمَى نفسه ، أي سترها بالدِّرع[1] والبيضة . والطَّلّ : المطر الضعيف . والمُلْثِق : اسم فاعل صفة لطَلّ ، من اللَّثَق بفتحتين ، قال السهيلي : واللَّثَق : ما يكون عن الطلّ من زَلَق . والأسد أجوعُ ما يكون وأجرأ في ذلك الحين . وقال صاحب العباب : اللثق الندى . قال كعب بن زهير :

باتَتْ له ليلةٌ جمٌّ أهاضِبُها
وباتَ ينفض عنه الطَّلَّ واللَّثَقَا

وألثقه غيرُه . قال سلمة بن الخُرشُب :

خدارِيَةٌ فتخاء ألثَقَ ريشَها
سحابةُ يومٍ ذى أهاضيبَ ماطرِ[2]

وقوله : « صُدُقٌ يعاطون » إلخ بالرفع صفة أسود ، وهو بضم الصاد جمع صَدق بفتحها ، والدال ساكنة معهما ، يقال رجلٌ صَدْق اللقاء وصدق النظر ، إذا مضى فيهما ولم يَثْنِه شيء . والصَّدْق أيضاً : الكامل المحمود من كلّ شيء . والصَّدْق أيضاً : الصُّلب من الرماح ، ويقال المستوى .

ويُعاطون : يناولون . والكماة : الشجعان مفعول أول ، وحتوفهم مفعول ثان ، وهو جمع حتف ، وهو الهلاك . والعَمَاءة بالمد ، كالسحابة وزناً ومعنى . قال أبو زيد: العَماء : السحاب ، وهو الدُّخَان يركب رءوس الجبال ، وأراد به هنا الغبارَ الثائر في المعركة .

---

(١) ط : « بالدروع » ، وأثبت ما في ش .
(٢) المفضليات ٣٧ .

ورواه الشامى « العماية » بالياء، وفسَّره بالسَّحاب ، وليس فى الصحاح إلا ما ذكرنا[١] . وإنما فيه عماية : جبلٌ من جبال هذيل . والوشيج : الرماح ، وأصله شجَر الرماح . والزهِق : اسم فاعل ، المذهبُ للأرواح .

وقوله « لتكون غيظاً للعدو وحُيَّطا » قال الشامى : هو جمع حائط ، اسم فاعل من حاط يحوط أى كلأه ورعاه . وأراد بالدار المدينة المنوَّرة . ودلفت : قربت . والنُّزَّق : الأعداء ، وهو جمع نَزِق بفتح فكسر ، من نزق نزقا كفرح فرحا . والنَّزق : الخفة والطيش وسوء الخلق . وهذا أصله .

وقوله : « وإذا دعا لكريهةٍ » الخ ، الكريهة من أسماء الحرب . ونُسبَق بالبناء للمفعول .

والحَوْمات : جمع حَومة ، وهى موضع القتال . ونُعنِق : نسرع . قال فى المصباح : العَنَق بفتحتين : ضربٌ من السير فسيح سريع ، وهو اسمٌ من أعنقَ إعناقا .

٢٧ وقوله : « حق مصدَّق » بفتح الدال المشددة مصدر ، أى تصديقا حقٌّ تصديق .

وترجمة كعب بن مالك الصحابى تقدمت فى الشاهد السادس والستين[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الأربعمائة[٣] :

٤٥٧ (أعطِيهِمُ الجهدَ مِنِّى بَلْهَ ما أَسَعُ)

---

(١) لكن أثبت فى اللسان اللغتين فى معنى السحاب ، كما سبق فى الحواشى .

(٢) الخزانة ١ : ٤١٧ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٤٩ واللسان (كون بله) وديوان أبى زبيد ١٠٩ .

على أنَّ الأخفش أورده فى باب الاستثناء وقال : بله فيه حرفُ جرّ كعدا وخلا بمعنى سوى .

أورده أبو على (فى إيضاح الشعر) ، وعقد لبَلْهَ باباً ، قال : هذا باب ما يكون مرّةً اسما ومرّة مصدراً ومرةً حرف جر . قال الشاعر :

حمّال أثقالِ أهلِ الودِّ آونةً
أعطيهم الجَهدَ منىِّ بلهَ ما أَسَعُ

قال أبو الحسن الأخفش فى بابٍ من الاستثناء : إنَّ بله حرف جر . قال أبو على : ووجه كونه حرفاً أنهّ يمكن أن يقال إنك إن حملته عَلَى أنَّه اسم فعل لم يجز ، لأنَّ الجمل التى تقع فى الاستثناء مثل لا يكون زيدا وليس عمرا وعدا خالدا ، فيمن جعله فعلا ، ليس شىءٌ منه أمراً ، وهذا يراد به الأمر ، وهو اسمٌ للفعل ، فإذا كان كذلك لم يجز ، لأنه لا نظير له . فإن قلت : فلم لا تجعله المصدر ، لأنَّ المصدر قد وقع فى الاستثناء فى قولك : أتانى القوم ماعدا زيدا ، والتقدير: مجاوزتَهم زيداً ، فهو مصدر . قلت : يمكن أن يقال إن ما زائدة وليست التى للمصدر ، وعدا إذا قدِّرت زيادةُ «ما» كان جملةً ، فليس فى ذلك دلالة لاحتماله غيرَ ذلك . والحروف قد وقعت فى الاستثناء نحو خلا وحاشا ، ولا وجه لهذه الكلم إلا أن تكون حروفَ جر ، فإذا كان بله زيد هنا ليس يخلو من أن يكون اسم فعل أو مصدراً أو حرفا ، وليس يجوز وقوعُ اسم الفعل هنا لما قدمنا ، ولا المصدر لأنَّه لم يقع عليه دلالة من حيث جاز أن تكون ما زائدة فى ما عدا ، كان حرفَ جرٍّ ، لأن حروف الجر قد وقعت فى موضع الاستثناء . انتهى كلامه .

وحاصله أنه استدلَّ لبلْهَ بكونه حرف استثناء بأنَّ اسم الفعل لم يقع فى

الاستثناء ، فكذلك لم يكن مصدرًا ، لأنه لا يكون مصدرٌ إلاّ حيث يكون اسم فعل . ثم اعترض نفسه بما عدا زيدا وبابه فقال : يمكن أن تكون ما زائدة .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : قلت كونها مصدريةً أولى ، وبه قال سيبويه والجماعة . وقد حكى أبو عبيدة وأبو الحسن النصب بعدها فى الاستثناء. انتهى .

ويريد أبو على أنها ليست فى النصب حرفا ، لأنها قد جَرَّت ، وليس فى الاستثناء ماينصب ويخفض إلا وهو متردِّد بين الحرفية والفعلية ، ولا يكون نصبُها كنصب إلا لهذا ، ولأنها لا يقع بعدها المرفوع. كذلك قال أبو حيان . يريد أنَّها لم تخرج عن بابها وإن دخلها معنى الاستثناء ، فالخفض عَلَى أنها مصدر ، والنصب عَلَى أنها اسم فعل . وقال الدماميني (فى شرحه المزج[1] عَلَى المغنى) : ذهب الكوفيون والبغداديُّونَ إلى أنَّ بله تَردُ للاستثناء كغير. وجمهور البصريين على أنها لا يستثنى بها . واستدلَّ ابن عصفور بأمرين :

أحدهما : أنَّ مابعد بله لا يكون من جنس ماقبلها. ألا ترى أنَّ الأكف فى البيت ليست من الجماجم .

٢٨ والثانى: أنَّ الاستثناء عبارةٌ عن إخراج الثانى ممَّا دخل فى الأول ، والمعنى فى بله ليس كذلك. ألا ترى أنَّ الأكف مقطوعة بالسيوف كالجماجم.

وفيه نظر . أما الأول فلأنَّا لانسلم أنَّ كلَّ استثناء يكون ما بعد الأداة فيه من جنس ما قبلها ؛ بدليل المنقطع . وأما الثانى فلتحقُّق الإخراج باعتبار الأولوية . انتهى .

---

(١) ش : « فى الشرح المزج » .

وقد بسط القول أبو حيان (فى شرح التسهيل) على هذه المسألة فلا بأس بايراده . قال :

مذهب جمهور البصريِّين لايجوز فيما بعدها إلا الخفض . وأجاز الكوفيون والبغداديون فيه النصب على الاستثناء ، نحو أكرمت العبيد بله الأحرار . وإنَّما جعلوها استثناء لأنهم رأوا مابعدها خارجاً عما قبلها فى الوصف ، من حيث كان مرتَّبا عليه ، لأنَّ المعنى فيه: إنَّ إكرامك الأحرار يَزيد على إكرامك العبيد . والصَّحيح أنها ليست من أدوات الاستثناء ، بدليل انتفاء وقوع إلاَّ مكانها ، وأنَّ مابعدها لايكون إلا من جنس ماقبلها .

ويجوز دخول حرف العطف عليها ، ولم يتقدَّمها استثناء . قال شيخنا ابن الضائع[1]: وممَّا يُضعف إدخالَ بله ولاسيما فى أدوات الاستثناء ، أنَّهم لم يأتوا بحتىَّ فى الاستثناء . ألا ترى أنَّ قولهم: قام القوم حتى زيد، قد أخرج زيدٌ عن القوم لصفةٍ اختصَّ بها فى القيام لم تثبت لهم ، فلو كان هذا المعنى حقيقة فى الاستثناء للزم . ولا تذكر حتىَّ فى أدوات الاستثناء . انتهى .

وما ذهب إليه جمهور البصريين من أنَّه لايجوز فيما بعدها النصبُ ليس بصحيح ، بل النصب بعدها محفوظٌ من العرب . قال الشاعر :

* مَشْىَ الجوادِ فبَلْهَ الجِلَّةَ النُّجبا[2] *

وقال جرير :

وهل كنتَ يا ابنَ القين فى الدهر مالكاً
لغـــير بعيرٍ بَلْهَ مَهرِّيةً نُجُبا

---

(١) هو على بن محمد بن على الاشبيلى ، وهو بالضاد المعجمة ، من شيوخ أبى حيان . توفى سنة ٦٨٠ .

(٢) لابن هرمة فى ديوانه ٥٧ واللسان والتاج (بله) . وصدره :

* تمشى القطوف اذا غنى الحداة بها *

وقال آخر :

* بله الأكفّ كأنها لم تخلق *

وقد روى الرفع أيضاً بعد بله على معنى كيفَ . ذكره قطرب وأنكره أبو على . وفى (مختصر العين) : بلهَ بمعنى كيف، وبمعنى دع . فأمّا الجر بعدها وهو المجمع على سماعه فذهب بعضُ الكوفيين إلى أنّها بمعنى غير ، فمعنى بله الأكف غير الأكف ، فيكون هذا استثناء منقطعا . وذهب الفارسىّ إلى أنها مصدر لم يُنطَق له بفعل ، وهو مضاف وهى إضافةٌ مِن نَصب . وذهب الأخفش إلى أنّها حرف جر . وأما النصب فيكون على أنّه مفعول وبله مصدر موضوع موضع الفعل ، أو اسم الفعل ليس من لفظ الفعل . فإذا قلت : قام القوم بله زيدا ، فكأنك قلت : تركاً زيدا ، أودَعْ زيدا .

وأمّا الرفع فعلى الابتداء وبله بمعنى كيف فى موضع الخبر . وقال ابن عصفور : إذا قلت قام القوم بله زيدا إنمّا معناه عندنا دع زيداً ، وليس المعنى إلاّ زيداً . ألا ترى أنّ معنى بله الأكف دع الأكفّ . فهذه صفتُها ، ولم يرد استثناء الأكف من الجماجم .

قال شيخنا : هذا مناقضٌ لقوله : كأنها لم تخلق ، فإنما يريد إذا كان فعلُها فى الجماجم كذا فالأكفُّ أحرى بذلك ، فكأنّها لم تكن قطّ فيقال إنها قطعتها . فلا فرق بين معنى لاسيا وبله . انتهى .

هذا ما أورده أبو حيان . وقول الشارح المحقق : « ومنه بله ما أُطْلِعتم » أى من الاستثناء بجعل بله بمعنى سوى . وهو قطعة من حديث أخرجه البخارى (فى صحيحه) عن أبى هريرة فى تفسير سورة السجدة وهو ، « يقول الله تعالى :

أعددت لعبادِيَ الصالحينَ مالاعينٌ رأت، ولا أذُنٌ سمعتْ، ولاخَطَرَ عَلَى قلب بشر، ذُخراً بله ماأطلعتم عليه». ثم قرأ: ﴿فلا تعلم نفسٌ ماأُخفي لهم من قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون[1]﴾. وأطلعتم ضبطه القسطلّانى بضم الهمزة وكسر اللام. قال: ولأبى الوقت. «أطلَعْتهُمْ» بفتح الهمزة واللام وزيادة هاء بعد التاء.

٢٩

وأخرجه مسلم أيضاً عن أبى هريرة فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (من صحيحه) ولفظه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عزّ وجَلّ: أعددتُ لعبادى الصالحين مالاعينٌ رأت، ولا أذنٌ سمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشر، ذُخرًا بله ما أطلعكم الله عليه» ثم قرأ: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِيَ لهم منُ قُرَّةِ أعين﴾ انتهى. وفى رواية منه: «بله ماأطلَعَكُم الله عليه».

فقول القسطلّانى فى شرح البخارى إنّ هـذا الحديث من أفراد البخارىّ سهو، مع أن ابن حجر قال (فى فتح البارى): أخرج مسلمٌ الحديثَ كلَّه عن أبى بكر بن أبى شيبة، قال النووى فى شرح مسلم: بله معناها: دع عنك ما أطلعكم عليه، فالذى لم أطلعكم عليه أعظم، فكأنّه أضربَ عنه استقلالاً له فى جنب مالم يطلع عليه. وقيل معناها غير، وقيل معناها كيف. وقال ابن الأثير (فى النهاية): بله اسم فعل بمعنى دَعْ، وقد يوضع موضع المصدر ويضاف. وقوله ماأطلعتم عليه، يحتمل أن يكون منصوب المحلّ ومجروره. انتهى.

ورواه أبو حيان (فى تذكرته): «بله ماقد أطلعتُكم عليه» وقال: يريد فدع ما أطلعتكم عليه، وكيف ما أطلعتكم. وتقول العرب: إنّى لا أركب الخيلَ فكيف الحميرَ، يريد: فدع ذكر الحمير لاتذكُرْهُ. ففى هذا القول دلالةٌ على موافقة كيف معنى دَعْ فى هذه الجهة. انتهى.

---

(١) الآية ١٧ من السجدة.

ووقع فى أكثر نسخ البخارى « منْ بلْهِ ما اطَّلعتم عليه » ، بزيادة « من » . قال القسطلّانى : هى رواية أبى ذر وأبى الوقت والأصيلى وابن عساكر . قال ابن حجر : قال الصَّغانى : اتَّفقت نُسَخُ الصحيح على مِن بله ، والصواب إسقاط كلمة مِنْ . وتُعُقِّب بأنّه لا يتعيَّن إسقاطها إلا إذا فسِّرت بمعنى دع ، وأما إذا فسِّرت بمعنى من أجل أو من غير أو سوى فلا . وقد بيِّنت فى عدّة مصنفاتٍ خارجَ الصحيح بإثبات مِنْ . وأخرجه سعيد بن منصور ومن طريقه ابن مردويه من رواية أبى معاوية عن الأعمش كذلك . وقد فسَّر الخطابىُّ الجارَّ والمجرور بقوله : كأنَّهُ يقول : دع مااطَّلعتم عليه فإنَّه سهل فى جَنْب ما ادُّخر لهم . وهذا إنَّما هو لائقٌ بشرح بله بغير تقدُّم من عليها . وأما إذا تقدَّمت من عليها فقد قيل : هى بمعنى كيف ويقال أجل ، ويقال بمعنى غير أو سوى ، وقيل بمعنى فضل . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ومن الغريب أنّ فى رواية البخارى « مِنْ بلهِ » ، قد استعملت معربةً مجرورة بمن ، وخارجةً عن المعانى الثلاثة . وفسَّرها بعضهم بغير ، وهو ظاهرٌ . وبهذا يتقوَّى من يُعدُّها فى ألفاظ الاستثناء . انتهى.

وكذلك قال القسطلانى : قد ثبت جرُّ بله بمِنْ فى الفرع المعتمد المقابل على أصل اليونينى ، المحرَّر بحضرة إمام العربية أبى عبد الله بن مالك .

قال الدمامينى (فى شرح البخارى) و(فى شروح المغنى) : نصَّ ابن التِّين [1] على أنَّ بله ضبط بالفتح والجر ، وكلاهما مع وجود من . فأما الجر فقد وجَّهه ابن هشام . وأما توجيه الفتح مع وجود من فقد قال الرضىّ : إذا كان بله بمعنى كيف جاز أن تدخله من ، وعليه تتخرَّج هذه الرواية ، فتكون بمعنى كيف التى يقصَد بها الاستبعاد . وما مصدرية وهى مع صلتها فى محلٍّ رفع على ٣٠

(١) ذكره فى تاج العروس (تين) قال : « وعبد الرحمن السفاقسى المالكى المعروف بابن التين ، شارح البخارى » . وفى كشف الظنون : « عبد الواحد بن التين لسفاقسى » .

الابتداء والخبر من بله ، والضمير من عليه عائد على الذخر ، أى كيف ومن أين اطِّلاعكم على الذخر الذى أعددته ، فإنه أمرٌ قلما تتّسع العقولُ لإدراكه والإحاطة به . انتهى .

ومثله لابن حجر قال : ووقع فى المغنى لابن هشام أنّ بله استعملت معربة مجرورة بمن ، وأنها بمعنى غير ، ولم يذكر سواه . وفيه نظر لأنَ ابن التِّين حكى روايةَ مِنْ بلهَ بفتح الهاء مع وجود مِنْ ، فعلى هذا فهى مبنيَّة وما مصدرية ، وهى وصلتُها فى موضع رفع على الابتداء ، والخبر هو الجار والمجرور المتقدم ، ويكون المراد ببله كيف التى يقصدبها الاستبعاد . والمعنى: من أين اطِّلاعُكم على هذا القدر الذى تقصُر عقولُ البشر عن الإحاطة به. ودخول مِنْ على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف (فى شرح الحاجبية) . وأوضحُ التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب أنها بمعنى غير ، وذلك بيِّن لمن تأمَّله . انتهى .

وهذا الاتفاق من الدمامينى وابن حجر غريبٌ ، يقلُّ وقوع مثله ، فإنهما وإن كانا متصاحبين لم يركلٌّ منهما شرحَ الآخر على البخارى .

أقول : كسرة بله يحتمل أن تكون كسرة بناء . ويؤيده ماقاله أبو حيان (فى الارتشاف) بأنه سمع فى بله فتح الهاء وكسرها .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدةٍ لأبى زُبيدٍ الطائى النصرانى . وقبله ، وهو مطلع القصيدة :

أبيات الشاهد

(مَن مبلغٌ قومَنا النائينَ إذ شحطوا
أنَّ الفؤادَ إليهمْ شَيِّقٌ ولعُ

حَمّالُ أثقالِ أهــلِ الودِّ آونةً
أعطيهم الجُهْدَ منّى بلهَ ما أسَعُ)

مَن استفهامية ومبلغٌ متعدٍّ إلىَ مفعولين ، يقال أبلغته السلامَ ، فقومَنا مفعوله الأوّل، والنائين وصفه ، وأنَّ الفؤاد الخ بفتح أنّ فى تأويل مصـدر منصوب هو المفعول الثانى . والنائين : جمع ناء اسم فاعل من النأْى ، وهو البعد . وإذْ ظرفٌ معناه التعليل متعلّق بمبلغ . وشَحَطوا بفتح الحاء ، يقال شحط يشحط شَحْطا من باب منع وشحوطا ، وهو البعد . وشَيِّق : مشتاق ، وأصله شيوق بوزن فيعل . و ولِـع بكسر اللام : وصْفٌ من ولع بفتح اللام وكسرها يَلَع بفتحها مع سقوط الواو ، وَلْعًا بسكون اللام وفتحها ، بمعنى عَلِق به ، من عـلاقة الحب . كذافى المصباح .

وحمال : مبالغة حامل خبر لمحذوف[1] أى هو حمّال . وأثقال : جمع ثقل بفتحتين ، وهو متاع المسافر . وآونة : جمع أوان بمعنى الحين ، كأزمنة وزمان وهو ظرف لحمّال ، أى حَمَلته فى أزمانٍ كثيرة . وضمير أعطيهم لأهـل الودّ جمعه باعتبار معناه . والجهد بالفتح : النّهاية والغاية ، وهو مصدر جهد فى الأمر جهدا من باب نفع ، إذا طلب حتىّ بلغ غايتَه فى الطلب . ومنه اجتهد فى الأمر ، أى بذل وُسعَه وطاقته فى طلبه ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته . والجَهْد أيضاً : الوسع والطاقة ، يفتح فى لغة الحجاز ويضم فى غيره . وأسع : مضارع وسع ، يتعدّى ولا يتعدى . يقال وسع المـكانُ القومَ ، ووسع المـكانُ أى اتسع . قال النابغة :

---

(١) ش : « خبر المحذوف » .

تسَعُ البلادُ إذا أتيتُكِ زائراً وَإذا هجرتكِ ضاق عنى مقعدى [١]

والسَّعة والوسع : الطاقة ، والجِدَة أيضاً . والفعل وسِع بكسر السين يَسَع بفتحها ، وأصل الفتحة الكسرة ، ولهذا اسقطت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة ثم فتحت بعد الحذف لِمكانِ حرف الحلق . فأسع إن كان متعدِّيا فما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف ، أى أسعه . وإن كان لازما بمعنى اتَّسع فما مصدرية . فالجهد إن كان بالمعنى الأول فالوسع بالمعنى الثانى ، وبالعكس لئلا يتكرَّر . وظهر من هذا التقدير أنَّ الاستثناء لامساس له هنا ، وإنما المعنى على أحد الأوجه الثلاثة فى البيت السابق . فالأول أنِّى أعطيهم فوق الوُسع ، فتركاً للوسع،أو فدع الوُسع أى ذكره، أو فكيف الوسْع لا أعطيه . فتأمَّلْ .

٣١

* * *

وأنشد بعده :

(وقفنا فقلنا إيه عَنْ أمِّ سالمٍ)

تقدَّم شرحه قبل بيتين منه[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(مَهلا فداء لك الأقوامُ كلُّهمُ
وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولَدِ)

وهذا أيضاً تقدَّم شرحه فى أول الباب[٣] .

(١) ديوان النابغة ٣٤ تحقيق شكرى فيصل .
(٢) أنظر هذا الجزء ص ٢٠٨ .
(٣) فى الشاهد ٤٥٢ ص ١٨١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الأربعمائة[1] :

٤٥٢ (ألاَ حيِّيا ليلىَ وقولا لها هَلاَ
نقد ركِبَتْ أمراً أغرَّ محجَّلا)

على أن هَلاَ فيه اسم فعل بمعنى اسرعى[2] .

المعروف[3] أنها زجرٌ للدابَّة لتذهب ، فتكون من أسماء الصوت كما فسَّره هو بهذا فى باب الصوت .

قال صاحب الصحاح : هلاَ زجرٌ للخيل، أى توسَّعى وتنحَّىْ . قال :

* وأىُّ جوادٍ لايقال له هلا *

وللناقة أيضاً ، وقال :

* حتَّى حدوناها بِهيد وهلا *

وهما زجران للناقة ، وقد تسكَّن بها الإناث عند دنوِّ الفحل منها . قال :

* ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هلا * انتهى

فقد عكس الشارحُ كما ترى ، ففسَّرها بأسرعى دون اسكنى .

وقال ابن الأثير (فى النهاية) فى شرح حيَّهلا من حديث ابن مسعود : « إذا ذُكِر الصالحون فحيَّهلاَ بعُمر » ، قال : أى أقبل به وأسرع، وهى كلمتان

---

(١) الأغانى ٤ : ١٣٢ وابن يعيش ٤ : ٧٤ وديوان النابغة الجعدى ص ١٢٤ .

(٢) الذى فى الرضى ٢ : ٦٧ : « ومنها هلا ، وله معنيان : اسكن وأسرع » ، فقط .

(٣) ش : « أو المعروف » بزيادة « أو » من الناسخ مقرونة بكلمة « صح » . والحق أن الكلام هنا للبغدادى لا للرضى .

جعلتا كلمة واحدة ، فحيَّ بمعنى أقبل وهَلاَ بمعنى اسكنْ عند ذكره حتى تنقضى فضائله . انتهى .

فهلاَ من حَيَّهلا إمّا بمعنى أسرع وإمّا بمعنى اسكن؛ لأنها تأتى للمعنيين كما قال الشارح .

وكأنّه رحمه الله أخذ كلامه من هنا لكنّه لم ينعم النظر .

وأورده الزمخشرى (فى مفصله) قال: ويستعمل حيَّ وحده بمعنى أقبل، وهَلاَ وحده . وأنشد البيت .

صاحب الشاهد

والبيت أول أبياتٍ للنابغة الجعدى الصحابىّ هجا بها ليلَى الأخيليَّة . وبعده :

أبيات الشاهد

(ذرى عنكِ تَهجاء الرجال وأقبلى
إلى أذْلَقِىٍّ يملأُ استَكِ فيشلا[(١)]
بُرَيذينةٌ بلَّ البراذينُ ثَفْرَها
وقد شربت فى أوّلِ الصَّيف أيِّلا
وقد أكلت بقلاً وخِيماً نباته
وقد نكحت شرَّ الأخايل أخيلا
وكيف أهاجى شاعراً رمحُه استهُ
خضيبَ البنان لايزال مكحَّلا)

وقوله : (ألا حيِّيا) ، أى ابلغاها تحيّتى ، على طريق الهزء والسخرية . وروى : ألا أبلغا ، أمَرَ مخاطبين بالتبليغ أو واحداً ، إما بتقدير الألف مبدلة

(١) فى الديوان : « وأقبلى على أذلغى » .

٣٢ من نون التوكيد الخفيفة ، وإمّا من قَبيل خطاب الرجل صاحبه بخطاب الاثنين على عادتهم . وهلا هو المحكىُّ بالقول .

وقوله : (فقد ركبْتَ) إلخ أراد أنها ركبتْ بسبب التعرُّض لى[1] أمراً واضحاً ظاهراً لايخفى . وهذا يقال فى كل شىء ظاهرٍ عُرف كما يُعرف الفرس الأغر المحجَّل . ومنه قول الشاعر[2] :

وأيامُنا معروفةٌ فى عــــدُوِّنا[3]
لهــــا غررٌ معروفة وحُجولُ

وروى : « لقد ركبت أيرا » بالمثناة التحتية بدل الميم ، وهو تحريف من الكتّاب .

وقوله « ذرى عنك » إلخ ذرِى : اتركى . وتَهجاء بالفتح : مصدر لمبالغة الهجاء . وأذلقى ، أى أيرٍ أذْلَقىّ . والأذلقُ : السنان المسنون المحدَّد . قال صاحب العباب : ذلِق السنانُ بالكسر يذلق ذَلَقًا ، أى صار حديداً ، فهو ذلق ؛ وأسِنَّةٌ ذُلْق .

وقال العينى : أذلقىّ ، أى رجلٌ فصيح متقن .

وهذا لامناسبة له هنا . ومِثله لبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) قالا : أذلقىٌّ أى فصيح ، يقال فلانٌ ذلْق اللسان أى طليقُه . والأذلقىُّ مبالغة . انتهى

---

(١) ط : « التعرض بى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) هو السموءل ، كما فى ديوانه ص ١٥ والحماسة ٢١ بشرح المرزوقى .
(٣) فى الديوان : « وأيامنا مشهودة فى قديمنا » .

وروى: « أذلغى » بدل « أذلقُ » بذال وغين معجمتين بينهما لام .
قال صاحب العباب: ويقال للذكر أذلَغ وأذلغيٌّ، ومِذْلغ بكسر الميم . والأذلغى : منسوب إلى بنى أذلغ : قومٌ من بنى عامر ، يُوصَفون بالنكاح . قال ابن الكلبي : الأذلغ هو عوف بن ربيعة بن عُبادة ، وأمه من ثُمالة .

وقال الأزهرى : الذكر يسمى أذلغ إذا اتمَهَّل[1] فصارت تُومته مثلَ الشَّفَة المنقلبة . ويقال رجل أذلغ ، إذا كان غليظ الشفتين . وذلغ جاريته، إذا جامعها . انتهى .

والفيشل ، بفتح الفاء : رأس الذكر ، ومثله الفيشلة . كذا فى العباب .
وقال العينى : الفيشل الذكر العظيم الكمرة . ولم أره بهذا المعنى .

وقوله :« بريذينة حَكّ البراذين » إلخ هو مصغّر البرذونة. قال المطرِّزى : البرذون : التركىُّ من الخيل، وهو خلاف العِراب. وقال ابن الأنبارى : البرذون يقع على الذكر والأنثى ، وربما قالوا فى الأنثى برذونة . كذا فى المصباح .
والثَّفر بفتح المثلثة وسكون الفاء ، قال صاحب المصباح : الثفر ، مثل فَلْس، للسِّباع وكل ذى مخلب بمنزلة الفَرْج والحَيا للناقة . وربما استعير لغيرها .

وقوله : « وقد شربت من آخر » إلخ الأيل بضم الهمزة وتشديد الياء المفتوحة : جمع آيل ، كقارح وقُرَّح. والآيل : اللبن الخاثر . وقيل اسم جمع له، يقال آل اللبنَ يؤول أَوْلاً ، إذا خثُر . وأراد ألبانا أيلاً ، فحذف الموصوف .
وقيل هو أُيِّل بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء المكسورة ، وهو الذكر

(١) فى النسختين : « اذا تمهل » ، والصواب ما أثبت كما فى اللسان (ذلغ ٣٠٨) . وفى اللسان (تمهل) : « اتمهل الشىء اتمهلالا : أى طال ، ويقال اعتدل . وكذلك اتمال واتمأر ، أى طال واشتد » .

من الأوعال . والأنثى أيِّلة وأُرْوِيَّة . والأيل هو ذو القرن الأشعب الضَّخم مثل الثَّور الأهلى ؛ وإنَّما سمى أيِّلا لأنه يؤول إلى الجبال يتحصَّن فيها . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) :أراد لبن أيِّل ، فحذف المضاف. وخصَّه دون غيره لأنه يهيِّج الغُلمة .

وقال صاحب العباب : قال شمر : هو لبن الأيايل . قال أبو الهيثم : هذا محالٌ ، ومن أين يوجد ألبانُ الأيايل .

وقال أبو نصر : هو البول الخاثر من أبوال الأروى، إذا شربته المرأةُ اغتلمت. وهو يُغْلِم ، أى يقوِّى على النِّكاح .

وقوله : « قد أكلتْ بقلاً وخيماً » إلخ الوخيم : الثقيل . ونَكَحت : تزوَّجت ، من باب ضرب . والأخايل : جمع أخيل، قال صاحب العباب : بنو الأخيل : حىٌّ من بنى عُقَيل رهط ليلى الأخيلية . وقولها :

٣٣ نحنُ الأخايل مايزال غلامُنا

حتىَّ يدبَّ على العصا مذكورا

وإنَّما جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العُقَيلى . انتهى .

أراد أنها تزوجت بأشرٍّ بنى أخيل . وأخيَل صفة لشر ، لتأويله بمشئوم فإنَّ الأخيل هو الشقِرَّاق ، والعرب تتشاءمُ به .

وقوله : « وكيف أهاجى شاعراً » إلخ أى كيف أهاجى امرأةً بهذه الصفات . والاستفهامُ إنكارىٌّ . أى لا أهجوه استنكافاً ممن بهذه الصفة .

وسبب هجو النابغة لليلى أنَّه كان يهاجى زوجها سَوَّار بن أوفى القُشَيرى ، فاعترضَتْ ليلى بينهما فهجت النابغة بشعر ، فهجاها بهذا الشعر ، فهجته بقصيدةٍ منها هذه الأبيات :

أنابغ لم تنبغْ ولم تكُ أوَّلاَ
وكنتَ صُنَيّاً بين صُدَّين مَجهَلا(١)

أنابغ إنْ تنبُغ بلؤمك لاتجدْ
للؤمك إلاَّ وَسْطَ جعدةَ مجعَلا

أعيَّرتنى داء بأمِّك مثــلُه
وأىُّ حَصَانٍ لايقال لها : هَلا

تُساورِ سَّواراً إلى المجـد والعلا
وفى ذمَّتى لئن فعلتَ ليَفْعَلا

فغَلَبته ، ولهذا صار النابغة معدوداً من المغلَّبين. هذا هو الصحيح فى الرواية كما فى الأغانى وفى شرح شواهد إصلاح المنطق ، لا العــكس(٢) ، كما قاله ابن هشام (فى شرح الشواهد) ، وتبعه العينى وغيره .

ثم إنها وفدت إلى الحجاج بن يوسف فأعطاها ما سألت ، ثم قال لها : ألكِ حاجة بعد هذا ؟ قالت : نعم ، تدفعُ إلىَّ النابغة الجعدىَّ . قال : قد فعلتُ . فلما بلغ النابغةَ فعلُ الحجَّاج به خرج هارباً إلى عبدالملك بن مروانَ عائذاً به، فاتَّبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته(٣) بكتاب الحجاج إليه ، فماتت بقومس. وقال ابن قتيبة : بساوة ، وقبرت هناك .

---

(١) ديوان ليلى ١٠٠ . وانظر ما فيه من تخريج .
(٢) فى هامش طبعة بولاق : « قوله لا العكس الخ أقول : راجعت شرح الشواهد لابن هشام فلم أر فيه عكس ما هنا ، بل مثله . كذا بهامش الأصل » .
(٣) فى النسختين : « فاتبعه » .

وقولها « أنابغ » ألخ الهمزة للنداء . ونابغ : مرخَّم نابغة، وهو لقبٌ والهاء للمبالغة . يقال نبغَ الرجل ، إذا لم يكنْ فى إرثِ الشِّعر ثم قالَ وأجاد ، ومنه سمِّى النوابغ من الشعراء ، وهم ثمانية . واسم الجعدىّ قيس بن عبد الله ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة[1] .

ونَبَغ ينبغ بفتح الباء فى الماضى، وبتثليثها فى المضارع، إذا ظهر وعلا . وقولها « ولم تك أوّلاً » أى لم تكن أوّلَ من قال شعراً، وليس لك قدمٌ فيه . والصُّنىّ : مصغر صِنو بكسر الصاد المهملة وسكون النون، وهو حِسْىٌ صغير لا يَرِدُه أحد ولا يُؤْبَه له، ويقال هو شقٌّ فى الجبل. كذا فى الصحاح. وقال ابن السيد (فى شرح أبياتِ أدب الكاتب) : الصُّنَىُّ : شِعب ضيِّق بين الجبال، وقيل هو الرماد، وقيل هو الشيء الحقير الذى لا يُلتفَت إليه. والحِسْى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين، وهو الماء المتوارى فى الرّمل. قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) : لم تنبُغ : لم تَعْلُ ولم تُذكَر. والصُّنَىُّ : الحِسْى الصغير، تريد أنه بمنزلة الحِسى ، كهذا الماء الذى بين جبلين لا يرِدُه أحد . وتجهَّلا نعت لصُنىّ . والصّد ، بضم الصاد وفتحها ، ويقال سد بالسين كذلك ، هو الجبل .

والمجعل : مصدرٌ ميمى بمعنى الجَعْل ، أى لم تجـد من يجعلك شريفاً إلاّ قومَك .

وقولها « أعيرتنى داء » ، أى : أنسبتنى إلى العار ، وهو كلُّ شىء يلزم منه عيبٌ أو سُبَّـة ، يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه كما هنا. وبالباء أيضاً . ٣٤ قال المرزوقى (فى شرح الحماسة) : المختار أن يتعدّى بنفسه. والحَصَان ، بالفتح :

---

(١) الخزانة ٢ : ١٦٧ .

المرأة العفيفة . وروى بدله « وأىُّ جواد » ، وهو الفرس الجيِّدة . وقولها «تُساوِرُ سوّارا » إلخ تساور : تواثب وتغالب .

وسوّار قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو سوّار بن أوفى القشيرى . وكان زوجها . وصحفه بعضهم ورواه « تسوّر سوّار » ، والصواب ما رويناه .

وهذا البيت أورده سيبويه فى كتابه[1] على أنّ الألف فى ليفعلا أصلها نون التوكيد الخفيفة قلبت ألفا . واللام فى لئن موطئة للقسم ، واللام الثانية فى جواب القسم المقدّر ، وجملة : يفعلا جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف وجوباً ، وفى ذمتى خبر مبتدأ محذوف ، أى فى ذمتى القيام بما أدّعيه لسوّار من أن يغلبك ، والله لئن فعلتَ ليفعلنَّ ، أى لئن واثبته ليواثبنَّك ويغلبنَّك .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) قوله : «وفى ذمتى» قسم ، وجوابه ليفعلن . فإن قلت : إن قوله[2] وفى ذمتى ليس بكلام مستقل ، والقسم إنما هو جملة .

قلت : إنّه أُضمر فى الظرف اليمين أو القسم ، لدلالة الحال عليه ، كما أُضمر فى قوله سبحانه : ﴿ ثمّ بدا لهم[3] ﴾ الفاعلُ ، وصار ليسجنُنَّه كالجواب ، لأنّ بدا بمنزلة علم ، وذاك أنه علمٌ . ومن لم يرفع بالظرف فينبغى أن يكون المبتدأ عنده محذوفا . ويبيِّن ذلك قولهم : علىَّ عهد الله لأفعلن . انتهى[4] .

المبتدأ وجوباً إذا كان خبرُه صريحاً فى القسم ، كقولهم : فى ذمّتى لأفعلنّ ، أى فى ذمتى يمين .

---

(١) سيبويه : ٢ : ١٥١ .
(٢) ش : « ان قولها » .
(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .
(٤) يبدو أن بين هذا الكلام وتاليه سقطا تقديره : « ويحذف » وقد بيض له فى النسختين بمقدار نصف سطر .

وأنشد هذا البيت .

وإنّما عدّه صريحاً لأنه اشتهر استعماله فى القسم . وبه يسقط قول من قال كما نقله العينى : يحتمل أن يكون : فى ذمّتى دينٌ أو عهد، فلا يفهم القسم إلا بذكر المقسم به .

* * *

وأنشد بعده :

(قدنىَ من نصر الُخبَيبين قدِى)

وقد تقدّم شرحه مفصلا فى الشاهد الثالث بعد الأربعمائة[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الأربعمائة[2] :

٤٥٩ (ومَتَى أهلِكْ فلا أحْفِلُه
بَجَلِى الآنَ مِنَ العَيْشِ بَجَلْ)

على أنّ بجل كان فى الأصل مصدراً بمعنى الاكتفاء ، ثم صار اسم فعل بمعنى فعل الأمر ، فإن اتّصل به الكافُ كان معناه اكتفِ ، أمر مخاطب حاضر . وإن اتصلَ به الياء كان معناه لأكتفِ ، أمر متكلّم نفسَه ، كما أنّ قد وقَطْ كذلك . ففيه ضمير مستتر وجوبا تقديره فى الأول : أنت ، وفى الثانى : أنا .

ومثله (فى المفصل للزمخشرى) : أنّ قدك وقطك بمعنى اكتفِ وانته . ولم يذْكر معهما بجل .

(١) الخزانة ٥ : ٣٨٢ – ٣٩٦ .
(٢) ديوان لبيد ١٩٧ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٩١ ، ٦٠٨ .

وكونها موضوعةً لهذا المعنى هو المتبادِرَ الظاهر من موارد استعمالها ، والمطَّرد فى كل موضع أنت فيه .

وذهب ابن مالك (فى التسهيل) إلى أنّ الثلاثة موضوعةٌ لأكتفى فعلاً مضارعا للمتكلم . وهو قريبٌ مما قالاه .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وأمّا بجل فقد ذكروا أنّها اسمُ فعل والياء فى موضع نصب بمعنى كفانى أو يكفينى . وإذا لم تلحق فهى بمعنى حسب .

واقتصر المرادى (فى الجنَى الدانى) وابن هشام (فى المغنى) وغيرها ٣٥ على أنُّها موضوعة ليكفى فعلا مضارعا غائباً . وهـذا يحتاج إلى فاعل ظاهر ولا يتيسَّر فى بجلى الآن ، ولا فى قول طرفة بن العبد .

وقد أورده ابن هشام (فى المغنى) :

* ألا بَجَلى من الشَّرابِ ألا بجلْ *

لعدم وجوده . ولمَّا رأوا أن لا فاعل اضطرُّوا إلى جعل بجل فى البيتين بمعنى حسب ، وأثبتوا معنىً ثانيًا لها . ولا ضرورةَ تدعو إليه ، ولهذا لم يذكر الشارح المحقِّق معنى حسب أصلاً ، حسما للانتشار من غير فائدة .

فإن قلت : إنَّ علماء اللغة المتقدِّمين كالأزهرى، وابن دُريد ،والجوهرى وغيرهم إنما قالوا بجل بمعنى حَسْب ، ولم يتعرَّضـوا لمجيئها اسم فعل فما وجهه ؟ قلت : هو راجعٌ إليه ، وإنما عبرَّوا بحسب لقُرب المعنى تيسيراً للفهم . وهم يتساهلون فى تفسير بعض الألفاظ .

ولمّا كان غرض النحويّين متعلقا بأحكام الألفاظ دقّقوا النظر فبيّنوا حقيقتها ، وفسّروها بالفعل وسموها اسم فعل . ولا يصح أن تكون موضوعةً بمعنى حسب ، لأنّ كلاًّ منهما لا يستعمَل استعمالَ الآخر . أمّا حَسْب فإنها اسمٌ معرب متصرِّف، يقع مبتدأ وخبراً وحالا ومجروراً، ويدخل عليها العوامل اللفظية . وبَجَلْ على خلاف هذا . وإثبات هذه الأمور لها دُونَه خَرْطُ القتاد . وأمّا بجل فإنّ نون الوقاية تلحقها ، وحسب لاتلحقها ولا فى الندرة .

وقد أخذ ابن مالك بظاهر كلام أهل اللغة فأثبت مجىء بجلْ بمعنى حسب وحَسْب ليست اسمَ فعل لدخول العوامل عليها ،ولم يُصِبْ منعدّها من أسماء الأفعال ، كالقواس (فى شرح ألفية ابن معطى) ولا يجب لحاق نون الوقاية لبجل مع الياء ، بل يجوز برجوحيّة .

قال الشارح المحقق هنا : وتجب نون الوقاية فى قد وقط دون بجل فى الأعرف ، لكونهما على حرفين دونه .

وقال فى باب المضمر : وكذا الحذف فى بجل أولى من الاثبات وإن كان ساكنَ الآخر مثل قد وقَطْ ، لكراهة لام ساكنة قبل النون ، وتعسُّر النطق بها .

ومثله لابن هشام (فى المغنى) : أنّ لحاق النون لبجل إذا كان اسمَ فعل نادر . وكذا حال جميع أسماء الأفعال ، يجوز إلحاق نون الوقاية وتركها . قال الشارح المحقق فى باب المضمر[1] : يجوز إلحاق نون الوقاية فى أسماء الأفعال ،

(١) شرح الرضى ٢ : ٢٢ .

لأدائها معنى الفعل ، ويجوز تركها أيضاً لأنّها ليست أفعالاً فى الأصل . حكى يونس : عليكنى ، وحكى الفرّاء : مكانكنى[1] . انتهى .

وكذا قال الشاطبى (فى شرح الألفية) : حكى سيبويه فى أسماء الأفعال عليكنى وعليكى ، بل ينبغى أن يكون إلحاق النون لاسم الفعل كالفعل من كل وجه ، فكما تقول تراكها تقول تراكنى ، وفى رويد : رويدنى ، وفى هلم الحجازيّة : هَلُمَّنِي . وكذلك سائر أسماء الأفعال المتعدِّية . وقد نص ابن مالك (فى شرح التسهيل) على جواز إلحاق النون فى اسم الفعل مطلقاً . انتهى .

وزعم ابن هشام (فى شرح الألفية) و (فى الجامع الصغير) وغيرهما أنّ لحاقها لاسم الفعل واجب . وحينئذ يَرِدُ عليه ما استشكله الدمامينى (فى شرح المغنى) قال : هذا مشكل ، لأنها حيث تكون اسمَ فعل بمعنى يكفى فالنون واجبة لانادرة . نعم إذا كانت بمعنى حسب جاز الأمران ، إلا أنّ ترك النون أعرف من إثباتها ؛ فندور بَجَلى بالنون إنما هو إذا كانت بمعنى حسب لا بمعنى يكفى .

٣٦ هذا كلامه ، وتابعه عليه الشُّمُنِّىُّ وناقشه بشىء لاطائل تحته . وقد لفَّق بين كلاميهما ابن المُلاّ على عادته ، ولم يأت بشىء .

وقول الشارح المحقق : إلا أنّ الضمير قد يحذف من بجل بخلاف قدوقط ، يعنى قد تستعمل مجردة من إلحاق ضمير المتكلم أو المخاطب كما فى البيت ، فإنّ بجل الثانية تأكيد للأولى ، وليس معها ضميرٌ كالأولى . والمعنى عليه . ومثله قول طرفة :

(١)ش : « مكاننى » ، صوابه فى ط وشرح الرضى .

* ألا بَجَلى من الشَّرابِ ألاَ بَجلْ *

وكـذلك قول بعض أهل البصرة فى يوم الجمل[١] :

* ردُّوا علينا شيخنا ثم بَجلْ *

يريد : ثم بَجَلْـكم ، أى كفوا وانتهوا .

وزعم العينى أنَّ بجل الثانية حرفٌ بمعنى نعم ، ومع هذا هى تأكيد لبجل الأولى . وفيه أنَّ الحرف لا يؤكِّد الاسم ، لتغايرهما بالنوعية .

وقول الشاعر : (ومتى أهلك) إلخ متى جازمة . وأهلك شرط ، ولهذا جزم . وجملة (لا أحفله) فى محل جزم جواب الشرط . وهلك الشىء من باب ضرب ، وكذلك حَفَل من باب ضرب . قال صاحب العباب : وحَفَلتُ كذا أى باليْتُ به . ويتعدى بالباء أيضاً ، وهو الكثير . يقال حفَلْتُ بفلان ، إذا قمتَ بأمره . ولا تحفل بأمره ، أى لا تبال به ولا تهتمَّ به . واحتفلت به : اهتممت به . وضمير أحفله راجعٌ إلى الهلاك المفهوم من أهلك .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصحابى ، ذكر فيها أيامَه ومشاهدَه وما جرى له عند النعمان بن المنذر ملكِ الحيرة ، والتأسُّفَ على موته . إلى أن قال :

* فمتى أهلك فلا أحفلُه * ... البيت

وبعده :

أبيات الشاهد

(مِن حياةٍ قد سئمنا طُولَها
وجديرٌ طولُ عيش أن يُمَـلّ)

(١) انظر وقعة صفين ٢٢٨ .

ثم رثى أخاه لأمّه أربَد ، لموتِه بصاعقةٍ نزلت به بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم[١] ؛ لأنه كان جاء مع عامر بن الطفيل، قاتلهما الله، للغدر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

وهذه القصيدة قالها قبل إسلامه . وتقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين[٢] .

وترجمته تقدَّمت أيضاً فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[٣] .

وقوله : « من حياة » بدلٌ من قوله : « من العيش » فى البيت السابق .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الأربعمائة[٤] :

(أنشأتُ أسألهُ ما بالُ رُفقتِه
حَىَّ الُحمولَ فإنَّ الركبَ قد ذهبا)

على أنَّ حىَّ جاء متعدياً بمعنى ائت الحمول ، جمع حِمل بالكسر .

وهذه رواية الجوهرى (فى الصحاح) ، وكذا رواه خَطَّاب بن يوسف (فى كتاب الترشيح) وقال: أخذ يسأل غلامه: ما بال الرفقة ؟ وأين أخذَتْ؟ ثم قال له : حىَّ الحمول ياغلام ، أى ائتها وحُثَّها . انتهى .

نقله عنه أبو حيان (فى التذكرة) .

---

(١) من « وسلم » هنا الى « وسلم » التالية ساقط من ش .
(٢) صوابه « الثامن والعشرون بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٣٦٨ .
(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .
(٤) ابن يعيش ٤ : ٣٧ . وانظر اللسان (حيا ٢٤٣) .

وقد روى البيت أبو على : (فى كتاب إيضاح الشعر) والسُّهيلى (فى الروض الأُنف) هكذا :

أنشأتُ أسألهُ عن حال رُفقته
فقال حَىَّ فإنّ الركبَ قد ذهبا

وعليه فليس بمتعدٍّ . ورواه الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشِعى (فى كتاب المعاياة) :

وقلتُ أسألهُ عن حال رُفْقته
فقال حىٌّ فإنَّ الركبَ قد ذَهَبا

٣٧ وقال : أراد بقوله حَيَّهلَ، فنقصه . والرفقة بضم أولها وتكسر . وجعل الركب بمنزلة الواحد . اھ .

أى بالنظر إلى قوله ذهب بالإفراد ، ولو كان راعى معناه لقال ذهبوا .

وقال ابن أبى الربيع[1] : حىَّ تستعمل مركبة وغير مركبة . فإنْ كانت غير مركبة كانت بمنزلة أقبلْ ، فتتعدى بعلى ، وإذا كانت مركبة كانت متعدِّية بمنزلة ائت . انتهى .

وقوله : (أنشأت) أى شرعت أسأل غلامى كيف أخذ الركبُ . و (البال) : الحال والشأن . و (الرفقة) ، قال صاحب المصباح : هى الجماعة ترافقهم فى سفرك ، فإذا تفرّقتم زال اسم الرفقة . وهى بضم الراء فى لغة تميم ،

---

(١) فى النسختين : « ابن الربيع » ، والصـــواب ما أثبت . وهو عبيد الله بن أحمد ، شيخ أبى حيان ، وله شرح الايضاح . وسيأتى على الصواب فى ٢٦٢ .

والجمع رفاق ، مثلُ بُرمَة وبرام ، وبكسرها فى لغة قيس ، والجمع رِفَق مثل سِدْرة وسِدَر . وقوله (حيَّ الحُمول) مقول لقول محذوف ، أى فقال : حيِّ الحمولَ ، وهو مصرَّح به فى رواية غير الجوهرى . قال صاحب المصباح : وراكب الدابة جمعه رَكْب ، مثل صاحب وصحب ، ورُكبان . انتهى . وقال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : الرَّكب : أصحاب الإبل ، وهم العشرة ونحو ذلك . قال ابن السيد (فى الاقتضاب) : هذا الذى قاله ابن قتيبة قاله غير واحد . وحكى يعقوب عن عُمارة بن عَقيل[1] قال: لاأقول راكب إلاَّ لراكب البعير خاصَّة ، وأقول لغيره فارسٌ وبَغَّال وحَمَّار . ويقوِّى هذا الذى قاله قول قُريط العنبرىّ :

فليتَ لى بهمُ قوماً إذا ركبُوا
شنُّوا الإغارةَ فُرساناً ورُكبانا

والقياس يوجب أنَّ هذا غلط ، والسماع يعضُد ذلك . ولو قالوا إنَّ هذا هو الأكثر فى الاستعمال لـكان لقولهم وجه . وأما القطع على أنَّه لا يقال راكب ولا ركب إلاَّ لأصحاب الإبل خاصَّة فغير صحيح ، لأنَّه لاخلافَ بين اللغويِّين فى أنَّه يقال ركبت الفرس وركبت البغل، وركبت الحمار . واسم الفاعل من ذلك راكب ، وإذا كثُرت الفعل قلتَ ركَّاب ورَكُوب . وقد قال الله تعالى : ﴿والخَيْـلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لتركَبُوها[2]﴾ فأوقع الرُّكوب على الجميع . وقال امرؤ القيس :

---

(١) يعقوب ، هو ابن السكيت . وفى النسختين : « بن عمارة بن عقيل » . والصواب ما أثبت . وانظر اصلاح المنطق ٣٣٨ الطبعة الثالثة .

(٢) الآية ٨ من النحل .

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا
تَحَرَّقتِ الأرضُ واليوم قَرّ[١]

وقال زيد الخيل الطائىُّ :

وتَركبُ يوم الرَّوع فيها فوارسٌ
بصيرون فى طَعْن الأباهر والكُلَى[٢]

وهذا كثير فى الشعر وغيره . وقد قال الله تعالى : ﴿ فرجالاً أو رُكباناً[٣] ﴾ وهذا اللفظ لا يدلُّ[٤] على تخصيص شىء بشىء، بل اقترانه بقوله فرجالاً يدلُّ على أنه يقع على كلِّ ما يُقِلُّ على الأرض .

ونحوه قول الراجز :

بنيتُهُ بِعُصبةٍ من ماليا أخشى رُكَيباً أو رُجَيلا عاديا[٥]

فجعل الرَّكب ضدَّ الرجْل، وضدُّ الرجْل يدخل فيه راكبُ الفرس وراكب الحمار وغيرهما. وقول ابن قتيبة أيضاً إنَّ الركب العشرة ونحوُ ذلك، غلطٌ آخر، لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ والرَّكْبُ أسفَلَ منكم[٦] ﴾ يعنى مشركى قريش يومَ بدر ، وكانوا تسعَمائة وبضعةً وخمسين . والذى قاله يعقوب فى الركب هم العشرة.

---

(١) ط : « تخرقت » صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والديوان ١٥٤ .
(٢) ط : « منا فوارس » ، وأثبت ما فى ش ، وهو يطابق ما سيأتى فى الشاهد ٧٨٥ .
(٣) الآية ٢٣٩ من البقرة .
(٤) فى النسختين : «يدل» ، والوجه ما أثبت .
(٥) لأحيحه بن الجلاح فى الخزانة ٢ : ٢٣ .
(٦) الآية ٤٢ من الأنفال .

فما فوقها . وهذا صحيحٌ ، وأظنُّ أن ابن قتيبة أراد ذلك فغَلِط فى النقل . ٣٨
انتهى .

وقبل البيت الشاهد :

(تَعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقدةٌ
قد قارب العَقْدُ من إيفادها الحَقَبا)

وتعدو ، أى الناقة من العَدْو ، وهو ما قارب الهَرْوَلة ، وهو دُون الجرى . وبنا أى بى وبغلامى ؛ فإنّه كان زميلى على الناقة . والشَّطر هنا بمعنى الجهة . وجَمْع : اسم المزدلفة ، وسمّيت به إمّا لأنّ الناس يجتمعون بها ، وإمّا لأنّ آدم اجتمع هناك بحواء . والعاقدة : الناقة التى قد أقرّت باللقاح، لأنّها تعقِد بذنبها فيُعلم أنّها حملت . وقيل : العاقدة : التى تضع عنقها على عَجُزها . والإيفاد : الإسراع ، مصدر أوفدَ بالفاء ، أى أسرع . والحَقَب ، بفتح المهملة والقاف : حبل يشدُّ به الرحْلُ إلى بطن البعير مما يلى ثِيلَه أى ذكره ، كى لا يجتذبه التّصدير . تقول منه : أحقبت البعير . وروى أيضا :

تعدو بنا شَطرَ جَمعٍ وهى مُوفِدةٌ
قد قارب الغَرْض من إيفادها الحَقَبا

ومُوفِدة : اسم فاعل بمعنى مسرعة من، الإيفاد المذكور . والغَرْض، بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها ضاد معجمة ، ويقال له غُرضة بالضم ، وهو التّصدير ، وهو للرَّحل بمنزلة الحِزام للسَّرج ، والبِطان للقَتَب . يقول : قد لوت عنقَها وعسرت بذنَبها(١) ، وتخامصت ببطنها ، فقرب كلُّ واحدٍ

(١) عسرت بذنبها : رفعته فى العدو ، أو بعد اللقاح . ط : « عشرت » صوابه فى ش .

صاحب الشاهد من الغَرْض والحقب، من صاحبه، وذلك من شدّة السير .

والبيتان من قصيدة لابن أحمر . كذا أورد البيتين السهيلى (فى الروض الأنف) قال الحافظ مُغُلْطاى (فى حاشيته عليه) : وفيه نظر ، من حيث أنَّ الذى فى ديوان ابن أحمر أنّ ذلك البيتَ بعد قوله :

أبيات الشاهد (قالوا : عَيِينـا فمـا نَدرِى وقد زعموا
أنْ قد مضى منهُم ركبٌ فقد نصبا[1]
إمَّا الجِبَالُ وإمَّا ذو المجاز وإ
مَّا فى مِنىً سوف تلقى منهم سَبَبا
وافيتُ لمـَّا أتانى أنّهـا نزلَتْ
إنّ المنازلَ ممـا يجمعُ العجبـا
ثُمّ ارتَمينـا بقولٍ بَيننـا دَوَلٍ
بين الهباءين لا جِدًّا ولا لعبا[2]
فى طَمْيَةِ النّاس لم يشعُر بنـا أحدٌ
لمـا اغتنمنا جبال اللّيل والصّخَبا
حتّى أتيت غلامى وهو ممسكُها
يدعو يساراً وقد جرّعتهُ غضبا
أنشأت أسأله ما بال رفقته . . . البيت) . انتهى .

---

(١) ط : « عيينا فابذرى » ، صوابه فى ش .
(٢) ش : « لا حذا ولا لغبا » .

عمرو بن أحمد

وهو شاعر إسلامىٌّ فى الدولة الأموية ، وهجا يزيد بن معاوية فأراد يزيدُ أن يأخذه ففَرَّ منه ولم يقدِر عليه .

قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب):هو عمرو بن أحمر : من باهلة ، وهو أحدُ عُورانِ قيس ،وهم خمسة شعراء : تميم بن أُبىّ بن مقبل ،والرَّاعى ، والشَّماخ ، وابن أحمر ، وحُميد بن ثور .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : هو عمرو بن أحمر بن العمرّد بن عامر ابن عبد شمس بن معن بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مُضَر . وكان من شعراء الجاهليّة وأدرك الإسلام .

وأورد الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من يقال له ابن أحمر أربعة ، وقال : منهم عمرو بن بن أحمر الباهلى . قال ابن حبيب : هو عمرو بن أحمر ابن العمرّد بن عامر بن عبد شمس بن عبد بن قدام بن فَرّاص[1] بن معن ، الشاعر الفصيح ، كان يتقدّم شعراء أهلِ زمانه . وقد ذكرتُ حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين . انتهى .

٣٩

وأورده ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) وقال : قال المرزبانى : هو مخضرم أدرك الجاهليّة والإسلام فأسلم ، وغزا مغازىَ فى الروم ، وأصيب بإحدى عينيه هناك ، ونزل الشام ، وتوفِّى على عهد عثمان بعد أن بلغ سنًّا عالية . وقال أبو الفرج : كان من شعراء الجاهلية المعدودين ، ثم أسلم وقال فى الإسلام شعراً كثيراً ، ومدح الخلفاء الذين أدركهم ، ولم يلق أبا بكر ، ومدح عمر فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان .

---

(١) وردت « فراص » فى النسختين والمؤتلف ٣٧ بالقاف ، صوابه فى جمهرة ابن حزم ٢٤٥ والمعارف ٣٦ والاشتقاق ٢٧٤ والقاموس (فرص) .

وهذا يخالف قول المرزبانى إنّه مات فى عهد عثمان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة :

٤٦١ (يتمارَى فى الذى قُلْتُ له

ولقد يَسمعُ قولى حَيَّهَلْ)

على أن لبيداً سكّن اللام للقافية ، ولا يجوز تسكين اللام فى غير الوقف .

تبع الشارح المحقق فى هذا صاحب الصحاح، فإنّه قال : وأما حَيَّ هلا ، بلا تنوين فإنما يجوز فى الوقف ، وأمّا فى الإدراج فإنها لغة رديئة . وأما قول لبيد يذكر صاحباً له فى السَّفر كان أمره بالرحيل :

يتمارَى فى الذى قلت له . . . البيت

فإنّما سكنه للقافية .

وأصله من (كتاب الأصول لابن السراج) قال : وأمّا حيّهل فإذا وقفت فإن شئتَ قلت حيَّهلْ بالسكون، وإنْ شئت قلت حَيَّهَلاَ، تقف على الألف كما وقفت فى أنا . انتهى

وتبعه أبو على (فى إيضاح الشعر) ، وسيأتى كلامه .

والصحيح أنّ تسكين اللام لغةٌ سواء كان فى الوقف أم فى الدَّرْج . قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : حيَّهل وحيَّهلا وحيَّ على ، يقال فى الاستسراع والاستحثاث . وقال زكريا الأحمر : فى حيَّهل ثلاث لغات :

(١) الخصائص ٣ : ٤٦ وابن يعيش ٤ : ٤٢ ، ٤٥ ويس ٢ : ٩٩ وديوان لبيد ١٨٣ .

يقال حيَّهلْ بفلان بجزم اللام ، وحيَّهلَ بفلان بحركة اللام ، وحيَّهلاً بفلان بالتنوين . وقد يقولون من غير هل ، من ذلك : حيَّ على الصلاة . انتهى .

فهل تكون لغةً فى هلاً كما قال ابن جنى (فى الخصائص) عند الكلام على هَلُمَّ . وهو : قال الفراء : أصل هَلُمَّ هلْ زجر وحثٌّ دخلت على أُمَّ كأنها كانت : هَلْ أُمَّ، أى اعجل واقصِد . وأنكر أبو علىٍّ عليه ذلك وقال : لا مدخلَ هنا للاستفهام . وهذا عندى لا يلزم الفرَّاء ، لأنه لم يدَّعِ أن هل هنا حرفُ استفهام ، وإنَّما هى عنده زجر ، وهى التى فى قوله :

* ولقد يسمع قولى حيَّهلْ *

قال الفراء : فألزمت الهمزة فى أُمَّ التخفيفَ فقيل هلمَّ . انتهى .

وقال ابن عصفور : إنَّ حيهلا مركبة من حىّ وهلا ، إلاَّ أنَّ ألف هلا تحذف فى بعض اللغات تخفيفاً .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للبيد بن ربيعة الصحابى ، قد شرحناه مع أبيات قبله فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين[1]

و (التمارى) : المجادلة ، ومثله الامتراءُ ، وهما من المرية بالكسر ، وهى الشكُّ . وحَيَّهَلْ بمعنى أسرِعْ .

وقول الشارح المحقق : « وفى الكتاب الشعرى لأبى علىّ : حيَّهلٍ بكسر اللام وتنوينه » ، أراد به كتاب (إيضاح الشعر) فإنَّه يعبر عنه تارة بالأوّل ، وتارة بالثانى ، وتارة بكتاب الشعر . وهذا نصُّه فيه :

---

(١) صوابه « الثامن والعشرين بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٣٦٨ .

وقد وصلوها بهَلْ فقالوا حيَّهَلْ . وزعم أبو الخطاب أنّ بعضهم يقول حيَّ هلِ الصَّلاة . وقال أبو زيد : حَيَّ هَلْ وحَيَّ هَلَ وحيَّ هَلاً . والقول فى حيَّ هـلٍ أنّ التنوين دخله للتنكير ، كما دخل فى صَهٍ ونحوها . وكأنَّه قدّر فيه الإسكان ، كأنَّه قال حيَّ هل على الوقف ، كما قال لبيد : ٤٠

* ولقد يسمع قولى حَيَّهلِ *

فكسر اللام كما كسر الذال فى يومئذ ، ولا يجوز أن تكون حركة اللام للإضافة ، لأنّ هذه الأسماء التى سميت بها الأفعال لا تضاف ، ألا ترى أنَّه قال: جعلوها بمنزلة النَّجاك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول كما أضافوا المصادرَ وأسماء الفاعلين إليه .

ويجوز أنْ يكون لمّا نكّر حرّك بالكسر ليكون على لفظ غيره من أمثاله من النكرات ، نحو صهٍ وإيهٍ ، ولمّا جرى فى كلامهم غيرَ مضاف لإجرائهم إياه مجرى الفعل لنصبهم الأسماء المخصوصة بعده ، لم يستجيزوا إضافتها إلى المفعول به ، فيكون مالم يُجعَل بمنزلة الفعل على حدٍّ ما جُعل من هذه الأسماء بمنزلته . ألا ترى أنّ الأسماء لم تُجعَل بمنزلة الفعل مفردة حتى ينضم إليها جزء آخر وإن كان فيها ضمير ، لأن الضمير الذى فى اسم الفاعل لما لم يظهر فى أكثر أحواله صار لا حكم له ، فإذا لم يضيفوا هذا البابَ لأن إضافته يخرج بها عن الحدّ الذى استُعملت عليه، علمتَ أن الكاف فى حيَّهلك للخطاب، لا لضمير الاسم . وإذا كان كذلك علمتَ أن الكاف فيه مثلُ الهاء فى ههناه وهؤلاه ، فى أنّها لحقت الألف لتبيِّنها لما لم يلتبس بالإضافة . فكذلك الكاف فى حيهلك لحقت للخطاب حيث لم يجزْ لحاق التى تكون اسماً فى هذا الموضع كما لم تلحق الهاء التى لحقت فى ههناه أفعاه ونحوَها . والضمير الذى فى حيهل ينبغى أن يكون فى مجموع

الاسمين ، ولا يكون فى كلٍّ واحد منهما ضميرٌ كما كان فى حيَّ على الصلاة ضمير ، لأن الاسمين جعلا بمنزلة اسم واحد ، كما أنَّ خمسة عشر بمنزلة مائة . فكما أن خمسة عشر حكمه حكم المفرد ، كذلك حيَّ هلْ حكمه حكم المفرد . وإذا كان كذلك كان متضمنا ضميراً واحداً . ويدلُّك على ضم الكلمة الثانية إلى الأولى قولُ ابن أحمر :

أنشأت أسأله عن حال رُفقتِهِ فقال: حيَّ فإنَّ الركْبَ قد ذَهَبا

انتهى . وعُلِم من قوله : والضمير الذى فى حيهل ينبغى أن يكون فى مجموع الاسمين ، أن ما نقله الشارح المحقق عنه وعند أبى على ، على حالهما مع التركيب فى احتمال الضمير ، كحال حلو حامض إلى آخر ما نقله — مخالفٌ لما هنا ، ولعله نقله عنه من كتابٍ آخر له . والله أعلم .

ونقل أبو حيان (فى الارتشاف) عن (النهاية لابن الخباز) ، قيل : فى حيَّ وهلا ضميران؛ لأنهما فى الأصل اسما فعلِ أمر ، فكلٌّ واحدٍ منهما يستحق الضمير . وقيل: فيهما ضميرٌ واحد ، لأنهما بالتركيب صارا كالكلمة الواحدة . ويدلُّ على ذلك أنَّ حيَّ وهل لا يتعدَّيان ، فلما رُكِّبا تعدَّيا ، فدلَّ على أن حكم الإفراد قد زال . وقوله :

* يوم كثيرٌ تَناديهِ وحيَّهَلُهُ[1] *

أضافَهُ إلى الضمير وأعربَه . انتهى .

---

(١) لرجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، انظر سيبويه ٢ : ٥٢ وهو الشاهد التالى .

وحاصل ماذكر الشارح من لغاتِ حَيّهل ثمانية :

أولها: حيهل بحذف الألف وإبقاء فتح اللام . قال ابن عصفور (فى شرح إيضاح أبى على) : إذا وقفت عليها فى هذا الوجه جاز أن تقف بالسكون، وأن تقف بالألف لتبيّن حركه المبنى فى الوقف .

ثانيها : حَيّهْلَ بسكون الهاء وفتح اللام بلا تنوين .

ثالثها : حيّهَلاً بفتح الهاء والتنوين .

رابعها : حَيّهْلاً بسكون الهاء والتنوين . ولا ينبغى أن يعدّ المنوّن من اللغات ، إذ التنوين فى اسم الفعل للتنكير . وإذا كان غير منون فهو معرفة[1] فإن المجرد من التنوين غير المنون .

٤١

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : ولا يكون المنوّن إلاّ بمعنى ائت . ويردُ عليه : « فحيّهَلاً بعمر » ، فإنه بمعنى أسرعْ بذكره .

خامسها : حيّهَـلاَ فى الوقف ، بفتح الهاء وسكون الألف وحذف التنوين[2] فيهما .

وقال ابن عصفور : هذه اللغة تكون فى الوقف والوصل . ولم يقيِّد كونها رديئة فى الوصل كما قيد الشارحُ المحقق تبعاً لصاحب الصحاح .

وقال ابن أبى الربيع : منهم من يقول حَيّهلاَ فى الوصل والوقف ، لأن هلا [

(١) بعدها بياض فى النسختين ، كما سقطت كلمة « فان » التالية من ش .

(٢) الكلام بعد « بعمر » السابقة فى س ١١ الى هنا ساقط من ش .

صوت ، أو لأنه من إجراء الوصل مجرى الوقف ، أو لأن منهم من يقول حَيَّهَلْ بالسكون فى الوصل، فإذا وقف وقف بالألف ، فتكون الألف عوضا من هاء السكت كألف أنا .

وكذلك قال أبو حيان (فى الارتشاف) : إن حَيَّهلا باثبات الألف تكون وصلاً ووقفا ، كما قال الشاعر :

* بِحَيَّهَلاَ يُزْجون كلَّ مطيَّةٍ *

سادسها : حَيَّهَلْ بسكون اللام فى الوقف . وأطلق أبو حيان تبعاً لابن عصفور ، سواء كان فى الوقف أم الوصل. وقال الراعى (فى شرح الألفيَّة) ذكر سيبويه فى حَيَّهَل ثلاث لغات : فتح اللام بلا تنوين ،وفتحها مع التنوين، وفتحها مع الإشباع . وزاد ابن سيده تسكين اللام . قيل : وما سُمع منه لاحجة فيه؛ لاحتمال أن يكون للوقف. انتهى. وفيه ما تقدّم عن (كتاب النبات). وهذا نص سيبويه : من العرب من يقول حَيَّهلَ إذا وصل ، وإذا وقف أثبت الألف . ومنهم من لا يثبت الألف فى الوقف والوصل . انتهى.

سابعها : حيَّهلٍ بكسر اللام والتنوين . وظاهره أنَّ الهاء فى هذه اللغة يجوز سكونها أيضا .

ثامنها : حَيَّهلكَ بفتح اللام وإلحاق الكاف التى هى حرف خطاب . ولم أعرف هل يجرى مع الكاف سكون الهاء أيضاً أم لا .

قال ابن عصفور : وتستعمل فى جميع ذلك متعدِّية بنفسها ، وبإلى، وبعلى، وبالباء . فإذا تعدَّت بنفسها كانت بمعنى ائت ، وإذا تعدَّت بإلى أو بعلى

كانت بمعنى أقبِلْ ، وإذا تعدَّت بالباء كانت بمعنى جِئ . انتهى .

وقول الشارح المحقق[١] : إن الباء للتعدية كذهبت به ، فيه أنّهم ذكروا أنّ باء التعدية فى ذهبت به غير التعدية المشهورة ؛ وذلك أنّ مدخولها يكون فاعلاً فى المعنى كقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللهُ بنورِهِمْ[٢] ﴾، أى جعله ذاهباً ، فهى تساوى همزة التعدية . وهذا المعنى لا يجرى هنا .

وقول الشارح المحقق : وقد تركّب[٣] حَىّ مع هلا الخ ، قال ابن عصفور : إذا ركّبت حىّ مع هلا فالأكثر أن تستعمل[٤] لاستحثاث العاقل تغليباً لحىّ . ومنهم من يغلّب هلا فيستعملها لاستحثاث غير العاقل وذلك قليل . وقد يستعمل كلٌّ واحدة منهما على انفرادها ، فإذا استعملت حىّ وحدها كانت بمعنى أقبل . وإذا استعملت هَلاً على انفرادها كانت بمعنى تقدَّمْ . وحَىّ خاصّة باستحثاث العاقل ، وهلا باستحثاث غير العاقل . وقد تستعمل هلا فى العاقل إلاّ أنّ ذلك قليل . ومن ذلك قوله :

* ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هلا * انتهى

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وحيّهل مركبة من حىّ ومعناها أقبل ، ومن هَلْ وهلا . قال ابن هشام : بمعنى عجِّل ، وقيل بمعنى قرّ وتقدّمْ ، وقيل إنّها[٥] صوت الإبل . انتهى .

---

(١) الكلام بعده الى « الشارح المحقق » التالية ساقط من ش .
(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة .
(٣) ش : « قد تركب » ، وأثبت ما فى ط وشرح الرضى ٢ : ٦٨ .
(٤) ط : « يستعمل » ، وأثبت ما فى ش .
(٥) ط : « انهما » ، وأثبت ما فى ش .

وزعم الراعى (فى شرح الألفية) أنّ حيهل كلة واحدة عند الجمهور ، وقيل مركبة . انتهى

وهذا خلاف المنقول .

تتمة

قال أبو حنيفة الدينَوَرىُّ (فى كتاب النبات) : الحَيْهَل نبت من دِقّ الحَمض ، الواحدة حَيْهَلة ، سمِّيت بذلك لسرعة نباتها . قال حميد بن ثور : ٤٢

* دميث به الرمث والحَيْهَل[1] *

والرِّمث أيضا من الحمض . فأما أبو زياد فقال : الحَيْهل، نخفف الياء وسكّنها فيما بلغنى عنه، وقال : الحَيْهَلُ ينبت فى السِّباخ ، وإذا أُخصب الناسُ ومُطرُوا هلك ، فلا يكاد يرى منه نبت ، فإذا أسنَتوا وذهبت الأمطار نبت فى مواضعه[2] ، وهو دُقاق قَصِفٌ ليس لها خشب ولا حطب ، وإنما يأكله من الإبل الإبلُ التى عوّدوها إياه ، يحبِسونها فيه حين لا تجد شيئاً تأكله ، وربما قتل الإبلَ فى أوّل أمرها ، وذلك إذا أكلته ثم كظَم عليها لا تسلح ، فإذا سلحت نجت وطابت بطونُها . انتهى باختصار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الأربعمائة وهو من شواهد س[3] :

---

(١) ملحقات ديوان حميد ١٢٨ عن اللسان (هلل ، بثا) . وصدره :

* بميث بثاء نصيفية *

والرواية فى الموضع الأول : « دميث بها » ، وفى الثانى عن التهذيب : « دميث به » .

(٢) ش : « موضعه » .

(٣) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٤٦ .

٤٦٢ (فهيَّج الحىَّ من كَلْبٍ فَظَلَّ لهم
يومٌ كثيرٌ تناديهِ وحيَّهَلُهْ)

على أن ضمة اللام حركة إعراب ، وهو مفرد بلا ضمير .

قال سيبويه : وأمّا حيهل التى للأمر فمن شيئين ، يدلُّك على ذلك: حَىَّ على الصلاة . وزعم أبو الخطاب أنَّه سمع من يقول حَىْ هلَ الصَّلاةَ . والدليل على أنّهما جعلا اسماً واحداً قولُ الشاعر :

وهَيَّج الحىَّ من دارٍ فظلَّ لهم
يومٌ كثير تناديه وحيَّهلُهْ

والقوافى مرفوعة . وأنشدناه هكذا أعرابىٌّ من أفصَح الناس ، وزعم أنّه شعرُ أبيه . انتهى

قال الأعلم : الشاهد فى قوله حيهلُه وإعرابهُ بالرفع ، لأنه جعله وإن كان مركبا من شيئين، اسماً للصوت، بمنزلة معد يكرب فى وقوعه اسماً للشخص، وكأنه قال : كثيرٌ تناديه وحَثُّه ومبادرتُه ، لأن معنى قولهم حيَّهَلْ عجِّـل وبادِرْ . وصَف جيشاً سُمِع به وخِيف منه ، فانتُقِل عن المحلِّ من أجله ، وبُودِر بالانتقال قبل لحاقه . انتهى .

و (فى شرح أبيات المفصل) لابن المستوفى : وقال السيرافى : زعم سيبويه أن الشعر لرجلٍ من بنى أبى بكر بن كلاب[1] ، واحتجَّ به ليُرِىَ أنه من شيئين، إذ ليس فى الأفعال والأسماء المفردة مثلُ هذا البناء . قال ابن السرَّاج فى حيهله: جعله اسماً واحدا كحضرموت ، ولم يأمر أحداً بشىء . قال سيبويه : والقوافى

(١) فى النسختين : « بكر بن كلاب » ، والصواب من الجمهرة ٢٨٢ . وذكر أن أبا بكر هذا اسمه « عبيد » .

مرفوعة ، أى إنه جعله بمنزلة اسم واحد ، ولو لم يكن كذلك لقال وحيَّهلَ بالفتح . وجميع ما يجرى هذا المجرى إذا جُعِل علماً أعرِب . وقالوا : إذا قال حيَّهلا تركه على البناء مع التسمية ، وإذا قال حيهلُه أعرَبه كما يعرب وبارِ إذا سمِّى به . ووجدتُه يُرْوَى لرجلٍ من بَجيلة . انتهى

و (هيَّج) بمعنى فرَّق ، وفاعله ضميرالجيش على ما قال الأعلم . و (الحى) : القبيلة مفعولُه . وقوله (من كلب) هى قبيلة . ولم أره كذا إلاَّ هنا ، وأمَّا فى كتاب سيبويه ، وفى المفصل وشروحهما ، فقد رأيت بدله (من دار) . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : دار معـرفة لا تدخله الألف واللام ، قال ابن دريد : هو وادٍ قريبٌ من هَجَر ، معروف . انتهى.

و (ظلَّ) بمعنى استمر . ويومٌ فاعل ظلّ ، وتناديه فاعل كثير . و (التنادى) : تفاعل ، مصدرٌ من نادى القومُ بعضُهم بعضا . و (حيهلُه) معطوف عليه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : قيل فاعل هيج غراب البين وقـد ذُكِر قبل . ويجوز أنْ يكون هيج وظلّ متوجِّهين إلى يومٌ على التنازع . وظل لهم يوم ، من باب قولهم : نهـارُه صائم ؛ لأن الظُّلول فى الحقيقة للقوم لا لليوم . وروى: (فظلَّهُم) موصولا . ومعناه دنا منهم يومٌ ، وحقيقتُه ألقى عليهم ظِلَّه . انتهى ٤٣

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرِف قائلها . والله أعلم .

وأنشد بعـده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٦٣ (بحَيَّهلاَ يُزْجُونَ كلَّ مَطيَّةٍ

أمامَ المطايا سَيْرُها المتقاذِفُ)

على أنَّ حيَّهلا بلا تنوين محكيٌّ أريد به لفظه .

قال النحاس : جعله بمنزلة خمسةَ عشر ، فلذلك لم ينوِّنه .

وقال الأعلم : الشاهد فى قوله بحيَّهلا، فتركه على لفظه محكيًّا. يقول: لعجلتهم يسوقون المطايا بقولهم حيَّهلا . ومعناه الأمرُ بالعجلة على أنَّها متقدِّمة فى السير متقاذِفة عليه ، أى مترامية . وجعل التَّقاذف للسَّير اتساعاً ومجازا . انتهى

قال ابن السيرافى : المتقاذف : الذى يتبَعُ بعضُه بعضاً ، كأنَّ كلَّ سيرٍ تسيرهُ هذه المطية يقذِف بها إلى سيرٍ آخر . ومثله قول عمر بن أبى ربيعة :

أخو سفرٍ جوّابُ أرضٍ تقاذفت   به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغبر[٢]

أى رمته فلاةٌ إلى أخرى . وقال غيره : إن القِذَافَ سُرعة السَّير . وفرس متقاذف : سريع العَدْو . ويجوز أن يكون المتقاذف الذى يرمى بعضُه بعضاً لسرعته . والإزجاء بالزاى المعجمة والجيم : السَّوق . والمطيَّة : الدابَّة ، يقال لها

---

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٣٦ وشرح شواهد الشافية ٤٧٨ وملحقات ديوان الجعدى ص ٢٤٧ .

(٢) رواية ديوان عمر ٧٦ : « أخاسفر » . وقبله :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت   فيضحى وأمـا بالعشى فيخصر

مَطيةٌ لأنها تمطو فى السير ، أى تمتدُّ . و (أمامَ) بالفتح ، قال ابن الحاجب (فى أماليه) : يريد أنهم مُسرِعون فى السير ، فهم يسوقون بهذا الصوت لتسرعَ فى سيرها . وقال « أمام المطايا »، لأنه إذا سبقت الأولى تبعها مابعدها ، بخلاف سوق الأواخر . وقال : سيرها المتقاذف، يعنى أنَّهم يسوقونها مع كون سيرها متقاذفاً ، والتقاذف الترامِى فى السير ، وإذا سَبق المتقاذِفُ كان سيره أبلغَ مما كان عليه . وأمام المطايا فى موضع وصف المطية ، وسيرها المتقاذف جملة ابتدائية صفةٌ لمطيَّة ، والجارُّ والمجرور متعلق بيزجون . انتهى .

وأجود من هذا أن يكون سيرها فاعل الظرف ، لاعتماده على الموصوف ، والمتقاذف صفة لسيرها . ويجوز أن يكون سيرها المتقاذف مبتدأ موصوفاً والظرف قبله خبره ، والجملة صفة مطية .

صاحب الشاهد

والبيت أنشده سيبويه للنابغة الجعدى الصّحابى ، وتبعه عليه خَدَمة كتابه . وقد تقدمت ترجمتـه فى الشاهد السادس والثمانين بعد المـائة[1] ، ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن السيرافى أنه من قصيدةٍ لمزاحم بن الحارث العُقَيلى وأورد هذه الأبيات منها :

أبيات الشاهد

(ووجدِى بها وجدُ المضلِّ بعيرَه ... بمكّة لم تَعطِف عليه العواطفُ
رأى من رفيقيهِ الجَفاء وفاتَه ... بِنِشدانِها المستعجلاتُ الخوانفُ[2]
وقالوا تعرّفْها المنازلَ من مِنىً ... وما كلُّ من وافى منىً أنا عارف)

الوجد : ما يجده الإنسان من العِشق . والمضِلّ : اسم فاعل من أضلَّه ،

(١) الخزانة ٣ : ١٦٧ .
(٢) ط : « ينشدتها » ، صوابه فى ش .

وجملة لم تعطف إلخ حال من المضلّ . وهذا غايةٌ فى الحيرة . ولم تعطف عليه العواطف : جمع عاطفة ، أى لم ترقّ له . . . . . [(١)] ولم يحمله على بعير من إبله ، وهو جمع عاطفة . ويراد بها فى الصداقة[(٢)] والرحم والمودة والصحبة وما أشبه ذلك . وروى « نخلة » بدل مكة ، وهى موضعٌ بقرب مكة ، وعليها يأخذ الحاجُّ بعد انقضاء حجِّهم ، ولذلك قال : لم تعطف إلخ ، لأنَّهم آخذون فى الانصراف . أى إنَّه وجَد بمفارقته لها كما وجَد الذى ضلَّ بعيرُه فى هذا الموضع.

٤٤

والبيت من أبيات سيبويه ، ومحلُّ الشاهد فيه أنه جعل وجدى مبتدأً ووجدُ المضلِّ خبره لا يستغنى عنه ، فلم يجز نصبُه على المصدرية . وأصله وجدى بها وجدٌ مثلُ وجد المضلِّ بعيره .

والخوانف : جمع خانفة ، وهى الناقة التى تخنف برأسها ، أى تميلها إذا عدَتْ . وهى بالخاء المعجمة والنون والفاء .

وقوله : « وقالوا تعرّفها المنازل » إلخ قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : كانوا يسمُّون منىً المنازلَ ، وأنشد هذا البيت . ثم قال : ويقال للرجل إذا أتاها : نازل . قال عامرُ بن الطفيل :

أنازلةٌ أسماءُ أم غير نازلة أبينى لنا يا أسمَ ما أنتِ فاعِلَهْ

وقال غيره : المنازل من منىً حيث ينزلون أيام رمى الجمار .

---

(١) كتب مصحح طبعة بولاق : « هكذا بياض بالأصل . متى وقع بياض فى النسخة فسببه أن الأصل المنقول منه هذه النسخة منقول من مسودة المصنف ، وكثيرا ما يكتب رحمه الله فى الهامش ، فيغتال بعض ذلك أيدى المجلدين والبلا . فليتنبه . اهـ من هامش الأصل » .

(٢) ش : « فى الطلاقة » .

والبيت أورده سيبويه فى موضعين من كتابه ، برفع كل على لغة الحجاز .
قال سيبويه : وإن شئت حملته على ليس ، يعنى إن شئت جعلت كل مرفوعاً بما ، وجعلت أنا عارف فى موضع الخبر ، وأضمرت فى عارفٍ هاء تعود إلى كلّ ، كأنك قلت عارفهُ . ثم قال : وإن شئت حملتَه على كلُّه لم أصنع. وهذا أبعدُ الوجهين ، يعنى وإن شئت رفعت كلٌّ بالابتداء وجعلت الجملة فى موضع الخبر كذلك ، على لغة تميم كما قلت : كلُّه لم أصنع[1]، فرفعت كل بالابتداء[2] [وأضمرت هاء فى أصنع . ومعنى قوله « وهذا أبعد الوجهين » يعنى رفع كلّ بالابتداء] ، وذلك لأنّ من يرفعه بالابتداء لا يُعمل ما ، فإذا لم يعملها أمكنه أن يعمل عارف فى كل، فإذا لم يعمل فقد قبح ، إذ قد وجد السبيل إلى المختار ، ولا ضرورة تدعو إلى غيره . ومن رفع كلٌّ بما فهو لا يجد السبيل إلى اعمال عارف فى كلّ إلاّ بحذف ما ، وحذفها يُغيِّر المعنى .

وقال النحّاس : ويجوز أن ينصب كلاًّ بعارف على أنها تميمية .

وقال ابن خلف : هذا البيت روى برفع كل ونصبه على جعل ما تميمية وإبطال عملها ، ونصب كلّ بعارف .

وأنشده الفراء أيضا (فى تفسيره) مرتين : الأولى عند قوله تعالى : ﴿ يَسئلونك ماذا يُنفِقُونَ[3] ﴾ . قال : أنشدنى أبو ثَرْوان :

* وقالوا تعرّفْها المنازل من مِنًى * البيت[4]

---

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٥٩ حيث الكلام على هذا الشاهد .
(٢) ما بعده الى « بالابتداء » التالية ساقط من ش .
(٣) الآية ٢١٥ من البقرة . ومعانى الفراء ١ : ١٣٩ . وفى النسختين « ويسالونك » وأثبت نص الآية كما ورد فى معانى الفراء . وفى الكتاب آية أخرى أولها « ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو » ، وهى الآية ٢١٩ من البقرة . وليست مرادة هنا .
(٤) عجزه فى معانى الفراء فى هذا الموضع وتاليه :
* وما كل من يغشى منى أنا عارف *

رفعاً . قال : ولم أسمع نصب كلّ .

والثانية عند قوله تعالى : ﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائره[1] ﴾ . قال : العرب فى كل تختار الرفع ، وَقع الفعل على راجع الذكر أو لم يقع. وأنشدونى فيما لم يقع الفعل على راجعِ ذكرُه :

فقالوا تعرفها المنازل . . . البيت

فلم يقع عارفٌ على كلّ ، وذلك أنّ فى كل تأويل وما من أحدٍ وافَق منى[2] أنا عارف . ولو نَصبتَ لـكان صواباً ، وما سمعتُه إلاَّ رفعا . وقال الآخر[3] :

قـــد عَلِقتْ أمُّ الخِيارِ تدَّعى
علَّى ذنباً كلُّه لم أصنـــعِ

رفعا . وأنشدَنيهِ بعضُ بنى أسد نصباً . انتهى

وأنشده ابن الناظم (فى شرح الألفية) وابن هشام (فى شرحها وفى المغنى أيضاً) بنصب كل على إبطال ما ، لإيلائها معمولَ الخبر ، وليس ظرفا لأن كلا معمول لعارف .

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : ويروى كلّ بالرفع على أنه اسم ما ، والجملة من قوله أنا عارف خبرها ، والعائد محذوف أى عارفه . وذلك متسهِّل

(١) الآية ١٣ من سورة الاسراء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٤٢ .
(٢) لانشاده . انظر حواشى الصفحة السابقة .
(٣) لأبى النجم العجلى ، كما سبق فى ١ : ٣٥٩ وكما سيأتى .

إذا كان المخبر عنه كُلاً ، كقراءة ابن عامر : ﴿وكلٌّ وعدَ اللهُ الحسنى[1]﴾ وكقوله[2] :

* ثلاث كلُّهن قتلتُ عمدًا *

وقول أبي النجم :

* كلُّهُ لم أصنع[3] *

وانتصاب المنازل على إسقاط (في) توسُّعا ، لا على الظرف ، لأنه مختص . انتهى .

وهذا ردٌّ على ابن خلف في زعمه أنه منصوب على الظرف . وتَعَرَّفها ، أي أعرف منزلها بالسؤال عنها . قال النحاس : سألَنا أبو إسحاق الزجاجُ عن معنى هذا البيت فقال : الإنسان يسأل عن الشيء من يعرفه ومن لا يعرفه ، فما معنى هذا البيت ؟ وأجاب فقال : هذا يذكر امرأة يتعشَّقها ، فليس يسأل عن خبرها إلا من يعرفه ويعرفها .

مزاحم العقيلي

ومزاحم بن الحارث شاعرٌ إسلاميٌّ من بني عُقَيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . قال صاحب الأغاني : وقيل هو مزاحم بن عمرو بن مُرة بن الحارث[4] . وهذا القول أقربُ عندي إلى الصواب . انتهى .

فيكون الحارث عَلَى هذا جدّ أبيه .

ثم قال : وهو شاعر بدويٌّ فصيح إسلامي ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يصفه ويقرِّظه ويقدِّمه ، ويقول : ما من بيتين كنت أحبُّ

---

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء .

(٢) هو الشاهد ٥٧ من الخزانة . وتمامه كما في الخزانة ١ : ٣٦٦ :

★ فأخزى الله رابعة تعود ★

(٣) هو الشاهد ٥٦ من الخزانة في الجزء الأول ص ٣٥٩ .

(٤) الذي في الأغاني ١٧ : ١٥٠ : « وقيل مزاحم بن عمرو بن لحارث بن مصرف » .

أن أكون سبقتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقَيلي ، وهما :

ودِدت على ما كان من مَرفِ الهوى
وغَيِّ الأمانى أنَّ ماشئتُ يُفعَلُ

فترجعَ أيَّامٌ تقضَّتْ ولذَّةٌ
تولَّتْ ، وهلْ يُثْنَى من الدَّهر أولُ(١)

ومَرَف الهوى : خطؤه . ومثله قول جرير :

* مافى عطائهمُ مَنٌّ ولاسَرَفُ (٢) *

أراد : أنهم يحفظون مواضع الصنائع ، لا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسُّط فى الجود(٣) .

وروى أنَّ الفرزدقَ دخل على عبدالملك بن مروان أوبعضِ بنيه فقال له: اتعرف أحداً أشعرَ منك ؟ قال : لا ، إلا أنَّ غلاماً من بنى عُقَيل يركب أعجاز الإبل وينعت الفلواتِ فيجيد ! ثم جاءه جريرٌ فسأله عن مثل ماسأل الفرزدق ، فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة ، فقال له : أنت أشعر الناس ؟ قال : لاولكنْ غلامٌ من بنى عُقَيل يقال له مزاحم يسكن الروضاتِ يقول وحشيًّا من الشعر لا يُقدَر على قولِ مثله(٤) . فقال : أنشدنى بعضَ ماتحفظ من ذلك . فأنشده :

---

(١) فى الأغانى : « أيام مضين » و « وهل يثنى من العيش » .

(٢) صدره فى الأغانى وديوان جرير ٣٨٩ :
* أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية *

(٣) فى الأغانى : « أراد أنهم لا يخطئون مواضع الصنائع ، إلا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسط فى الجود » .

(٤) فى الأغانى ١٧ : ١٥٣ : « لا يقدر على مثله » .

خليليَّ عوجا بى عَلى الدّار نسألِ

متى عهـدُها بالظّاعن المتحمّلِ

فعجتُ وعاجُوا بين بَيداء مَوَّرتْ

بها الرِّيحُ جَوْلانَ التراب المنخّلِ[1]

حتى أتى على آخرها . ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا .

انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(إنَّ لوًّا وَإنَّ ليتاً عناء)

هذا عجز ، وصدره :

(ليت شعرِى وأين مِنِّىَ ليتٌ)

ويأتى إن شاء الله شرحُه فى باب العلم[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الأربعمائة[3] :

٤٦٤ (لشتَّان مَا بين اليزيدَينِ فى الندى

يزيدُ سُليمٍ والأغرُّ بنُ حاتمِ)

على أنه قد يقال فى غير الأكثر الأفصح : شتان مابين زيدٍ وعمرو ، كما فى البيت .

(١) فى الأغانى : « فعجت وعاجوا فوق بيداء صفقت » .

(٢) فى الشاهد ٥٣٧ .

(٣) الأغانى ٤ : ٣٨ والعمـــدة ٢ : ١٤٠ والعقد ١ : ٢٨٨ ، ٥/٣٠٦ : ٣٠٥ وابن يعيش ٤ : ٣٧ ، ٦٨ واشذور ٤٠٤ .

قال أبو على (فى المسائل العسكرية) : وأمّا شتان فموضوع موضعَ قولك افترقَ وتباين، وهو من قوله عزوجل : ﴿ إنّ سَعْيَكُم لشتّى(١) ﴾ و﴿ أشتاتا(٢) ﴾. وهذا الباب إذا كان كذلك اقتضى فاعلين فصاعداً ، فمن ثَمَّ يقال : شتان زيدٌ وعمرو . وعلى هذا قول الأعشى :

شتّان ما يومى علَى كُورها
ويومُ حَيّانَ أخى جابرِ

فأسنده إلى فاعلين معطوفٍ أحدهما على الآخر : فأمّا قولك شتان ما بينهما ، فالقياس لا يمنعه إذا جعلت ما بمنزلة الذى ، وجعلت بين صلة ، لأنّ «ما» لإبهامها قد تقع على الكثرة ، ألاَ [ترى(٣)] قوله : ﴿ يَعبُدونَ مَن دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم(٤) ﴾ ثم قال : « ويقولون » فعلمت أنّ المراد به جمع . وكذلك : ﴿ ما لا يملِكُ لهم رِزْقا(٥) ﴾ ثم قال : ﴿ ولا يستطيعون ﴾ فإذا كان كذلك لم يمتنع فى القياس . وقد جاء فى الشعر « لشتان ما بين اليزيدين(٦) » إلاّ أن الأصمعىّ طعن فى فصاحة هذا الشاعر ، وذهب إلى أنّه غير محتجٍّ بقوله . ورأيت أبا عمرو قد أنشد هذا البيت علَى وجه القَبول له والاستشهادِ به . وقد طعن الأصمعىُّ على غير شاعر قد احتَجّ بهم غيرهُ ، كذى الرمة والكميت ، فيكون هذا أيضاً مثلَهم . انتهى .

ومثله للإمام المرزوقى (فى شرح فصيح ثعلب) قال : شتان موضوعٌ

(١) الآية ٤ من سورة الليل .
(٢) من الآية ٦١ من النور و ٦ من الزلزلة .
(٣) تكملة ضرورية ليستقيم الكلام .
(٤) الآية ١٨ من يونس .
(٥) الآية ٧٣ من النحل .
(٦) ش : « شتان ما بين اليزيدين » .

موضعَ تشتّتَ ، وإذا قلت شتان ماهما ، فما صلة أُكِّدَ بها الكلام ، وهما فى موضع الفاعل ، ولا يُستغنى بواحد ، لأنَّه وُضع لاثنين فصاعدا ، كما أنَّ تشتت كذلك . والعامة تقول : شتانَ مابين فلان وفلان ، وكثيرٌ من الناس يدفعونه ، حتىّ خطأ جماعةٌ من النحويين ربيعةَ الرّقّيّ . وله وجه صحيح ، وهو أن يكون «ما» لأحوال اليزيدين وأوصافهما ، وجعلت مابعده صلة له فعرّفته ، أوصفة له فنكّرتَه ، لأنه حينئذ يصح دخول شتان وتشتّت عليه . ولا يكون لواحدٍ . انتهى .

وهذا مخالفٌ لصنيع الشارح المحقّق ، فإنه منع أن تكون ما موصولة مع تفسير شتان بما يطلب فاعلين ، لأنّ مشاركة اليزيدينِ فى كلٍّ من خَصْلتى الجود والبخل ضدُّ مقصود الشاعر ، وإنما مراده انفراد أحدِهما بالجود والآخرِ بالبخل . ويدلُّ عليه قولُه بعد :

فهمُّ الفتى الأزدىِّ إتلافُ مالِهِ وهمُّ الفتى القَيْسىِّ جمعُ الدراهم

وهذا مبنىٌّ على أن فى البيت حذفَ معطوف ، والتقدير لشتان مابين اليزيدَين فى النّدَى والبُخْل ، فيكون من قبيل قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرّ[1] ﴾ ، أى والبرد . فإن قلت : يجوز أن يشتركا فى الندى ، ويكون أحدهما فى الطرف الأعلى منه والآخر فى الطرف الأسفل ، فلا يكون فيه حذف معطوف . قلت : هذا أيضاً خلاف مقصوده ، فإنه يريد أن يثبت صفةالجودلأحدهماويثبت خلافهاَ للآخَر ، فلا اشتراك لهما فى أصل الجود . ويدلُّ عليه قوله أيضاً :

يَزِيدُ سُلَيمٍ سالمَ المالَ ، والفتى أخو الأزد للأموال غيرُ مسالِمِ

---

(١) الآية ٨١ من سورة النحل .

٤٧ فلما رأى الشارحُ المحقق ما ذُكر من منع تفسير شتّان بافترقَ ، حملَ شتّانَ على معنى « بَعُدَ » الطالبِ لفاعلٍ واحد ، وهو :

إمّا « ما » وتكون عبارةً إما عن البَوْن والمسافة . والبَوْن : القَضْل والمزية ، وهو مصدرُ بانه يَبُونُه بوناً إذا فضله . وبينهما بَون ، أى بين درجتيهما وبين اعتبارهما فى الشرف . وأماإذا كانا متباعدين بالجسم ، فيقال بينهما بين بالياء . والمسافة : قَطع الطريق ، مفعلة من السَّوف وهو الشمّ ، لأنّ الدليل يَسُوف ترابَ الموضع الذى يسير فيه ، فإن استافَ رائحة أبوال الإبل وأبعارها علم أنه عَلَى جادّةٍ ، وإلاّ فلا . يقال : بينهم مسافة بعيدة . ومافى الحقيقة على هذين الوجهين موصولة ، أى البون الذى بينهما ، أو المسافة التى بينهما .

وإمّا « بينَ » هو الفاعل ، وتكون ما زائدة كما قَرَّره الشارح المحقق . ويؤيِّده ورودُ بين بالنصب فاعلاً لشتان بدون ما . قال حسّان بن ثابت :

وشتّانَ بينَكما فى النـــدى
وفى البأسِ والخيرِ والمنظرِ (١)

وقال آخر :

أخاطب جهراً إذْ لهنّ تخافتٌ
وشتّانَ بينَ الجهرِ والمنطق الخَفْتِ (٢)

وقال جميل :

أريد صلاحَها وتريد قتلى
وشتّا بينَ قتلِي والصَّلاح (٣)

---

(١) من أبيات فى ديوانه ١٨٢ يفضل فيها الحارث بن أبى شمر الغسانى على النعمان بن المنذر اللخمى .
(٢) اللسان (خفت ، شتت) .
(٣) ديوان جميل ٥٢ وأمالى القالى ١ : ٢١٦ .

أصله شتَّانَ وحذفت النون ضروة . وعَلَى هذا لايعتبر حذف معطوف ، كما اعتبر على غير توجيه الشارح المحقق .

ويجوز رفع بين إذا لم يسبقها ما ، وقدّمه صاحب القاموس على النصب فقال : وشتان بينُهما ، وينصَب . وروى أبوزيد (فى نوادره) قولَ الشاعر :

شتان بينُهما فى كلّ منزلة
هـذا يُخافُ وهذا يُرتجىَ أبدا(١)

برفع بينُ. ثم قال : ومن العرب من ينصب بينَهما ، كقوله تعالى : ﴿ لقد تَقطّعَ بيْنَكم(٢) ﴾ .

وبين : لفظ مشترك بين المصدر والظرف ، وهى من الأضداد تكون للوصل وللفرقة . قال فى القاموس : البين يكون فُرقةً ووصلا ، واسمًا وظرفا متمكنا .

وقول الشارح المحقق ، كما هو مذهب الأخفش ، فى قوله تعالى : ﴿ يُفصلُ بينُكم(٣) ﴾ بالبناء للمفعول إمّا بتشديد الصاد ، وهى قراءة ابن عامر ، وإما بتخفيفها وهى قراءة غيره وغير الأخوين وعاصم . وأمّاقراءة الأخوين(٤) فهى بالبناء للمعلوم مع تشديد الصاد . وأما قراءة عاصم فهى كذلك مع تخفيفها(٥) .

قال السمين (فى الدر المصون) : من بَناه للمفعول فالنائب إما ضمير المصدر أو الظرف ، وبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن . أو الظرفُ وهو باقٍ عَلَى نصبه . انتهى .

---

(١) لم أجده فى نوادر أبى زيد المطبوعة .
(٢) الآية ٩٤ من سورة الانعام .
(٣) الآية ٣ من الممتحنة .
(٤) الأخوان هما فى مصطلح القراء : حمزة والكسائى . انظر جنى الجنتين للمحبى ص ١٨ .
(٥) انظر تفسير أبى حيان ٨ : ٢٥٤ واتحاف فضلاء البشر ٤١٤ .

وهذا الأخير هو قول الأخفش .

واعلم أنّ الشارح المحقق مسبوقٌ بتوجيهه .

أما الأول فقد قال ابن عصفور (فى شرح الإيضاح لأبى على) : والذى يجيز شتان ما بينهما يجعل[1] شتان بمنزلة بعد ، فكما يجوز بَعُد مابين زيد وعمرو ، كذلك يجوز شتان مابين زيد وعمرو .

ومثله لابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) . قال : كان ربيعة عند الأصمعى ممّن لا يُحتجُّ بشعره . وهذا غلط[2] لأنّ شتان اسمٌ للفعل يجرى مجراه فى العمل ، فلا فرق بين ارتفاع « ما » به فى بيت ربيعة ، وارتفاع « اليوم » فى بيت الأعشى ، كما أنك لو قلت بعد ما بين زيد وعمرٍو . لجاز بالاتفاق .

٤٩

وكذلك قال اللَّبْلى (فى شرح فصيح ثعلب) : شتان بمعنى بَعُد وتفرّق ، وما بمعنى الذى ، فاعل شتان ، وبين صلة لما .

وأما الثانى فقد قال أبو البقاء : إن جعلت ما زائدة وبين فاعلا وهى ظرفٌ ، لا تكاد العرب تستعملها كذلك . وإنْ جعلتها بمعنى الذى ضعف أيضاً ، لأنّ المعنى يصير افترق الذى بين زيد وعمرو . وليس المراد ذلك ، بل المراد افترق زيد وعمرو . ومن أجازه قال : إن مفارقة زيدٍ لعمرو ليس من جهة الأشخاص ، بل المراد افتراقهما فى الأخلاق والأحوال ، وهو المعنىُّ بالذى . انتهى .

وقوله « لا تكاد العرب تستعملها كذلك » غير مسلم ، فإنّه قد قرئ

(١) ط : « بجعلَ » ، صوابه فى ش .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٣٨٩ . وفى ش : « وهو غلط » .

به فى القران فى عدّة مواضع . وكلامُه وإن كان على اعتبار شتان بمعنى ما يقتضى فاعلين إلاّ أنّ المنزِعين فيه .

وأما إنكار الأصمعىّ شتان مابينهما فقد قال ابن برى : (فى حاشية الصحاح) : ليس بشىء ، لأنّ ذلك قدجاء فى أشعار العرب[1] ،قال أبو الأسود الدئلىّ :

وشتّان ما بينى وبينَك أننى
عَلَى كلّ حالٍ أستقيم وتظلعُ[2]

ومثله قول البَعيث :

وشتّان ما بينى وبين ابنِ خالد
أُميّةَ فى الرّزق الذى يُتقسّمُ[3]

وقال آخر :

وشتانَ مابينى وبين رُعاتها
إذا صرصر العُصفور فى الرُّطَب الثَّعْدِ[4]

والثّعد ، بفتح المثلثة : ما لان من البُسر . ويقال شتان بينهما أيضاً بدون ما .

وتقدمت أبياته .

---

(١) ط : « فى أسعار من العرت » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان حسان ٥٦ واللسان (شتت) .

(٣) اللسان (شتت) .

(٤) فى النسختين : « دعاتها » بالدال ، صوابه بالراء كما فى اللسان (شتت ، ثعد) .

وقد تبع الأصمعىَّ فى إنكاره جماعةٌ منهم ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) قال : يقال شتان ماهما ، ولا يقال شتان مابينهما . وليس قوله :

* لشتان مابين اليزيدين فى النَّدى *

بحجَّة .

ومنهم الأزهرى (فى التهذيب) قال : قول ربيعة ليس بحجَّة ، إنَّما هو مولَّد . وأبَى الأصمعىُّ شتان . مابينهما قال أبو حاتم : فأنشدته قولَ ربيعة فقال : ليس بفصيحٍ يلتفَت إليه .

وقول الشارح المحقق : « ومُوهِمه شيئانِ : أحدهما لغةٌ فى شتّانَ وهى كسر النون[1] » ، قال الإمام المرزوقى (فى شرح فصيح ثعلب) : أصحابنا البصريون لايُجيزون فيه إلا الفتح ، ولو كان مثنى لجاز تأخيره فقيل : زيد وعمرو شتانِ ، بل كان هو الوجه والترتيب ، ولجاز أن يقلب ألفُه فى النَّصب والجرّ ياء ، وذلك لايُعرف . ألا ترى أنَّ قولهم سِيّانِ زيدٌ وعمرو ، لما كان مثنى سيٍّ وهو المِثْل جاز جميع ذلك فيه . انتهى .

وزعم ثعلبٌ (فى فصيحه) أن كسر النون هو قول الفراء . ونقل شارحُهُ اللَّبلىّ عن ابن درستويه أن الفراء إنما ذهب إلى الكسر لأنَّ المثنى لمَّا كان للاثنين ظنَّ أن شتان مثَنّى فكسره ، والعرب كلُّها تفتحه ، والكسر لايجيزهُ عربى . انتهى .

أقول : الفراء لم يذهب إلى أن النون مكسورة لا غير ، وشتان مثنًى

---

(١) الرضى ٢ : ٦٩ . والمراد قول الأصمعى . وقبله فى الرضى : « وأنكره الأصمعى وقال : الشعر لمولد . وذلك بناء على مذهبه وهو أن شتان مثنى شت ، وهو المتفرق » .

شَتٍّ ، وإنما حكى أن كسر النون لغةٌ فى فتحها[1] . قال : (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ما هذا بَشَرًا[2] ﴾ : أنشدنى بعضُهم :

لشتان ما أنوى ويَنْوِى بَنو أبى
جميعاً ، فما هــذانِ مستويانِ

تمنَّوا لىَ الموتَ الذى يَشْعَبُ الفتى
وكلُّ فتىً والموتُ يلتقيانِ[3]

قال الفراء : يقال شتَّان ما أنوى بنصب النون وخفضها ، هذا كلامه[4] ٤٩

وكذا نقل الصاغانى (فى العباب) عنه أنَّ كسر النون لغة فى فتحها وليس فيه ما زعمه ابن درستويه . وبه يسقط ترديد أبى سَهل الهَرَوى[5] (فى شرح الفصيح) حيث قال : وأمَّا على قول الفرّاء فإنَّه يجوز أن يكون كسر النون على أصل التقاء الساكنين ، ويجوز أن يكون أراد تثنية شتّ وهو المتفرِّق . انتهى .

وزعم ابنُ الأنبارى (فى الزاهر) أنّه لا يجوز كسر النون فى شتان ما بين أخيك وأبيك ، قال : لأنها رفعت اسمًا واحدا . ويجوز كسرها فى غيرهِ ، وهو شتّان أخوكَ وأبوكَ ، وشتَّانِ ما أخوكَ وأبُوكَ . قال : يجوز فى هذا كسر النون على أنَّه تثنية شتٍّ . هذا كلامه ، وفيه ما لا يخفى .

---

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « فتحتها » .
(٢) الآية ٣١ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٤٢ .
(٣) نسب فى العينى ١ : ٥٤٣ الى الفرزدق . وليس فى ديوانه .
(٤) تعليق الفراء هذا لم يرد فى معانى القرآن ، وان كان الفراء قد أنشد البيتين شاهدا على رفع أهل نجد للخبر بعد « ما » فقط .
(٥) ط : « أبى سهيل » تحريف . وهو أبو سهل محمد بن على بن محمد ، نزيل مصر . كان نحويا ، وكانت له رياسة المؤذنين بجامع مصر ، ولد سنة ٣٧٢ وتوفى سنة ٤٣٣ . بغية الوعاة .

وقول الشارح المحقق « الثانى : أنّ المرفوع بعده لا يكون إلاّ مثنى أو ما هو بمعنى المثنى » إلخ . أقول : قد ورد المرفوع بعد شتّان أربعةً ، قال لقيط بن زُرارة :

شتّانَ هذا والعناقُ والنّوْمْ والمشربُ الباردُ فى ظلِّ الدّوْمْ

وهذا مما يردُّ على الأصمعى ويؤيِّد قولَ غيره أنّ شتان لا يكتفى بواحد ، لأنّه وضع لاثنين فصاعداً .

وقد أجاز ثعلبٌ ما منعه الأصمعى ، قال (فى فصيحه) : وتقول شتّانَ زيدٌ وعمرو ، وشتان ما هما ، نون شتّانَ مفتوحة . وإن شئت قلت شتّانَ ما بينهما . والفراء يخفض نون شتّانِ . انتهى .

ومحصّل الكلام فيها أنّ شتّانَ يكون مرفوعها شيئين[1] اتّفاقاً ، وأكثر عند غير الأصمعى ، ويكون معهما ما الزائدة وبدونها . والصحيح جواز شتّان ما بينهما ، خلافاً للأصمعى .

ولم يتعرّض ابن السراج (فى الأصول) لهذا . قال : قولك شتّان زيد وعمرٌو ، معناه بَعُدَ ما بين زيدٍ وعمرٍو جدًّا . وهو مأخوذ من شَتّ . والتشتيت : التبعيد ما بين الشيئين أو الأشياء ، فتقديرهُ تباعدزيد وعمرو . انتهى .

وهى عند الشارح قسمان : أحدهما ما ذكر من أنّه لا بُدَّ لها من مرفوعين فصاعداً . والثانى : جواز الاكتفاء بمرفوع واحد . وهو فى شتّان ما بينهما لكونها بمعنى بعُد .

وبقى استعمالها مع «ما» الموصولةِ بفعلٍ ، ولم يذكروه . وهو ما أورده الفرّاء

(١) ش : « شيئان » ، صوابه فى ط .

في الشعر المذكور ، وهو « لشتان ما أنوى[1] » . وينبغى أن تقدر ما الموصولة فى الفعل الثانى ، ليكون مرفوعها شيئين . وهى اسم فعلٍ على الصحيح .

قال ابن عصفور (فى شرح الإيضاح) : وهو ساكن فى الأصل، إلاّ أنه حُرِّك لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحةً إتباعاً لما قبلها وطلباً للخفة ، ولأنّه واقعٌ موقعَ الماضى مبنىٌّ على الفتح ، فجعلت حركته كحركته .

وزعم المرزوقى والهروى (فى شرح الفصيح) أنّها مصدر . قال الأوّل : شتان مصدر لم يُستعمَل فعلُه . وهو مبنىٌّ على الفتح ، لأنه موضوعٌ موضعَ فعلٍ ماض ، وزيدٌ فاعل له .

وقال الثانى: معنى شتّان البُعدُ المفرِط بين الشيئين ، وهو اسمٌ وضع موضع الفعل الماضى ، تقديره : شتّ زيد وعمرو[2] ، أى تشتّتا وتفرّقا جدًّا .

وسبقهما الزجّاج كما نقل الشارح المحقّق عنه .

قال ابن عصفور : وزعم الزجّاج أنّه مصدرٌ واقعٌ موقعَ الفعل جاء على فَعْلان نخالف أخَواته ، فبنى لذلك .

فإن قيل : لنا فَعْلانٌ فى المصادر ، قالوا : لوى يلوى لَيّانا ، وشنئته شَنْآنا[3] . وأنتَ لو وضعت ليّاناً وشَنْآناً موضعَ الفعل لبقيا على إعرابهما ولم يبنيا .

فالجواب : أنّهما مصدران قد استعملا بعدَ فعلهما وتمكّنا ، فإذا وقعا موقع فعلهما بقيا على إعرابهما ، وليس كذلك شتّانَ ؛ لأنّك لا تقول شتّ يشتُّ شَتَاتاً ، وإنّما ٥٠

(١) ط : « شتان ما أنوى » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) وعمرو ، ساقطة من ط ، وقد ألحقت فى هامش ش بخط ناسخها .

(٣) يقال بسكون النون وبفتحها أيضا . وقرىء بهما قوله تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم » .

استعمل فى أوّل أحواله موضوعاً موضع الفعل المبنىّ ، فبنى لذلك . انتهى .

قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : مقتضى هذا الجواب أن تبنى المصادرُ الملتزمُ إضمار ناصبها ، كسبحانَ الله ومَعاذ الله .انتهى.

وجوّز المازنىُّ تنوين شتان ، قال أبو على (فى التذكرة القصرية) : قال أبو عثمان : سبحان وشتّان يجوز تنوينهُما اسمين كانا ، أو فى موضعهما . قال أبو على : شتّان إذا كان فى موضعه فهو اسمٌ للفعل وهو شَتّ بمنزلة صه ، فإنْ نَوَّنته فهو نكرة ، وإنْ لم تنوّنه فهو معرفة .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون معرفةً وهو بمنزلة شَتَّ ، وكذلك صه بمنزلة اسكت ، واسكت وصه لا يجوز أن يكونا معرفة . قيل : لأنهما اسمان للفعل وليسا بفعل . فإنْ نقلت شتّان عن أن يكون اسمًا للفعل فجعلته اسمًا للتشتيت معرفة ، وصار بمنزلة :

* سُبحانَ من علقمة الفاخر *

فى أنّه اسمٌ للتنزيه معرفة جاز . فإنْ نوّنته ونونتَ سبحان هذا تنكَّر لأجل التنوين ، وصار بمنزلة زيدٍ من الزيدين إذا نكرت زيداً المعرفة . ويَضعف جعلُ هذه المعرفة نكرة ، لأنَّ المعنى الملقّب بسبحان وشتّان ، شىء واحد لا يصحّ أن يكون له أمثالٌ من جنسه ، هى تنزيه وتشتيت ، وليس كذلك الملقّب بزيد ، لأنّه يصحّ أن يكون له أمثالٌ من جنسه فيقدّر زيداً من الزيدين يصحّ فى المعنى ، وتقدير سبحان من أمثاله لا يصحُّ فى المعنى . فالجواب أنَّ هذا وإنْ لم يصحّ فى المعنى فإن تقديرهم له تقديرَ ما يصحُّ له فى هذا المعنى جائزٌ ،

---

(١) الكلام بعده الى « لا يجوز أن يكونا معرفة » ساقط من ش .

يدلُّ على ذلك أنَّ من قال: هذا ابن عِرْس مقبلا، نزَّل الجنسَ منزلة شيء واحد، وإن كان فى الحقيقة أشياء، ثم قال: هذا ابن عِرس مقبلٌ، نزَّل ما قد نزَّله منزلة شيء واحد منزلةَ أشياء كثيرة. فهذا ابنُ عِرسٍ مقبلٌ، بمنزلة زيد من الزيدين منكَّرًا من هذا ابن عرس مقبلا. ونظيرُ تلقيب المعنى بسبحان وشتَّان، فيمن جعله لقبًا للمعنى، جَعْلُ النحويِّين أفعل معرفة فى قولهم أفعل إذا كان وصفا لا ينصرف، فيجعلون أفعل معرفةً لقبا للمعنى، وهو هذا الوزن. فلم يخرُجِ النحويُّون بتلقيبهم المعانى عن كلام العرب، لأنَّها قد لقَّبَت المعانىَ كما لقَّبت الأشخاص. ونظير ذلك قولهم:

* فحملتُ برَّةَ واحتملتَ فجارِ *

وبرَّةَ تلقيبُ المعنى، فلهذا لم يصرفها. انتهى كلام أبى على، ولنفاسَته سُقناه برُمّته.

[والبيت الشاهد من قصيدةٍ لربيعة الرَّقىِّ، مدح بها يزيدَ بن حاتم المهلَّبى. وهذه أبياتٌ من أوَّلها: صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(حلفتُ يمينًا غير ذى مَثْنويَّةٍ
يمينَ امرئٍ آلَى بها غيرَ آثمِ[1]

لَشتَّانَ ما بين اليزيدين فى الندى
يزيدُ سُليمٍ والأغرُّ ابنُ حاتمِ

يزيدُ سُليمٍ سالمُ المالِ، والفتى
أخو الأزدِ للأموال غيرُ مسالمِ

(١) الأبيات وخبرها فى الأغانى ١٥ : ٣٧ والعقد ١ : ٣٣١، ٥/٣٥٤ : ٣٠٥ ووفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب).

فهمٌ الفتى الأزديُّ إتلافُ ماله
وهمٌ الفتى القيسىُّ جمعُ الدراهمِ
فلا يحسَب التَّمتامُ أنِّى هجوتُه
ولكنَّنى فضَّلتُ أهلَ المكارمِ
فيا أيُّها الساعى الذى ليس مُدرِكا
بِمَسعاته سَعْىَ البحورِ الخَضارمِ

٥١ سَعيتَ ولم تُدرِكْ نوالَ ابنِ حاتمٍ
لِفَكٍّ أسيرٍ واحتمال العظائم(١)
كفاكَ بناء المكرماتِ ابنُ حاتم
ونمتَ وما الأزدىُّ عنها بنائم
فيا ابنَ أُسَيْدٍ ، لا تسامِ ابنَ حاتم
فتقرعَ إنْ ساميتَه سنَّ نادمِ
هو البحرُ إنْ كلّفتَ نفسَك خوضَه
تهالكتَ فى أمواجه المتلاطم
تمنَّيتَ مجداً فى سُليمٍ سفاهة
أمانىُّ خالٍ أو أمانىُّ حالم(٢)
ألاَ إنَّما آلُ المهلَّب غُرَّة
وفى الحرب قاداتٌ لكم بالحَزائمِ(٣)

---

(١) ش : « بفك أسير » . وأثبت ما فى ط ووفيات الأعيان .
(٢) الخالى هنا : الذى يخلو بنفسه ويتأمل . ط : « حال » بالحاء المهملة ، صوابه فى ش ووفيات الأعيان .
(٣) كذا وردت باهمال هنا وفى الشرح . والوجه « بالخزائم » بالخاء المعجمة كما فى الوفيات ، وانظر حواشى ص ٣٠١ .

هم الأنفُ والخرطُوم ، والناسُ بعدَهم
مَنَاسِمُ ، والخُـرطوم فوقَ المناسِمِ

قضيتُ لـكم آلَ المهلَّب بالعُــلا
وتفضيلِـكم حَقًّا على كلِّ حاكِمِ

لـكمْ شِيَمٌ ليست لِخَلْقٍ سواكُمُ
سَماحٌ وصِـدقُ البأس عنـد المَلاحِمِ

مُهينـون للأموال فيما ينُـوبُكم
مَنَاعِيشُ دَفّاعونَ عن كلِّ جارمِ

وقوله : «حلفتُ يميناً» إلخ، مثنوية[1] : مصدر بمعنى الاستثناء فى اليمين ، أى حلفت غـير مستثن فى يمينى . وقوله غـير ذى مثنوية ، أى غـير يمين ذى مثنوية .

وهذا المصراع من شعرٍ للنابغة الذبيانى ، وتمامه :

* ولا علم إلاَّ حُسْنُ ظنٍّ بصاحبِ *

وهو من شواهد سيبويه ، وقد شرحناه مع قصيدته فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائتين[2] .

وقوله يمين امرئٌ ، إلخ مفعول مطلق تشبيهىّ ، أى كيمين . واليمين : القَسَم ، سمِّى بها لأنَّهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كلُّ امـرئٍ منهم على يمين

(١) ما بعده الى « مثنوية » التالية ، ساقط من ش .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٢٧ .

صاحبه . قال صاحب المصباح : ويمين الحلف أنثى . قال ابن الأنبارى : ولهذا أعاد الضمير عليها من « بها » مؤنثا . وآلى ، بمعنى أقسم .

وقوله (لشتّانَ ما بين اليزيدين) إلخ ، اللام فى جواب القسم ، وما بعدها جوابه . قيل : شتّان ما بين اليزيدين صار مثلاً فى ظهور الفَرْق . والنّدى : السّخاء والجود ، والألف أصلها واو ، لأنه يقال ندوت [1] . ويقال سَنَّ للناس النّدى فندَوْا بفتح الدال . و (الأغَرُّ) من الغُرّة ، وهو بياضٌ فوق الدِّرهم فى جَبهة الفرس . يقال فرسٌ أغرُّ ومُهرة غرّاء ، وقد استعيرت للوضوح والشُّهرة . وقال فى المصباح : ورجل أغَرُّ : صَبيحٌ أو سيِّدُ قومِه .

يزيد سليم

أمّا يزيد سُليم فهو يزيد بن أسَيْد بضم الهمزة وفتح السين المهملة ، وينتهى نسبه إلى بُهْثة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة، ابن سُلَيم ، بضم السين، ابن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ، ابن قيس ابن عَيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

يزيد بن حاتم

وأمّا يزيد بن حاتم ، فهو يزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، وينتهى نسبه إلى الأزد ، وهى قبيلةٌ عظيمة باليمن . وهو جدُّ الوزير المهلبى ، فإنه أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم . ومات فى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

وكان السبب فى هذه القصيدة أن ربيعة قصد يزيدَ بن أسَيد ، وهو يومئذٍ

---

(١) وهى مع ذلك تكتب بالياء غالبا مراعاة للامالة . انظر اللسان (ندى ١٨٥) . وقد وردت فى الأصل مكتوبة بالألف فى جميع المواضع، لكنى أجريتها على الكتابة المألوفة .

والٍ على أرمينيّة، وكان قد وليها زماناً طويلا لأبى جعفر المنصور، ثم من بعده لولده المهدىّ. وكان يزيد هذا من أشراف قيس وشُجعانهم، ومن ذوى الآراء الصائبة. ومدحه ربيعةُ بشعرٍ أجادَ فيه فقصَّر يزيدُ فى حقه، ومدح يزيد بن حاتم فبالغ فى الإحسان إليه، فقال ربيعة هذه القصيدة يفضِّل يزيد بن حاتم على يزيد بن أسَيد. وكان فى لسان يزيد بن أسَيد تمتمة، فعرَّض بذكرها: «فلا يحسب التمتام أنِّى هجوته». كذا فى تاريخ ابن خلكان. ٥٢

قال صاحب المصباح: وتمّم الرجـل تمتمةً إذا تردَّد فى التاء، فهو تمتام بالفتح. وقال أبو زيد: هو الذى يَعْجَل فى الكلام ولا يُفهمك.

وقال ابن عبد ربه (فى ثلاثة مواضع من العقد الفريد[1]): مدح ربيعة الرقّىّ يزيد بن أسيد السُّلَمى، فلم يُعطِه شيئاً، ثم عطف على يزيد بن حاتم وهو والى مِصر ومدحَه، فتشاغل عنه فى بعض الأمور، واستبطأه ربيعةُ فشخَصَ من مصر وقال:

أرانى ولا كُفرانَ لله راجعاً

بخُفَّىْ حُنينٍ من نوالِ ابن حاتم

فبلغ قولُه يزيدَ بنَ حاتم فأرسل فى طلبه، فلما دخل عليه قال له: أنت القائل:

أرانى ولا كفران لله راجعا . . . البيت

قال: نعم. قال: هل قلتَ غير هذا ؟ قال: لا. قال: والله لترجعنَّ بخُفَّىْ

(١) سبقت الاشارة اليها فى ص ٢٨٧ .

حنين مملوءةً ذهبا[١]. فأمر بخَلع خُفَّيه وأن تُملَئا[٢] دنانير . ثم قال له : أصلِحْ ما أفسدتَ من قولك . فقال فيه لمّا عُزل من مصر وولىَ مكانه يزيدُ بن أُسَيد السلمى :

بكى أهلُ مصرٍ بالدُّموع السّواجم غداةَ غدَا منها الأغرُّ ابنُ حاتم

وفيها يقول :

لشتّان ما بين اليزيدين فى الندى يزيدُ سليم والأغـرُّ ابنُ حاتم

مع أبياتٍ ثلاثة بعده . وكان يزيد بن حاتم جواداً سريًّا مقصودا ممدُوحاً [٣] . قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم .

قال ابن عبدِ ربِّه : كتب إليه رجلٌ من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألفَ درهم وكتب إليه : أمّا بعدُ فقد بعثتُ[٤] إليك ثلاثين ألفاً لا أُكثِّرها امتنانا ولا أقلِّلها تحقيرا ، ولا أستثيبك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء . والسلام .

وقال ابن خَلِّكان : ذكر ابن جرير الطـبرى فى تاريخه أنَّ الخليفـة أبا جعفر المنصور عزل حُمَيد بن قَحطبة عن ولاية مِصر ؛ فولاها نوفل بن

---

(١) وكذا فى العقد ١ : ٣٣٢ وفيه « مملوءة مالا » . لـكن فى ٥ : ٣٠٥ : « مملوءتين مالا » . والخف مذكر ، ومنه : « فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران » . ويبدو أنها تؤنث حملا على « النعل » والنعل مؤنثة .

(٢) كذا فى ط والعقد ، وفيه : « وأن تملئا له مالا » لكن فى ش: « يملئا » بالياء .

(٣) ش : « ممدحا » . لكن ما أثبت من ط يطـابق ما فى وفيات الأعيان .

(٤) فى الأصل : « أما بعد بعثت » ، والتكملة من العقد ١ : ٣٠٦ .

الفُرات ، ثم عزله وولّى يزيد بن حاتم ، وذلك فى سنة ثلاث وأربعين ومائة .
ثم إنّ المنصور عزله عن مصر فى سنة اثنتين وخمسين ومائة ، وجعل مكانه محمد
ابن سعيد . انتهى

وهذا لا يوافق ما قاله ابن عبد ربه .

وقيل تولّى بعدَه[1] عبد الله بن عبد الرحمن من قِبَل المنصور . ولم أر
ما قاله ابنُ عبد ربه[2] .

ثم قال ابن خلكان : وقال ابن يونس (فى تاريخه) : ولى يزيدُ بن حاتم
مصر فى سنة أربع وأربعين ومائة . وزاد غيره : فى منتصف ذى القعدة . ثم إنّ
المنصور خرج إلى الشام وإلى زيارة بيت المقدس فى سنة أربع وخمسين ومائة ،
ومن هناك سيَّر يزيدَ بن حاتم إلى إفريقيّةَ لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله
عُمَر بن حفص ، وجهَّز معه خمسين ألفَ مقاتل ، واستقرّ والياً ، وكان وصوله
إليها واستظهاره على الخوارج فى سنة خمس وخمسين .

ولمّا عقد المنصور ليزيد المهلبىّ على بلاد إفريقيّة، وليزيد السُّلمىّ المذكورِ
على ديار مصرِ خرجا معاً[3] ، وكان يزيد المهلّبى يقوم بكفاية الجيشين ، فقال
ربيعة الرَّقّىّ :

---

(١) ش : « بعد » صوابه فى ط . والبغدادى يناقش ما ورد فى العقد من أن الذى جاء بعد يزيد بن حاتم فى الولاية هو يزيد بن أسيد السلمى . فان هذا معارض بما ذكر الطبرى أن الذى جاء بعده هو محمد بن سعيد ، وفى قول آخر أنه عبد الله عبد الرحمن .

(٢) أى لم يجد أحدا ذكر ما أورده ، غيره .

(٣) فى النسختين : « معه » ، والصواب من وفيات الأعيان .

٥٣ يزيدَ الخيرِ إنَّ يزيدَ قومى سَمِيُّكَ لايجود كما تجودُ
تقود كتيبةً ويقود أخرى فترزق من تقود ومن يقود

وقدم أشعبُ المشهور فى الطمع على يزيدَ وهو بمصر ، فجلس بمجلسِه، ودعا بغلامهِ فسارَّه ، فقام أشعب فقبَّل يده ، فقال له يزيد : لم فعلت هذا ؟ فقال : إنِّى رأيتك تسارِرُ غلامَكَ فظننتُ أنك قد أمرتَ لى بشىء : فضحك منه وقال : مافعلتُ ولكنى أفعل . ووصَله وأحسنَ إليه .

وقدم عليه بمصر أبو عُبيد الله محمد بن مسلم الشهير بابن المولى، وأنشده :

يا واحدَ العُربِ الذى أضحى وليس له نظيرْ
لو كان مثلَكَ آخَرٌ ما كانَ فى الدُّنيا فقيرْ

فدعا يزيد بخازنهِ . وقال : كم فى بيت مالى ؟ قال : فيه من العَين والورقِ ما مبلغُهُ عشرون ألفَ دينار . فقال : ادفعْها إليه . ثم قال : ياأخى ، المعذرةُ إلى الله تعالى وإليك ، والله لو أن فى مُلكى غيرَها ما ادَّخرته عنك .

وقال الطرطوشى[1] (فى كتاب سراج الملوك) : قال سُحنون[2] : كان

---

(١) نسبة الى طرطوشة ، بضم أوله وقد يفتح : مدينة بالأندلس ، كما فى القاموس . واقتصر فى معجم البلدان على أنها بالفتح. وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى ، رحل الى المشرق ودخل بغداد والبصرة والشام ، ثم نزل الاسكندرية واستوطنها . وتوفى سنة ٥٢٠ .

(٢) سحنون ، بضم السين ، واصله اسم طائر . وفى تاج العروس أن سينه قد تفتح . وهو سحنون بن سعد الافريقى ، من أئمة المالكية ، جالس مالكا مدة ، ثم قدم بمذهبه الى افريقية فاظهره فيها . وتوفى سنة ٢٤١ .

يزيد بن حاتم يقول : والله ماهِبتُ شيئاً قطُّ هيبتى لرجلٍ ظلمته وأنا لا أعلم ، وليس له ناصر إلا الله تعالى ، فيقول : حسبك الله ، اللهُ بينى وبينك !

وذكر أبو سعيد السمعانى (فى كتاب الأنساب) أن المسهرَ التميمىَّ الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقيَّة ، فأنشدهُ :

إليك قصَرنا النِّصفُ من صَلواتنا
مسيرةَ شهرٍ ثم شهرٍ نُواصُله

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا
لديكَ ولكن أهنأُ البرِّ عاجُله

فأمر يزيدُ بوضع العطاء فى جُنده وكان معه خمسون ألفَ مرتزق ، فقال: من أحبَّ أن يسرَّنى فليضع لزائرى هذا من عطائه درهمين . فاجتمع له مائة ألف درهم ، وضمَّ يزيدُ إلى ذلك مائة ألف درهم أخرى ودفعها إليه .

ولما كان يزيد والياً بإفريقيَّة كان أخوه روح بن حاتم والياً فى السِّند ، وولى لخمسةٍ من الخلفاء : أبى العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والرشيد فقال أهل إفريقية : ما أبعدَ مابين هذين الأخوين ، فإن يزيد هنا وأخاه رَوحاً فى السند . فلما توفى يزيد بإفريقية يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، وكان والياً فيها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، فاتفق أن الرشيد عزل رَوحاً عن السِّند وسيَّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية فى أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزلْ والياً عليها إلى أن توفِّى بها لإحدى عشرة ليلةً بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين

ومائة ، ودفن فى قبر أخيه يزيد . فعجب الناس من هـذا الاتفاق بعد ذلك التباعد .

تتمة

قال الصولى (فى كتاب الأنواع) : حدثنا أبو العباس محمد الجُبّانى قال: أنشدنا بكر المازنى[٣] لربيعة بن ثابت الرق ، يمدح يزيد بن حاتم المهلبىّ ويهجو يزيدَ بن أسيد السُّلمى :

* لشَتانَ مابين اليزيدين فى النّدى * . . . البيت

وبعده الأبيات الثلاثة ، قال: بلغ هذا الشعرُ أبا الشمقمق ، واسمه مروان، فقال يفضِّل يزيد بن مزيد الشيبانى على يزيدَ المهلبى :

لشتّان ما بين اليزيدَين فى الندى
إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والحمدُ
يزيد بنى شيبانَ أكرم منهما
وإن غضبتْ قيس بنُ عَيلان والأزدُ

انتهى .

يزيد بن مزيد

ويزيد هذا هو ابن مَزْيد بن زائدة ، وهو ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى . وكان يزيد هذا من الأمراء المشهورين ، والشُّجعان المعروفين ، وكان واليا بأرمينية ، فعزله عنها الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولاه إياها وضم إليها أذربيجان فى سنة ثلاث وثمانين . وهو من الأجواد ، وقد قصده الشعراءُ من سائر النواحى وأجاد صِلاتِهم .

---

(١) هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازنى ، المتوفى سنة ٢٤٩ .

وقد أطال ترجمته ابن خلكان .

وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ، ورثاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد، وأبو محمد عبد الله بن أيوب التيْميُّ المشهور ، وغيرهم .

ورأيت فى (رسائل الصاحب بن عباد) رسالةً مُداعبة ، جمع فيها نظائرَ هذا الشعر ، وهى رسالة جيِّدة أحببْت أن أوردها هنا وهى :

أبو الفرج عَبَّاد بن المطهَّر أعزه الله ، يزعم أن الشيخ الأمين[1] رضى الله عنه سمَّاه عبَّادا . والناس يروون :

لشتان بين اليزيدين فى الندى

يزيد سليم والأغرُّ ابنُ حاتم

وفيهم من لا يعلم أنه لربيعة الرَّقِّىِّ، ولا أنَّ اليزيدين : يزيدُ بن حاتم المهلبى وهو الممدوح ، ويزيد بن أَسَيد وهو المذموم . وكما لا يدرِى أن الشعر بلغ أبا الشمقمق فقال، وفضَّل عليهما يزيدَ بنَ مَزيد الشيبانى :

لشتَّانَ مابين اليزيدين فى الندى

إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والحمدُ

يزيدُ بنى شيبان أكرمُ منهما

وإن غضبتْ قيسُ بن عَيلان والأزدُ

وقد قال الآخر :

يزيدَ الخير إنَّ يزيدَ قومى

سَمِيُّك لا يزيدُ كما تزيد

(١) الذى فى رسائل الصاحب ١٥٩ « أن الشيخ الأمير » .

ويَذْكرني مولاى أنه أُنشِدُ كثيراً لأبى الهول الحميرى ، فى الفضل بن العباس ، والبرمكى :

فضلان ضَمَّهُما اسمٌ وشتَّتِ الأخبار[1]

كما سمعنى أُنشدُ لبشّار :

رأيت السُّهيلين استوى الجودُ فيهما
على بُعد ذا من ذاك فى حكم حاكم
سُهيل بن عثمانٍ يجودُ بماله
كما جاد بالفَعْلى سُهيلُ بن سالم[2]

ومن المبتذل فى هذا :

شَتّان بين محمّد ومحمدٍ
حَىٌّ أماتَ وميِّتٌ أحيانى

والمحمّدان : محمد بن منصور بن زياد ، ومحمد بن يحيى بن خالد . ولاأحسب عبادا هذا يعدُّ ماقلته تفضيلاً لعبّاد بن العباس عليه ، وإضافةً له إليه ، ولا أن يقول كما قال يونس بن حبيب: أشدُّ الهجاء الهجاء بالتفضيل. وذلك كما قال صديق مولاى القريب ، وابن عمته النسيب ، الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : انزل على أبى قَطَن قبيصة ، فحسبه ابنَ مخارق الهلالى ، فإذا هو آخر لا يحضرنى نَسبه[3] وذمَّ قِراه وجوارِه ، فقال :

---

(١) ورد فى النسختين على أنه نثر . وهو بيت من مجزوء المجتث .

(٢) الفعلى ، بالفتح : كناية عن الوجعاء ، وهى الدبر ، قصر وزنها للشعر ، وفى الأغانى ٣ : ٢٦ : « بالوجعا » . وفى الرسائل :

* كما جاء بالفعلاء سهل بن سالم *

وما هنا صوابه .

(٣) وكذا فى ديوان الفرزدق ٥٧٨ ، ففى حواشيه : « أراد قبيصة بن المخارق والهلالى ، فغلط فنزل على قبيصة آخر غير هذا الهلالى » . وأنظر لقبيصة جمهرة ابن حزم ٢٧٣ .

سَرَت ماسرت من ليلها ثمَّ وافقت

أبا قطن ليس الذى لمخارق[١]

وقد تلتقى الأسماء فى الناس والكُنى

كثيراً ، ولكن لا تلاقَى الخلائقُ

فأمَّا التفضيل الذى أومأتُ إليه فقد أعجبنى منه أنَّ الحطيئةَ قال : ٢٥

فلمَّا أن مدحتُ القــوم قلتم

هجوتَ ، وهل يحلُّ لىَ الهجاء

فلم أشتم لكم حَسَباً ولكن

حَدوتُ بحيث يُستمع الحُداء

حتَّى زعم بعضُهم عن الزِّبرقان أنَّ هذا أوجعُ له من قوله :

دع المكارم لا ترحل لبُغيتها

واقعدْ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسى

وعلى ذكر هذا البيت فلا أدرى لم تُرِك ما قيل قبله . فقد سَبَق الأعشى بقوله :

فدَعْنَا وقوماً إنْ همُ عَمَدوا لنا

أبا ثابت ، واجلسْ فإنَّك طاعمُ[٢]

---

(١) فى الديوان : « ثم وافقت أبا قطن غير الذى لمخارق » . وفى البيت الثانى من هذين البيتين اقواء . وبينهما فى الديوان :

فباتت وبات الطل يضرب رحلها موافقة يا ليتها لم توافق

(٢) فى النسختين : « انهم عمدوا لنا » صوابه فى رسائل الصاحب ١٦١ وديوان الأعشى ٥٨ . وفى الديوان : « وذرنا وقوما » . وأبو ثابت كنيته يزيد بن مسهر الشيبانى ، الذى هجاه الأعشى بقصيدة هذا البيت .

لست أدْرى أيدٌ الله مولاىَ ما هذا الوَسواس الخنّاس ، الذى يوسوس فى صدور الناس . وإنّما حضر هذا الفتى وله حقُّ الغُرْبة وأعظِمْ به حقّا ، ثم حقُّ الأدب وأكرِمْ به نخرا ، وقد خدَمنى طِفلا ، والآنَ كهلا ، وهاجر إلىّ ، فتظاهرت حرُماته لدىّ . وهذه التسمية أيضاً لها ذِمامٌ يُرْعَى ، وذِمار لا يُنسَى ، وسألنى أن أخاطبَ مولاى فى بابه ، وأسِيمَه[1] فى مرعى جنابه ، وتصوَّر لى الأنسُ بمطاولة مولاى ؛ وحسِبْتُنى أناجيه عن قرب كما أنا مكاتبه عن بعد ، فلجَّ الطبعُ والقلم ، وحضرت هذه الأبيات . والعبد ، ومولاى ولىُّ ما يوليه ، ويختصُّه بالجميل فيه ، فقد كان أبو عيسى النُّوشجانى عبد المسيح[2] أنشدَ والدِى :

وإنَّ ائتلاف النفس أدنى قرابةً

لمن يدَّعى القربى إذا كان ظالما

انتهى . وقوله : وقد قال الآخر :

يزيدَ الخيرِ إنَّ يزيدَ قومى ... البيت

هذا سهوٌ منه فى زعمه أنَّه لغير ربيعة ، والصواب أنه له كما نقلناه .

وقوله « بمسماته سَعْى البحور الخضارم » ، المَسْعاة : مصدر ميمىٌّ وهو السعى . والخضَارم بالفتح : جمع خِضْرِم ، بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين وكسر الراء : الواسع الكثير .

---

(١) ط : « وأسميه » ، صوابه فى ش ورسائل الصاحب .

(٢) فى رسائل الصاحب : « أبو عيسى النوشجان بن عبد المسيح » .

وقوله « بالحَزائم » جمع حِزام ، مستعار من حزام الدابة . أراد أنَّهم متشمِّرون للحرب[١] .

وقوله : «هم الأنف والخرطوم » ، هو بالضم : الأنف . وخُرطوم القوم : سيِّدهم . والمناسم : جمع مَنسِم بفتح الميم وكسر السين ، وهو خفُّ البعير .

والملاحم : جمع مَلحَمة ، بفتح الميم والحاء ، وهى الوقْعة العظيمة فى الفتنة .

والمناعيش : جمع مِنعاش مبالغة ناعش ، كمنحار مبالغة ناحر ، مِنْ نعشَه بفتح العين فيهما نَعْشاً بسكونها، إذا رفعه من سقطته. والجارم ،بالجيم: الكاسب الفقير ، من جرم يجرم كضرب يضرِب .

ربيعة الرقى

وربيعة الرقى هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت ، من موالى سُليم . ويدلُّ عليه قوله :

* يزيدَ الخير إن يزيد قومى *

وقال محمد بن معاوية الأسدى : هو من بنى جذيمة بن مالك بن نصر . ابن قُعَين . وهو شاعر مطبوع . قال دِعبل بن علىٍّ الخُزاعى : قلت لمروانَ بن أبى حَفصة : يا أبا السِّمط مَن أشعرُكم جماعةَ المحدَثين؟ قال : أشعرنا أسْيَرُنا بيتاً[٢] . قلت : من هو؟ قال : الذى يقول :

(١) كذا قيد التفسير هنا رواية (الحزائم) فى البيت ١٢ من قصيدة ربيعة الرقى السابقة ، لكن فى الوفيات : « قادرات لكم بالخزائم » وأرى أنها صواب الرواية ، فالخزائم جمع خزامة ، وهى حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها الزمام . وفى الحديث : « ومرهم أن يعطوا القرآن بخزائمهم » ، يراد به الانقياد لحكم القرآن والقاء الأزمة اليه ، كما يؤخذ البعير بخزامته . وانظر اللسان (خزم) . والبيت لم يرد فى العقد ولا فى الأغانى .

(٢) ط : « اشعرنا بيتا » ، وفى ش مع أثر تصحيح : « أسيرنا بيتا » ، وإكمال الكلام وتصحيحه من ضوء الأغانى ١٥ : ٣٧ ففيها « أشعرنا أيسرنا بيت » وفيه تحريف كما ترى .

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى
يزيد سُلَيم والأغرّ ابنُ حاتم

والرَّقِّيُّ: منسوب إلى رَقَّة، بفتح الراء وتشديد القاف، وهى مدينة . ومعناها
٥٦ فى اللغة كلُّ أرض إلى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء أيامَ المدّ ثم ينحسر عنها
فتكون جيِّدةَ النبات، والجمع رقاق .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : الرَّقَّة مدينة مشهورة على الفرات، بينها
وبين حَرَّانَ ثلاثة أيام . معدودةٌ فى بلاد الجزيرة ، لأنها من جانب الفرات
الشرقى . ويقال الرقة البيضاء[1] ، وهى من الإقليم الرابع . ووصفها ربيعةُ
الرَّقّىُّ بقوله :

حَبَّذا الرقة داراً وبلَد بلدٌ ساكنه ممن تَوَدْ[2]
ما رأينا بلدةً تعدِلُها لا ، ولا أخبَرَنا عنها أحَد
إنَّها برِّيَّةٌ بحـرِّية سُورها بحرٌ وسُورٌ فى الجَدَدْ
يُسمِعُ الصُّلصُلَ فى أشجارها هدهدُ البر، ومُكّاءٍ غرِدْ[3]
لم تُضمَّنْ بلدة ما ضُمِّنتْ من جمالٍ فى قريش وأسدْ

وكان بالجانب الغربى مدينة أخرى تعرف برقة واسط ، كان بها قصران
لهشام بن عبد الملك ، كانا على طريق رُصافة هشام . وأسفلَ من الرقة بفرسخ
الرَّقَّةُ السوداء ، وهى قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . والرَّقَّة أيضاً : البستان

(١) فى معجم البلدان : « ويقال لها الرقة البيضاء » .
(٢) ش : « دار وبلد » . وفى معجم البلدان : « دار أوبلد » .
(٣) الصلصل بضم الصادين : طائر تسميه العجم الفاختة . عنى تجاوب الطير فى أرجائها .

المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد ، وهى بالجانب الغربى ، وهو عظيمٌ جدًّا جليل القدر .

وأطنب ياقوت فى وصفها .

تتمة

قد تقدَّم بيتانِ هما من شواهد النحويِّين ، وأوردهما الزمخشرى (فى مفصَّله) ، أما الأوَّل فهو :

شتَّان ما يومى على كُورها ويوم حَيَّانَ أخى جابرِ

وهو من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، قد شرحنا بعضَ أبياتها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائتين(٢) .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : حيَّان وجابر ابنا عُميرة من بنى حنيفة (٣) ، وكان حيَّانُ نديماً للأعشى . يقول : يومى على كُور هذه الناقة ، بالضم ، وهو الرحل ، ويومى مع حيَّان أخى جابر ، مختلفان لا يستويان ، لأنَّ أحدهما يومُ سفر وتعب ؛ والثانى يوم لهو وطرب . روىَ أنَّ حيانَ كان سيِّداً أفضلَ من أخيه جابر ، فلما أضافه إلى جابر غضب وقال : عرَّفتنى بأخى وجعلته أشهرَ منِّى ، والله لا نادمتُك أبدا ! فقال له الأعشى : اضطرتنى القافية ! فلم يعذِره . انتهى .

وقد غلط الأندلسى (فى شرح المفصل) فقال : الأخ يقال له جابر . يقول :

---

(١) فى النسختين : « بغداد » ، والوجه ما أثبت من معجم البلدان .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٩٧ .
(٣) فى الاقتضاب ٣٨٨ : « حيان وجابر : رجلان من بنى حنيفة » .

كُنّا نشرب مع جابر. وهذا غلطٌ ظاهر، يلزم منه أنْ يكون حيّان وجابر مبيِّنين للأخ. وهذا محال.

وقال الخوارزمى: يقول: كنا نشرب ونتندَّم مع جابر، وكان فيما يقال ملكا يختص بأبى حيّان(١)، لأنّه نديمه.

هذا كلامه؛ ونقله بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل). وهذا غير صحيح أيضاً لأنّه يصف حَيّانَ ويذكرعيشه معه(٢)، ولم يكن يشرب مع جابر، وإنّما(٣) كان نديمه حيان.

وقد وقع فى شعر حَسّان نظيرُ ما وقع للأعشى من تعريف المشهور بالخامل؛ قال فى رثاء جعفر أخى على بن أبى طالب رضى الله عنهما:

وما زالَ فى الإسلام من آل هاشمٍ ... دعائمُ عزٍّ لا تُرام ومَفخرُ(٤)

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمّه ... علىٌّ ومنهم أحمــدُ المتخيَّرُ

٥٧ البهاليل: جمعُ بهلول بالضم، وهو السَّيِّد الوضىء الوجه، الطويل القامة. والمتخيَّر: المنْتخب. وقوله «منهم أحمد المتخيَّر» قدْ عابَهُ بعضُ الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم، وليس هذا بعَيب، لأنّها ليست بإضافة تعريف، وإنما هذا تعريفٌ لهم حيث كان منهم. وإنما ظهر العيبُ فىَ قول أبى نواس من قصيدة مدح بها العباسَ بن عبيد الله(٥) بن أبى جعفر المنصور:

(١) ش: «يحسن بأبى حيان»، تحريف. على أن كلمة «بأبى» مقحمة، فان الرجل حيان لا أبو حيان.
(٢) ط: «عيلته معه»، وأثبت ما فى ش.
(٣) ش: «انما» بدون واو.
(٤) ديوان حسان ١٨٠.
(٥) فى النسختين: «بن عبيد»، وأثبت ما فى ديوان أبى نواس ٦٦. وفى أمالى ابن الشجرى ٢: ٣٥٣: «العباس بن عبد الله بن جعفر ابن جعفر بن المنصور».

كيف لا يُدنيك من أملٍ مَن رسولُ الله مِن نفَرِه

لأنّه ذكر واحداً وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى .

قال السهيلى (فى الروض الأنف) : وجدت فى رسالةٍ لمهلهل بن يموت ابن المزرِّع قال : قال علىُّ بن الأصغر ، وكان من رُواة أبى نواس ، قال : لمّا عمل أبو نواس :

أيُّها المنتابُ عن عُفُره لستَ من ليلى ولا سَمَره

أنشدَنيها ، فلما بلغ قوله « مَنْ رسولُ الله من نفره » وقع لى أنّه كلامٌ مستهجَن ، فى غير موضعه ، إذ كان حقُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أن يضافَ إليه ولا يضافَ إلى أحد . فقلت له : أعرفت عيب هذا البيت ؟ فقال : ما يعيبه إلاّ جاهلٌ بكلام العرب ، إنما أردت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هذا الممدوح منه ، أمَا سمعتَ قول حسان بن ثابت شاعر الإسلام : « ومنهم أحمد المتخير » وأنشد البيتين .

ورأيت هذه الحكاية فى آخر ديوان أبى نواس ، فى الباب الخامسَ عشر ، أوردها حمزة بن الحسَن الأصفهانى فيما دوّنه من شعر أبى نواس .

وأما الثانى فهو :

شتّانَ هذا والعناقُ والنَّومْ والمشربُ البارِدُ فى ظلّ الدَّومْ

وهو للقيط بن زُرارة بن عُدُس بن تميم ، ويكنى أبا دَختَنوس ، وهى بنته ، وأبا نهشلٍ أيضاً . وأخوه حاجب بن زرارة صاحبُ القوس التى يقال لها قوس

حاجب . أنشده المبرد فى المقتضب[١] وأنشده

* والمشرب الدائم فى الظِّلِّ الدَّومْ *

جعل المبرد المصدر فى هذا الموضع موضع الوصف ، أى الدائم . وأنشد غيرُه « فى ظلِّ الدَّوم » على الإضافة . والدَّوم : شجر المُقْل . وهذه رواية أبى عبيدة . قال الأصمعى : قد أحال ابن الحائك ، لأنه ليس بنجدٍ[٢] دومٌ ، وإنما الرواية : « فى الظل الدوم » ، أى الدائم .

قال الخوارزمى : مَن أنكر على من روى ظلِّ الدوم قال : أىُّ ظلٍّ يكون للدوم ، وهو شجر المقْل . ولا يخفى أنَّ المنكر هو الأصمعىّ ، وإنما أنكره لأن الدوم ليس مما ينبت فى بلاد الشاعر ، لا لما ذكره ، وأما شجر المُقْل فله ظلٌّ قطعا .

وقوله : شتان هذا ، اسم الإشارة راجعٌ إلى الأمر الذى استصعبه الشاعر من الحال . والعناق : المعانقة . والمعنى افترق هذا ، أى ما أنا فيه من التعب ، والمعانقةُ والنومُ والراحةُ والماءُ العذب فى ظلِّ هذا الشجر ، أو فى الظل الدائم . وقبله :

يا قوم قد حَرَّقتمونى باللَّوْمْ ولم أقاتلْ عامراً قبلَ اليومْ

وقد أرخينا هنا عنان القلم لجرى فى ميدان الطُّروس ، فأتى بما يُبهج النفوس . وقد بقيت أشياء تركناها خشية السآمة ، واتقاء الملامة ، كالكلام على تثنية العلم فى اليزيدين ، فإنَّ ابنَ جنى قد حقَّق مايتعلق به (فى سِرِّ الصناعة). ٥٨
وإن ظهر لنا موضعٌ يناسبه أوردناه فيه إن شاء الله تعالى .

---

(١) المقتضب ٤ : ٣٠٥ .
(٢) لأنه ليس ، ساقطتان من ش .

[وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٤٦٥ (قالت له رِيحُ الصَّبَا : قرقارِ)

على أن الأكثرين قالوا : لم يأت اسمُ فعـل من الرباعى إلا كلمتان إحداهما قرقار .

قال سيبويه : وأما ما جاء معدولاً عن حده من بنات الأربعة فقوله :

* قالت له ريح الصبا : قَرقارِ *

فإنما يريد بذلك قالت له : قَرقِرْ بالرَّعد يا سحاب . وكذلك عرعارِ وهى بمنزلة قرقار ، وهى لُعبة ، وإنما هى من عَرعرتُ . ونظيرها من الثلاثة خَراجِ أى اخرجوا ؛ وهى لُعبة أيضا . انتهى

قال الأعلم : قرقار : اسمٌ لقولك قرقر ، كما أن نزال اسم لقولك انزلْ . وحقُّ هذا المعدول أن يكون فى باب الثلاثى خاصَّة ، فهو على طريق الشذوذ والخروج عن النظائر . وصَف سَحاباً هبت له ريح الصبا فألقحته ، وهيَّجت رعدهُ ، فكأنه قالت له : قرقِرْ بالرعد ، أى صوِّت . والقرقرة : صوت الفحل من الإبل . وقد خولف سيبويه فى حمل قرقار وعرعار على العدل ، لخروجهما عن الثلاثى الذى هو الباب المطَّرد ، وجُعلا حكايةً للصوت المردَّد ، دون أن يكونا معدولين عن شىء . انتهى

(١) فى كتابه ٢ : ٤٠ . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥١ والأشمونى واللسان (قرر ٣٩٩) .

أقول : المخالف هو المبرد، قال :غلط سيبويه ، ولم يأت فى الأربعة معدول، إنَّما أتى فى الثلاثى وحده . وقرقار وعرعار حكاية صوت نحو غاق غاق . قال السيرافى : والقول ماذهب إليه سيبويه ، لأن حكاية الصوت لا يخالف فيها أوّلٌ ثانيا ، نحو : غاقْ غاقْ . وقد يصرِّفون الفعل من الصوت المكرر ، نحو قرقرت من قارْ قار ، وعرعرت من عار عار ، يصيرون به إلى وزن الفعل . فلما خالف اللفظ الأولُ الثانيَ علمنا أنه محمول على قرقر وعرعر ، لا على حكاية قار قار وعار عار . انتهى

وقال أبو حيان (فى شرح التسهيل) بعد ما ذكر أنَّ المبرد غلَّطه : ومما يقوِّى ماذهب إليه سيبويه وجودُ مثل قرقار اسم فعل فى غير الأمر ، حكى ابن كيسان أنَّه يقال هَمْهامِ ، وحَمْحامِ ، وهَجهاجِ ، ومحباحِ ، أى لم يبق شىء . وأنشد :

ما كان إلاَّ كاصطفاف الأقدامْ
حتَّى أتيناهم فقالوا هَمْهامْ

انتهى

ولم يذكر صاحب الصحاح إلا همهام عن اللَّحيانى ، قال : سمعت أعرابيًّا من بنى عامر يقول : إذا قيل لنا : أبقيَ عندكم شىء ؟ نقول : همهام ، أى لم يبقَ شىء . وأنشد هذا الشعر .

وزاد الصاغانى (فى العباب) على هذه الألفاظ دعداع، وقال: قرقار بنى على الكسر وهو معدول ، والعدل فى الرباعى عزيز ، كعرعار وهمهام وهجهاج ومحباح ودعداع . قال أبو النجم يصف سحابا :

(حتى إذا كان على مُطَارِ   يُمناه ، واليسرى على الثرثارِ
قالت له ريح الصَّبا قَرقارِ   تمـرِى خلايا هـزِمٍ نثَّارِ
بينَ مشايِيـعَ له دُرَّارِ   فشَقَّ أنهاراً إلى أنهار)   ٥٩

ومُطار بنجد ، والثرثار ببلاد الجزيرة . وقوله قرقار ، أى قرقر بالرعد وصُبَّ ماءك وهات ماعندك . ومعناه ضربتْه ريح الصبا فدَرَّ لها ، فكأنها قالت له : صبَّ ماءك . انتهى

ولم يورد هو من هذه الألفاظ فى كتابه إلاّ بحباح بموحدتين ومهملتين، قال: قيل لبعض بنى عامر، أبقِيَ عندكم شىء ؟ فقال : بَحباح ! مبنيا على الكسر ، أى لم يبق شىء . هذا كلامه ، فكان ينبغى له أن يذكر هذه الألفاظ مع قرقارِ ، لئلاّ يتوهم أنَّها اسم فعلٍ أمر معدول .

ولم يورد الجوهرىُّ ما أورده مع أنّه أصله ، وإنما قال : وقولهم قرقار بنى على الكسر ، وهو معدول، ولم يُسمع العدل من الرباعىّ إلا فى عرعار وقرقار. فلله درُّه ما أحسن صنيعه !

وقال الأصمعىّ (فى كتاب الإبل) : قالوا قَرقار وقِرقار بفتح القاف وكسرها ، وقرقر . وأنشد البيت .

وأورده صاحب (الكشاف) عند قوله تعالى . ﴿ألستُ بربِّكُمْ قالوا بلى[1]﴾ على أنه من باب التّمثيل والتخييل كما فى البيت .

(١) الآية ١٧٢ من الأعراف .

وقوله « حتى إذا كان على مُطار » قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : مُطار بضم الميم : وادٍ قربَ الطائف . وأنشد هذه الأبيات . وقال : والثرثار بالجزيرة : ماء معروف ، وقيل هو قريب من تِكريت . ولم تختلف الرواة فى هذا الوادى أنه مُطار بضم الميم . فأمّا مَطار بفتحها فموضع فى ديار بنى تميم ، مؤنّث لا ينصرف .

وقال فى الثاء المثلثة : الثرثار ماء معروف قِبَل تِكريت . وقال الهَمْدانى : هو نهرٌ يصبُّ من الهِرماس إلى دجلة . وقال أبو حنيفة : هو بالجزيرة .

واسم كان[1] يعناه ، والضمير للسحاب . « وعلى مطار » ، يريد أنّه سحاب عَظيم طرفُه الأيمنُ على مُطار ، وطرفه الأيسر على الثرثار . وجملة قالت له إلخ جواب إذا .

وتَمْرى : مضارع مريت الناقة مَرْيا ، إذا مسحتَ ضرعَها لتدرّ . وفاعله ضمير الريح . والخلايا : جمع خلية بالخاء المعجمة : الناقة تُعطَف مع أخرى على ولدٍ واحدٍ فتدرّان عليه ، ويتخلّى أهل البيت بواحدةٍ يحلُبونها . وهَزِم بفتح الهاء وكسر الزاى المعجمة ، يقال غيثٌ هـزِم أى متبعِّق لا يستمسك . ونثّار : مبالغة ناثر . وبينَ ظَرفٌ للنثّار .

والمشابيع : جمع مشياع ، وهو الذى يُشيع السر[2] استعير للسحاب الساكب . ودُرّار صفـة لمشابيع ، وهو بضم الدال جمع دَارّ . يقال ناقة دارٌّ بدون هاء ، ونوق دُرّار مثل : كافر وكفّار ، أى كثيرة الدَّر ، وهو اللبن .

(١) ط : « واسم واد كان » وكلمة « واد » مقحمة .
(٢) ط : « يذيع السر » ، واثبت ما فى ش .

وقوله « فشقَّ أنهاراً » إلخ أى فشق ماء ذلك السحاب الأرضَ فصيَّر فيها أنهاراً جارية إلى أنهار .

وأنشد الجوهرى البيت الشاهد من هذا الرجز مع بيتٍ آخر منه ، وهو :

* واختلط المعروفُ بالإنكار *

وهذا هو المشهور فى كتب النحو . يريد : قالت الريح للسحاب قَرقر بالرَّعد . ولما كان إنشاء السحاب بسبب الرِّيح صار كأن الرِّيح قالت له قرقر بالرعد . والقرقرة : صوت فحل الإبل . والقرقرة : الهدير . وبعيرٌ قرقارُ الهدير ، إذا كان صافى الصوت فى هديره .

وقوله « واختلط المعروف » أى مِن صوت الرعد بالمنكَر منه . وقيل أراد أنَّ السحاب أصاب كلَّ مكان مما يُعرَف ويُنكر ، أى عمَّ الأراضىَ كلها ، أو مِمَّا كان معروفا بأن يمطر وما كان منكراً إمطاره . قال ابن الأعرابى (فى نوادره) : يقول : مُطرت مطراً شديدا فأنكرت من تعرف من آثار الديار ومعالمها . وقيل المعروف: المطر، والإنكار: البرق والسَّيْل[1] والصاعقة . شبَّه الريح بالآمِر ، والسحاب بالمأمور ، وقرقار بالمأمور بهِ ، لأن الريح هى التى تنشىء السحاب وتسوقه ، ولهذا جُعلت كأنها قائلة له . كلُّ ذلك على سبيل التمثيل . ٦٠

وترجمة أبى النجم العجلى ، وهو راجز إسلامىّ ، قد تقدمت فى الشاهد السابع[2] من أوائل الكتاب .

---

(١) ش : « والسبل » بالباء الموحدة ، وهو المطر .
(٢) الخزانة ١ : ١٠٣ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والستون بعد الأربعمائة[١] :

٤٦٦ (يَدعو وليدُهُمُ بها عَرعارِ)

لما تقدم قبله . وهذا عجزٌ وصدره :

(متكنِّفِى جَنبَىْ عُكاظَ كِليهما)

يعنى يقيمون فى كنَفَى جنبى عكاظ . والكنف : الناحية . وهو جمع مذكر سالم حذفت نونه للإضافة ، والإضافة لفظية . و (عكاظ) : سوقٌ قريبة من مكة ، كانت فى الجاهلية تقام ، وقد شرحناها فيما مضى[٢] ، وهى غير مصروفة للعلمية والتأنيث . و (كليهما) تأكيد لقوله جنبى . و (الوليد) : الصبى . وضمير بها لعكاظ. (عرعار) : لعبة للصِّبيان ، إذا خرج الصبىُّ من بيته لم يجد أحدا يلاعبه رفع صوته فقال : عرعار، أى هلمُّوا إلى العرعرة ، فإذا سمعوا صوته خرجوا ولعبوا معه تلك اللُّعبة . قال ابن دريد(فى الجمهرة) : سمعتُ عرعار الصِّبيان ، إذا سمعتَ اختلاط أصواتهم . وقال (فى الصحاح): العرعرة : لُعبة للصبيان. وعرعار بنى على الكسر، وهو معدول عَن عرعرة[٣] . والصحيح كما قال الأعلم عَرعار معدولة عن قولهم عَرعِر، أى اجتمِعوا للعب، كما أنّ خراج اسمُ لعبةٍ لهم : معدول عن قولهم : اخرجْ.

ومعنى البيت أنهم آمنون فى إقامتهم هناك لعزِّهم[٤] وكثرتهم، وصبيانُهم

(١) ابن يعيش ٤ : ٥٢ والأشمونى ٣ : ١٦٠ وديوان النابغة ٣٥ بشرح البطليوسى .
(٢) انظر ٤ : ٤٧٢ – ٤٧٤ .
(٣) ط : « من عرعرة » ، وأثبت ما فى ش والصحاح . وبعده فى الصحاح : « مثل قرقار من قرقرة . » .
(٤) ش : « بعزتهم » .

يلعبون بهذه اللعبة لبطَرهم ورفاهيتهم . ونحوه قول حسان :

* أولاد جفنة حول قبر أبيهم[١] *

أى لا يرحلون عنه لعزّهم وغناهم ، بخلاف غيرهم ، لا بدّ له من الرِّحلة للانتجاع .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ تسعة للنابغة الذبيانى ، حذّر بها عمرَو بن المنذر بن ماء السماء ملكَ الحيرة من أعدائه ، وهم قوم النابغة . أخبرهُ بأنهم نزلوا بعكاظ وهم كثيرون ، ينتظرون وقوع الربيع فيرعَوْنه ويحاربونه . وأوّلها[٢] :

أبيات الشاهد

(من مبلغٌ عمرو بنَ هندٍ آيةً
ومِن النصيحة كثرة الإنذارِ

لا أعرفنّك عارضاً لرماحنا
فى جُفّ تَغلبَ وارِدَ الأمرارِ[٣])

الجُفّ بضم الجيم : العدد الكثير ، والجماعة من الناس ، ومنه قيل لبكر وتميم : الجُفّانِ ؛ لكثرتهما . وتغلب : أبو قبيلة عظيمة ، وهو تغلب بن وائل . والأمرار بفتح الهمزة قال صاحب الصحاح : هى مياهٌ فى البادية مُرّة . وأنشد هذا البيت

(ومعلِّقون على الجياد حَليَّها   حتّى تَصُوبَ سَماؤهم بِقطارِ)

---

(١) عجزه كما فى الديوان ٣٠٩ :
* قبر ابن مارية الكريم المفضل *
(٢) الأبيات فى ديوانه صنعة ابن السكيت ١٢٨ ـ ١٢٩ وليس فيها البيت الشاهد .

الحَلِىّ ، بفتح المهملة وكسر اللام: ما تعتلفه الخيلُ إذا يبس؛ وإذا كان رطبا أخضر فهو نَصِىّ . وقِطار ، بالكسر : جمع قَطْر . إلى أن قال :

(فيهم بناتُ العسجدىِّ ولاحقٍ
وُرْقٌ مراكلُها من المِضمارِ)

عسجد ولاحق : فحلان من خيل غنِىٍّ بن أعصُر . والمَرْكَل كجعفر : موضعُ عَقِب الفارس . يقول : تضمرُ خيلُهم بالركوب، فتقرع أعقابهم مواضعَ المراكل فيتحاتُّ شعرها ثم ينبت بعد ذلك شعر أسود . ولهذا قال وُرق ، لأنه إذا نبت خرج يضرب إلى الغبرة ، وهى الوُرقة . ٦١

(تُشلَى توابعُها إلى ألاّفها
خَبَبَ السِّباع الوُلَّهِ الأبكارِ
متكنِّفِى جنبَىْ عكاظَ كليهما ... البيت)

الإشلاء : الدعاء ، أشليته : دعوته . يعنى يدعَى توابعُ من أولادها ومن خيلٍ أخرى إلى ما ألفته . والوُلَّهُ : التى قد ولهت إلى أولادها . والأبكار : التى وضَعت بطنا ، وتكون التى لم تلد قطُّ . وقوله متكنِّفِى حال من أصحاب هذه الخيل ، والإضافة لفظية ، ولهذا صحّت الحال .

ولما بلغت هذه الأبياتُ عمرو بن هند قال :

أبلغ زياداً أنّ قومك حاربوا
فانهضْ إلينا أن قدَرتَ بجارِ[1]

(١) ش : « بحار » ، صوابه فى ط وديوان النابغة صنعة ابن السكيت .

نَجزِيكَ إنذاراً بمـا أنذرتنا
وذكرتَ عطفَ الوُدِّ والأصهارِ

وزيادٌ : اسم النابغة . وله قصيدةٌ على هذا الوزن والروىّ مطلعُها(١) :

نُبِّئتُ زُرعةَ والسَّفاهةُ كاسمها
يُهدِى إلىَّ غرائبَ الأشعارِ

وزُرعة هو ابن عمرو بن خويلد أخى يزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابى، كان هجَّاء للنابغة ، فلما بلغ هجاؤه النابغة قال هذه القصيدة يتوعَّده بالهجاء ومحاربته إياه مع قومه ، ثم وصف قومه وأحلافهم إلى أن قال :

جمعٌ يظلُّ به الفَضاء معضِّلاً
يَذَرُ الإكامَ كأنهنَّ صحارى

معضِّل اسم فاعل ، يعنى غاصًّا ضيِّقا . يقال قد عضَّلت المرأة بولدها تعضيلاً ، إذا تعسَّر عليها فنشِبَ ولم يخرُج .

وليس فى هذه القصيدة البيتُ الشاهد(٢) .

وزعم ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) وتبعه جماعة ، أنه منها . وأورد معه قوله :

* جَمعٌ يظلُّ به الفضاء معضِّلا *

البيت مع أبيات أُخر ، وقال : مدح بهذه القصيدة بنى غاضرة من بنى أسد .

---

(١) القصيدة فى ديوانه ٣٤ بشرح البطليوسى .
(٢) الحق أن البيت الشاهد فيها فى ص ٣٥ كما سبقت الاشارة .

وليس الأمر كذلك كما بيَّنَّا .

وسيأتى شرحُ بعض هذه القصيدة بعد شاهدٍ واحد إن شاء الله تعالى :

وترجمة النابغة الذبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

(ولأنتَ أشجعُ من أُسامةَ إذْ
دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعْرِ)

على أنَّ عبد القاهر استدلّ على تأنيث فَعَالِ الأمرىِّ بما هنا ، فإنّ نزال نائب فاعل دُعِيتْ ، ولولا أنها مؤنثة ما ألحق علامة التأنيث للفعل المسند إليها .

وفيه ما أورده الشارح المحقق ، وعبدالقاهر مسبوق بما قاله .

قال سيبويه ، فى باب ماجاء معدولاً عن حده من المؤنث : ويقال نزال أى انزلْ . وأنشد البيت ثم قال : فالحدُّ فى جميع هذا أفعل ، ولكنه معدول عن حدّه ، وحرِّك آخره لأنه لا يكون بعد الألف حرف ساكن ، وحرِّك بالكسر لأنَّ الكسر مما يؤنَّث به ، وإنما الكسرة من الياء . انتهى .

وقال ابن السراج (فى الأصول) : اعلم أنه لايبنى على مثال فَعال من

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٣٧٠ والجمل ٢٣٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١١ والانصاف ٥٣٥ وابن يعيش ٤ ٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ وشرح شواهد الشافية ٣٣٠ وديوان زهير ٨٩ .

هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته ، وإنّما بنى على الكسر لأن الكسر مما يؤنث به ، تقول للمرأة : أنت فعلتِ وإنك فاعلة. وكان أصل هذا إذا أردت به الأمرَ السكونَ، فحرَّكته لالتقاء الساكنين، فجعلت الحركة الكسرة للتأنيث ، وذلك قولك : نزالِ وتراكِ ، ومعناه انزلْ واترك ، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة . قال الشاعر تصديقاً لذلك : ٦٢

. . . . . إذا دعيت نزال ولُجّ فى الذعر

فقال دعِيَتْ لما ذكرت لك من التأنيث . انتهى .

وهكذا قال خَدَمة كتاب سيبويه[1] . وشراح شواهد الجمل وغيرهم .

قال الأعلم : الشاهد فى قوله نزال ، وهو اسم لقوله انزل ، ودلّ على أنه اسمٌ مؤنث دخولُ التاء فى فعله ، وهو دعيَتْ . وإنما أخبر عنها على طريق الحكاية ، وإلاّ فالفعل وما كان اسماً له لاينبغى أن يُخبر عنه . انتهى .

ومثله فى كون نزال أريد به لفظه فجعل نائب فاعل ، قولُ زيد الخيل الصحابىّ :

وقد علمتْ سَلامةُ أنَّ سيفى
كريهٌ كُلَّما دُعِيَتْ نزالِ

وقد وقع مفعولاً به فى قول ربيعة بن مقروم :

فدعَوا نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ
وعَلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ

(١) ط : « كلام سيبويه » ، صوابه فى ش .

ومعنى دعاء الأبطال بعضهم بعضاً بهذه الكلمة : أن الحرب إذا اشتدّتْ بهم وتزاحمُوا فلم يمكنهم التطاعُن بالرِّماح ، تداعَوْا بالنزول عن الخيل ، والتّضارُبِ بالسيوف .

ومعنى (لُجَّ فى الذعر) تتابَعَ الناسُ فى الفَزَع ، وهو من اللَّجاج فى الشىء ، وهو التمادى فيه .

وقد تقدم شرح النزالِ مفصلا فى الشاهد الأربعين بعد الثلثمائة(١) .

والشارح المحقِّق قد تبع صاحبَ الصحاح فى روايته البيت كذا فى مادة (أسم) ، وهو مركب من بيتين ، فإن البيت الذى فيه دُعيت نزالِ ، وهو لزهير بن أبى سلمى ، صدره كذا :

صاحب الشاهد

ولنعم حَشْوُ الدِّرع أنتَ إذا
دُعيتْ نزالِ ولُجَّ فِى الذُّعِرِ

وقوله :

* ولأنت أشجع من أسامة إذ *

إنما هو صدرٌ من بيت للمسيَّب بن علس ، وعجزه :

(نَقَعَ الصُّراخُ ولُجَّ فى الذعر(٢))

وهذا ليس فيه دعيت نَزالِ .

والبيت الشاهد كما ذكرناه هو رواية سيبويه وسائر النحويين . وبيت

---

(١) صوابه الحادى والأربعين بعد الثلثمائة . انظر الخزانة ٥ : ٤٩ .
(٢) فى النسختين « يقع » ، صوابه بالنون كما فى الديوان ٨٩ والبيان ١ : ١٨٩ . ونقع الصراخ : ارتفع . قال لبيد (ديوانه ١٩١) :
فمتى ينقع صراخ صادقٌ يحلبوها ذات جرس وزجل

المسيّب بن علس على مارتبناه هو رواية الجاحظ (فى كتاب البيانِ والتبيين) .
وقد رأيت البيتين فى ديوانيهما كذلك . أمّا بيت زهير فهو من قصيدةٍ مدح
بها هَرِمَ بنَ سنان المرّى . وهذه أبياتٌ بعد ثلاثة أبيات من أولها :

أبيات الشاهد

(دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هرِم
خيرِ البُداة وسيِّد الحضْرِ

تالله قد علمتْ سَراة بنى
ذُبيانَ عامَ الحبس والأصرِ [1]

أنْ نِعـمَ مُعترِكُ الجياع إذا
خَبَّ السفيرُ وسابئُ الخمرِ

ولنعم حَشْوُ الدِّرع أنت إذا
دُعِيتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ

ولنعم مأوَى القومِ قد علموا
إن عضّهم جُلٌ من الأمرِ

ولنعم كافى مَن كفيتَ ، ومن
تحمِلْ له تحمِلْ عَلَى ظَهرِ [2]

حامى الذِّمار على مُحافظَة الـ
جُـلّى أمينُ مغيَّبِ الصَّدرِ

٦٣

حَدِبٌ على المولى الضَّريكِ إذا
نابت عليـه نوائبُ الدّهـرِ

(١) فى الديوان ٨٨ : « تالله ذا قسما لقد علمت » .
(٢) فى الديوان : « يحمل على ظهر » .

عظُمت دسيعتُه وفضَّـــله
جزْ النواصى من بنى بدرِ
أيامَ ذُبيـــانٌ مراغمـــة
فى حَـربها ودماؤها تجرى [١]
ومُرهَّقُ النيِّرانِ يُطعِم فى الـ
ـلَّأواء غير مُلعَّن القِدرِ [٢]
ويقِيك ما وُقِيَ الأكارمُ من
حُوبٍ تُسَبُّ به ومن غَدرِ
وإذا برزتَ به برزْتَ إلى
ضافى الخليقة طيِّب الخُبْرِ [٣]
متصرِّف للمجد معـــترفٍ
للنائباتِ يَـراحُ للذِّكرِ [٤]
جلْدٍ يحثُّ على الجميع إذا
كرِهَ الظُّنونُ جوامعَ الأمرِ
ولأنت تَفـرِى ما خلقْتَ وبعـ
ضُ القـوم يَخلقُ ثم لا يفـرى
ولَأنت أشجع حين تتَّجه الـ
أبطالُ من ليثٍ أبى أجـرِ

(١) ط : « ودمائها » ش : ودماءها » ، والوجه ما أثبت كما فى حواشى ديوان زهير .
(٢) فى الديوان : « يحمد فى اللأواء » .
(٣) رواية ثعلب « صافى الخليقة » بالصاد المهملة .
(٤) رواية الأعلم : « متصرف للحمد » .

يَصطاد أُحدانَ الرِّجال فما
تنفكُّ أجريِهِ على ذُخُـــرِ

والسِّتْرُ دون الفاحشات وما
يَلقاكَ دون الخير من سِـتر

أُثنى عليكَ بمـا علمتُ وما
أَسْلَفتَ فى النَّجدات والذِّكر[1]

قوله «وعدِّ القولَ فى هَرِم» هو بفتح الهاء وكسر الراء، أحد الأجواد فى الجاهلية من بنى مُرّة. أى دَعْ ما أنت فيه من وصف الديار، وعَدِّ القولَ أى اصرِفْه إلى مدح هرم. والبُدَاة: جمع باد. والحَضْر: جمع حاضر، كصحب جمع صاحب.

وقوله «تالله قد علمت» إلخ السَّراة: جمع سرِىّ[2]، وهو الكريم. والحَبْس والأصر، بفتح الهمزة، واحد، وهو أن يُحدِق العدوُّ بالقوم فيحبسوا أموالَهم ولا يخرجوها إلى الرعى، خشيةَ أن يُغار عليها. والأصْر: الضيق أيضاً وسوء الحال.

وقوله «أن نِعم مُعتَرك» إلخ، أن بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة مؤوّلة مع مدخولها بمصدر، سادة مسد مفعولى علمتْ. ومعترك فاعل نعم، والمخصوص محذوف، وهو اسم مكان، أى نعم موضعُ ازدحام الفقراء أنت. وأصله فى الحرب، فاستعاره هنا. وخَبَّ السَّفير، أى أسرع وطار مع الريح. والسَّفير: ما جفَّ من الورق وسقَط، وذلك فى شدة البرد وقحط الزمان. وسابِىْ

(١) ط: «سلفت»، صوابه فى ش والديوان.
(٢) الحق أنه اسم جمع لا جمع، والا فقياسه سراة بالضم، وأسرياء وسرواء.

معطوفٌ على معترك ، وهو مهموز الآخِر ، اسم فاعل من سبأ الخمر ، إذا اشتراها . وإنما وصفه بسباء الخمر فى شدّة الزمان ، ليدلّ على تناهى جُودهِ ، فلا تمنعه شدّة الزمان من إنفاق ماله .

وقوله « ولنعم حشو الدرع » إلخ جعل لابسَ الدرع حشواً لها لاشتمالها عليه ، كما يشتمل الإناء على ما فيه . وهو العامل فى إذا ، لأنه بمعنى لابس ، وقيل متعلّق بنعم لما فيه من معنى الثناء كما فيما قبله . والجُلُّ ، بالضم : الحادث العظيم كالجُلَّى . وقوله « على ظهر » أى ظهرِ محمولٍ قوىّ .

والذِّمار : ما يجب عليه أن يحميَه . والجُلّى : النائبة الجليلة ، وقيل هنا بمعنى جماعة العشيرة . وقوله : « أمين مغيَّب الصدر » ، أى لا يضمر إلا الجميل ، ولا ينطوى إلا على الوفاء والخير وحفظ السِّرّ ، فهو مأمونٌ على ما غاب فى صدره .

٦٤ والحدِب : المشفق . والمولى : ابن العم . والضَّريك : الفقير والمحتاج . والدسيعة : العطية الجزيلة . وجزُّ الناصية تكون فى الأسير ، إذا أُنعِمَ عليه وأُطلق جُزَّت ناصيته وأُخذت للافتخار . وراغمهم : نابذَهم وهجرَهم وعاداهم .

وقوله « ومرهَّق النيران » أى تُغشَى نارُه ، يقال رهِقت الرجلَ ، إذا غشيته وأحطت به ، والمشدد للتكثير . يصف أنه يُوقد النارَ بالليل للطبخ وإطعام الناس ، وليَغشُوَ إليها الضيف والغريب . وكثرة النيران ، للإخبار عن سعَة معروفِه . واللأْواء : شدة الزمان والقحط . وقوله « غير ملعَّن القدر » أى لا يؤكل ما فيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين ، فهو محمود القِدر لا مذمومها . وأوقع اللعن على القدر مجازا . وهو يريد صاحبها .

وقوله « ويقيك ما وُقِيَ الأكارمُ » إلخ وُقِيَ بالبناء للمفعول . والحَوْب : الإثم ، أى إنّ الأكارمَ وُقُوا أن يُسَبُّوا فيقيك ذلك أنت أيضا ، أى إنّه لا يغدر ولا يُسَبّ فيأتى بإثم(١) . وروى « ما وَقَى الأكارمَ » بالبناء للفاعل ونصب الأكارم .

وقوله « وإذا برزتَ به » أى إليه ، يعنى إذا صرت إليه صرت إلى رجل واسع الخلق طيب الخبر .

وقوله « متصرِّف للمجد » إلخ أى يتصرّف فى كلّ باب من الخير لاكتساب المجد . والمعترف : الصابر ، أى يصبر لما نابَهُ . وقوله يَرَاح ، أى يهشّ ويخِفّ ويَطرَب لأن يفعل فعلاً كريما يُذْكَر به ويُمدح من أجله .

وقوله « جلد يحُثُّ » إلخ أى قوىُّ العزم مجتهد فيما ينفع العشيرةَ من التألّف والاجتماع ، فهو يحث على ذلك ويدعو إليه ، إذا كره الظَّنون الاجتماعَ والتألّفَ ، لما يلزمه عند ذلك من المشاركة والمواساة بماله ونفسه . والظّنون : الذى لا يُوثق بما عنده ، لما عُلِم من قلّة خَيره . وجوامع الأمر : ما يجمع الناسَ فى شأنهم .

وقوله « ولأنت تفرى » إلخ هذا مثلٌ ضربه . والخالق : الذى يَقْدِر الأديم ويهيّئه لأن يقطعه ويخرزه . والفَرْى : القطع . والمعنى : إنك إذا تهيأت لأمر مضيتَ له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يَقْدِر الأمر ويتهيأ له ثم لا يعزم عليه ، عجزاً وضعفَ همّة . قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : فرى الأديمَ : قطَعه على جهة الإصلاح ، وأفراه : قطَعه على جهة الإفساد . وقال ابن السيد :

---

(١) ط : « باسم » ، صوابه ش .

هذا قول جمهور اللغويين، وقد وجدنا فرى مستعملاً فى القطع على جهة الإفساد، قال الشاعر :

فَـرَى نائباتُ الدهرِ بينى وبينها
وصَرفُ اللّيالى مثل ما فُرِىَ البُرْدُ

وحكى أبو عبيد (فى الغريب المصنف) عن الأصمعى أفريت : شققت وفريت بمعنىً ، وفريتُ إذا كنت تقطع الإصلاح . انتهى

وقوله « ولأنت أشجَع » إلخ تتّجه : يواجه بعضُهم بعضا فى الحرب . والأجرِ : جمع جرو مثلث الجيم ، وهو ولد الأسد وغيره . وإنما جَعل الليث ذا أولاد لأنّ ذلك أجرأ له وأعدَى على ما يُريده ، لاحتياج أولاده إلى ما تتغذى به .

وقوله « يصطاد أحدان » إلخ جمع واحد ، والهمزة بدل من واو ، أى يصطاد الرجال واحداً بعد واحد ، فلا يزال عنده ما يدّخره لما بعد اليوم . ومثله فى وصف جِروَىْ أسدٍ :

ما مَرّ يوم إلاّ وعنـدهما لحمُ رجال أو يُولَغان دَما[1]

وقوله « والستر دون الفاحشات » إلخ ، أى بينه وبين الفاحشات سِترٌ من الحياء وتُقَى الله ، ولا سِتر بينه وبين الخير يحجُبه عنه . وحُكى أنّ عمر بن الخطاب لمّا سمعه قال : « ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ٦٥

(١) نسب فى الحيوان ٧ : ١٥٤ الى عبد الله بن قيس الرقيات . وانظر الكلام على نسبته فى ملحقات ديوان أبى زبيد ١٤٩ . والحق أنه لابن قيس الرقيات من قصيدة فى ديوانه ٢٥٣ ــ ٢٦٠ .

وقوله « أثنى عليك » إلخ أى بما علمت من أمرك وشاهدت من جُودك . وما أسْلَفت(١) أى ماقدمت فى الشّدائد . والنّجدة : الشدة والبأس . والذكر : مايُذكر به من الفضل(٢) .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة(٣)

وأمّا بيت المسيَّب بن علس فهو من قصيدةٍ أيضاً مدح بها قيسَ بن معد يكربَ الكندى، تقدم شرحُ بعضها فى الشاهد الثانى بعد المائتين، ورويت لابن أخته الأعشى ميمون ، وهى ثابتة فى ديوانه أيضاً ، فيكون المسيَّب بن علس خالَ الأعشى . وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد فى رواية أخرى

(وإليكَ أعملتُ المطيّةَ مِن
سَـهلِ العراق وأنتَ بالقفرِ
أنتَ الرئيسُ إذا همُ نزلوا
وتواجَهُوا كالأُسْـدِ والنُّمْرِ
أو فارسُ اليَحموم يَتبعهمْ
كالطَّلق يتبع ليـلةَ البُهْرِ
ولأنت أشجعُ من أسامةَ إذ
نَقَعَ الصُّراخ ولُجَّ فى الذعرِ(٤)

(١) فى النسختين : « ما سلفت » ، والوجه ما أثبت .
(٢) ش : « والذكر به من الفضل » ، صوابه فى ط .
(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٤) فى النسختين : « يقع الصراخ » ، وانظر ما أسلفت من تحقيق فى ص ٣١٨ .

ولأنت أجْوَدُ بالعطاء من الـ
رَّيَّان لما ضُـنَّ بالقَطْـرِ
ولأنت أحيا من مُخَبَّـأة
عَذراء تقطُنُ جانِبَ الـكِسْرِ
ولأنتَ أبيَنُ حينَ تنطِقُ مِنْ
لقُمـانَ لما عيَّ بالأمرِ
لو كنتَ من شيء سوى بشرٍ
كنتَ المنوِّر ليلةَ القَدْرِ(١)

وفارس اليحموم ، هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة . واليحموم : اسم فرسه . والطَّلْق : الليلة التى لاحرٌّ فيها ولا برد . وَليلة البُهْر : ليلة البدر حين بَهَرَ النُّجوم . وفى القاموس : أسامة بالضم معرفة علم الأسد ، والأسامة لغة فيه. والصُّراخ بالضم : الصوت الشديد ، يكون للاستغاثة وغيرها .

والريان قال ياقوت : (فى معجم البلدان) : جبل ببلاد طيء ، لايزال يسيل منه الماء . وضُنَّ ، بالبناء للمفعول، أى بُخِل .

وتقطن بالقاف ، أى تسكن . والـكِسْر بكسر الـكاف : الشُّقة السفلى من الخباء .

ولقمان ، هو كما قال الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) : هو لقمان بن عاد الأكبر ، وكانت العرب تعظم شأنَه فى النباهة والقدر ، وفى العلم وفى الحُـكم وفى اللسان وفى الحلم . وهو غير لقمان المذكورِ فى القرآن(٢) .

(١) كذا فى النسختين . ورواية الأعلم ٦٤ : « ليلة البدر » ، وثعلب : « كنت المنير لليلة البدر » . وديوان زهير ٩٥ .

(٢) انظر عبارة الجاحظ فى البيان ١ : ١٨٤ فقد تصرف فيها البغدادى كثيرا .

وترجمة المسيب بن علس تقدمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

(أنا اقتسمنا خُطَّتينا بيننا
فحملتُ بَرَّةَ واحتملتَ فَجارِ)

على أن (فجار) مصدر معرفة مؤنث .

قال سيبويه : وأما ماجاء اسماً للمصدر فكقول النابغة :

* فحملتُ برّةَ واحتملتَ فجارِ *

فَجارِ معدولة عن الفَجْرة . وقال الشاعر :

فقال : امكثى حتىَّ يَسارِ لعلنَا
نحُجَّ معاً ، قالت : أعاماً وقابِلَه

فهى معدولة عن الميسرة ، فأجرىَ هذا الباب مجرى الذى قبله، لأنه عُدِلَ كما عُدِلَ ولأنه مؤنث بمنزلته . اهـ.

قال الأعلم: الشاهد فى فجار ، وهو اسمٌ للفجْرة معدول عن مؤنث ، كأنه

(١) صوابه « الثانى بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٢٤٠ .
(٢) فى كتابه ٢ : ٣٨ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٤ والجمل ٢٣٤ والخصائص ٢ : ١٩٨/٣ : ٢٦١ ، ٢٦٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٨/ ٤ : ٥٣ والعينى ١ : ٤٠٥ والهمع ١ : ٢٩ والأشمونى ١ : ١٣٧ وديوان النابغة ٣٤ .

عُدل عن الفَجْرة بعد أن سمى بها الفجور ، كما سمى البِرُّ برّة ، ولو عدلها لقال بَرارِ كما قال فَجارِ . اهـ .

٦٦ قال الشارح المحقق : «لم يقم لى إلى الآن دليلٌ قاطع على تعريفه ولا تأنيثه» . إلى آخر ماحققه ، وأجاد فيه البحث ودققه .

ومثلُه لناظر الجيش (فى شرح التسهيل) قال : وماذكره المصنِّف من أنّ ما كان من أسماء الأفعال على فَعَالِ محكومٌ بتأنيثه ، كأنه أمر مجمع عليه من النحاة . وهو أمر يؤخذ تقليداً . وقال فى باب منع الصرف أيضاً : وأما قوله وكلها معدول عن مؤنث فهو أمر كالمجمع عليه عند النحاة ، ولكن يتعين التعرُّض لبيان المعدول عنه فى كلٍّ من الأربعة المذكورة .

أما الصفة المختصة بالنداء فالظاهر أنّ فساقِ معدولٌ عن فاسقة ؛ لقصد المبالغة فى الذم .

وأما الصِّفة الجارية مجرى الأعلام فذكروا أنها معدولة عن صفات غَلَبت فاستُعملت أسماء ، كنابغة فى قوله :

* ونابغةُ الجعدىُّ فى الرمل بيته[1] *

فنابغة نعتٌ فى الأصل إلاّ أنه غلب حتى صار اسماً . قالوا : وكذلك لايجوز أن تتبع موصوفا . ولايخفى أنّ الغلبة لاتكون عدلاً لأنّ العدل عبارة عن تبديل لفظ بلفظ، للدلالة على المبالغة فى ذلك المعنى الذى أفاده اللفظ المعدول عنه . ولم يتحقّق لى وجهُ العدل فى هذه المسألة .

وأما المصدر فقالوا : هو معدول عن مصدر مؤنث معرفة ، وإن كانوا لم

(١) لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٩ واللسان (وضع ، نبغ) ، وعجزه كما فى كتاب سيبويه ٢ : ٢٤ و ٣ : ٢٤٤ من نسختى :
* عليه تراب من صفيح موضع *

يستعملوا فى كلامهم ذلك المصدر للمعرفة المؤنثة الذى عدل عنه . ويفهم من هذا أنه عدلٌ تقديرىٌّ لاتحقيقى .

وأمّا الحال فقالوا إنه عدلٌ عن مصدر مؤنث معرفة . وقد فسّر سيبويه بدادِ بقوله بددا ، وليس هذا بعدلٍ لأنّه نكرة ؛ وإنما هى معدولة عن البِدَّة أو المبادة ، وهذا أيضاً عدل تقديرىّ .

وأمّا اسمُ الفعل فلم يذكروا ماذا عُدل عنه ، ولم يتحقّق لى وجهُ العدل فيه . والعجب أنهم يجعلون اسم الفعل أصلا فى العدل والتأنيث . وما برحتُ أتطلّب بيان ماعُدل عنه نزالِ وبيانَ كونه مؤنثا ، ولم أقفْ من كلامهم على مايوضّح لى ذلك . والذى يظهر أنّ القول بالعدل والتأنيث فى نزال ليس على وجه التحقيق ، بل على وجه التقدير . وقال صاحب الإفصاح :نزال عند سيبويه علمٌ على المعنى كسبحان ، ومثله حَلاَقِ وجمَاد ، فى اسم المنيّة والسّنة المجدبة .

وقد يكون هذا العدل علماً على الشخص كحَذَام . ويرى سيبويه أنّ هذه الأشياء بنيت حملاً على نزالِ ، ونَزَالِ بنى حملا على الفعل . اه .

ويظهر من كلامه أنّ العدل فى هذه الأمور تحقيقىٌّ . وإنما هو تقديرىٌّ . وأما قوله إن نزال عند سيبويه علم فلم يتضح لى كونه علماً . انتهى ما أورده ناظر الجيش باختصار .

واستدلّ ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) للتأنيث بشيئين ضعيفين ، قال : أراد بفجار الغَدْرة . وتسمّى الغَدْرة فجار كما تسمى المرأة حذام . فإنْ قلت : لم جعلته للغدرة المؤنثة دون أن تجعله اسماً للغَدْر ، وما دليلك على هذه الدعوى ؟ قلنا : على ذلك دليلان : أحدهما أن فعالِ المعدول لايُعدَل إلا عن

مؤنّث ، ألا تراه قـد قال دُعيت نزال ، وليس هـذا فى بيت زهير وحدَه بل هو مطّرد فى فعالِ حيثما وقعَتْ . والثانى : أنّ النابغة سمّى الوفاء بَرَّةَ ، وهو يريد البِرّ ، وكذلك سمّى الغدر فجارِ ، وهو يريد الفجور . انتهى .

وقال اللخمى : فجارِ اسمٌ للفجور ، وهو معدول عن مؤنث كأنه عدلَ عن الفجرة ، وهو مصدر ، بعدأن سمى بها الفجورُ كما سمى البرُّ بَرَّة . هذا مذهب سيبويه ، وحكى غيره أنه معدول عن صفة غالبة ، ودليل ذلك أنه قال : ٦٧

* فَحملتُ برة واحتملتَ فجارِ *

فجعلها نقيض بَرَّة ، وبرة صفة كأنه قال : حملتُ الخصلةَ البرة وحملتَ الخصلة الفاجرة ، كما تقول الخصلة القبيحة والحسنة ، فهما صفتان . اه

وهذا الذى حكاه هو مذهب السيرافى كما نقله الشارح عنه .

وزاد ابن جنى فى الطُّنبور نغمة ، فزعم أن فجار معدولةٌ عن فجرة علماً بدون أل ، قال فى باب التفسير على المعنى دون اللفظ (من كتاب الخصائص) : اعلم أن هذا موضعٌ قد أتعب كثيراً من الناس واستهواهم ، ودعاهم من سوء الرأى وفساد الاعتقاد إلى ما مَذِلُوا به وتتايَعوا فيه[1] حتى إن أكثرَ ما ترى من هذه الآراء المختلفة والأقوال المستشنعة ، إنما دعا إليها القائلين بها تعلُّقهم بظواهر هذه الأماكن دون أن يبحثوا عن سرِّ معانيها ومَعاقدِ أغراضها . فمن ذلك قول سيبويه فى بيت النابغة : إن فجارِ معدولةٌ عن الفجرة ، وإنما غرضه أنها معدولة عن فجرة علماً معرفة ، على ذا يدُلُّ هذا الموضع[2] . ويقويه وُرودُ برّة

(١) مذلوابه : أى ضجروا وقلقوا . وفى النسختين : « مابذلوابه » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٦١ . وتتايعوا ، بالياء ، أى تساقطوا وتهافتوا . وفى النسختين : « وتتابعوا فيه » ، وأثبت ما فى الخصائص .

(٢) فى الخصائص : « هذا الموضع من الكتاب » .

معه فى البيت ، وهى كما ترى علم ، لكنَّهُ فُسِّر[١] على المعنى دون اللفظ ، وسوَّغه أنه لما أراد تعريف الكلمة المعدولة عنها مَثَّلَ ذلك بما يُعرّف[٢] باللام، لأنه لفظ معتاد، وترك لفظ فَجرة لأنه لا يُعتاد ذلك علما ، وإنما يعتاد نكرة من جنسها ، نحو فجرت فجرةً ، كقولك : تجرت تجرةً ، ولو عُدلت بَرَّة على هذا الحد لوجب أنْ يقال برار كفجار . اهـ

وقد أخذ الشاطبى هذا الكلام فزاده تنويراً (فى شرح الألفية) عند قول ناظمها :

ومثلُه برة للمبرهْ كذا فَجارِ علم للفَجْرهْ

قال : ومن علم الجنس للمعنى فجار ، وهو علم الفجور ومعدول عن فجرة علماً ، لا عن الفجرة ، فإنه من باب حَذام المعدول عن علم مثله . فقول سيبويه إن فجار معدولٌ عن الفجرة تجوُّز . كذا قال ابن جنى والمحقّقون .

وأل فى الفجرة فى كلام الناظم لا إشكال فيها ، إذ لم يُرد العلم كما أراد سيبويه ، وإنما مراده الجنس الذى هو مطلق الفجور . ومثل هذين المثالين فَينة فى قولهم : ما ألقاه إلاَّ فينةً ، أى فى النُّدرة . قال ابن جنى : هو علم لهذا المعنى . ومنه حَمادِ للمحمدة ، ويسارِ للميسرة . وأشار الناظم بمثالى بَرَّة وفجار إلى بيت النابغة . وفى عبارته شىء ، وهو أن الفجرة هى المرة الواحدة من الفجور ، ومعلوم أن فجار ليس علماً لجنس المرة الواحدة ، فإن أهل اللغة لم

(١) فى الخصائص : « لكنه فسره » .
(٢) فى النسختين : « فانما » . وفى الخصائص : « بما تعرف » .

ينقلوا إلاّ أنه علم للفجور المطلق ، ولا يصحّ أن يُريدَ أنّ فَجارِ اسم جنس للفجرة المعدول هو عنه ، إذ لم يقولوا ذلك ، ولا يصحّ فى نفسه . فثبت أنّ قوله فَجار علم للفجرة ، مشكل .

والجواب أن إتيانه بالفجرة مقصودٌ له ، وذلك أن القاعدة فى فعال أنه مؤنث ومعدُولٌ عن مؤنث . وقد بين ذلك سيبويه فى أبواب مالا ينصرف غايةَ البيان ، حتى إنه قدَّر ما لم يستعمل مؤنثا كأنه استُعمل كذلك ، ثُم جعل فعالِ معدولاً عنه . وإذا كان كذلك فالاسم المعدول عنه وهو العلم المقدر اسم لجنس مؤنث ، إذْ لا بد من مطابقته له فى التأنيث ، ولذلك قال : ومثله برة للمبرة ، ولم يقل للبِرِّ ونحوه .

٦٨ والحاصل أن الناظم نبّهَ بمثال الفجرة على أن فعال علم لاسم الجنس المؤنث. فإنْ كان مستعملاً فذاك، وإلا قدِّر له اسم مؤنث . وهذه قاعدةٌ محلُّ بيانها باب ما لا ينصرف . انتهى كلامه باختصار يسير .

وهذا كلُّه لا يدفع ما أورده الشارح المحقق .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى هدَّد بها زُرعة بن عمرو الكلابى ، وكان زُرعة لقىَ النابغة بعُكاظ، وأشار عليه أن يُشير على قومه أن يَغْدِرُوا بنى أسد[(١)] وينقضوا حِلفهم ، فأبى عليه النابغة وجعل خُطَّته التى التزمها من الوفاء بَرّة ، وخُطَّة زرعة لما دعاه إليه من الغدر ونقض الحلف فاجِرة . وبلغ النابغةَ أن زرعة هجاه وتوعَّده فقال النابغة . وهذا أول القصيدة عند أبى عمرو الشيبانى والأصمعى :

---

(١) هذا ما فى ش ، وهو صحيح ، يقال غدره وغدر به ، كما فى اللسان . وفى ط : « يغدروا ببنى أسد » .

(نُبِّئتُ زُرعةَ وَالسَّفاهَةُ كاسمها
يُهدى إلىَّ غرائبَ الأشعارِ

حَلفتُ يا زُرعَ بنَ عمرٍو إننى
مما يشُقُّ على العدوِّ ضِرارى

أعلمتَ يومَ عكاظَ حين لقيتنى
تحت الغُبار فما خطَطتَ غُبارى

أنَّا اقتسمنا خُطَّتَينا بيننا
فحملتُ برَّة واحتملتَ فَجارِ

فلتأتينكَ قصـائدٌ وليَدفعَنْ
ألفٌ إليك قوادمَ الأكوارِ

رَهطُ ابن كُوزٍ مُحْقِبو أدراعِهم
فيهمْ ورهطُ ربيعةَ بن حُذارِ

ولِرهطِ حَرَّابٍ وقَـدٍّ سُورة
فى المجـد ليس غرابُها بمطارِ

وبنو قُعينٍ لا مَحالة أنَّهـمْ
آتوكَ غـيرَ مقلَّمى الأظفارِ

سَهِكينَ من صـدأ الحديد كأنهم
تحت السَّنوَّر جِنَّـةُ البقَّارِ

وبنو سُواءةَ زائروك بوَفدِهمْ
جيشٌ يقـودُهُمُ أبو المِظفارِ

وبنو جَـذِيمة حَىٌّ صِدقٍ سادةٌ
غَلبوا على خَبتٍ إلى تِعْشارِ

والقـومُ غاضرةُ الذين تحمَّـلوا
بلوائهـم سيراً لدارِ قـرَارِ

جَمعٌ يظلُّ به الفضاء معضَّـلا
يدعو الإكامَ كأنهن صَحارِ)

وقال فى آخرها :

(حولى بنو دُودانَ لا يَعصُوننى
وبنو بَغيضٍ كلُّهمْ أنصارِى)

وقوله : « نُبئت زُرعة » إلخ بالبناء للمفعول والتاء نائب فاعل ، وزرعة مفعول ثان ، وجملة يُهدى إلخ فى موضـع المفعول الثالث . وقوله « والسّفاهة كاسمها » اعتراض ، أى فعل السفاهة قبيح . وإنما قال هذا لأنَّ السَّفاهة كما تنكرها القلوب والعقول ، تمجُّ الآذانُ اسمَها . فإنْ قلتَ : ما اسم السفاهة حتى قال كاسمها ؟ قلت : أراد ما سمِّىَ سفاهة . أى المسمى بهذا الاسم قبيحٌ ، كما أنَّ الاسم الذى هو السَّفَهَ قبيح . إلا أنَّه لمَّا لم يجد إلى العبارة عن الذات طـريقاً إلا باسمه قال « والسفاهة كاسمها » . كذا قال الإمام المرزوقى . وقوله « يُهدى إلى غرائبَ الأشعار » إلخ ، يعنى أنه غير مشهور ، فالشعر من قِبَله غريب ، إذ ليس من أربابه .

وقوله : « فلفتُ يازُرع » إلخ جملة إنّى الخ جـوابُ القسم . والضِّرار

بالكسر : الدنوّ من الشيء[1] واللصوق به . يقول : أنا قويٌّ عزيزٌ فالعدوُّ يكره مجاورتى له .

وقوله : « أعلمت » إلخ الاستفهام تقريرىٌّ . وروى « أنسيتَ يومَ » . ٦٩ وخَططت بالخاء المعجمة : شققت ، يقال ما خَطّ غبارهُ ، أى لم يدنُ منه ولم يتعلق به .

وقوله : (أنا اقتسمنا) إلخ بفتح همزة أنا[2] لأنها مع معموليها فى تأويل مصدر سادٌّ مسدّ مفعولى علمت .هذه رواية أبى عمرو ، وروى الأصمعى (يوم اختلفنا خطتينا) ، وابن الأعرابى : (يوم احتملنا) يقول : بررتُ أنا وفجرتَ أنت . قال شارح الديوان : قوله فجار يعنى خُطّة فاجرة ، خرج مَخْرج حذام ورقاشِ . والخطة بالضم : الحالة والخصْلة . قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل): وقال فى البر حملتُ وفى الفجور احتملتَ لأنّ العرب إذا استعملت فعل وافتعل بزيادة التاء كان الذى لا زيادة فيه يصلح للقليل والكثير ، والذى فيه الزيادة للكثير خاصة، نحو قَدَر واقتدر ، وكسبَ واكتسب. فأراد أن يهجوه بكثرة غدره وإيثاره للفجور ، فذكر اللفظة التى يراد بها الكثير ليكون أبلغ فى الهجو . ولو قال حملتَ فجار لأمكن أن لا يكون غدَرَ إلا مرّةً واحدة .

وأمّا الأفعال التى لاتستعمل إلا بالتاء فخارجة عن هذا الحكم ، لأنها لاتصلح لما قل ولما كثر ، كقولك : استويت على الشىء، واجتويت البلد ، إذا كرهتَه ، واكتريتُ الدار . فهذا لايقال فيه إنه للتكثير خاصة ، لأنه لم يستعمل غير مزيد .

---

(١) فى النسختين : « الدنو فى المشى » ، صوابه من شرح ديوان النابغة ٣٤ . وفيه : « يقال أضر الشىء بالشىء اذا دنا منه وأثر فيه . ومنه ضرير الوادى ، وهو حرفه الذى يدنو منه ويؤثر فيه » .

(٢) ط : « اذا » ، صوابه فى ش .

وقوله : « فلتأتينْك قصائد » إلخ ، هذا شروعٌ فى تهديد زُرعة . يقول : والله لأُغِيرنّ عليك بقصائد الهجو ورجال الحرب. وروى بنصب ألف ورفع قوادم . يقول : لتركبنّ إليك نجائبُ تدفع إليك جيشاً . والكُور بالضم : الرحل ؛ وقادمته : العودان اللذان يجلس بينهما الراكب .

وقوله : « رهط ابن كوز » إلخ أى هم رهط إلخ . وابن كُوز وربيعة بن حُذار، بضمّ الحاء المهملة وكسرها ، هما من بنى أسد . وقوله: « محقبو أدراعهم » أى يجعلونها خلفَهم فى موضع الحقائب . والحقيبة : خرج صغيرٌ يربطه الراكب خلفه .

وقوله : « ولرهط حَرّابٍ وقَدّ » إلخ الأوّل بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين،والثانى بفتح القاف وتشديد الدال. قال ابن الكلبيّ وابنُ الأعرابيّ : هما من بنى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . والسُّورة بالضم : الفضيلة .

وهذا البيت استشهد به الزمخشرى والبيضاوى ، عند قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورةٍ من مثله[1] ﴾ على أنّ السُّورة الرُّتبة .

وقوله : « ليس غرابُها بمطار » كناية عن كثرة الرهط ودوام العزّ لهما . وإذا وُصف المكان بالخصب وكثرة الشجر قيل : لايُطار غرابُه . يريد أنه يقع فى المكان فيجد مايُشبع ، ولايحتاج أن يتحوّل . فجعله مثَلاً للمجد ، أى مجدهم ليس بمنقلع .

وقال أبو عبيدة : هو فى مكان مرتفع ، لايؤذَى من العزّ . أراد أنهم

(١) الآية ٢٣ من البقرة .

أعِزّاء لا يُوصل إليهم . وتخصيص الغراب لأنه المثلُ فى الحذر ، فإنه يطير بأدنى رِيبة .

وقوله: « وبنو قُعين » إلخ هم من بنى أسد . وقوله (غير مقلّى) إلخ ، يريد إنهم آتوك غير مسالين لك، وعداوتهم ظاهرة، وإنما يأتونكَ لامحاربة. وآتوك : جمع آتٍ .

وقوله: « سهكين من صدأ » إلخ،متلبّسين برائحة الحديد المُصْدى،[1] يعنى أن السلاح يصدأ عليهم لطول لُبسهم إياه . والسَّهَكة : رائحة الحديد المُصدىُ . والسَّنَوّر : الدروع ، وقيل السّلاح كله . والبَقّار ، بالموحّدة والقاف المشددة : موضعٌ برمل عالج ، قريبٌ من جبلَىْ طيّئ تسكنه الجن . يقول: كأنهم جنٌّ فى شجاعتهم . ٧٠

وقوله : « وبنو سُواءة » بضم السين والمدّ ، هم من بنى أسد أيضاً . وأبو المِظفار هو مالك بن عوف من بنى أسد .

وقوله : « وبنو جذيمة » الخ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة، هو من بنى أسد أيضا . وجذيمة هو ابن مالك بن نصر بن قُعين . وخَبْت بفتح المعجمة وسكون الموحّدة : اسم ماء فى ديار كندة . وتِعشار ، بكسر المثناة الفوقية وبعد المهملة شين معجمة : موضعٌ فى بلاد بنى تميم ، وقيل جبلٌ فى بنى ضبّة ، وقال الخليل : ماء لبنى ضبة بنجد . كذا (فى معجم ما استعجم) .

وقوله: «والقوم غاضرة» إلخ غاضرة بإعجام الأوّلين : قومٌ من بنى أسد

---

(١) كذا فى ش فى هذا الموضع وتاليه . يقال صــدىء الحديد يصدأ ، وأصدأ يصدىء ، وفى ط : « الصدىء » ، وكلاهما صواب .

أيضاً . يقول : لم يتحملوا ليهربوا(١) ، إنما أرادوا الإقامة والثبات فى منازلهم .

وقوله : « جمع يظلّ به » إلخ ، معضّلا بفتح الضاد المشددة : غاصًّا ضيّقا(٢) .

وقوله « حولى بنو دُودان » ، هم من بنى أسد . وبنو بغيض هم رهط النابغة .

وترجمة النابغة تقدّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة(٣) .

وأما البيت الذى أورده سيبويه بعد البيت الشاهد فقد أورده غُفلا غير منسوب ، ولم يعزهُ شراح أبياته ، وقال ابن السِّيد : لا أعرف قائله . وعيّنه ابن هشام اللخمى فقال: هو حُميد الأرقط ، يقول لزوجه وكانت قد سألته الحجّ ، وكان مقِلاًّ فقال لها : امكُثى حتى يرزقنا الله مالاً نحجُّ به . فقالت منكرة لقوله : أأمكث عاماً وقابله ، أى قابلَ ذلك العام . والقابل بمعنى المقبل ، وهو جارٍ على قَبَلَ . يقال : أقبلَ وقَبَلَ ، وأدبر ودَبَر . وهو ظرفٌ ومثله معاً ، وعاملهما محذوف دلّ عليه المعنى كما قدّرنا . والهمزة للإنكار . وهو من أبياتٍ ثلاثة هى :

تحرّضنى الدّلفا على الحجّ ويحَها
وكيف نحجُّ البيتَ والحالُ حائلَه

فقلت امكثِى حتى يسار . . . . البيت

لعلّ ملمّاتِ الزمانِ ستنجلى
وعَلّ إلهَ الناس يُوليك نائلَه

(١) ط : « ليهزلوا » ، صوابه فى ش .
(٢) ش : « عاضا ضيقا » .
(٣) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

ويسار : اسمٌ لليُسْر ، معدول عن المَيْسَرة وهي الغنى .

وترجمة حميد الأرقط تقدّمت في الشاهد الثالث بعد الأربعمائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[٢] .

٤٦٩ (جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولى
طَوالَ الدّهرِ ماذُكِرَتْ : حَمادِ)

على أنهم قالوا : معناه قولى لها جمُودا ولا تقولى حمداً ، بالتنكير والتذكير .

وهذا واردٌ على قولهم إنّ فعال معدولٌ عن معرَّف مؤنث .

وممن قال كذا ابنُ السرّاج (في الأصول) فإنه قال بعد ما أنشد البيت قال سيبويه : يريد قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمدا .

ومنهم ابن الشجرى ، [قال[٣]] (في أماليه) : جماد اسمٌ للجمود ، وحماد اسمٌ للحمد في هذا البيت . أراد قولوا لها : جموداً ولا تقولوا لها : حمداً .

وهذا لا يرِدُ عليهم ؛ فإنهم قالوا : لا بدّ من التعريف والتأنيث في فعال بالمعانى الأربعة . وقولهم معناه جموداً وحمدا وما أشبهه فإنما هو تساهلٌ في التعبير عنه .

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٩٥ .
(٢) في كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٥ واللسان (حمد) وديوان المتلمس ٧ شنقيطى و ١٦٥ صيرفى .
(٣) التكملة من ش .

وكذلك فعل سيبويه ، إلاَّ أنه اعتبر التأنيث فى المعدول عنه ، إما تحقيقاً أو تقديراً ، قال : وأما ماجاء اسماً للمصدر فنحو فجار معدولة عن الفَجْرة ويسار معدولة عن الميسرة ، وكذلك قوله :

* والخيلُ تعدو بالصعيد بدادِ *

٧١ فهذا بمنزلة قوله : تعدو بَدَداً[١] ، إلا أن هذا معدول عن حدِّه مؤنثا . وكذلك لا مَساسِ ، والعرب تقول : أنت لا مساسِ ، ومعناه لا تمسُّنى ولا أمسُّك . ودعنى كَفافِ ، فهذا معدولٌ عن مؤنَّث وإن كانوا لم يستعملوا فى كلامهم ذلك للمؤنَّث الذى عدل عنه بدادِ وأخواتها . ونحو ذا فى كلامهم . ألا ترى أنهم قالوا مَلامحُ ومَشَابه ولَيالٍ، فجاء جمعه على حـدِّ مالم يستعمل فى الـكلام ، لا يقولون ملمَحَة ولا ليلاة . ونحو ذلك كثير ، قال الشاعر :

جَمادِ لها جَماد ولا تقولى ... البيت

فهذا بمنزله جموداً . ولا تقول عدل عن قوله جمداً لها ، ولـكنَّهما عُدِلا عن مؤنَّث كبداد. انتهى نص سيبويه[٢] .

فعنده يجب فيما لو كان من أسماء الأجناس غير مؤنث فجعـل له اسمُ فعال أن يقدَّر له التأنيث .وقد قدَّر سيبويه فى حَضار وسَفار أنه اسمُ الـكوكبة والماءة ، وهما من علم الشخص .

وقال السِّيرافى فى بداد : إنه معدول عن البَدَّة أو المبادَّة أو غـير ذلك ، يعنى مما يقدَّر مؤنثا يُعطَى معنى ذلك المذكَّر .

---

(١) هذا الصواب من سيبويه . فى ط : « بداد » وفى ش : « بدادا » .

(٢) فى هذا النص نقص عما فى نسختى من كتاب سـيبويه ٣ : ٢٧٦ . فانظره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للمتلمس ، أورد بعضها الشريفُ ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسينى (فى حماسته) ، وهى[١] :

(صَبَا من بعد سَلوته فؤادى
وَسَمَّحَ للقــــرينة بانقيـادِ
كأنِّى شاربٌ يومَ استبـدُّوا
وَحثَّ بهم وَراءَ البيد حادى[٢]
عُقاراً عتِّقت فى الدَّنِّ حتى
كأنَّ حَبابَها حَدَقُ الجـرادِ
جَمادِ لها جَمادِ وَلا تقـولَنْ
لها يوماً إذا ذُكِرَتْ جَمادِ)

هذا ما أورده الشريف . وقوله « صبا من بعد سلوته » إلخ ماضى يصبو صَبوةً ، أى مال إلى الجهل والفتوة . وسَمَّحَ بمهملتين بمعنى ذَلَّ ، وفاعله ضمير الفؤاد . ويقال أسمَحَ بالألف أيضا . والقرينة : النفس ، ومثله القَرونة بالواو أيضا . يقال أسمحت قرينتُه وقرونته ، وكذلك قَرينُهُ وقَرونُهُ[٣] بدون هاء ، أى ذلّت نفسه وتابعَتْه على الأمر . وقوله :

* كأنى شاربٌ يوم استبدُّوا * إلخ

أى مضَوْا برأيهم ، كذا قال الشريف صاحب الحماسة . وهو من استبدَّ فلانٌ بكذا ، أى انفرد به . والواو ضمير تعود على قوم حبيبته . وقوله : « وحث

(١) الديوان وحماسة ابن الشجرى ٢٤٩ .
(٢) فى الديوان : « يوم استقلوا » « لدى الموماة حاد » .
(٣) ط : « قرينة وقرونة » ، صوابه فى ش .

بهم » الخ أى أسرعَ بهم . وحادى فاعلُ حث ، وهو سائق الإبل بالحداء ، يقال حدا بالإبل يحدو حَدْواً ، أى حثها على السير بالحُداء كغراب ، وهو الغناء لها . وقوله « وراء البيد » قال الشريف : أى حال دونهم البيد ، وهو جمع بيداء ، وهى القَفْر والمفازة .

وقوله :« عُقاراً عُتِّقت » إلخ بضم العين مفعول شارب بمعنى الخمر . وهذا البيت يشهد للأصمعىّ ، فإنه قال : إن الخمر إنما سمِّيت عُقاراً لطول مُـكثها فى الدَّنِّ . واحتج بقولهم : عاقر فلان الشراب ، إذا لزمَه وأدمنَه . والحَبَاب بالفتح : ما ينتفخ من الماء ونحوه ويعلوه . قال الدينورى (فى كتاب النبات): يقال لما ينزو من الخمر إذا مُزجت الحَبابُ والفَواقع . والجنادع : جنادبُ تكون فى العُشَر . فشبَّه ما ينزُو منها بالجنادب إذا قَمَصت[1] . وأنشد هذا البيت مع البيت الأخير . وقد شبَّه حَباب الخمر بعيون الجَراد .

وقوله : (جماد لها جماد) إلخ بالجيم : الجمود ، والكلمة الأخيرة (حَمَاد) بالمهملة : الحمد . قال الأعلم : هما اسمان للجمود والحمد ، معدولين عن اسمين مؤنثين مُمّيا بهما ، كالجمدة والحمدة . وقال صاحب الصحاح : يقال للبخيل جَمَادِ له ، مثل قطام، أى لا يزال جامدَ الحال . وإنما بنى على الكسر لأنه معدول عن المصدر ، أى الجمود ، كقولهم : فجار أى الفَجْرة . وهو نقيضُ قولهم حماد بالمهملة فى المدح . وأنشد الأبيات الثلاثة الأخيرة للمتلمس ، ثم قال : أى قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمدا وشكرا . اه

وكونه معدولاً عن المصدر لا يكون سبباً لبنائه . قال الشريف صاحب

---

(١) قمصت : وثبت .

الحماسة : الضمير فى لها يعود على القرينة . وقال جامع شعره أبو الحسن الأثرم: أى أجَدَ اللهُ خَيرها ، يقول : قلّـه . يعنى الخمر . اهـ

ومنه تعلم أن الأعلم لم يُصب فى قوله : وصف امرأةً بالجود والبخل ، وجعلها مستحقّةً للذمّ غير مستوجبة للحمد . هذا كلامه ، وسببه أنه لم يطّلع على البيت الأول .

وكذلك لم يصب ابن السِّيد فى قوله (فيما كتبه على كامل المبرد) : دعا على عاذلته بأن يقلَّ خـيرها . وهو مأخوذٌ من الأرض الجماد ، وهى التى لا تنبت شيئا . وقيل إنه دعا على بلاد هـذه المرأة بالجود وأن لا تنبت شيئاً . انتهى .

وقوله : (ولا تقولى) بياء المخاطبة . وهذا هو المشهور ، وهو محرَّف من نون التوكيد الخفيفة كما رويناها عن الشريف، وهى الصواب ، فإنَّه خطابٌ لمذكر ولم يتقدّم ذِكرُ أنثى . ويؤيِّده ما رواه ابن الشجرى (فى أماليه) : « ولا تقولوا » بالواو . وقوله (طَوَال الدهر) بفتح الطاء ظرف للقول، يقال لا أكلمه طَوَالَ الدَّهر، وطُولَ الدَّهرِ ، بمعنىً. وما مصدرية ظرفية، ونائب فاعل ذُكرت ضمير القرينة ، وحماد فى موضع نصب لأنه مقول القول .

أبيات الشاهد

وهذه الأبيات الأربعة أوّلُ قصيدةٍ ، وما أحسنَ هذه الأبياتَ منها :

(وَأعلمُ عِلْمَ حَـقٍّ غـيرَ ظنٍّ
وتقوى الله من خـير العَتادِ

لَحفظُ المـالِ خـيرٌ من ضَياعٍ
وضَربٍ فى البلاد بغـير زادِ

وإصلاحُ القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثيرُ مع الفَسادِ)

وقد ضمَّن البيتَ الأخيرَ بعضُهم فى الهجاء فقال :

يحصِّن زادَه عن كلِّ ضِرسٍ
ويُعمل ضِرسَه فى كل زادِ

ولا يَروِى من الأشعار شيئاً
سوى بيتٍ لأبرهة الإيادى

« قليلُ المالِ تصلحُه فيبقى
ولا يَبقىَ الكثيرُ مع الفساد »

وقد أخطأ هذا القائل فى نسبة البيت إلى أبرهة من وجهين .

ومثله لابن وكيع التِّنِّيسىّ :

مالٌ يخلِّفه الفتى للشامتين من العِدا
خيرٌ له من قَصدِهِ إخوانَه مُسترفدا

ورُوى أن حاتماً الطائى لمّا سمع قولَ المتلمس قال : ماله قطع الله لسانَه يَحملُ الناسَ على البخل ! هلاّ قال :

وما الجُودُ يُفنِى المالَ قبل فَنائه
ولا البخلُ فى مال البخيل يزيدُ

فلا تلتمسْ فقراً بعيشٍ فإنّه
لكلِّ غدٍ رِزقٌ يعودُ جديدُ

٧٣

أَلم ترَ أنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ
وأنَّ الذى يُعطيك ليس يَبيدُ

المتلمس الضبعى

والمتلمس شاعرٌ جاهلى مُفْلِقٌ مُقِلٌ ، ذكره الجمحىُّ فى الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية . قال أبو عبيدة : اتَّفقوا على أن أشعرَ المقلِّين فى الجاهلية ثلاثة: المسيَّب بن عَلَس ، والحُصين بن حُمام ، والمتلمس . واتفقوا على أنَّ المتلمس أشعرُهم .

والمتلمس اسمه جرير ، وكنيته أبو عبدالله بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيدبن دَوفن بن حرب بن وهب بن جُلّى بن أحمس بن ضُبيعة بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان . وقيل إنّه جرير بن عبد العزّى ؛ وقيل غير هذا . ودَوْفن بفتح الدال وسكون الواو وفتح الفاء بعدها نون . وجُلّى ، بضم الجيم وتشديد اللام بعدها ألف مقصورة[١] . وأحْمَس : أفعل من الحماسة .وضُبيعَة بالتصغير .

وسيأتى إن شاء الله وجهُ تسميته بالمتلمِّس فى باب العلم .

وكان المتلمِّس مع ابن أخته طَرفة بن العبد ينادم عمرو بن هند ملكَ الحيرة ، ثم إنهما هجواه ، فلما أُشعِر[٢] بهجوهما كره قتلَهما عنده ؛ فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وقال لهما: إنّى كتبت لكما بصلة، فاذهبا لتقبضاها !

فخرجاحتى إذا كان ببعض الطريق إذا هما بشيخٍ على يسار الطريق ، وهو يُحْدِث ويأكل ويقتل القمل ، فقال المتلمس : ما رأيت كاليوم شيخاً أحمق !

---

(١) كذا . والصواب أنه بصيغة التصغير ، كما فى الاشتقاق ٣١٣ والجمهرة ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) ش : « شعر » .

فقال له الشيخ : ما رأيتَ من حُمقى ؟ أخرِجُ الداء وآكل الدواء ، وأقتل الأعداء ! أحمقُ منِّى والله مَن يحمل حتفه بيده ! فاستراب المتلمس بقوله ، وطلَع عليهما غلامٌ من الحِيرة ، فقال له المتلمس : تقرأ ياغلام؟ قال: نعم : ففكَّ الصحيفةَ ودفعها إليه ، فإذا فيها : « أمَّا بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطعْ يديه ورجليه وادفنْه حيًّا ! » فقال لطرفة : ادفعْ إليه صحيفتَك، فإنَّ فيها مثلَ الذى فى صحيفتى ، فقال طرفة : كلاَّ لم يكن ليجترئَ[1] علىَّ، فإنَّ بنى ثعلبة ليسوا كبنى ضُبيعة ! فقذف المتلمِّسُ صحيفتَه فى نهر الحِيرة وهرب إلى بنى جَفنة ملوك الشام ، وذهب طرفةُ إلى عامل البحرين ، فقُتل هناك كما شرحناه مفصَّلا فى ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[2] .

وقال المتلمس فى ذلك يخاطب طرفة :

مَن مبلغُ الشُّعراءِ عن أخويهما
خبراً فتَصدُقَهم بذاك الأنفسُ

أودَى الذى عَلِقَ الصحيفة منهُما
ونجا حِــــذارَ حِبــائه المتلمسُ

ألقِ الصحيفــــة لا أبَالك إنهّ
يُخشَى عليك من الحِبـاء النِّقرِسُ

والنِّقرِسُ : داء فى الرِّجْل معروف . وصارت صحيفة المتلمس مثــلاً يُضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع . قال الفرزدق :

---

(١) ش : « ليجترأ » .
(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

يامَرْوَ إنَّ مطيَّتى محبوسةٌ
تَرجو الحِباء وربُّها لم ييأسِ

وحَبوتَنى بصحيفةٍ مختومةٍ
يُخشى علىَّ بها حِباء النِّقرِسِ

ألقِ الصحيفةَ يافرزدقُ لا تكنْ
نكداء مثلَ صحيفة المتلمِّسِ

والبيت الأوّل من شواهد سيبويه[1] ، واستشهد به على ترخيم مروان بحذف الألف والنون ، لزيادتهما وكون الاسم ثلاثيا بعد حذفهما . وأراد مروانَ ابن الحكم .

وسبب هذا الشعر أنَّ الفرزدق قدِم المدينة مستجيراً بسعيد بن العاصى من زياد بن سُميّة ، فامتدح سَعيدا ومَرْوانُ عنده قاعد ، فقال :

٧٤

ترى الغُرَّ الجحاجِحَ من قُريشٍ
إذا ما الأمرُ بالمكروه عالا[2]

قياماً ينظُرون إلى سَعيد
كأنَّهمُ يَرونَ به هِلالا

فقال له مروان : قعودًا يا غلام . فقال : لا وَالله يا أَبا عبد الملك ، إلاَّ قياماً . فأغضب مروان : وكان معاوية يُعادل بين مروان وبين سعيد ؛

(١) فى كتابه ١ : ٣٣٧ . وانظر ديوان الفرزدق ٤٨٢ .
(٢) ديوان الفرزدق ٦١٨ .

فلما ولي مروانُ كتب للفرزدق كتاباً إلى واليه بضَرِيَّة[١] ؛ أن يعاقبه إذا جاء ، وقال للفرزدق : إنّي قد كتبت لك بمائة دينار ! فلما أخذ الكتاب وانصرف على أنّه جائزتُه ندم مَرْوانُ ، فكتب إلى الفرزدق :

قُل للفرزدق والسَّفاهةُ كاسمها إنْ كنت تاركَ ما أمرتُكَ فاجلِسِ

ودَعِ المدينةَ إنّها مرهوبة واعمِدْ لمَكّةَ أو لبيتِ المقدسِ

فقطن الفرزدقُ وأجابه بهذه الأبيات ، فكان الفرزدق لا يقرُب مروان في خلافته ، ولا عبدَ الملك ، ولا الوليد .

ورُوى مِن طريق أخرى : أنّ مروان تقدّم إلى الفرزدق أن لا يهجوَ أحداً ، وكتب إليه البيتين ، فأجابه الفرزدق بالأبيات .

وقوله « فاجلس » أي اذهب إلى الجَلْس[٢] ؛ بفتح الجيم وسكون اللام ، وهو نَجْد . يقال جلس الرّجل ، إذا أتى نجداً . و الحِباء: العطاء . وجعل الرجاء للناقة وهو يريد نفسه .

وروى ابن السِّيد (في شرح أبيات الجمل) هذا الخبر على غير هذا الوجه فقال : إنّ الفرزدق كان مقيماً بالمدينة ، وكان أزنَى الناس ، فقال شعراً يقول فيه :

---

(١) ضرية : قال ياقوت : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد . ط : « بضربة » تحريف .
(٢) ط : « الجلسة » صوابه في ش مع أثر تصحيح .

هما دَلَّتانى من ثمانينَ قامةً

كما انقضّ بازٍ أقتمُ الرِّيش كاسرُهُ[1]

فلمّا استوت رجلاىَ فى الأرض قالتا

أحىٌّ يرجَّى أم قتيلٌ نحاذره

فقلتُ ارفع الأسباب لا يَشعُروا بنا

وأقبلتُ فى أعجاز ليل أبادره

أحاذر بوّابَين قد وُكِّلا بنا

وأسمرَ من ساجٍ تصِلُّ مَسامره

فعيّره جرير بذلك فى شعر طويل منه :

لقد ولدتْ أمُّ الفرزدق فاجراً

فجاءت بِوَزْوازٍ قصير القوائم[2]

يُوصِّل حَبْليه إذا جَنَّ ليلُه

ليرقىَ إلى جاراتِه بالسَّلالمِ[3]

تدلَّيتَ تزنِى من ثمانينَ قامةً

وقصَّرتَ عن باع العُلا والمكارمِ

هو الرِّجسُ يا أهلَ المدينة فاحذروا

مُداخِلَ رجسٍ بالخبائث عالمِ

---

(١) ديوان الفرزدق ٣٦١ .

(٢) ديوان جرير ٥٥٨ . وبقية الأبيات من قصيدة أخرى في ٥٦٠ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) ط : « جنبيه » ، صـــوابه من الديوان ومن ش مع أثـر تصحيح .

لقد كان إخراجُ الفرزدق عنهم

طَهوراً لمـا بينَ المصلَّى ووَاقمِ(١)

فاجتمع أشرافُ المدينة إلى مروان بن الحكم وكان والياً بها ، فقالوا : ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد أوجبَ عليه الحدّ ! فقال مروان : لست أحدُّه ، ولكن أكتبُ إلى من يَحُدُّه . فأمرَهُ مروان بالخروج من المدينة وأجَّلَه ثلاثة أيام ، ففي ذلك قال :

تَوعَّدَنى وأجَّلنى ثلاثاً كما وُعِدت لمَهْلِكِها ثمود(٢)

٧٥ ثم كتب له كتابا إلى عامله يأمره فيه بأن يحدّه ويسجنه ، وأوهمه أنه كتب له بجائزة . ثم ندم على ما فعل فوجّه عنه رجلاً وقال له : أنشده هذين البيتين :

* قُلْ للفرزدق والسَّفاهةُ كاسمها *

ففطن الفرزدق لِماَ أراد ، فرمى الصحيفة وقال الأبياتَ الثلاثة ، وخرج هارباً حتى أتَى سعيد بن العاصى ، وعنده الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضى الله عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كلٌّ واحدٍ منهم بمائة دينارٍ وراحلة ، وتوجّه إلى البصرة .

وقيل لمروان : أخطأتَ فيما فعلت ، كأنّك عرّضتَ عرضك لشاعرٍ مُضَر ! فوجَّه وراءه رسوله ومعه مائة دينارٍ وراحلةٌ ، خوفاً من هجائه .

(١) واقم ، بالواو : أطم من آطام المدينة . ط : « راقم » . صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .
(٢) ديوان الفرزدق ١٨٥ .

ولمّا هرب المتلمس إلى ملوك الشام هجا عمرو بن هند بقصيدة ، وحرّض قوم طرفة على الطلب بدمه ، أوّلها :

إنّ العراقَ وأهله كانوا الهوى

فإذا نأى بى ودُّهمْ فليبعُدِ[1]

إلى أن قال :

إنّ الخيانة وَالمَغالة وَالخنى

والغَدرَ تتركه ببلدةٍ مُفْسِدِ[2]

ملكٌ يلاعب أمّه وَقطينَها

رِخوُ المفاصل ، أيره كالمِرْوَدِ

بالباب يرصُد كلّ طالب حاجة

فإذا خلا فالمرء غير مسدّدِ

فبلغ هذا الشعرُ عَمراً فحلف إنْ وجده بالعراق ليقتلنّه ، وأن لا يطعمه حبّ العراق ! فقال المتلمس من قصيدة[3] :

آليتَ حبَّ العِراق الدهرَ أطعَمُهُ

والحبُّ يأكله فى القرية السُّوسُ

لم تَدر بُصرَى بما آليتَ من قسم

وَلا دمشقُ إذا دِيسَ الكراديسُ

(١) ديوانه ١٣٥ صيرفى .
(٢) ديوانه ١٤٦ صيرفى .
(٣) ديوانه ٩٥ .

والبيت من شواهد سيبويه[١] على أنّ نصب حب على نزع الخافض ، أى على حبِّ العراق . وآليتَ بالخطاب لعمرو بن هند ، يقول له : حلفتَ لا تتركنى بالعراق ولا تطعمنى من حَبِّه ، والحال أن الحبَّ لا يبقى إن أبقيته ، بل يُسرع إليه الفساد ويأكله السوس، فالبخل به قبيح . وهذا على طريق الاستهزاء به والسخرية .

وبُصرى: مدينة بالشام . يقول : لا تدرى كثرةَ الطعام الذى بُبصرى وبدمشق . والكراديس : أكداس الطعام .

ومن شعر المتلمس ، وهو من شواهد البديع :

ولا يقيمُ عَلَى ضَيمٍ يُرادُ به
إلاَّ الأذلاَّنِ : عَيرُ الحىِّ والوَتِدُ[٢]

هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمَّته
وذا يُشَجُّ فلا يَرثِى له أحدُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصل[٣] :

(أطلَتْ فِراطهمْ حتّى إذا ما
قتَلتُ سَراتَهم كانت قطَاطِ)

على أنّ قَطاطِ فيه وصف مؤنث بمعنى قاطّة ، أى كافية .

(١) فى كتابه ١ : ١٧ .
(٢) ديوانه ٢٠٨ .
(٣) ابن يعيش ٤ : ٥٨ ، ٦١ واللسان (قطط) .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : أى كانت تلك الفعلة كافيةً لى وقاطَّة لثأرى، أى قاطعة له . أشار إلى أنّ اسم كان ضمير الفعلة المفهومة من قتلت سراتهم . وقَطاط مبنيَّة على الكسر فى محل نصب ٍ خبر كان . قال ابن يعيش (فى شرحه): ٧٦
وقطاط معدولٌ عن قاطّة أى كافية ؛ يقال قَطاطِ بمعنى حسبى ، من قولهم قَطْك درهم ، أى حسبك، مأخوذٌ من القطّ وهو القطع، كأنّ الكفاية قطعت عن الاستمرار . انتهى .

وفِراطهم ، بكسر الفاء ، أى إمهالى إيّاهم ، فهو مصدر مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف. قال صدر الأفاضل : أى أطلت إمهالهم والتأنّىَ بهم . والصواب « فِراطكم» و « سَراتكم» بالخطاب كما سيأتى . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنف) : الفِراط هو التقدُّم . يقول : سبقتْ إليكم بالتهدُّد والوَعيد لتخرجوا من حَقِّى . والسَّراة بالفتح، قال أهل اللغة قاطبة :هو جمع سَرىّ بمعنى الشريف . ويَرِدُ عليهم أنّ فعِيلا لا يجمع على فعلة بالتحريك ، لهذا قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : الظاهر أنّه اسمُ جمع لا جمع .

وذهب السهيلى (فى الروض الأنف) إلى أنّه مفرد لا جمعٌ ولا اسمُ جمع ، قال : لا ينبغى أن يقال فى سراة القوم إنّه جمع سَرِىّ ، لا على القياس ولا على غير القياس ، وإنّما هو مثل كاهل القوم وسَنامهم .

والعجب كيف خفىَ هذا على النحويِّين حتى قلّد الخالف منهم السالفَ فقالوا : سَرَاة جمع سرىٍّ . ويا سبحان الله كيف يكون جمعاً له وهم يقولون جمع سَراة سرواتٌ ، مثل قطاة وقطوات . يقال: هؤلاء من سَرَوات الناس كما تقول من رءوسهم .

ولو كان السراة جمعاً ما جُمع ، لأنّه على وزن الفَعَلة ، ومثل هذا البناء

فى الجوع لا يجمع ، وإنَّما سرىّ فعيل من السَّرْو وهو الشرف ، فإنْ جمع على لفظه قيل سَرِىٌّ وأسرياء كغنىٍّ وأغنياء، ولكنه قليلٌ وجودهُ ، وقلّةُ وجوده لا تَدفع القياس فيه . وقد حكاه سيبويه . انتهى .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ لعمرو بن معد يكربَ الصَّحابى ، قالها قبل إسلامه ، لبنى مازن من الأزد ؛ فإنَّهم كانوا قتلوا أخاه عبدَالله، فأخذ الدِّية منهم ، فَعيَّرته أخته كبشة بذلك ، فغزاهم وأثْخَنَ فيهم ، وقال هذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(تمنَّتْ مازنٌ جهلاً خِلاطى
فَذاقت مازنٌ طَعْمَ الخِلاطِ[1]
أطَلْتُ فِراطَكمْ عاماً فعاماً
ودَين المَذحِجِىِّ إلى فِراطِ
أطلتُ فِراطكم حتّى إذا ما
قَتلتُ سَراتَكم كانت قَطاطِ
غَدرتمْ غدرةً وغدرتُ أخرى
فما إن بينَنَا أبداً يَعاطِ
بطعنٍ كالحريق إذا التقينا
وضربِ المشرفيَّةِ فى النُطاطِ)

الخلاط : مصدر خالطه مخالطةً وخلاطاً . ومازن هو مازن بن زُبَيد ، وأراد به القبيلة . ودَين بالفتح . ومَذحِج ، بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم : قبيلة كبيرة من قبائل اليمن تفرّعت منها قبائلُ

(١) فى أمالى القالى ٣ : ١٩١ : « فذوقى مازن » .

كثيرة . قال ابن الكلبي (في جمهرة الأنساب) : بنو الحارث بن كعب من مَذحج . والنَّخَع من مَذحج ، وجنبٌ من مذحج ، وصُداء من مذحج ، ورُهاء من مذحج ، وسَعد العشيرة من مذحج ، والبطون المذكورة منها إلى زُبيد. ومُراد من مذحج ، وعَنْس من مذحج ؛ وطيِّئٌ من مذحج . ومَذحج : اسم امرأةٍ ، وهي بنت ذي مَنْجِشان [١] ، كانت أمُّها وَلَدتها عَلَى أكمةٍ يقال لها مَذحج ، فلقِّبَتْ بها .

ويَعَاط بفتح المثناة التحتية بعدها عين مهملة : كلمة إغراء عَلَى الحرب ، أي احملوا . ٧٧

والغُطاط بضم الغين المعجمة : أول الصبح .

كذا روى أبو علي القالي هذه الأبياتَ الخمسة (في نوادره) . وقد اختُلف في رواية هذا الخبر . قال أبو علي القالي (في ذيل الأمالي) قال أبو محلِّم : حدثني [٢] السُّكَّريُّ قال : حدثنا ابن حبيب قال : قال هشامُ بن الكلبي : مرَّ عبدالله بن معد يكربَ براعٍ للمحزَّم [٣] بن سلمة ، من بني مالك بن مازن ابن زُبيد ، فاستسقاهُ لبناً فأبى واعتلَّ عليه ، فشتمه فقتله عبدالله ، فثارت بنو مازن بعبدالله فقتلوه ، فتوانى عمرو في الطلب بدمه ، فأنشأت أختُه تقول أبياتاً ، فاحتمى عمرو عند ذلك فثار في قومه بني عُصْم [٤] ، فأباد بني مازن ، وقال في ذلك :

---

(١) هذا ضبطه في اللسان (ذحج) والقاموس (نجش) .
(٢) ط : « وحدثني » .
(٣) في الأمالي ٣ : ١٩٠ والأغاني ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة ، لكن قيدها البغدادي فيما سيأتي بالحاء المهملة .
(٤) ط : « بنو عصم » ، صوابه في ش .

* تمنت مازنٌ جهلاً خِلاطى *

إلى آخر الأبيات الثلاثة الأول . ولم ينشد البيتين الأخيرين [١] .

وروى أيضاً (فى نوادره) أن الأصمعىَّ قال : كان بين عمرو بن معد يكرب وبين رجل من مراد يقال له أُبَىٌّ كلامٌ ، فتنازعا فى القَسْم ، فعجِلَ عمرٌو وكانت فيه عَجَلة ، وكان عبدالله أخو عمرو رئيس قومه، فجلس مع بنى مازن رهطٍ من سعد العشيرة ، وكانوا فيهم ، فقعد عبدالله يشرب ، ويسقيهم رجلٌ يقال له المُحزَّم [٢] من بنى زُبيد ، له مال وشرف . وكان عبدٌ من عبيد المحزَّم قائماً يسقى القوم ، فسبه عبدالله فضربه ، فقام رجلٌ نشوانُ من بنى مازن فقتل عبدالله ، فرأسَ عمرو بعد أخيه ، وكان غزا غزوةً فأصاب فيها ومعه أُبَىٌّ المرادى ، فادعى أنه كان مساندَ عمرو ، فأبى عمرو أنْ يعطيه ، فلما رجع عمرٌو من غَزَاته جاءت بنو مازن فقالوا : قتله رجلٌ مِنَّا سفيه ، ونحن يدك عليه وعضدُك ، وإنما قتله وهو سكران ، فنسألك بالرحِم أن تأخذ الدِّيَة وتأخذَ بعد ذلك ما أحببت ! فأخذ عمرٌو الدية ، وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة، فغضبت أختٌ له تسمى كبشة ، وكانت ناكحًا فى بنى الحارث بن كعب فقالت :

أرسَلَ عبدُالله إذْ حانَ يومُه
إلى قومِه أن لاتَعْقِلُوا لهم دَمِى [٣]

---

(١) لم يرد الخبر على هذا الوجـــه فى الأمالى ، كما أن الأبيات الطائية مروية فيها كلها .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٣٥١ فيما يخص هذا العلم .

(٣) وكذا فى الحماسة بشرح المرزوقى ٢١٧ ، بالحزم ، وفى الأمالى ومعجم البلدان (صعدة) : « وأرسل عبد الله » .

ولا تأخذوا منهمْ إفالاً وأبكُرا
وأتركَ فى بيتٍ بصَعْدَةَ مُظْلِمِ
ودَعْ عنك ءَمراً إنّ عمراً مسالمٌ
وهل بَطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لَمطْعمِ
فإن أنتمُ لم تقتلوا واتَّديتُمُو
فَمَشُّوا بآذان النعام المصلَّمِ
ولاتَشربوا إلاَّ فُضولَ نسائكمْ
إذا أُنهِلَتْ أعقابُهنَّ من الدمِ[1]
جَدَعتم بعبد الله سـيِّدَ قومه
بنى مازن أن سُبَّ ساقى المحزَّم[2]

فلما حَضَّت كبشة أخاها عمراً أَكَبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون ، فأوجعَ فيهم . ثم إن بنى مازن احتملوا فنزلوا فى مازن بن مالك بن عَمرو بن تميم ، فقالَ عمرو فى ذلك :

* تمنَّت مازنٌ جهلاً فراطى *

الأبيات الستة .

والمحزَّم، بتشديد الزاء المفتوحة والحاء قبلها مهملة . والمساندة : المعاضدة . وخرج القومُ متساندين ، أى على راياتٍ شَتّى ، أى ولم يكونوا تحتَ راية أمير واحد[3] .

وقولها « أرسل عبد الله » أورد أبو تمام هذه الأبيات إلا البيت الأخير

---

(١) فى الحماسة ومعجم البلدان : « ولا تردوا » و « اذا ارتملت » .
(٢) فى الأمالى : « المخزم » .
(٣) كلمة «تحت» ساقطة من ش .

(فى الحماسة) : قال التبريزى : إنما تكلَّمَتْ به على أنه إخبار عمَّا فعلهُ عبدالله ، وغرضها تحضيضهم على إدراك الثأر . وقولها أنْ لاتخلُّوا من التخلية . وهذه رواية النالى . ورواية الحماسة :« لاتعقِلوا لهمُ دمى » . يقال عقلتُ فلاناً ، إذا أعطيتَ ديته. والمراد : لا تأخذوا بدل دمى عقلا . ورواه ابنُ الأعرابى : « أن لاُيغِلُّوا لهم دمى » بالمثناة التحتيَّه والغين المعجمة ، وقال : الإغلال عند العرب ترك القَصَّاب بعضَ اللحم فى الإهاب . والغلول : الخيانة فى المغنم . والإفال : جمع أفيل ، وهو الصَّغير من الإبل ، وكذا الأبكُر ، وهو جمع بكر . قال التبريزى : فإن قيل : لم ذكَرَ الإفال والأبكر ،وما يؤدَّى فى الديات لا يكون منهما ؟ قلت : أراد تحقيرَ الديات ، كما يقال فى تحقير نحو خِلعة : أعطىَ فلانٌ خِرَقاً ! وإن كانت فاخرة .

٧٨

وقولها « وأترك فى بيت » إلخ ، صَعدة : مِخلافٌ من مخاليف اليمن ، أى ناحيةٌ منها . وإنما جعلت قبره مُظلماً لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبرُه ، فإن أهدِرَ دمُه أو قبلت ديته يبقى قبرُه مظلماً .

وقولها « وهل بطن عمرو » إلخ تزهيد فى الديَة ، كما روى فى الخبر : « هل بطنُ ابن آدمَ إلاشبر فى شِبْر » ، لما أُريدَ تزهيدُه فى الدنيا .

وقولها : « اتَّديتمو » أى قبلتمو الدية ، وهو افتعلتم ، يقال وديته فاتَّدَى .

وقولها « فمشُّوا » إلخ أى امشوا . وضعَّف الفعل للتكثير . ومن رَوى بضم الميم فمعناه امسَحوا بالمَشُوش بفتح الميم ، وهو منديل يُمسحَ به الدَّسم . والمعنى إن لم تقتلوا قاتلى وقبلتمْ ديتى فامْشُوا أذِلاَّء بآذان مجدَّعة كآذان النعام . ووصفَ النعام بالمصلَّم تصغيراً لها ، وإن كانت خِلقة . يقول: كأنكم مما تعيِّرون

ليست لكم آذان تسمعون بها ، فامشوا بغير آذان . واختلف فى النعام فقيل إنها كلها صُلْم ، وقيل غير ذلك .

وقولها « ولا تشربوا إلا فضول » إلخ رواه أبو تمام : « ولا تَرِدُوا » ، و« إذا ارتملت » . قال التبريزى : يقال ترمّل وارتمل ، إذا تلطّخ بالدم ، فكان من عادتهم إذا وردوا المياه أنْ يتقدّم الرجال ثم الرعاة ثم النِّساء ، فكنّ يغسلن أنفسهن وثيابهنّ ويتطهَّرن ، آمنات مما يُزعجهنّ ، فمن تأخَّر عن الماء حتى يصدُر النساء فهو الغايةُ فى الذل . وجعلت النساء مرتملات بدم الحيض تفظيعاً للشأن .

وقال النَّمَرىُّ : قال أبو رياش : تقول : إذا قبلتم الديةَ فلا تأنفوا بعدها من شىء كما تأنف العرب ، واغشَوْا نساءكم وهى حُيَّض . والفضول : بقايا الحيْض . وسمى الغِشيانَ ورِداً مجازا . وقال أبو محمد الأعرابىّ : معناه لا تردوا المواسمَ بعد أخذ الدية إلا واعراضكم دنسة من العار ، كأنكم نساء حيَّض . وهذا كما قال جرير :

لا تذكروا حُلَلَ الملوك فإنكم
بعد الزُّبير كحائض لم تَغسِل[1]

وقال ابنُ الأعرابىّ بعد إيراده هذه الأبياتَ : إن المحزَّم[2] بن سلمة أحد بنى مازن بن زبيد قتل عبدالله بنَ معد يكرب أخا عمرو ، وكان عبدالله لم عبداً للمحزَّم على شراب ، فجاءت بنو مازن إلى عبدالله فقتلوه ورأسوا

(١) البيت لم يرد فى ديوانه .
(٢) جعلها الشنقيطى هى وتالياتها : « المخزم » بالخاء المعجمة . لكن قيدها البغدادى بالحاء المهملة فيما سبق .

عليهم عمرو بن معد يكرب، فلما حضّت عمراً أكبَّ على بنى مازن يقتلهم[١] بهم غارُّون[٢] فيقال إنهم احتملوا فنزلوا فى بنى مازن بن عمرو ، فهم فيهم. وأنفذ عمرٌو ابنَ أخ له وأعطاه الصمصامة ، وقال : اقتل بها المحزَّم ، فمضى فقتل المحزَّمَ وابن أخ له، ثم انصرف إلى عمرو، فقال له : ماصنعت؟ قال :قتلت المحزَّم وابنَ أخيه ! فقال عمرو : كيف أصنع ببنى مازن وقد قتلتَ سيِّدها؟! فقال الغلام : أعطيتنى الصمصامة ، وسمَّيتنى المقدام ثم أقتل واحداً فما خَبَرى إذن . قال : فرحل عمرو فى أربعين من بنى زُبيد فصار[فى جَرْمٍ ، حتّى جاء الإسلام وهاجر. اهـ .

٧٩ وروى هذا الخبر مفصَّلا الأصفهانىُّ (فى الأغانى) قال : كان عبد الله ن معديكرب رئيسَ زُبيد ، فجلس مع بنى مازن فشرب ، فتغنَّى عنده حبشىٌّ وهو عبد للمحَزَّم[٣] أحد بنى مازن فشبَّب بامرأةٍ من بنى زبيد ، فلطمه عبدالله وقال : أمَا كفاك أن تشرَب معنا حتّى تشبِّب بالنساء ! فنادى الحبشىُّ : يالَمَازن ! فقاموا إلى عبدالله فقتلوه ،فرؤس[٤] عمرٌو مكان أخيه . وكان عمرٌو غزا هو وأُبىٌّ المرادى ، فأصابوا غنائم، فادَّعى أنّه كان مُسانداً، فأبى عمرٌو أن يعطيَه شيئاً ، فكره أُبىٌّ أنْ يكون بينهما شرٌّ ، لحداثة قتلِ أخيه ، فأمسك عنه . وبلغ عمراً أنّه توعَّده ، فقال فى ذلك قصيدة منها :

تَمَنَّانى ليقتلَنى أُبَىٌّ وَدِدتُ وأينما منِّى وِدادى

---

(١) وفيما سيأتى : « بالقتل » .
(٢) غارون : غافلون ، ط : « عارون » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وضبط الراء بالشدة . وقد سبقت على هذا الوجه فى ص ٣٥٧ .
(٣) فى ش والأغانى ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة .
(٤) كذا فى ش والأغانى . وفى ط : « فرأس » .

فلو لاقيتَنى للقيتَ قِرناً | وصرَّح شحمُ قلبكَ عن سوادِ
إذَنْ للقيتَ عمَّكَ غيرَ نِكسٍ | ولا متعلِّمٍ قتلَ الوِحادِ[1]
أريد حِباءَه ويُريد قتلى | عَذيرَكَ من خليلكَ من مُرادِ[2]

وكان علىٌّ بن أبى طالب إذا نظر إلى ابن مُلجِمٍ أنشد :

أريد حِباءَهُ ويريد قتلى . . . البيت

وجاءت بنُو مازن إلى عمرو فقالوا : إنَّ أخاك قَتلَه رجل منَّاسفيه وهو سَكران ، ونحن يدُك وعَضُدك ، فنسألك بالرَّحم إلاَّ أخذتَ منا الدِّية مَا أحببت ! فهَمَّ عمرو بذلك وقال :

* إحدى يدىَّ أصابتْنى ولم تردِ[3] *

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة ، وكانت ناكحا فى بنى الحارث بنى كعب، فغضبتْ، فلما وافَى الناسُ من الموسم قالت شعراً. وأنشد الأبياتَ الستّة . فقال عمرو قصيدةً منها :

أَرِقت وأمسيتُ لا أرقدُ | وساورنى المُوجِع الأسودُ
وبتُّ لذكرى بنى مازنٍ | كأنِّىَ مرتفقٌ أربدُ[4]

---

(١) فى الأغانى : « ولا متعلما » . وفى الأصل : « قتلى » ، وفى الأغانى « قبل » .

(٢) انظر تحقيق البيت فى حواشى نسختى من سيبويه ١ : ٢٧٦ . ويروى : « أريد حياته » .

(٣) وكذا ورد فى الأغانى ١٤ : ٣٣ على أنه نثر . وانما هو عجز بيت هو أول حماسية رواها أبو تمام ٢٠٧ لأعرابى قتل أخوه ابنا له فقدم اليه ليقتاد منه ، فالقى السيف وهو يقول :

أقول للنفس تأساء وتعزية | احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه | هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(٤) فى الأغانى : « أرمد » .

ثم أكبَّ عمرٌو على بنى مازن فقتلهم ، وقال فى ذلك :

خُذوا حِقَقاً مخطَّمةً صفايا وكَيدِى يامحزّم ما أكيدُ (١)

قتلتمْ سادتى وتركتمونى على أكتافكم عبء جديدُ (٢)

فأرادت بنو مازن أن يردُّوا عليهم الديةَ لمّا آذَنَهم بحرب ، فأبى عمرو .

وكانت بنو مازن من أعداء مذحج ، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمِّها دونَ عمرو ، وكان عمرٌو يهمٌّ بالكفِّ عنهم حتّى قتل من قتل منهم ، فركبتْ كبشةُ فى نساءٍ من قومها وتركت عمراً أخاها وعيَّرته فأفحمته ، فأكبَّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتل تفرّقوا ، فلحقت بنو مازن بصاحبهم مازن بن تميم ، ولحقت ناشرة ببنى أسد ، ولحقت فالج بسُليم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه بن صَعب بن سعد العشيرة . فقال كابية (٣) بن حُرقوص بن مازن (٤) :

يا ليتنى يا ليتنى بالبلــــدةِ

رُدّت عــلىَّ نجومها فارتدّتِ

مَن كان أسرعَ فى تفرّق فالجٍ

فلبونُه جَرِبَتْ معاً وأُغدّتِ (٥)

هَــــلاَّ كناشرة الذى ضيَّعتُم ٨٠

كالغُصن فى غــلوائه المتنبِّتِ

---

(١) فى الأغانى : (يا مخزم) والحقق : جمع حقة بالكسر ، وهى من الابل : ما دخل فى الرابعة ، تؤخذ فى الصدقات والديات . وفى الأصل والأغانى : « حقان » ، ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى » .

(٢) ما بعد هذا من سائر الخبر لم يرد فى الأغانى .

(٣) ط : « كائبة » صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر حواشى الحيوان ٦ : ٤٥٥ .

(٤) فى سيبويه ١ : ٣٦٨ نسبة الشعر الى عنز بن دجاجة .

(٥) ط : « جذبت معا » ش : « جدبت معا » ، صوابهما ما أثبت من سيبويه .

وقال عمرو فى ذلك :

* تمنَّتْ مازنٌ جهلاً خلاطى *

الأبيات السابقة إلاَّ البيت الأخير .

وتقدَّمت ترجمة عمرو بن معديكرب فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهدس[2] :

(والخيلُ تَعدو فى الصَّعيدِ بَدَادِ)

على أنَّ بداد وصفٌ مؤنَّث معدول عن متبدِّدة أى متفرِّقة ، فهو حال .

وهذا مخالفٌ لقول سيبويه، فإنَّه أنشده على أنَّ بداد فيه معدولٌ عن مصدر مؤنث لا عن وصف . قال : هذا بمنزلة قوله تعدو بدَدًا[3] ، فيكون المصدر مؤوَّلا بالحال .

قال الأعلم : الشاهد فيه قوله بَدَادِ ،وهو اسمٌ للتبدُّد، معدول عن مؤنَّث؛ كأنَّه سمَّى التبدُّد بَدَّةً ثم عدلها إلى بداد ، كما سمى البِرَّ بَرَّةَ . انتهى .

وصنيع الشارح أحسن ، فإن الحال نادرٌ وقوعها معرفة .

ويأتى بدادِ اسمَ فعلِ أمرٍ أيضا. وأورده الزمخشرى فى فَعالِ الأمرىِّ ، قال :

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر مجالس ثعلب ٥٢٧ والمقتضب ٣ : ٣٧١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٤ والهمع ١ : ٢٩ والأشمونى ٣ : ٢٧١ واللسان (بدد ، حلق) وديوان حسان ١٠٨ والنابغة الجعدى ٢٤١ .

(٣) فى الأصل : « بدادا » ، صوابه من سيبويه .

وبدادِ ، أى ليأخذ كلٌّ منكم قِرنَه . ويقال أيضا جاءت الخيلَ بدادِ ، أى متبدِّدة . فهى مشتركة بين الأمر والمصدر .

قال فى الصحاح : قولهم فى الحرب : ياقوم بدادِ بدادِ ، أى ليأخذ كلُّ رجلٍ قرنه . يقال منه تبادَّ القومُ يتبادُّونَ ، إذا أخذوا أقرانهم . وبُنى لأنَّه واقعٌ موقع الأمر . ويقال أيضاً لقُوا بَدادَهم[1] ، أى أعدادهم لكل رجلٍ رجلٌ . والبَدَاد ، بالفتح : البِرَاز . يقال : لو كان البَداد لما أطاقونا ، أى لو بارزناهم رجلٌ ورجلٌ . وقولهم : جاءت الخيل بَدادِ ، أى متبدِّدة . وبنى أيضاً على الكسر لأنَّه معدول عن المصدر ، وهو البَدَد . قال :

* والخيل تعدو فى الصعيد بدادِ *

وتفرّق القومُ بدادِ ، أى متبدِّدة . قال حسان :

كُنَّا ثمانيةً وكانوا جَحفلاً
لجِباً فَشُلُّوا بالرِّماح بدادِ[2]

وإنَّما بنى للعدل والتأنيث والصفة . انتهى .

فبداد على هذا ثلاثة أقسام ، وهو تابعٌ فى صنيعه؛ وكذلك تبعه ابن الشجرى (فى أماليه) فإنه أوردَ البيت فى قسم المصدر وقال : أراد بددا .

والبيت من أبياتٍ لعَوف بن الخرِع[3] التَّيمى ، يردُّ على لقيط بن زُرارة،

(١) وكذا فى القاموس . وفى اللسان : « أبدادهم » .
(٢) ديوان حسان ١٠٨ .
(٣) ط : « الجزع » ، صوابه فى ش ، وسيأتى فى نهاية الشاهد ضبطه .

فإنه كان هجا عديًّا وتَيمًا ، وعيَّره عَوفٌ بفراره عن أخيه معبدٍ لمَّا أُسِر . وقبله :

(هَـلَّا كررتَ على ابن أمِّك معبدٍ
والعامرىُّ يقــــوده بصِفادِ)

وذكرتَ من لبن المحلَّـق شَربة
والخيــــلُ تعدو بالصَّعيد بدادِ

فى الأغانى[1] بسنده أنَّ الحارث بن ظالم المرى لمَّا قتل خالد بن جعفر ابن كلاب غدراً، عند النُّعمان بن المنذر بالحيرة ، فأتى زرارةَ بن عدس فكان عندَه ، فلم يزل فى بنى تميم عند زرارة حتَّى لحق بقريش . فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زرارة ، فسارت بنو عامر نحوَهم ، والتقَـوا برَحرحان ، فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وأسر يومئذ معبدُ بن زرارة ، أسره عامر ابن مالك ، واشترك فى أسره طُفيلٌ ورجل من غنيٍّ يقال له أبو عُمَيلة ، وهو عِصمة بن وهب ، وكان أخا ابنِ مالك من الرَّضاع ، وكان معبد بن زرارة كثيرَ المال ، فوَفَد لقيط بن زرارة على عامر بن مالك فى الشَّهر الحرام رجب ، ٨١ فسأل عامراً أن يطلق أخاه ، فقال عامر : أمَّا حِصَّتى فقد وهبتُها لك ، ولكن أرضِ أخى وحليفِى اللذين اشتركا فيه . فجعل لقيطٌ لكلٍّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرضيا وأتيَا عامراً فاخبراه ، فقال عامرٌ للقيط : دونَك أخاكَ . فأطلق عنه ، فلما أطلقه فكَّر فى نفسه لقيط وقال : أُعطيهم مائتين من الإبل[2] وتكون

(١) الخبر هنا باختصار من الأغانى ١٠ : ٣٠ ــ ٣٢ .
(٢) فى ش والأغانى : « مائة » ، وانما هما مائتان كما فى ط .

النّعمة لهم[١] ؟ لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنّ أبى زرارة نهانا أن نَزِيد على دية مضَر وهى مائة ، إنْ أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا فى ذلك . فانصرف لقيط ، فقال له معبد : مالى يُخرجنى من أيديهم . فأبَى ذلك عليه لقيط ، وقال معبد لعامر : يا عامر أنشُدك الله لَمَّا خلَّيتَ سبيلى ، فإنما يريدُ ابنُ الحمراء أن يأكل مالى[٢] ! ولم تكن أمُّه أمَّ لقيط . فقال عامر : أبعَدَكَ الله ، إن لم يشفقْ عليك أخوك فأنا أحقُّ أن لا أشفق عليك . فمَدّوا إلى معبد فذبحوا شاة فألبسوه جلدَها حارًّا وشدُّوا عليه القِدّ ، وَبعثوا به إلى الطائف ، فلم يزلْ بها حتّى مات . فقال فى ذلك عوفُ بن عطيّة بن الخَرِع :

* هَلاَّ كررت على ابن أمِّك * البيتين

والكَرُّ هنا : الرجوع فى حَومة الحرب لاستخلاص أخيه من الجرب .

واتفقت جميع الروايات على قوله (ابن أمِّك) مع أنّهما من أمّين . قال ابن حبيب (فى شرح النقائض) : ليست أمُّهما واحدةً ولكن أمّهما أمّهات[١] فجمعهما .

ورواه ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرِّد) : (على أخَيِّكَ معبدٍ) .

وقال أبو محمد الأعرابى الأسود (فى ضالّة الأديب) : قد غلِط ابنُ الأعرابى من وجهين : أحدهما أنّ الشعر لعوف بن الخرع ، وهو قد نسبه إلى ابن كراع .

(١) فى الأغانى : « ثم تكون لهم النعمة على بعد ذلك » .
(٢) فى الأغانى : « كل مالى » . والحمراء : الرومية أو الفارسية .
(٣) ش : « لهما أمهات » .

والثانى : أنّه قال (على ابن أمِّك) وإنما الرواية (على أخَيِّك) بالتصغير، لأنّ معبدا لم يكن لأمّ لقيط .

وقوله (والعامرى يقوده) إلخ جملةٌ حال من التاء فى كررتَ . والصِّفاد بالكسر : جمع صَفَد بفتحتين ، وهو القَيد .

وقوله (وذكرت من لبن) إلخ الجملة معطوفة على هَلاَّ كررت . والمحلَّق بتشديد اللام المفتوحة ، قال صاحب النقائض : المحلَّق سمةُ إبل بنى زُرارة .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : المحلَّق: إبلٌ موسومة بالحَلَق على وجهها. وقال ابن الشجرى (فى أماليه): أى من لَبَن النَّعم الذى عليه وسومٌ كأمثال الحَلق .

وقوله (والخيل تعدو) الجلة حال من تاء المخاطب فى ذكرتَ . والصَّعيد: وجه الأرض . وروى بدله (بالصفاح) بالكسر . قال ابن السيد : وهو موضع .

قال الأعلم : يقول هذا للقيطِ بن زرارة التميمى ، وكان قد انهزم فى حربٍ أُسِر فيها أخوه مَعبد بن زرارة ، فعيَّره ونسب إليه الحِرصَ على الطعام والشراب ، وأنّ ذلك حمله على الانهزام . وأراد بالمحلَّق قطيعَ إبلٍ وُسِم بمثل الحَلَق من وَسْم النار . انتهى

قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : قال مقَّاس العائذى :

تذكَّرتِ الخَيلُ الشعيرَ عشيّة
وكنَّا أناساً يعلفون الأيَاصرا

أى ذكرتم [1] الحَبَّ والقُرى فانهزمتم ورجعتم إليها ، ونحن نعلف الحشيش ، فنحن نسير لا ننهزم ولا نبالى أين كنّا .

ونحوٌ منه قولُ عوف بن عطية بن الخَرِع للقيط بن زرارة :

هَلاَّ كررت على ابن أمِّك ... البيتين

والمحلَّق : إبلٌ سماتها الحَلَق . وبداد : متفرِّقة . انتهى

٨٤ والأياصر : جمع أيصَر ، وهو الحشيش .

وهـذه الوقْعة يقال لها يوم رحرحان ، براءين وحاءين مهملات ، وهو جبل قرب عكاظ .

وقد شرح خـبرَ هذا اليوم شارحُ المناقضات شرحا مفصلا قال :

قال أبو عبيدة: حدَّثنى أبو الوثيق أحد بنى سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب قال: لمّا التحف بنو دارم على الحارث بن ظالم لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب، وأبى بنو دارم أن يُسلِموه أوْ يخرجوه من عندهم ، غزاهم ربيعة بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، بأفناء عامر، طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر عند الحارث بن ظالم، فقاتل فى القوم فهزمت بنو دارم وهرب مَعبد بن زُرارة، فقال رجل من غنىٍّ لعامر والطفيل ابنى مالك بن جعفر بن كلاب: هذا رجل مُعْلِم بعمامة حمـراء ، فى رأسه جرح رأيته يَسْنِدُ [2] فى الهضبة — أى يصعد — وكان معبد قد طُعن فصُرع ، فلما أجلَتْ عنه الخَيْل سنَد فى هضبةٍ من رحرحان وهو جبل ، فقال عامر وأخوه الطفيل للغنوى : اسنِدْ واحدِرْه . فسنَد الغنوىُّ فحدَره عليهما ، فإذا هو معبد بن زرارة . فأعطيا الغنوىَّ عشرين بكرة وصار أسيرَهما .

---

(١) ط : « تذكرتم » ، صوابه فى ش والمعانى الكبير ١٠٤ .
(٢) ش : « يستدمى » ، صوابه فى ط والنقائض ٢٢٨ .

وأما دِرواس أحد بنى زرارة فزعم أن معبدا كان برحرحان متنحيا عن قومه فى عُشراوات له ، فأُخبر الأحوص بمكانه فاغترّهُ ، فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فداء أخيه ، فقال : لكم عندى مائتا بعير . فقالوا : إنَّك يا أبا نهشل سيدُ الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا نقبل فداءهُ منك إلا دية مالك . فأبى أن يزيدهم ، وقال : إن أبانا أوصانا(١) أن لانزيدَ بأسيرٍ منَّا على مائتى بعير فيحبَّ الناسُ أخْذنا . فقال معبد : والله لقد كنتَ أبغض أخوتى إلىّ وفادةً علىَّ ، لا تدعْنى ويلك يالقيط ، فوالله إنَّ عدَّة نَعَمِى لأَكثرُ من ألف بعير(٢) ، فأفدِنى بألف بعير من مالى ! فأبَى لقيط وقال : تصير سُنَّةً علينا . فقال معبد : ويلك يا لقيط ، لا تدَعْنى فلا ترانى بعد اليوم أبداً ! فأبى ومَنَّاه أن أن يغزوَهم ويستنقذه ، ورحل عن القوم ، فما سَقَوا معبداً الماء حتى هلك هُــــزْلا .

وقال أبو الوثيق : لمَّا أَبى لقيط أن يتفادَى معبداً بألفِ بعير ظنُّوا أنه سيغزوهم ، فقالوا : ضَعوا معبداً فى حصن هَوازن . فحملوه حتى وضعوه بالطائف فجعلوا إذا سقَوه قِراه لم يشربْ وضم بين فَقْميه وقال : لا أقبل قراكم وأنا فى القِدِّ أسيرُكم ! فلما رأَوْا ذلك عمدوا إلى عُودٍ فأولجوه فى فيه وفتحوا فاه ، ثم أَوجَروه اللبن رَغبةً فى فدائه ؛ وكراهيةَ أن يهلِك . فلم يزل كذلك حتى هلك فى القِدّ .

فلما هجا لقيطٌ عديًا وتيما قال عطيةُ بن عَوف التيمى يُعيِّره أسرَ بنى عامر معبداً وفِرارَه عنه :

---

(١) فى النقائض : « ان ابانا كان أوصانا » .

(٢) فى النقائض : « ان غيب نعمى من المنح والفقر لأكثر من ألف بعير » . الغيب : جمع غائب . والفقر : جمع فقري ، وهي الناقة أو البعير يعار ظهره للركوب .

هلاَّ كررت على ابن أمِّك معبد .... البيتين

فلما انقضَت وقعةُ يوم رَحرحان جمع لقيطُ بن زرارة لبنى عامر وألَّب عليهم ، وبين يوم رحرحان ويوم جَبَلَة سنة ، وكان يومُ جبلَة قبل الإسلام بخمس وأربعين سنة فى قول المكثِّر ، وذلك عامَ ولد النبى صلى الله عليه وسلم، وفى قول المقلِّل : أربعون سنة . انتهى باختصار

عوف بن الخرع

وعوف بن الخرع التيمى شاعر جاهلى ، وهو عَوف بن عطية بن الخرع ، واسم الخرع عمرو ، بن عيش بن وُرَيقة[1] بن عبد الله بن لؤىّ بن عمرو بن الحارث بن تيْم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . كذا فى جمهرة الأنساب .

٨٣

فالخرِع لقب جدِّه ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء ، بعدها عَين . وله ديوانٌ صغير ، وهو عندى .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الأربعمائة[2] :

(قد كنتُ أحْسَبُكم أسودَ خفيّـةٍ

فإذا لَصَافِ ، تَبيضُ فيه الحُمَّرُ)

على أنَّ فَعَالِ فى الأعلام الشخصية جميع ألفاظها مؤنَّثة . وأمّا لصافِ هنا فإنما ذكَّره بإرجاع الضمير عليه من فيه ، لتأويله بالموضع ، وهو منزلٌ من منازل بن تميم . وروى أيضا «فيها» بتأنيث الضمير ، فلا إشكال حينئذ .

(١) فى معجم المرزبانى ٢٧٦ : « عمرو بن عبس بن وديعة » .
(٢) اصلاح المنطق ١٧٨ وامالى القالى ٢ : ٢٣٦ والسمط ٨٥٩ وابن يعيش ٤ : ٦٣ .

أقول : الذى رواه : « فيه » بضمير المذكر هو صاحب الصحاح والعباب . والذى رواه : « فيها » بضمير المؤنث جماعة كثيرة ، منهم ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) والقالى (فى أماليه) ، وأبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) ، وأبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) ، وأبو عبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) .

قال ابن دريد (فى الجمهرة) بعد إنشاده البيت : يخرج لَصافُ مخرج المؤنّث فتقول : هذه لَصَافُ ، ورأيت لصافَ ، ومررت بلصافَ ، فهو لا ينصرف . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لصافِ ، مبنىٌّ على الكسر ، أخرجه مخرج حَذامِ وقطام . وإنْ رفعتَ فجيِّد ، وإن نصبت فجائز . انتهى .

قال الصاغانى (فى كتاب فَعَال[1]) : وبعضهم يُجريه مجرى ماينصرف . وقد صرفه الشاعر فى قوله :

* إنّ لَصافاً لا لصافِ فاصبرى[2] * .... البيت .

ولِصاف باللام والصاد المهملة : اسم ماءٍ فى موضعٍ بين مكة والبصرة لبنى يربوع ، من قبيلة تميم .

قال أبو عبيدٍ (فى المعجم) : قال الأثرم : لصاف ماء لبنى يربوع ؛ وكانت

---

(١) نشره وحققه عزة حسن بدمشق ١٣٨٣ باسم « ما بنته العرب على فعال » .

(٢) بعده كما فى كتاب فعال ومعجم البلدان :

* اذ حقق الركبان موت المنذر *

وسيأتى قريبا نسبته الى عبد ناجر ، أو باجر

لصاف هى وما يليها من المياه والمواضع أوّلاً لإياد ، وفيها يقول عبْد ناجز الإيادى [1] :

إنّ لَصافا لا لصاف فاصبرى
إذْ حقّق الركبانُ مَوْتَ المنذرِ

ثم نزلتْها بنو تميم فصارت لهم .

و (لصاف) موضع رفعٍ على الابتداء ، وجملة (تبيض) الخ خبره .
و (الحُمّر) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم المفتوحة : ضربٌ من الطير كالعصفور ، الواحدة حُمّرة ، وقد تخفف الميم فيقال حُمَر وحُمَرة. أنشد ابن السكيت لابن أحمر :

إن لا تَدارَكهمُ تصبحْ منازلهم
قفراً تبيض على أرجائها الحُمَرُ

كذا فى الصحاح ، وأنشد البيت :

وقال أبو حاتم (فى كتاب الطير) : الحُمّر بِعِظَم العصفور ، وتكون كدْراء ورقشاء . قال أبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) : يجوز

---

(١) فى معجم ما استعجم فى رسم (توضح) ١ : ٣٢٧ : « عبد باجر » . وهو الصواب ، ففى القاموس (بجر) : « وكهاجر : صنم عبدته الأزد » . وفى ذيل الأصنام لابن الكلبى ٦٣ « باجر ، قال ابن دريد : وهو صنم للأزد فى الجاهلية ومن جاورهم من طيىء وقضاعة، كانوا يعبدونه . بفتح الجيم ، وربما قالوا : باجر بالكسر » . وروى ابن الأثير فى النهاية أنه يسمى « باحر » بالحاء المهملة . وذكره فى مادة (بجر) بالجيم ، وقال انه كان فى الأزد .

أن يكون كلٌّ من المشدَّد والمخفف لغة ، ويجوز أن يكون المخفف ضرورة ، لأنَّ إحدى الميمين زائدة . وقد ذكر ابن السكيت المخفف فى باب فُعَلة ، فأوجب عليه ذلك أن يكون يَرى التخفيف أفصح . ومذهب سيبويه والخليل أن الميم الأولى هى الزائدة ، ومذهب غيرهما أنَّ الثانية هى المزيدة . وكلا القولين له مساغ .

ابن لسان الحمرة

قال صاحب العباب : وابن لسان الحُمَّرة كوفىٌّ نسابة ، واسمه عبدالله بن حُصين بن ربيعة بن صُمَير بن كلاب . وحُصين هو لسان الحُمَّرة . وقرأت فى كتاب الفهرست لمحمد بن إسحاق بن النديم بخطه : أنَّ اسم ابن لسان الحمرة وَرْقاء بن الأسعر . انتهى .

٨٤

وخَفِيّة بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء بعدها مثناة تحتية مشددة قال الخليل: هى اسم غَيضة ملتفَّة تتَّخذها الأسد عَرينا[1] . كذا فى المعجم لأبى عبيد. يقول : كنت أحسبكم شُجعاناً كأسود خَفِيّة ، فإذا أنتم جُبناء ضعفاء ، فكأنَّ أرضكم لصافٍ ، يتولَّد فيها هذا الطير لا الرجالُ .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل أبياتٍ لأبى المهوِّش الأسدى ، هجابها نهشَلَ بنَ حَرِّىّ ، أوردها أبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) ، وهى :

أبيات الشاهد

(قد كنتُ أحسبكُم أسودَ خَفِيّةٍ
فإذا لَصافِ تبيض فيها الحُمَّرُ

فترفَّعُوا هَدَجَ الرئالِ فإنّما
تَجنى الهُجيمُ عليكمُ والعَنبرُ

(١) فى معجم ما استعجم ١ : ٥٠٦ : « عريسة » .

عَضّت تَميمٌ جلدَ أيرِ أبيهِمُ
يومَ الوَقيطِ وعاوَنتْها حَضْجَرُ
وكفاهمُ من أمِّهم ذُو بَنّةٍ
عبلُ المشافر ذو قليل أسعرُ
ذهبت فَشيشَةُ بالأباعر حولنا
سَرَقًا ، فصبٌّ على فشيشة أبجرُ(١)
منعت حنيفةُ واللهازمُ منكمُ
قَشْرَ العراق وما يَلَذُّ الحنجرُ
وإذَا تسرُّك من تميمٍ خَلّةٌ
فلَما يسوءك من تميمٍ أكثر
يانهشلَ بن أبي ضميرٍ إنّما
مِنْ مِثل سَلح أبيكَ ما تستقطرُ
إذْ كان حَرِّيٌّ سَقيط وليدةٍ
بَظْراء يركُض كاذَتيها العُهّرُ)

قوله « فترقّموا هدجَ » إلخ استهزاء بهم . وهدجَ الرئال منصوب بنزع الخافض ، أى عن هدجه ، وهومصدرٌ وفعله من باب فرح ، يقال هدَج الظليم ، إذا مشَى في ارتعاش. والرِّئال : جمع رأل بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو فَرخ النعام . والهُجَيم بالتصغير والعنبر أخوانِ ، وهما ابنا عمرو بن تميم . وأراد أولادهما ، فإنّ كُلاًّ منهما أبو قبيلة .

(١) فى أمالى القالى ٢ : ٢٣٦ : «ويروى هربا» أى بدل «سرقا» .

وقوله « عَضّت تميم » إلخ روى بدل تميم « أُسَيِّد » مصغر أسود لا ينصرف ، وهو أخو الهجيم والعنبر . وروى أيضاً بدل جلد« جذل » بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو أصل الحطب العظيم . شبّه أير أبيهم به . وهذا الكلام سبٌّ وتذليل عند العرب . وأراد بتميم ما تفرّع منه من القبائل والبطون .

ويوم الوقيط كان فى فتنة عثمان بن عفّان ، وهو لِلّهازم ، رئيسهُم أبجر بن بُجير، على بنى مالك بن حنظلة . فأمّا بنو عمرو بن تميم فأنذرهم ناشب بن بَشامة العنبرى فدخلوا الدَّهناء فنَجَوْا . وفى هذا اليوم أُسر ضِرارُ بن معبد بن زرارة.

وحَضْجَر بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها جيم ، وهو لقب العنبر . قاله أبو محمد الأعرابى .

والمعاونة كانت بالإنذار كما ذكرنا .

وقوله « وكفاهمُ من أمِّهم » ضمير « هم » راجعٌ لأسيِّد والهُجيم والعنبر ، وأمُّهم هى أمُّ خارجة المشهورةُ بالنكاح ؛ يقال فيها : « أسرَعُ من نِكاح أُمِّ خارجة» . كانت ذوّاقة ، إذا ذاقت الرجلَ طلّقته وتزوّجت غيره ، فتزوّجت نَيِّفًا وأربعين زوجًا ، ولدت فى عامة قبائل العرب . وكان الخاطب يأتيها فيقول: خِطب ! فتقول : نِكح ! وكان أمرها إليها إذا تزوّجت ؛ إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت ، فيكون علامةُ ارتضائها للزوج أن تصنع له طعاما كلّما تصبح . وكان آخر أزواجها عمرو بن تميم ، وهو المراد بقوله «ذو بَنّة » بفتح الموحدة وتشديد النون ، وهى رائحة بَعَر الظباء ، والرّائحةُ أيضا . والعَبْل : الضخم . والمِشفر بالكسر، فى الأصل : شفة البعير . والقَليل بالقاف: دقّة الجثة. والأسعر، بالسين والعين المهملتين : القليل اللحم الظاهر العصب . وصَفَه بحقارة الجُثّة .

٨٥

وقوله: « ذهبت فشيشة » بالفاء والشين المعجمة: لقبٌ لبعض بنى تميم[١]. وأبجر: رئيس اللهازم[٢].

وقوله: « منعت حنيفة واللهازم[٣] » حنيفة: أبو قبيلة، وهو حنيفة بن لُجيم بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل. واللهازم هم تَيم الله بن ثعلبة بن عُكابة ابن صعب بن علىّ المذكور. واللهازم حلفاء بنى عجل، وعجل أخو حنيفة المذكور. والقَشِر بفتح القاف وكسر الشين، هو التمر الكثير القشور. والحَنْجَر: الحلقوم.

وقوله: « وإذا تسرُّكَ » إلخ الخَلّة بفتح الخاء المعجمة هى الخَصْلة.

وقوله: « يا نهشل » إلخ هو نهشل بن حَرِّىّ بن ضَمرة، وهو شِقَّة، بن ضَمرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وضُمَير هو مصغر ضَمرة. والسَّلح: التغوُّط، وهو مصدر سلحَ. والسُّلاح بالضم: اسم النجْو والعذِرة. وتَستقطر: تتبخّر بالقُسطر بالضم، وهو العود الذى يتبخّر به.

وقوله: « إذْ كان حَرِّىّ » بفتح المهملة وتشديد الراء والياء، هو أبو نهشل المهجوّ. وسَقِيط بمعنى السَّقَط. والوليدة: الخادمة. والبظراء: التى لم تختتن. ويركض: يحرِّك. والكاذتان: ما نتأ من اللحم فى أعالى الفخذ. والعُهّر: جمع عاهر، وهو الزانى. رمىَ أمَّه بالفجور.

---

(١) فى اللسان أنه لقب لبنى تميم. وفى السمط ٨٦١: « نبز لبنى تميم، مأخوذ من خروج الريح، يقال فش الوطب، اذا أخرج منه الريح ».

(٢) هو أبجر بن جابر العجلى، كما قال فى السمط ٦٨١. ثم قال: « وقيل أن أبجر اسم من أسماء الدواهى ».

(٣) كلمة « منعت » ساقطة من ش.

ذكر المدائنى وغيره قال : مرَّ الفرزدق بمضرِّس بن ربعىّ الأسدى ، وهو يُنشد بالمِرْبد وقد اجتمع الناس حوله ، فقال : يا أخا بنى فقعس ؛ كيف تركت القَنان ؟ قال : تبيض فيه الحُمَّر . قال : أراد الفرزدق قول نَهشل بن حرّىّ :

ضمِن القَنَانُ لفقعس سَوْءاتِها

إنَّ القنان بفقعسٍ لمعمَّرُ[1]

وأراد مضرِّس قول أبى المهوِّش الأسدى :

وإذَا تسرُّك من تميم خَصلةٌ

فلَمَا يسوءك من تميم أكثرُ

قد كنتُ أحْسَبكم أسودَ خفيَّـةٍ

فإذا لَصَافِ تبيض فيها الحُمَّرُ

عَضَّت أُسيِّدُ جِذْلَ أيرِ أبيهمُ

يومَ النِّسار ، وخُصْيَتيهِ العَنبرُ

نسبهَم إلى الجبن بقوله « فإذا لصاف تبيض » إلخ ، ثم أعضَّهم أيرَ أبيهم لفرارهم يوم النِّسار .

وقال القالى (فى أماليه) : حدّثنا أبو بكر قال : حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : قيل للفرزدق : إنّ ههنا أعرابيًّا قريبًا

(١) فى ش : « ضمن القنان بفقعس لمعمر » فقط • وفيه سقط •

منك يُنشد شعراً رقيقاً . فقال : إنّ هذا لَقائف أو لحائن[1] ! فأتاه فقال : ممّن الرجل ؟ قال : من بنى فقعس . قال : كيف تركت القنان ؟ قال : تركتُهُ يُسايِر لصافِ . فقلت : ما أرادا ؟ قال : أراد الفرزدق قولَ الشاعر :

ضمِن القَنانُ لفقعسٍ سَوءاتِها . . البيت

وأراد الفقعسىُّ قولَ الآخر :

وإذا تسرُّك من تميم خصلة . . . البيت

قد كنت أحسبهم أسودَ خفية . . . البيت

أكلت أسيِّد والهُجَيم ودارم

أيـر الحمـار ، وخصيتيـــه العنبرُ

انتهى .

قال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : البيت الأخير محوَّل عن وجهه ، والمحفوظ فيه : ٨٦

عضّت أسيِّـد جِـذْل أيْر أبيهمُ

يومَ النِّسار وخُصيتيـه العنبرُ .

انتهى .

وبنو تميم لا تعيَّر بأكل أير الحمار ، وإنّما تعيَّر به بنو فزارة . وقولهُ يساير لصاف ، من المحال الذى لا يجوز إلاَّ إذا سيِّرت الجبالُ فكانت

(١) قائف ، من القيافة ، وهى تتبع الأثر . وفى الأصل : « لفائق » وفى السمط ٨٥٨ : « لقائف أو حائن » . وفى الأمالى ٢ : ٢٣٦ : «لقائف أو لحائن » .

سَرَابا . والتعريض الحسن هو ما نقلنا . انتهى .

قلت: وقد روى البيت المذكور أبو محمد الأعرابى كما رواه القالى ، وهو خطأ كما بيّنّا . وقنان بفتح القاف ونونين : جَبَل فى ديار بنى فقعس .

أبو مهوش الأسدى

وأبو مهوش الأسدى قال ابن الكلبى (فى جمهرة الأنساب) : هو ربيعة بن رِئاب[1] بن الأشتر بن حَجْوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين[2] ابن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مُدركة بن اليـاس بن مضر .

ومهوِّش ، بكسر الواو المشددة بعدها شين معجمة . وحَوْط بواو ساكنة بين مهملتين . ورِئاب براء مهملة مكسورة بعدها همزة ممدودة . وحَجْوان بفتح المهملة وسكون الجيم . وقُعَين بضم القاف وفتح العين . ودُودان بضم الدال المهملة الاولى .

وقال أبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) : اسمه حَوْط بن رئاب . وبه ترجمه ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركو النبى صلى الله عليه وسلم ولم يرَوْه . قال : حوط بن رئاب الأسدى الشاعر ، ذكر أبو عبيد البكرى (فى شرح الأمالى) أنّه مخضرم . وهو القـائل :

---

(١) ط : « وثاب » صوابه فى ش ، وهو ما يقتضيه الضبط بعده .

(٢) فى النسختين : « عمرو قعين » وحاول الشنقيطى اصلاحها فتعذر عليه . وهو عمرو بن قعين ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٩٥ — ١٩٦ .

دَنوت للمجد ، والسّاعون قد بلَغوا

جَهْدَ النّفوس وألقَوْا دُونَه الأُزرا

فظهر من هذا أنّه اسلامى .

ولم أر له فى كتب تراجم الشعراء ذكراً . والله أعلم .

الأصوات

أنشد فيه :

(باسمِ الماء)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(لا ينعَشُ الطَرفَ إلاَّ ما تَخَوَّنهُ

داعٍ يناديه باسمِ الماء مبغومُ)

* * *

وتقدَّم شرحُه مفصّلا في الشاهد السابع بعد الثلثمائة[1] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الأربعمائة[2] :

٤٧٣ (كما رُعْتَ بالجَوْتِ)

وهو قطعةٌ من بيت :

(دعاهُنَّ رِدْفِى فارعَوَيْنَ لصوتِهِ

كما رُعْتَ بالجَوْتِ الظِّمَاء الصَّوادِيا)

على أنَّ بعض الأصوات قد يَدخُله أداة التعريف .

(١) الخزانة ٤ : ٣٤٤ .

(٢) ابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٨٢ والعينى ٤ : ٣٠٩ .

قال الزمخشرى (فى المفصل) بعد ما أنشده : هو بالفتح محكيًّا مع الألف واللام .

وقال ثعلب (فى أماليه) : يقال للبعير جَوت جَوت ، إذا دعوته إلى الماء وإذا أدخلوا الألف واللام تركوها على حالها. وكان أبو عمرو يَكسر التاء ويقول: إذا أدخلت عليه الألفَ واللام ذهبت منه الحكاية .

وجوّز ابن الناظم (فى شرح الألفية) الوجهين: الجرّ على الإعراب ، والفتح على الحكاية .

قال الصَّغانى (فى العباب) : يقال للإبل : جَوْت بفتح الجيم والتاء المثناة ، إذا دُعِيَتْ إلى الماء . وحكى الفراء : جَوت جَوت بفتح الأول وكسر الآخِر وضمه أيضا . فالجيم مفتوحة لا غير . والتاء ورد فيها الحركات الثلاث .

٨٧

قال صاحب القاموس : جوت جوت ،مثلثة الآخر مبنية : دعاء للإبل إلى الماء . وقد جأوتها وجأيتها . أو زجرٌ لها . والاسم الجُوَات .

وأمّا حَوْب بفتح الحاء المهملة وآخره باء موحدة، فهو زجرٌ للإبل وليس بمرادٍ هنا ، وباؤه مثلثة الحركات ، وقد أُخِذ منه فِعلٌ فقيل : حَوَّبَ فلان بالإبل ، إذا قال فى زجرها : حَوب .

صاحب الشاهد

والبيت وقعَ فى شعرَىْ شاعرين : أحدهما : فى شعر عُويف القوافى ، وهو المشهور . واختلف فى معناه ، فقيل أراد بالرِّدف تابعَه من الجن ، فإن القوافىَ إذا تزاحمت فى خاطره ووَسْوَسَتْه يقولون : إن له شيطانا يوسوسه ، فضمير دعاهنّ للقوافى ، أى دعا شيطانى القوافىَ فأجبنَه وانثلن عليه . يعنى أن الشعر

أطاعَه . والردف بالكسر في الأصل : المرتدِف ، وهو الذى يركب خلف الراكب .

والارعواء : النزوع عن الجَهل وحُسن الرجوع عنه . وَرُعْتَ بالخطاب، هو من قولهم: هذه شربةٌ راع بها فؤادى، أى برد بها غُلَّةُ رُوعِى بالضم ، وهو القلب أو موضع الفزع منه ، أو سواده . وقيل هو من راعَه بمعنى أعجبه .

والظِماء : جمع ظمآنٍ وظمآنةٍ ، من ظمِىء كفرح ، أى عطش أو اشتدَّ عطشه . والصَّوادى : جمع صادية ، من الصَّدَى وهو العطش ، وفعله من باب رضى . وقيل معناه ، وهذا هو المشهور ، أنَّ رديفهُ لما دعا النساء اجتمعن ورَجعن عمّا كنّ عليه من الشُّغل ، كما لو دعوت إلى الشرب الإبل فالتففْنَ وتضامَمْن للشرب . فضمير دعاهنّ راجع للنساء .

ولم أقف على ما قبل البيت حتى أتحقَّقه .

والثانى : وقع فى شعر سُحيم عبدِ بنى الحسحاس هكذا :

وَأَوْدَهَ رِدْفى فارعوَينَ لصَوته[1] ... إلخ

وَأَوْدَهَ فعل ماض ، قال صاحب القاموس : أَوْدَهَ بالإبل ، أى صاح بها . ويوجَد فى بعض نسخ مجمع الأمثال للميدانى[2] عند قوله « إلاّدهِ فلادَهٍ » قال أبو السَّمْح : أظنُّه من الإيداء ، وهو الإهابة بالإبل . وأَنشدَ هذا البيت .

وقد وقع المصراع الأوّل صدرَ بيت من قصيدة لمضرِّس بن ربعى ، وهى قصيدة مختلفة المعانى ، وصفَ فيها الابل ثم قال :

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوان سحيم .
(٢) النص التالى لم يرد فى مطبوعة مجمع الأمثال عند هـــذا المثل .

دعاهُنَّ رِدْفِي فارعوَيْنَ لصوته
وقلنَ لحاديهنَّ هـل أنتَ ناظرُه

قال الأصمعي : دعاؤه : أنْ يغنِّيَ ليعرِفْنَ صوتَه وإنشاده ، فيُحبَسْنَ عليه .

ومثـله :

نادُوا الذين تحمَّلوا كى يَرْبَعُوا كيما يودِّع عاشقٌ ويودِّعوا

وأضيف عوفٌ إلى القوافى لقوله :

سأكذِب مَنْ قد كان يزعُم أنَّنى
إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيا(١)

ويشبه أن يكون هذا البيت من قصيدة البيت الشاهد .

عويف القوافي

وعويف هو عويف بن معاوية بنُ عقبة بن ثعلبة بن حصن — وقيل ابن عقبة بن عيينة بن حصن — بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيَّه بن لَوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بنْ مضر بن نزار .

وعويف القـوافى شاعر مقلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، منْ ساكنى الـكوفة ، وبيته أحدُ البيوتات المتقدِّمة الفاخرة فى العرب . قال أبو عبيدة : ٨٨ حدثنى أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعدُّ البيوتاتِ المشهورة بالـكِبَر والشرَف من القبائل، بعد بيت هاشم بن عبد مناف فى قريش، ثلاثة بيوتات . ومنهم من يقول أربعة . أولها بيت آل حُذيفة بن بدر الفَزارى ، بيت قيس . وبيت آل زُرارة بن عُدُس الدَّارميِّين ، بيت تميم . وبيت آل ذى الجدَّين ابن عبد الله بن همَّام ، بيت شيبان . وبيت بنى الديَّان من بنى الحارث بن كعب ، بيت اليمن .

---

(١) البيان ١ : ٣٧٤ ونوادر المخطـوطات ٢ : ٣٠٩ والأغانى ١٧ : ١٠٧ .

وأما كندة فلا يُعدُّون من أهل البيوتات ، إنما كانوا ملوكا .

وروى صاحب الأغانى بسنده(١) أن عويف القوافى وقف على جرير بن عبد الله البَجَلى وهو فى مسجده فقال :

أَصُبُّ على بَجِيلة مِنْ شَقَاها
هجائى حين أدركَنى المشيبُ

فقال له جرير : ألا أشترى منك أعراض بجيلة ؟ قال : بلى . قال : قل . قال : بألف درهم وبِرذون . فأمر له بما طلب فقال :

لولا جَرِيرٌ هلكت بَجِيله
نعمَ الفتى وبئست القبيله

فقال جرير : ما أُراهم نَجَوا منكَ بعد !

وروى بسنده أيضاً إلى أبى بردة الأشعرى قال : حضرت مع عُمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفتُ معه وعليه عمامةٌ قد سَدَلَها من خلفه فما علمت به حتى اعترضَه رجل على بعير فصاح به :

أَجبنى أبا حفص لقيت محمـدا
على حوضه مستبشراً ورآكا(٢)

فقال عمر بن عبد العزيز : لبيك ! ووقف ووقفَ الناس معه ، ثم قال : فمه ؟ فقال :

---

(١) الأغانى ١٧ : ١٠٧ .
(٢) ط : « وأراكا » ، صوابه من ش والأغانى .

فأنتَ امرؤٌ كلتا يديكَ مُفيدةٌ
شِمالُكَ خيرٌ من يمينِ سِواكا

[قال : ثُمَّ مَه ؟ فقال(١)] :

بَلغتَ مَدَى المُجْرِينَ قبلكَ إذْ جَروْا
ولم يَبلغِ المُجْرون بعدُ مَداكا

فجَدّاكَ لا جَدَّينِ أكرمُ منهما
هناكَ تناهَى الجَدُّ ثَمَّ هُناكا

فقال له عمر : أراكَ شاعراً ، مالكَ عندي من حق . قال: ولكني سائلٌ وابن سبيل . فالتفت عمر إلى قَهرمانه فقال : أعطِه فضلَ نفقتي . فقال : وإذا هو عويف القوافي الفزارى . وكانت أخت عُويف القوافي تحت عُيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى ، فطلّقها عيينة فكان عويف مراغماً لعيينة ، وقال : الحُرَّة لا تطلَّق لغير ما بأس . فلما حبس الحجاج عُيينة وقيَّده قال عويف :

مَنعَ الرُّقادَ فما يُحسُّ رقادُ
خبَرٌ أتاكَ ونامتِ العُوّادُ

خبرٌ أتاني مِن عيينةَ موجِعٌ
ولِمثلِه تتصدَّعُ الأكبادُ

بَلغَ النفوسَ بلاؤُها فكأننا
مَوْتى وفينا الروحُ والأجسادُ

ساءَ الأقاربَ يومَ ذاكَ ، وأصبحوا
بَهِجِينَ قد سُرَّتْ بِهِ الحُسّادُ(٢)

(١) التكملة من الأغاني ١٧ : ١١٠ .
(٢) أى أصبح الحساد بهجين مسرورين . وفى الأغانى : « قد سروا » . وقد أضمر في « أصبحوا » قبل ذكر الحساد .

يرجُون عثرةَ جدِّنا ولو أنهم

لا يدفعون بنا المكاره بادوا

لمّا أتانى عن عيينة أنه

عانٍ تظَاهرُ فوقَه الأقيادُ

نَحَلتْ له نفسى النصيحةَ إنه

عند الحفائظِ تذهب الأحقاد

وذكرتُ أىُّ فتى يسدُّ مكانَه

بالرِّفدِ حين تقاصَرُ الأرفادُ

أو من يُهِين لنا كرائمَ ماله ٨٩

ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الأربعمائة :

٤٧٤ (تُرِدُّ بحَيَّهْلٍ وعاجٍ وإنما

منَ العاج والحَيَّهْلِ جُنّ جنونُها)

على أنّ اسم الصوت إذا قصد به لفظه أعرب كما فى البيت ، فإنّ عاج ، وهو زجرٌ للإبل لتسرع ، لمّا قُصِد لفظه أعرب بالجر والتنوين أوّلا ، وبالجرّ والتعريف ثانياً . أى إنها تُرِدُّ بمجرد ذكر هذه الكلمة ، وهى اسم فعل كما تقدّم .

وأنشد ثعلب (فى أماليه) بيتاً فيه حَيَّهَلْ معرفا باللام ، ونقله ابن برى (فى حاشية الصحاح) قال : قد عرفت العرب حيّهل كقوله :

وقد غدوت قبل رفع الحيْهَلْ   أسوق نابين ونابًا م الإبل[١]

صاحب الشاهد قال:والنابان: العجوزان . وم الإبل، أصله: من الإبل،فحذفت منه النون .

والبيت الشاهد نسبه الشارح المحقق لجهم بن العباس ، ولم أره إلا فى شرحه ، ولا أعرف جهما من هو . والله أعلم .

***

وأنشد بعده :

(تداعين باسم الشِّيب فى مُتثَلَّمِ)

تقدم شرحه مستوفىً فى الشاهد الثامن من أول الكتاب .

***

وأنشد بعده :

(كما رُعْتَ بالجوتِ الظماء الصواديا)

تقدم شرحه قريباً قبل هذا بشاهد واحد .

***

وأنشد بعده :

(إنّ لوًّا وإنّ ليتًا عناءُ)

على أنّ الكلمة المبنية إذا قصد لفظها أعربت كما أعربت لو وليت . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب العلم[٢] .

***

وأنشد بعده :

(عَدَسْ مالعبّادٍ عليك أمارةٌ

نجوتِ وهذا تحملين طليقُ)

---

(١) لم يرد فى أمالى ثعلب المنشورة .

(٢) هو الشاهد ٥٣٧ فى الجزء السابع .

على أن عدس فيه زجرٌ للبغل .

وتقدّم شرحهُ مفصلا فى الشاهد الثامن والعشرين بعد الأربعمائة(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الأربعمائة :

٤٧٥ (حتى استقامتْ له الآفاقُ طائعةً

فما يقال له هَيدٌ ولا هادُ)

على أن الشاعر لمَّا قصد لفظ هيد وهاد أعربهما بالرفع على جعل الأول نائب فاعل يقال ، والثانى معطوفاً عليه .

وهذا مأخوذ من صحاح الجوهرى ، قال فيه : وهَيد بفتح الهاء وكسرها وهاد : زجر للإبل . وأنشد أبو عمرو :

وقد حَدوناهَا بهيدٍ وهَلاَ

حتَّى يُرَى أسفلُها صارَ علاَ

وقولهم : ماله هيد ولاهاد ، أى مايقال له هيدولاهاد . وأنشد الأحمر : ٩٠

* حتى استقامت له الآفاق طائعة * . . . البيت

أى لايحرّك ولايمنع من شىء ولا يزجر عنه اه .

وخطّأه ابن برّىّ فى رواية الرفع ، قال (فى أماليه على الصحاح) : البيت لابن هَرمة ، وصواب إنشاده بالكسر فى هيدِوهادِ لأنهما مبنيان .

وأوّل القصيدة :

(١) انظر هذا الجزء السادس ص ٤١ ــ ٥٦ ، وقد سقط هذا الشاهد من نسخة ش .

(٢) ابن يعيش ٤ : ٨٠ وديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(اربَعْ علينا قليلاً أيُّها الحادى
قَلَّ الثواءُ إذا نزَّعتُ أوتادى)

والبيت فى شعره بخلاف ما أنشده الجوهرى وهو :

(إنى إذا الجار لم تُحفَظ محارمُه
ولم يُقَلْ دونه هيدِ ولاهادِ[1]
لا أخذلُ الجار بل أحمى مَباءتَه
وليس جارى كعُشٍّ بين أعوادِ[2]

انتهى .

وتبعه الصلاح الصفَدى (فى كتابه نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم) ، ونقل كلامَه برمَّته وقال : فالبيت الذى أورده الجوهرى تغيَّرَ أكثرُ ألفاظه مع تغيير القافية ؛ لأن هيدِ وهادِ مبنيانِ على الكسر ، وهما بمعنى الزجر عن الشىء وفعله . اهـ .

وأنا استبعد أن يكون بيت الجوهرى من قصيدة ابن هرمة ؛ لاحتمال أن يكون من شعر آخر . والله أعلم .

وقوله « اربع » بكسر الهمزة وفتح الموحدة ، أى قفْ وتحبَّس . والثَّواء : الإقامة .

وقوله « إنى إذا الجار » خبر إنِّى أول البيت الثانى ، وهو لا أخذل . والمباءة بالفتح والمد : منزل القوم فى كلِّ موضع .

---

(١) ديوان ابن هرمة ١٠٥ .
(٢) فى اللسان (هيد) : « كعس » .

وأما البيت الأول وهو :

* وقد حدوناها بهيد وهلا *

فلم يكتب ابن برى عليه شيئًا[١] ، وقد نسب إلى القتال الكلابى ، ولم يوجد فى ديوانه . ونسبهُ أبو محمد الأعرابى لغيلان بن حريث الرَّبَعىِّ كذا :

* ليس بثانيها بهيد أوحلا[٢] *

وقال الصَّفدى : هلا فى هذا الرجز غلط ، لأن هيد : زجر للإبل ، وهلا : زجرٌ للخيل ، والذى يقرن به هيد إنما هو حلا ، وكذا هو فى الرجز . وهو لغيلان . على أنَّ البيت مغيَّر ، والصواب :

* ليس بثانيها بهيد وحلا *

وترجمة ابن هرمة تقدمت فى الشاهد الثامن والستين [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الأربعمائة[٤] :

٤٧٦ (إلا دهٍ فلا دهٍ)

---

(١) فى ملحقات ديوان القتال ١٠٠ : « وأنشد أبو عمرو للقتال الكلابى ، وقال ابن برى : الراجز هو غيلان بن حريث الربعى » ثم ساق أربعة أشطار من الأرجوزة . وقد نقل ابن منظور هذه النسبة من ابن برى فى اللسان (عطل) .

(٢) ش : « بهيد وحلا » وأثبت ما فى ط . وانظر التعليق التالى :

(٣) الخزانة ١ : ٤٢٤ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٨١ ومجمع الأمثال ٤٠ فى باب الهمزة ، واللسان (دهده ٣٨٣) .

هو مَثَلٌ ، وقَع فى قطعة من رجز لرؤبة بن العجاج ، يورد النحويون منه أربعة أبيات ، وهى :

(فاليومَ قد نهنهنى تنهنهى
وأوّلُ حِلم ليس بالمسفَّهِ
وقُوّلٌ إلا دهٍ فلا دهِ
وحَقّةٌ ليست بقَول التُّرَّهِ) »

وصف قبل هذه الأبيات شبابه وما كان فيه من مغازلة الغوانى ومواصلة الأمانى ، إلى أن قال : فاليوم قد زجرنى عما كنت فيه أربعة أشياء :

الأول التنهنه ، وهو مطاوع نهنهته عن كذا فتنهنَهَ ، أى كففته وزجرته عنه فكفَّ ، أى زجرنى زواجر العقل .

الثانى : أوّلُ حلم ، أى رُجوع عقل لا يُنسَب إلى السفَه .

الثالث : عذل القائلين إن لم تتب الآنَ مع هذه الدواعى إلى التوبة فلا تتوب أبداً ، فقوله : « وقُوّلٌ » هو على حذف مضاف .

والرابع : حَقّةٌ أى خُطة حَقّة . فالموصوف محذوف ، وأراد بها الموت وقُربَه . يقال حَقٌّ وحقّة ، كما يقال أهل وأهلة . ٩١

والتُّرَّهُ : اسم مفرد بمعنى الباطل ، يقال تُرَّهٌ وتُرَّهة ، وجمع الأول ترَاريهُ ، وجمع الثانى ترَّهات .

وقول الشارح المحقق ده بفتح الدال وسكون الهاء إلى آخر ما ذكره ، هذا

كلام شارح اللباب إسماعيل الفالى من غير زيادة ولا نقص . ولا يخفى أنه إذا كان ده بمعنى اضربْ فهو اسم فعل لا صوت ، والحق أنها فى لغة الفُرس زجرٌ لذى الحافر ليسرع أو ليذهب ، وليست بمعنى اضرب . وهذا أمر ظاهر من استعمالهم إلى الآن ، ولكنهم أجمعوا على أنَّها بمعنى الضرب . وحينئذ فيرد عليهم أنها تكون اسمَ فعل لا صوتا .

قال صاحب اللباب فيما علَّقه على مَتْنه : ذكَر جارُ الله أن ده زجر للإبل ، مثل هيد وهاد . وذكر فى أمثاله أن ده بفتح الدال وكسرها فارسية معناها الضرب ، قد استعملها العرب فى كلامهم ، وأصله أن الموتور يلقى واتره فلا يتعرّض له،فيقال له «إلاّ ده فلا ده»، أى إنك إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه أبداً . وتقديره : إن لم يكن ده فلا يكون ده ، أى إن لم يوجد ضربٌ الساعةَ فلا يُوجد ضرب أبدا . ثم اتسعوا فيه فضربوه مثلاً فى كل شيء لا يُقْدِم عليه الرجل وقد حان حِينُهُ ،من قضاء دين قد حلَّ ، أو حاجة طُلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأحوال التى لا يسوغ تأخيرها . وأنشد أبو عبيدة لرؤبة :

* وقُوّلٌ إلاّ دهِ فلا دهِ *

وذكر هشام بن محمد الكلبى فى حكاية طويلة أن هذا من قول الكاهن الذى سافر إليه عبد المطلب وحربُ بن أمية وقد خبئوا له رأسَ جرادة فى خَرْزِ مزادة ، وجعلوه فى قلادة كلبٍ يقال له سَوّار ، فقال : « خبأتم لى شيئاً طار فسطع ، فتصوَّبَ فوقع ، فى الأرض منه بُقَع »: جمع باقعة[1] وهى الداهية . فقالوا : لأدَهِ[2] ، أى بيِّنه . قال : هو شيء طار فاستطار — أى تفرّق

(١) كذا فى النسختين ، والباقعة لا تجمع على بقع ، وانما مفرد البقع بقعة .

(٢) ما بعده الى « ده » التالية فى ص ٣٩٤ ساقطة من ش .

وفيها — ذو ذنب جَرّار[١]، وساق كالمنشار، ورأس كالمسمار »، فقالوا : لا ، دَهٍ . فقال : « إلا دهٍ فلا دَهٍ[٢] . هو[٣] رأس جرادة ، فى خَرْز مزادة ، فى عنق سوّارٍ ذى القلادة » . قالوا : صدقت .

وفى أمثال الميدانى : إلاده فلاده ، رواه ابن الأعرابى ساكنَ الهاء . قال أبو عبيد : يضربه الرجل يقول : أريد كذا وكذا . فإنْ قيل له : ليس يمكن ذا . قال: فكذا وكذا . وقال الأصمعى : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن . وقال : لا أدرى ما أصلهُ . ويروى أيضا : « إلا دُو فلا دَه » ، أى إن لم تعط الاثنين فلا تعط العشرة . انتهى .

وهذه رواية غريبة شاذة ، وبها يخرج ده مما نحن فيه ، فإن لفظ دو بالفارسية الاثنان من العدد بدال مضمومة بعدها واو ساكنة ، ولفظ دَه بمعنى العشرة فى لغتهم بدال مفتوحة وهاء ساكنة .

ثم قال الميدانى: وقال المنذرى : قالوا معناه : إلا هَذه فلا هذه ، يعنى أن الأصل إلا ذِهِ فلا ذه ، بالذال المعجمة ، فعربت بالدال غير المعجمة ، كما فى يهودا مبدلة من يهوذا . انتهى .

أقول : هذا يقتضى أن تكون الكلمة عربية أبدلت ذالها المعجمة دالا مهملة ، لا أنها كانت أعجمية فعرِّبت بما ذكر[٤] فتأمّل .

والحاصل أن قولهم إلا ده فلا ده قد اختلف فى ضبط لفظه وشرح معناه ، وجميع الأقوال على أنها كلمة فارسية معربة . وقد أبى أبو محمد عبدالله الشهير

(١) فى الأصل وهو هنا ط فقط : « وذنب جرار » ، صوابه فى مجمع الأمثال .
(٢) فلا ده ساقط من ش .
(٢) فى النسختين : « وهو » . وأثبت ما فى الأمثال .
(٤) يشير الى ما ورد فى كلام شارح اللباب المتقدم .

بابن برى المقدسى أن تكون هذه الكلمة فى هذا المثل غير عربيّة ، وذهب إلى أنها صفة مشبّهة ، من الدهاء ، وهو الفطنة ، وردّ على ملك النحاة[1] فى زعمه أنها أعجمية فى الأصل بمعنى اسم الفعل . ولقد أجاد فيما أفاد ، وحقّق مُدّعاه ٩٢ فوق المراد ، فلا بأس بنقل كلاميهما .

قال أبو نزار الملقّب بملك النحاة[2] فى مسائله التى سماها (المسائل العشر، المنبوزة بإتعاب الفكر إلى الحشر) وتحدّى بها فى قصّة يطول ذكرها :

المسألة السابعة ، وهى مسألة سُئلت عنها بغَزْنَة[3] لما دخلتها ، فبيّنْتُ مشكلها للجماعة وأوضحتها . وذلك أنّى سئلت عن قول الراجز :

* وقوّلٌ إلاَّ دهٍ فلا دَهٍ *

فذكرت أن هذه من باب كلماتٍ نابت عن الفعل فعملت عمله . وده فى كلام العرب بمعنى صحّ أو يصحّ . ألا ترى أن قوما جاءوا إلى سطيح الكاهن وخبئوا له خبيئة وسألوه فلم يصرّح فقالوا : لاده . أى لا يصح ماقلتَ . فقال لهم : « إلا ده فلا ده ، حبة بُرّ ، فى إحليلِ مُهر » فأصاب . فكأنه قال : إلا يصحّ فلا يصحّ أبداً ، لكنى أقول فى المستقبل ماتشهد له الصحة . فكان كما قال . إلا أن التنوين فى هذه الكلمة ليس كتنوين رجل وفرس ، ولكنه تنوين تنكير .

---

(١) ش : « بمالك النحاة » تحريف . وملك النحاة هو الحسن بن صافى بن عبد الله . ولد سنة ٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . قال السيوطى : « وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة » . وكان يقول : « هل سيبويه الا من رعيتى وحاشيتى ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه الا حمل غاشيتى » .

(٢) ش : « بمالك النحاة » ، وانظر الحاشية السابقة .

(٣) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان ، ش : «بعرفة» تحريف ، وفى البغية : «ثم سار الى خراسان وكرمان وغزنة» .

هذا كلامُه ، وحذفت منه مالا حاجه لنا إليه .

وأجاب ابن برى : إن قولك ده اسمٌ من أسماء الفعل ليس بصحيح على مذهب الجماعة ، ومن له حذق فى هذه الصناعة . والصحيح أنها اسم الفاعل من دَهِيَ فهو داه وده ، والمصدر منه الدهْى والدهاء . فيكون المراد بدهٍ فَطِن ، لأن الدهاء الفطنة وجودةُ الذهن ، فكأنه قال : إلا أكن دَهِيًا أى فطنا فلا أدهى أبداً ، أى فلا أفطن . فهذا أصله ، ثم أُجريَت هذه اللفظة مثلا إلى أن صارت يعبَّر بها عن كل فعل تُغْتَنم الفرصة فى فعله. مَثَلُ ذلك أنْ يقولَ الإنسانُ لصاحبه وقد أمكنتْه الفرصةُ[1] فى طلب ثأر : إلا ده فلا ده ، أى إلا تطلب الآن ثأراً فلا تطلبه أبداً .

صاحب الشاهد — وهذا الرجز لرؤبة . وقبله :

(فاليوم قد نَهْنَهَنى تنهنُهى وأوْلُ حلم ليس بالمُسَفَّهِ
وقولٌ : إلا ده فلا ده)

ومعناه إنْ لاتفلح اليومَ فلا تفلحْ أبداً ، أى إن لاتنته اليوم فلا تنته أبداً . فهذا معنى ده فى هذا المثل . وأما إعرابه فإنه فى موضع نصب على خبر كان المحذوفة ، تقديره إلا أكن دَهِيًا فلا أدهى . وإنما أسكن الياء وكان حقها أن تكون منصوبة ، مِن قِبَل أن الأمثال تنزّل منزلة المنظوم . وهذه الياء قد حَسُن إسكانها فى الشعر ، وهو عندهم من الضرورات المستحسنة ، كقول الشاعر :

---

(١) ط : « وقد أمكنه الفرصة » ، وأثبت ما فى ش .

* يا دار هند عفت إلا أثافيها[1] *

وكقول الآخر :

* كفى بالنَّأي من أسماء كافِى[2] *

فقد ثبت بهذا أن ده اسم فاعل لا اسمٌ للفعل . وهى معربة لامبنية ، وتنوينها تنوين الصرف لاتنوين التنكير . ويدلُّ على أنها ليست من أسماء الأفعال أنها لاتقع بعد حرف الشرط . ألا ترى أنه لايحسن: إلاَّ صه فلا صه ، ولا : إلا مه فلا مه ، ولا هيهات اه .

وقد نقل السخاوى (فى سفر السعادة) هذا السؤال عن ملك النحاة ، وهذا الجوابَ أيضاً ، لكنه لم يعزُه إلى ابن برى .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس .

وفى هذه الأرجوزة بيتان من أولها ، وهما :

(لله درُّ الغانياتِ المُدَّهِ

سبَّحنَ واسترجعن من تألُّهِى)

أورد هذا بعض المفسرين فى بيان اشتقاق لفظ الجلالة فقال : هو من ألَهَ يأله إلاهةً ، كعبَد يعبد عبادة وزنا ومعنى ، والتألُّه : التعبُّد كما هنا . قال : فمعنى الإله المعبود .

٩٣

(١) للحطيئة فى ديوانه ١١١ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٥ . وعجزه :

* بين الطوى فصارات فواديها *

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤ . وهـو الشاهد ٣٢٣ فى الخزانة ٤ : ٤٣٩ . وعجزه :

* وليس لنأيها ما طال شافى *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الأربعمائة[1] :

٤٧٧ (رَمَى الله فى عينَىْ بثينةَ بالقَذَى
وفى الغُرِّ من أنيابها بالقَوادحِ)

عَلَى أن الشيء إذا بلغ غايته يدعى عليه ،صونًا عن عين الكمال[2] كما هنا .

قال ابن الأنبارى (فى الزاهر) : معنى قوله : رمى الله فى عينى بثينة إلخ سبحان الله ، ما أحسن عينيها . من ذلك قولهم : قاتل الله فلانًا ما أشجعه ! وأنياب القَوم : ساداتهم ، أى رمى الله الفَساد والهلاك فى سادات قومها ، لأنهم حالوا بينها وبين زيارتى . انتهى .

وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : قيل إنه لم يدع عليها بذلك ، وإنما هو كما يقال:قاتله الله ماأفرسَه ! على وجه التعجب .وحكى بعض أهل اللغة أن مما يشهد لطريق التعجب فىمثل هذا أن بعضهم عدلعن لفظ قاتل إلى قاتَعَ فقال: قاتعه الله ماأشجعه ! ليزول المكروه من اللفظ كما لم يكن فى المعنى . وأحسن مما ذكرناه أنْ يقال : أراد بالعينين رقيبيها ، وبالغرِّ من أنيابها كرامَ ذويها وعشيرتها . والمعنى أفناهم الله وَأراهم المنكرات . فهو فى الظاهر يشتُمها ، وفى النية يشتم من يتأذَّى به فيها . ويقال هم أنياب الخلافة ، للمدافعين عنها . وقيل أراد : بلَّغها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملُها وحواسُّها . فالدعاء على هذا لها لاعليها . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : قد تأوّله قوم على أنه

(١) الخصائص ٢ : ١٢٢ والسمط ٧٣٩ وديوان جميل ٥٣ .
(٢) أى حسد الشيء الكامل .

أراد بالعينين الرقيبين ، وبالأنياب سادة قومها الذين يحجبونها عنه ويمنعونه منها » انتهى .

و (بثينة) بالتصغير : محبوبة جميل العذري . والباء في (بالقذى) زائدة . قاله أبو حيان (في تذكرته) . والقذى : كلُّ ماوقع في العينين من شيء يؤذيها كالتراب والعود ونحوهما . قال ثعلب (في الفصيح) : تقول : قَذَت عينه تقذِي قذْياً ، إذا ألقت القذَى ؛ وقذِيت تقذَى قذًى ، إذا صار فيها القذى . وأقذيتها إقذاء ، إذا ألقيت فيها القذى . وقذَّيتها تقذيةً ، إذا أخرجت منها القذى . انتهى .

وقوله : (وفي الغُرّ) إلخ معطوف على قوله في عيني ، وهو جمع أغرّ وغرّاء . أراد : ورمى الله في أنيابها الحسانِ النقيَّة البياضِ القوادح . فالباء زائدة أيضاً . و(الأنيابَ) : جمع ناب ، وهو السنُّ . وللإنسان أربعٌ وثلاثون سناً[1] : أربع ثنايا ، وهي مقدّم الأسنان اثنتان من فوق واثنتان من تحت . وأربع رَباعيات . وأربعة نواجذ تكون بينها الأنياب . وأربعٌ ضواحك تكون بينها النواجذ . واثنتا عشرة رحًى تكون بينها الضواحك .

و (القوادح) : جمع قادح ، قال صاحب الصحاح : القادح السواد الذى يظهر في الأسنان .

وقال أبو حنيفةَ الدينوري (في كتاب النبات) : يقال قُدِح في سنّه أي بالبناء للمفعول ، إذا وقع فيها الأكَلُ ووقع في أسنانه القادح . وإذا عرض شيء

(١) في حواشي المطبوعة الأولى : « قوله اربع وثلاثون سنا ، صوابه اثنتان وثلاثون ، ليطابق التقسيم ويوافق ما هو مذكور في كتب اللغة . اهـ من هامش الأصل » .

من جميع ما ذكرنا من آفات العود قيل قَدِح العودُ يُقدَح قدحاً فهو مقدوح وهى القوادح . وبعضهم يقول قُدِحَ فى العود ، إذا عرض له القادح فأتَكَّلَ يأتكل ائتكالا . وقال الباهلى : يقال عود قد قُدح فيه ولا يقال مقدوح .

٩٤ وكذلك قَدِح فى سنه ، إذا وقع الأكل ووقع فى أسنانه القادح . وأنشد البيت .

وهذه التأويلات يدفع فى صدرها ما رواه الأصبهانى (فى الأغانى[1]) :
قال : حدثنى على بن صالح قال : حدثنى عمر بن شبة عن إسحاق قال :
لقى جميلٌ بثينة بعدَ تهاجُرٍ بينهما طالت مدّته ، فتعاتبا طويلا ، فقالت له : ويحك ياجَميل ، أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :

* رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * البيت

فأطرق جميلٌ طويلاً يبكى ثم قال :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودنى
بثينــةُ لايخفَى علىَّ كلامها

فقالت له : وما حملك على هذه المنى ، أوَليس فى سَعة العافية ما كفانا جميعاً .

وروى بسنده أيضاً أنَّ جميلا لما ودَّع بثينة وذهب إلى الشام لكثرة اللَّغَط فيهما واصلتْ بعده حَجْبة[2] الهلالى . ولما رجع من الشام بعد حين

(١) الأغانى ٧ : ٧٩ — ٨٠ .
(٢) فى ش : « حجية » في جميع المواضع ، تحريف . وانظر ما سيأتي في الشعر .

قال حَجْبة لبثينة ، وكان ابن سُرَيَّة : لا أرضى إلا أن تُعلِمِى[1] جميلاً أنك استبدلتِ به ! فقالت لجميل :

ألم تر أنّ الماء غيِّر بعدكم
وأنَّ شعابَ القلب بعدكَ حُلَّتِ

فقال جميل :

فإن تك حُلَّت فالشِّعابِ كثيرةٌ
وقد نهلت منها قَلوصى وعَلَّتِ

فقالت لحجْبة : عرَّضتنى لجميل يَجمُلنى حديثاً . وقالت لجميل : إنَّه استنزلنى ، وقد ناشدتك الله أن تسترنى فإنَّها كانت هفوة . فقال جميلٌ من أبيات :

فيا بُثْنَ إنْ واصلتِ حَجْبة فاصرمى
حبالى وإن صارمتِه فصلينى[2]
ولا تجعليني أسوةَ العبد واجعلى
مع العبــد عبـداً مثلَهُ وذرينى

وانصرفَ عنها . وهجرها وقال :

* رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * البيت

(١) فى النسختين : « أن تعلمين » ، والوجه ما أثبت . وهذا الخبر لم يرد فى الأغانى .
(٢) البيتان في ديوان جميل ٢٠٩ نقلا عن الخزانة .

وقال فى ذلك أيضاً :

وإنى لأستحيي من النّاس أن أرى
ردِيفًا لوصلٍ أو علىّ رديفُ(١)

وإنّى للمـاء المخالطِ للقَذَى
إذا كثرتْ ورّاده لعَيوفُ(١)

وقال أيضاً :

بَيْنا حِبالى ذاتُ عَقْدٍ لبَثْنةٍ
أُتيح لها بعضُ الغُواةِ فحَلّها(٢)

فَعُدنا كأنّا لم يكن بيننا هوًى
وصار الذى حَلّ الحِبَالَ هوًى لها

وروى أيضاً بسنده عن كُثيِّر ، ونقله القالى (فى أماليه) والمَرْزُبانى (فى الموشح) أيضاً : أن كُثيّراً حدّث وقال : وقفتُ على جماعةٍ يفيضون فىّ وفى جميل : أيُّنا أصدقُ عشقاً . ولم يكونوا يعرفوننى ، ففضّلوا جميلاً فقُلتُ لهم : ظلمتم كُثيِّراً ، كيف يكون جميلٌ أصدقَ منه ، وحين أتاه من بثينة ما يكره قال :

* رمى الله فى عينى بثينة بالقَذى * البيت

(١) ديوان جميل ١٣٩ نقلا عن الخزانة ووفيات الأعيان ١ : ١١٦، وبين هذا البيت وتاليه فى الوفيات :
وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بوصل منك وهو ضعيف
(٢) ديوان جميل ١٩٠ عن الخزانة والأغانى ١١٩:٨ والزهرة ١٧٦.

وكثيِّر حين أتاه من عَزَّة ما يكره قال :

هنيئًا مريئًا غير داء مخامر
لعزّة من أعراضنا ما استحلّتِ

فما انصرفوا إلا على تفضيلى . اه .

وهذا كله يدلّ على أنّ جميلا دعا عليها حقيقة، ويدلّ أيضاً على أن البيت لجميل لا لغيره .

ومن الغرائب أنّ الصاغانى قال (فى مادة ترب من العباب) : إنّ هذا البيت لأخى شَمَجَى يُخاطب أُذينة بنت عمٍّ صعب بن كلثوم ، والرواية كذا :

* رمى الله فى عينى أُذَينة بالقذى * البيت ٩٥

وليس البيت لجميل ولا الرواية « فى عينى بثينة » كما وقع فى بعض كتب اللغة منسوباً إليه . اه .

أقول : جميع من تكلّم على هذا البيت وروى فيه خبَرًا أثبته لجميل فى بثينة . ومع كثرة ورُود هذه الأخبار فى أكثر كتب الأدب كيف يقال إنّه وقع فى بعض كتب اللغة . والله أعلم .

وجميلٌ شاعر إسلامى تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين[1] .

وشَمَجَى بالشين والميم والجيم وألف مقصورة ، قال فى القاموس : وبنو شَمَجَى بن جَرْم من قضاعة ، وهو بفتحات ثلاثة .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

٤٧٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

(وَىْ كَأَنْ من يَكُنْ لهُ نَشَبٌ يُحْ
بَبْ وَمَنْ يَفتقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ)

على أن ويْ كأن ، عند الخليل وسيبويه مركبة من وَى التعجبية وكأنْ المخففة من المثقلة ، إلى آخر ما ذكره .

وهذا نص سيبويه ، ونقله ابن السراج فى الأصول بحروفه : سألت الخليل عن قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّه لايُفلحُ الكافرون[2] ﴾ ، وعن قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّ اللهَ[3] ﴾ فزعم أنها« وىْ » مفصولة من كأنَّ ، والمعنى وقعَ على أنَّ القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نُبِّهوا فقيل لهم : أمَا يُشبه أن يكون هذا عندكم هكذا. والله أعلم . وأما المفسِّرون فقالوا:ألم ترَ أنَّ الله ، وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

* وى كأن من يكن له نشب * البيت

انتهى .

وقال النحاس : يريد أنَّ معنى وى تنبيهٌ ، يقولها الإنسان حين يستنكر

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ٣٨٩ والمحتسب ٢ : ١٥٥ والخصائص ٣ : ٤١ ، ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢٦٦ والهمع ٢ : ١٠٦ والأشمونى ٣ : ١٩٩ .
(٢) الآية ٨٢ من القصص .
(٣) الآية ٨٣ من القصص .

أمراً أو يستعظمه ، فيقول : وى ! فتكون ويكأن مركبة منَ ویْ للتنبيه ، ومن كأنْ للتشبيه .

وكذلك قال الأعلم . فقولُ الشارح المحقق إنّ وى عند سيبويه بمعنى التعجب خلافُ المنقول .

وهذا نص الفراء فی تفسيره[1] قال فی آخر سورة القصص : ويكأنّ فی كلام العرب تقريرٌ ، كقول الرجل : أما ترى إلى صُنع الله ! وقال الشاعر :

* وى كأن من يكن له نَشبٌ يُحْبَبْ * البيت

وأخبرنی شيخٌ من أهل البصرة قال : سمعتُ أعرابيةً تقولُ لزوجها : أين ابنُكَ وَيْلَكَ ؟فقال : ويكأنّه وراء البيت . معناه أما تَرَيْنَه وراء البيت .

وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان يريد : ويك أنه ، أراد : ويلك ، فحذف اللام وجعل أن مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويلك اعلم أنه وراء البيت ، فأضمر اعلمْ . ولم نجد العرب تُعمل الظن والعلم بإضمار مضمر فی أن ؛ وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو فی آخر الكلمة ، فلما أضمره جرى مجرى الترك . ألا ترى أنّه لا يجوز فی الابتداء أن تقول :ياهذا أنك قائم ولا ياهذا أنْ قمت ، تريد علمتُ أو أعلم ؛ أو ظننت أو أظنُّ .

وأما حذف اللام من ويلك حتى تصير « ويك » فقد تقوله العرب ، لكثرتها فی الكلام . قال عنترة :

---

(١) معانی الفراء ٢ : ٣١٢ .

ولقد شفَى نفسى وأبرأ سُقمَها

قَولُ الفوارس ويكَ عنترُ أقدِم

وقد قال آخرون : إن معنى وى كأنَّ ، أنَّ وى منفصلة من كأن ، كقولك لرجل:وى ، أما ترى مابين يديك؟ فقال : وى ثم استأنف كأنَّ، يعنى كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء . وهى تعجب، وكأنَّ فى مذهب الظنّ والعلم . فهذا وجه مستقيم . ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة . وقد يجوز أن تكون كثُر بها الكلام فوصلت بما ليست منه ، كما اجتمعت العرب على كتاب يا ابن أم : يبنؤمَّ . قال : وكذا رأيتها فى مصحف عبدالله ، وهى فى مصاحفنا أيضاً . اه .

٩٦

فعُلم من كلامه أنَّ ويكأن عنده كلمة بسيطة بمعنى ألم تر ، والاستفهام للتقرير ، لا أنها مركبة من كلمتين إمَّا من ويك ومن أن ، كما نقله عن بعض النحويين ، وإما من وى ومن كأنَّ كما نقله عن بعض آخر :

فما نقله الشارح المحقق عن الفراء نقلٌ مركَّب من قوله الذى صدَّره ومن القول الأول لبعض النحاة .

قال النحاس بعد نقل مانقله الفراء : وما أكثر خطأ هذا القول ، وذلك لأنَّ المعنى لا يصحُّ عليه ، لأنَّ القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له ويلك ، وكان يجب على قوله أنْ يكون إنه بالكسر . وأجمَعَ المسلمون على الفتح . وأيضاً فليس فى القرآن لام ، فكيف تُحذف اللام لغير علة .

وزعم ابن جنِّى (فى المحتسب) أَن وى عند سيبويه والخليل بمعنىَ أعجب

كما قال الشارح المحقق، وأنّ كأنّ ليست للتشبيه عندهما خلافاً للشارح . قال : ومن ذلك قراءة يعقوب : ﴿ وَيْكَ ﴾ يقف عليها ثم يبتدئ فيقول ﴿ أنه ﴾ . وكذلك الحرف الآخر مثله .

قال أبو الفتح : فى ويكأنه ثلاثة أقوال : منهم من جعلها كلمةً واحدة فلم يقف على وى ، ومنهم من يقف على وَىْ ، ويعقوب يقف على وَيْكَ ، وهو مذهب أبى الحسن .

والوجه فيه عندنا قولُ الخليل وسيبويه، وهو أنّ وَىْ على قياسِ مذهبهما اسمٌ سمّىَ به الفعل فكأنه اسمُ أعجبُ ، ثم ابتدأ فقال : كأنّه لايفلح الكافرون ، ووَىْ كأنّ الله يبسط الرزق ، ووَى منفصلة من كأنّ . وعليه بيت الكتاب :

وى كأن من يكن له نَشَبٌ يح   ببْ . . . . البيت .

ومما جاءت فيه كأنّ عاريةً من معنى التشبيه قوله[1] :

كأنّنى حين أمسى لاتكلّمنى
متيّمٌ أشتهى ماليس موجودا[2]

أى أنا حين أمسى متيّمٌ ، من حالى كذا وكذا . اه .

أقول : أمّا قوله إنّ وى عندهما اسم أعجب ، فقد تقدّم عن النحاس والأعلم مايردُّه .

---

(١) فى المحتسب : « ما أنشدناه أبو على » .
(٢) نسب فى الخصائص ٣ : ٩٦ الى عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه ٣١٢ ، وفى اللسان (عود ٣١٣) الى يزيد بن الحكم الثقفى . ولم ينسبه ابن جنى فى المحتسب .

وأما قوله : إن كأنَّ عارية عن التشبيه ، فقولُ سيبويه : « أمّا يُشبِهُ أن يكون هذا عندكم هكذا » ، يكذِّبه .

وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله : كأنى حين أمسى البيت ، فهو مذهب الزجاج فيما إذا كان خبر كأنَّ مشتقاً لاتكون للتشبيه ، لئلا يتحد المشبه والمشبه به .

وأجيب بأنَّ الخبر فى مثله محذوفٌ ، أى كأننى رجل متيَّمٌ ، فهى على الأصل للتشبيه .

ثم قال ابن جنى : ومن قال إنها ويك فكأنه قال : أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، وهو قول أبى الحسن[1] . وينبغى أن تكون الكاف هنا حرف خطاب كما فى « ذلكَ » ، لأنَّ وى ليست مما يُضاف[2] . ومن وقف على ويك ثمَّ استأنف فينبغى أن يكون أراد أن يُعلم أنَّ الكاف من جملة وى وليست بالتى فى صدر كأنَّ ، فوقفَ شيئاً لبيان هذا المعنى .

ويشهد لهذا المذهب قول عنترة :

* قيلُ الفوارسِ ويكَ عنتر أقدم *

٩٧ وقال الكسائى : فيما أظن أراد ويلك ثم حذف اللام . وهذا يحتاج إلى خبر نبيٍّ ليقبل منه .

وقول من قال إنَّ ويكأنه كلمة واحدة إنما يريد به أنه لايُفصَل بعضه من بعض . اهـ .

---

(١) فى النسختين : « وهو قول الحسن » ، وصوابه من المحتسب ٢ : ١٥٥ .

(٢) فى النسختين : « مما تضاف » ، صوابه فى المحسب .

تتمتان

(إحداهما) : جعل ابن هشام (فى المغنى) وَىْ وواهاً لغتين فى وا بمعنى أعجبَ . وهذا باطل فإن كلاً واحدة من هذه الثلاثة كلمة مستقلة فى نفسها أصلاً ومادة ، وليست ياء وَى مبدلة من ألف وا كما يزعمه ابن قاسم[1] (فى حواشيه عليه) . هب أنه كذلك فما يقول فى واها . ولم يتنبه أحدٌ من شراحه لما ذكرناه .

واعترض الدماميني (فى شرح التسهيل) على قول ابن مالك إن وى اسم فعل بمعنى أعجب . فى كلام ابن الحاجب مايشعر بأن القائل إنها اسم فعل يقول إنها اسمٌ لاعجبْ أمراً لامضارعاً لأنه قال : وى تعجَّب . ويجوز أن يقال إنها اسم صوت لا اسم فعل ، لأنّ المتعجب يقوله عند التعجُّب لالقصد الإخبار بالتعجب ، بل كما يقول المتألِّم : آه .

وكذلك يقوله المتعجِّب منفرداً ، ولو كان اسمَ فعل لم يقله إلا مخاطبا لغيره . انتهى .

أقول : لا إشعارَ فيه بما زعمه ، فإن آه اسم صوت ، وهم قالوا إنه بمعنى أتوجَّع ، وليس فيه قصد الإخبار به . فتأمل .

(الثانية) : نقل المرادى(فى الجنَى الدانى) عن صاحب (رصف المبانى) أنه قال وى حرف تنبيه معناها التنبيه على الزجر ، كما أنّ ها معناها التنبيه على الحض

(١) كذا فى النسختين، وشهرته «ابن ام قاسم» وهى جدته أم ابيه . وابن ام قاسم هو الحسن بن عبد الله المرادى .

وهى تقال للرجوع عن المكروه والمحذور ، وذلك إذا وُجد رجل يسبُّ أحدا أو يُوقعه فى مكروه ، أو يُتلفه ، أو يأخذ ماله ، أو يَعرِض بشىء من ذلك ، فيقال لذلك الرجل : وَى ، معناه تنحَّه وازدجر عن فعلك . ويجوز أن يوصل به كاف الخطاب . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من أبياتٍ لزيد بن عمرو بن نفيل[1] ، وهى :

(تلك عِرسایَ تنطقان على عَمْـ
ـدٍ إلى اليوم قولَ زُور وهَتْرِ
سألتانى الطَّلاقَ أن رأتا ما
لى قليلاً ، قد جئتمانى بِنُكْرِ
فلعلِّى أن يكثُرَ المالُ عندى
ويُعرَّى من المغارم ظهرى
وتُرى أعبُدٌ لنا وأواقٍ
ومناصيفُ من خوادمَ عَشْرِ
ونجرُّ الأذيالَ فى نَعمةٍ زَوْ
لٍ تقولان ضَعْ عصاكَ لدهرِ
وىْ كأن مَن يكنْ له نشَبٌ يُحْـ
ـبَبْ ومن يفتقرْ يعِشْ عيشَ ضُرِّ
ويُجنَّبْ سِرَّ النجىِّ ولكـ
ـنَّ أخا المال مُحضَرٌ كلَّ سِرِّ)

[1] فى البيان ١ : ٢٣٥/٣ : ١٢٤ أنها لأبى الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وانظر ما أثبت فى حواشيه .

قوله (تلك عرساى) مثنى عِرس مضاف إلى الياء . والعِرس بالكسر : الزوجة ، أى هما عرساى . ويجوز أن يخالف اسمُ الإشارة المشارَ إليه كقوله تعالى : ﴿ عَوَانٌ بين ذلك[1] ﴾ . والعمد : القصد . والهتر بفتح الهاء وسكون المثناة الفوقية : مصدر هتره يَهتُره من باب نصر ، إذا مزّق عرضَه . والهِتر بالكسر : الكذب والداهية ، والأمر العَجَب ، والسَّقَط من الكلام والخطأ فيه . وبالضم : ذَهاب العقل من كِبر أو مرض أو حُزن . وروى أيضاً :

تلك عرساى تنطقان بُهجْرِ
وتقولان قول أثر وعَتْرِ[2]

والهجر بالضم : اسم من الإهجار وهو الإفحاشُ فى المنطق والخنَى . والأثر بالفتح : مصدر أثرت الحديث ، إذا ذكرته عن غيرك . ومنه الحديث المأثور ، أى ينقله خلف عن سلف . والأثر بالضم : أثَر الجراح يبقى بعد البرء . والعَتْر بمثناة فوقية بعد المهملة : مصدر عتَر الرمحُ ، إذا اضطرب واهتز ، من باب ضرب . والعثر بالمثلثة : الاطلاع على الشىء ، مصدر عثر عليه . ٩٨

وقوله (سالتانى الطلاق) إلخ استشهد به سيبويه[3] على أنّ الشاعر يبدل الهمزة ألفاً فى الضرورة . قال : وليس هذا من لغةِ من يقول سِلْت يسال كخفت يخاف . وبلغنا أنه لغة . قال الأعلم : هى لغةٌ معروفة ، وعليها قراءة من قرأ : ﴿ سَالَ سائلٌ بعذابٍ واقعٍ[4] ﴾ . وروى : (تسألان الطلاق) وحينئذ لاشاهد فيه .

---

(١) الآية ٢٨ من سورة البقرة .
(٢) فى النسختين : « لهجر » ، صوابه مما سيأتى ص ٤٢٠ .
(٣) فى كتابه ٢ : ١٧٠ .
(٤) الآية الأولى من سورة المعارج .

وقوله : (قد جئتمانى بنُكْر) التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . والنُّكر بالضم : الأمر القبيح المنكر .

وروى الزجاجى فى أماليه بدل نكر : (مرّ) ، من المرارة : ضد الحلاوة . وروى أيضاً :

سالتانى الطلاق أن رأتانى قلّ مالى قد .... إلخ .

فجملة قلّ مالى فى محل نصب مفعول ثان للرؤية كالرواية السابقة . ويجوز أن تكون الرؤية بصرية . وجملة قلّ مالى حال من الياء . وقليلاً حال من مالى .

وقوله : « ويعرّى من المغارم » جمع مغرم بالفتح ، وهو ماينوب الإنسانَ فى ماله من ضررٍ لغير جناية كتحمل الدِّيات ، والإطعام فى النائبات .

وقوله: « وتُرى أعبدٌ » إلخ بالبناء للمفعول والخطاب[1] وأعبد : جمع عبد . وأواق ، أى من الذهب والفضة ، وهو جمع أُوقيّة ، وهى سبعة مثاقيل ، وأربعون درهما . وروى بدله : « وجياد » جمع جَواد ، وهو الكريم من الخيل . ومَناصيف : جمع مَنْصَف ، وهو الخادم . قاله الجاحظ . فالياء زائدة لضرورة الشعر . ومنصف بفتح الميم وكسرها ؛ والأنثى بالهاء . وفعله نصفه ينصُفه من باب نصر وضرب نَصْفا ، ونِصافاً ، ونِصافة ، بكسرهما

(١) كذا فى النسختين ، ولا خطابَ هنا .

وفتحهما ، أي خدمه . ويقال أيضاً أنصفه بالألف . وخوادم : جمع خادم ، وهي الجارية ، ويقال أيضاً خادمة . والخادم يطلق على المذكر .

وروى بدله « من ولائد عشر » جمع وَليدة بمعنى الخادمة

وقوله : « في نَعْمة زَول » بفتح الزاي المعجمة وسكون الواو صفة نَعمة ، أي حسنة وجيِّدة . قاله الجاحظ .

وقوله : « ضع عصاك » إلخ وضع العصا كناية عن الإقامة ، لأنّ المقيم يضعُها عن يده ، والمسافر يحملها . قال الشاعر[1] :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى
كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

وما أحسن قول الباخرزيّ :

حَمَلَ العصا للمبتلَى بالشَّيب أنواعَ البَلاَ
وَصَفَ المسافرُ أنّه ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيلُ من أخذ العصاَ أنْ يرحلا

واللام في لدهر بمعنى إلى ، أي إلى انقضاء دهر ، وهو الزمان الطويل .

وقوله « وى كأن من يكن » إلخ من شرطية ونشب اسم كانَ ، وله خبرها ، ويحبب بالبناء المفعول من المحبّة جزاء الشرط . وكذلك « من يفتقر يعش » . وعيش مفعول مطلق . والضُّر بالضم والفتح : سوء الحال من

(١) هو مضرس الأسدي ، كما في البيان ٣ : ٤٠ . وفي اللسان (عصا) نسبته الى معقر بن حمار ، أو عبد ربه السلمي ، أو سليم بن ثمامة الحنفي . ونسب في كتاب العصا الى راشد بن عبد الله . نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ .

قِلّةِ مال وجاه . والنَّشَب بفتح النون والشين : المـال الأصيل من الناطق والصامت .

وأورد صاحب الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّه لا يُفلِحُ الكافِرُونَ[1] ﴾ على أنّ وى مفصولة من كـأن . ٩٩

وقوله « ويجنَّب سرَّ النجى » معطوف على يَعِش ، وهو بالبناء للمفعول من جَنَّبه إياه تجنيبا ، أى باعده عنه . فهو متعدٍّ لمفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضمير من يفتقر ، وثانيهما سرَّ النجى . والسر هو الحديث المكتَّم فى النفس .

والنجىُّ : فعيل ، هو من يُفشَى له السر . يعنى أنّ الفقير يستحقره صاحبه فلا يفشى له سرّه .

وقوله مُحضَر اسم مفعول من أحضره إيّاه ، أى جعله حاضراً غير غائب ، فهو متعدٍّ إلى مفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضمير أخى المـال ، والثانى كلّ سر . وروى أيضاً :

ويجنَّب يُسرَ الأمور ولـكـ
نّ ذَوِى المـال حُضَّرٌ كل يُسْرِ

واليسر : نقيض العسر . وحُضَّر : جمع حاضر ، من حضره ، إذا شاهده[2] .

---

(١) الآية ٨٢ من القصص .
(٢) ط : « اذا شاهد » .

والرواية الأولى هي رواية الجاحظ (في البيان والتبيين) ، والرواية الثانية هي رواية الزبير بن بكار (في أنساب قريش) ، وتبعه صاحب الأغاني . وأبو الحسن المدائني (في كتاب المقسات[1]) . وهي لزيد بن عمرو بن نفيل كما في كتاب سيبويه وخدمته . وكذا (في أمالي الزجاجي الوسطى) ، وأثبتها الجاحظ لابنه سعيد بن زيد ، ونسبها الزبير بن بكّار لنُبيه ابن الحجاج .

قال أبو الحسن المدائني : قالوا : تزوّج عمرو بن نفيل امرأة أبيه نفيل ابن عبد العزى ، فولدت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت ولدت الخطاب أبا عمر بن الخطاب ، فكان الخطّابُ عمَّ زيد وأخاه لأمه . وكان زيد يطلب الدِّين ويخرج من مكة إلى الشام وغيرها يلتمس الدين ، فكان الخطّاب يَعيب عليه خروجه عن مكة وطلبَه الدين ، وخلافَ قومه ، وكان يؤذيه ، وأمر امرأته أن تعاتبه وتأخذَه بلسانها ، ففعلت ، فاعتزم على الخروج ، فقال زيد لامرأته صفيّة بنت الحَضْرمىّ :

لا تحبسيني في الهوا نِ صَفِيَّ ، ما دابي وَدابُهْ
إنّ إذا خِفت الهوا نَ مشيَّع ذُللٌ رِكابه
دُعموصُ أبوابِ الملو كِ وجانبٌ للخُرْق بابه
قَطّاع أسبابٍ تذ لّ بغير أقران صِعابه
وإنما أَلِف الهوا نَ العيرُ إذْ يهوى إهابُهُ[2]

(١) كذا في ط ، وفي ش : «القسات» باهمال نقط ما بعد القاف . ولعله « كتاب المغنيات » الذي ذكره ابن النديم في الفهرست ١٤٩ .
(٢) لعلها : « ولربما ألف » .

وأخى ابن أمّى ثم عمّـ
ـى لايُواتينى خطـــابُه
وإذا يعـاتبـنى أخَـ
ـىّ أقول : أعيانى جوابُه
وإذا أشاء لقلتُ : ما
عنــدى مَفاتحُهُ وبابه

وقال لامرأتيه :

تلك عرساى تنطقان . . . . . . الأبيات.

زيدبن عمرو بن نفيل

أما الأول فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبدالله بن قُرط بن رَزَاح بن عدىّ بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، القرشى العدوى .

قال صاحب الاستيعاب : كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، قبل أن يُبعث النبى صلى الله عليه وسلم . وكان لايذبح للأنصاب ، ولا يأكل المَيتة والدم .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر البغوى وابن منده وغيرهما زيداً فى هذا فى الصحابة . وفيه نظر ، لأنه مات قبل البَعثة بخمس سنين ، ولكنه يجىء على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابى ، وهو أنه من رأى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ، هل يشترط فى كونه مؤمنا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك ، أو يكفى كونه مؤمنا به أنه سيبعث كما فى قصة هذا وغيره .

١٠٠

وقد ذكر ابن إسحاق أن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد

ابن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش ، والذى نفسى بيده ماأصبحَ منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى .

وأخرج الفاكهى بسند له إلى عامر بن ربيعة قال : « لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد حراء ، فقال : ياعامر ، إنى قد فارقتُ قومى واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد إسماعيلُ من بعده ، كان يصلى إلى هذه البَنِيَّة . وأنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيلَ ثم من ولد عبدالمطلب ، وما أرانى أدركه ، وأنا أومن به وأصدِّقه وأشهد أنه نبى » الحديث . زاد الواقدى فى حديث نحوه : « فإن طالت بك مدة فأقرئه منى السلام[1] » . وفيه : لما أسلمت أقرأت النبى صلى الله عليه وسلم منه السلام ، فردَّ عليه وترحَّم عليه وقال : « رأيته فى الجنة يسحب ذيولا » .

وروى الواقدى عن ابنه سعيد بن زيد قال : توفِّىَ أبى وقريشٌ تبنى الكعبة . وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين .

أما سعيد بن زيد المذكور فقد كان من السَّابقين إلى الإسلام ، وهاجر وشهد أحداً والمشاهد بعدها ، ولم يسكن بالمدينة زمانَ بدر ، فلذلك لم يشهدها . وهو أحد العشرة المبشَّرة ، وكان إسلامه قديما قبل عمر ، وكان إسلام عمر عنده فى بيته ، لأنه كان زوجَ أخته فاطمة .

قال الواقدى : توفِّىَ بالعقيق فحمل إلى المدينة ، وذلك سنة خمسين من الهجرة ، وقيل إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين ، وعاش بضعًا وسبعينَ سنة.

---

(١) ش : « فاقراه مني السلام » . والمعروف أقرئه السلام .

وزعم الهيثم بن عدى أنه مات بالكوفة وصلّى عليه المغيرة بن شعبة قال : وعاش ثلاثا وسبعين سنة .

وزعم العلامة الدوانى (فى شرح ديباجة العقائد العضدية) وتبعه السيد عيسى الصفوى (فى شرح الفوائد الغياثية) أن زيد بن عمرو المذكور نبي أوحي إليه لتكميل نفسه .

وهذه عبارته : النبيُّ إنسانٌ بعثه الله إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه إليه ؛ وعلى هذا لايشمل من أوحَى الله مايحتاج إليه لكماله فى نفسه، من غير أن يكون مبعوثاً إلى غيره ، كما قيل فى زيد بن عمرو بن نفيل ، اللهمّ إلا أن يُتكلف .

أقول : هذا غير صحيح ، فإنه لم يقل أحدٌ من المؤرخين والمحدِّثين : إنه نبي أو ادّعى النبوة ، وأمره مشهور ، وكان حيًّا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس فى عصره نبي غيره .

قال الذهبي : زيد بن عمرو بن نفيل هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه يبعث أمة وحدَه[1] » ، وكان على دين إبراهيم ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتوفى قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وكان دخل الشام والبلقاء . وكان نفرٌ من قريش : زيد ، وورقة ، وعثمان بن الحارث ، وعبيد بن جحش[2] ، خالفوا قريشا وقالوا لهم : إنكم

(١) ط : « واحدة» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن العثمانية للجاحظ ١٤٢ .

(٢) ذكره فى الاصابة ٦٣٩٠ فيمن ادرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره . وقال : شهد القادسية ونزل الكوفة .

تعبدون مالا يضرُّ ولا ينفع من الأصنام ! ولا يأكلون ذبائحهم . واجتمع بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وقال له : إنى شاممت النصرانية واليهودية فلم أر فيها ما أُريد ، فقصصت ذلك على راهبٍ فقال لى : إنك تريد ملة إبراهيم الحنيفية ، وهى لا توجد اليومَ ، فالحقْ ببلدك فإنّ الله باعثٌ من قومك من ١٠١ يأتى بها ، وهو أكرم الخلق على الله اه .

ومنه تعلم أنّ ما قاله الدوانى لا يليق بمثله أن يذكره . وكذا ما فى حواشى الكازرونى من أنه يجوز أن يكون زيد مبعوثاً إلى الخلق ، بدليل أنه كان يُسندُ ظهره إلى الكعبة ويقول : أيها الناس لم يبق على دين إبراهيم غيرى - ويُعلم من هذا أنه يجوز أن يكون نبيا ، فلا ينتقض به التعريف . انتهى .

وهذا مما يقضى منه التعجُّب ، وكذا جميع ما ذكره هنا أرباب حواشيه .

وذكره البيضاوى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً[٢] ﴾ : وقال : هو موحِّد الجاهلية .

وأما الثانى فهو نُبَيْه ، بضم النون وفتح الموحدة بعدها ياء ساكنة فهاء ، وكنيته أبو الرزّام بتشديد الزاى المعجمة ، ابن الحجّاج ، بتشديد الجيم الأولى ، ابن عامر بن حذيفة بن سهم بن عَمرو بن هُصَيص ، بالتصغير ، ابن كعب ابن لؤىّ بن غالب .

---

(١) ش : « وهم » تحريف .
(٢) الآية ٢٢ من سورة البقرة .

قال الزبير بن بكار (فى أنساب قريش) : كان نبيهٌ وأخوه مُنبِّهٌ ، على صيغة اسم الفاعل من التنبيه، من وجوه قريش وذوى النباهة فيهم ، وقتِلا ببدر كافرين . وكانا من المطعِمين يومَ بدر ، ورثاهما الأعشى بن نبّاش بن زُرارة التميمى[1] حليف بنى عبدالدار ، وكان مداحاً لنبيه بن الحجّاج ، وله فيه من قصيدة يصف ناقته :

تبلُغَنْ رجلاً محضاً ضرائبُه
مؤمَّلاً وأبوه قبلُ مأمولُ
إنّ نُبَيهًا أبا الرزّامِ أحلمهُمْ
حِلماً وأجودهم ، والجودُ تفضيلُ

وكان نبيه شاعرًا ، وهو الذى يقول فى زوجتيه وقد سألتاه الطلاق :

تلك عِرساىَ تنطقان بِهُجْرِ
وتقولان قولَ أثْر وعَثْرِ[2]

إلى آخر الأبيات المقدّمة . ومن شعره :

قصَّر الشىء بى ولو كنتُ ذا ما
لٍ كثير لأحْلَبَ الناسُ حَولى[3]

---

(١) ط : « التيمى » ، صوابه فى ش والمؤتلف ٢٠ والاشتقاق ١٤٢ قال ابن دريد : « اخبرنا بعض اهل العلم عن الأعشى بن نباش بن زرارة بن وقدان ، أحد بنى تميم .. وسترى تفسيره فى نسب تميم ان شاء الله » .

(٢) سبقت هذه الرواية فى ص ٤٩١ . وفى ط هنا : « تنطقـان لهجر » .

(٣) أحلبوا، بالحاء المهملة : جاءوا من كل وجه . وفى ط : «أجلب الناس » بالجيم ، وهو بالجيم للتجمع فى الشر .

ولقالوا أنتَ الكريمُ علينا
وَلحطُّوا إلى هوایَ ومَيْلى
ولَكِلْتُ المعروف كيلا هنيئا
يُعجز الناس أن يكيلوا كَكيلى[1]

وله أيضاً :

قالت سُليمى يومَ جئتُ أزورُها
لا أبتغى إلاّ امرأً ذا مال
لا أبتغى إلا امرأً ذا أنضَرٍ
کى ما أسدَّ مُفارقى وخِلالى
فلأحرصنَّ عليها كتساب محبِّبٍ
ولأَكسبَنْ فى عِفَّةٍ وجمالِ

وله شعر كثير . اھ .

والأنضر كأحمد : لغةٌ فى النَّضر ، وهو الذهب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الأربعمائة[2] :

٤٧٩ (قولُ الفوارس ويكَ عنتر أقدِمِ)

على أنّ الفراء قال: وى فى ويكأنَّه ، كلمة تعجُّب ألحق بها كاف الخطاب ، كقوله : ويك عنتر ، أى ويلك وعجباً منك .

(١) ش : « هنيا » بالتسهيل .
(٢) المحتسب ١ : ٢/١٦ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ ، ٦ وابن يعيش ٤ : ٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٦٧ والعينى ٤ : ٣١٨ والتصريح ١ : ١٩٧ والأشمونى ٣ : ١٩٨ .

١٠٢ أقول : ليس هذا مذهب الفراء ، وإنما هو قولٌ لبعض النحويين نقله الفراء عنه كما مضى . زعم أنّ ويكان مركب من وَيْكَ ومن أن ، وأنّ ويك أصله ويلك فحذفت منه اللام ، كما فى بيت عنترة .

ولا تخفى ركاكة قول الشارح: « وَىْ كلمة تعجب ألحق بها كاف الخطاب » مع قوله : « أى ويلك وعجباً منك » .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : قال المفسّرون فى قول الله تعالى : ﴿ ويكأنّ الله يَبسُط الرزق ﴾ ، معناه ألم تر أنّ الله .

ومثل ذلك : ﴿ ويكأنّه لايُفلِح الكافرون[٢] ﴾ . واختلف فيها اللغويون فقال الخليل: إنها وى منفصلة من كأنّ ، والمراد بها التنبيه . وإلى هذا ذهب يونس وسيبويه والكسائى . وقال السيرافى : وى كلمة يقولها المتندّم عند إظهار ندامته ، ويقولها المندّم لغيره والمنبِّه .

ومعنى كأنّ الله يبسط الرزق التحقيق ، وإن كان لفظه لفظَ التنبيه ، فالتقدير : تنبّه أنّ الله يبسط الرزق ، أى تنبّهْ لبسط الله الرّزق. وقال الفراء : معناها فى كلام العرب التقرير ، كقولك لمن تقرره : ألا ترى إلى صُنع الله ، فكأنّه قيل: أما ترى أنّ الله يبسط الرزق[٣] .

وأقول[٤] : إنّ كل واحد من مذهبى الخليل والفراء ، وكذلك ماقاله

---

(١) الآية ٨٢ من القصص .
(٢) الآية ٨٢ من القصص .
(٣) هذا ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ، وفى ط : « أما ترى الله يبسط الرزق » .
(٤) ش فقط : « فأقول » .

السيرافى من أنّ التقدير [تنبّهْ[١]] أن الله يبسط الرزق ، معناه ألم تر أنّ الله يبسط الرزق . وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنّ الله أنزلَ من السماء ماء فتُصبحُ الأرضُ مخضرَّةً[٢] ﴾ .

فهذا تنبيهٌ على قدرته وتقريرٌ بها .

وقال غير هؤلاء من اللُّغويين : هى ويك بمعنى ويلك ، وحذفت اللام لكثرة هذه اللفظة فى الكلام . وأنّ من قوله أنّ الله يبسط الرزق ، مفتوحة بإضمار اعلمْ .

واحتجوا بقول عنترة : « ويك عنتر أقدم » فالكاف على هذا القول ضمير ، فلها موضع من الإعراب .

وقال آخرون : هى وى اسمٌ للفعل ومعناها أتعجَّب[٣] كما تقول : وى لم فعلت هذا ؟ فالكاف فى هذا الوجه حرفٌ للخطاب ، كالكاف فى رويدك ، فهى دالّة على أنّ[٤] التعجب موجَّه إلى مخاطب لا إلى غائب . وانفتحت أنّ بتقدير اللام ، أى أتعجَّب لأن الله يبسط الرزق[٥] . انتهى كلام ابن الشجرى .

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة عنترة العبسى . قال شراح المعلقة : قال بعض النحويين معنى ويك ويحك ، وقال بعضهم : معناه ويلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ ويك إنّه ، كما يقال ويلك إنه ، وويحك إنّه .

(١) هذه من أمالى ابن الشجرى .
(٢) الآية ٦٣ من سورة الحج .
(٣) فى الأصل : « العجب » ، صوابه من الأمالى .
(٤) هذه الكلمة من ش والأمالى .
(٥) ش فقط : « العجب لأن الله يبسط الرزق » .

على أنه قد[1] احتُجَّ لصاحب هذا القول بأنّ المعنى : وَيلك اعلم أنّه لا يفلح الـكافرون .

وهذا أيضا خطأ من جهات : إحداها حذف اللام من ويلك ، وحذف اعلم ، لأنّ مثل هذا لا يحذف لأنّه لا يعرف معناه . وأيضا فإنّ المعنى لا يصح ، لأنه لا يُدرَى من خاطبوا بهذا . وروى عن بعض أهل التفسير أنّ معنى وَيك ألم تر ، وأما ترى . والأحسن فى هذا ما روى سيبويه عن الخليل ، وهو أنّ وى منفصلة ، وهى كلمة يقولها المتندِّم إذا ما تنبَّه على ما كان منه ، كأنّهم قالوا على الندم : وى ، كأنه لا يفلح الـكافرون . انتهى .

وروى (قيلُ الفوارس) . والقول والقيل بمعنًى . وجمع فارسٍ الوصفىّ على فوارس نادر .

(وعنتر) : منادًى مرخّم ، أى ياعنترة . و (أقدم) بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى تقدَّم ، أو هو من الإقدام الذى بمعنى الاجتهاد والتصميم . وروى بدله : (قدِّم) ، أى قدِّم الفرس ، أو بمعنى تقدَّمْ . جعل أمرَهم له بالتقدُّم شفاء لنفسه ، لِما ينال فى تقدُّمه من الظفر بأعدائه ، ولما يكتسب بذلك من الرفعة وعلو المنزلة .

١٠٣ وقد تقدمت[2] ترجمة عنترة وشرح المعلقة مع أبيات منها فى الشاهد الثانى عشر وغيره .

* * *

٤٨٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الأربعمائة[3] :

(روافدُه أكرمُ الرّافداتِ بَخٍ لكَ بَخٍّ لبحرٍ خِضَمّْ)

(١) ط : « على انه وقد » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « تقدم » ، واثبت ما فى ش مع اثر تصحيح .
(٣) ابن يعيش ٤ : ٧٩ والصحاح والمقاييس واللســان (بخخ ، رفـد) .

على أنّ الشاعر جمع فيه لغتىْ بَخ الموصولة فى الدَّرْج، وهما : تخفيف الخاء مع الكسر والتنوين ، وتشديدها كذلك . وهذا من (الصحاح) فإنّه قال: بَخْ كلمة تقال عند المدح والرضا بالشىء ،وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ . فإنْ وصلْتَ خفضْتَ ونوّنتَ فقلت بَخٍ بخٍ ، وربَّما شدِّدت كالاسم . وقد جمعهما الشّاعر فقال يصف بيتا :

روافده أكرم الرافدات . . . البيت .

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (فى الغريب المصنف) قال : الرّوافد خَشَب السقف ، قال الشاعر وذكر بيتًا : روافده أكرمُ .. البيت .

قال شارح أبياته يوسف بن الحسن السيرافى : بَخْ كلمة تقال عند وصف الشىء بالرفعة والتناهى فى الأمور الجليلة ،وهى مبنيّة على السكون ،لأنَّه من أسماء الأفعال ، والفعل الذى هى فى موضعه فعل تعجُّبٍ فى قولك:أفعِلْ به ، فى موضع أعظِم به وأكرم به ، كما كان صَهْ فى موضع اسكت . وهو فى نية تعريف .وهذه الأفعال التى للتعريف إذا نوى بها التعريف لم تنوّنْ ؛ وإن نوىَ بها التنكير نوِّنت . فمن قال : بخٍ ونونٌ أرادبه النكرة فأدخل التنوين،وهوحرف ساكن، على الخاء وهى ساكنة، فاجتمع ساكنان فكسرت الأولى منهما،وهى الخاء . فإن قال قائل : الساكنان إذا التقيا فى كلمة واحدة كسر الثانى منهما ، نحو: دراكِ ونزالِ ، وإذا التقيا من كلمتين كسر الأوّل نحو : اضربِ ابنك وأكرم القوم ، فلم كسرت الخاء لدخول التنوين وهما فى كلة واحدة ولم يكسر التنوين؟ قيل له : التنوين ليس من الكلمة ، وهو مضموم إليها داخلٌ للعلامة ، وليس من حروفها ، فجرى مجرى كلمة غير الكلمة الأولى . وبخّ بالتشديد هو

---

(١) ط : « ويكرر » ، وأثبت ما فى ش والصحاح .

الأصل ، والمخفف ما حذف منه حرفٌ من الأصل . والخِضَمّ : الكثير العظيم الكثرة . وَصف البيت بالكرم وَأراد كرم مَن هو بيتُه . انتهى .

فعلى كلامه هى اسمُ فعلٍ لا اسمُ صوت .

والبيت لم أقف على قائله وتتمته . والله أعلم .

* * *

٤٨١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الأربعمائة[1] :

(وصارَ وَصْلُ الغانياتِ أَخًّا)

على أنّ الشاعر جعل أخًّا كالمصدر فأعربَه ، وهو مصدر بمعنى المفعول ، أى مكروها .

وكذلك أورده الزمخشرى فى الأصوات وقال : وأَخّ عند التكرُّه . قال العجّاج :

* وصار وصلُ الغانيات أخًّا *

وروى : « كَخًّا » . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : أخ ، وذكرها بالفتح ، كلمة تقال عند التأوّه ، وأحسبها محدثة . وكخْ زجرٌ للصبى وردعٌ له ، وتقال عند التقذُّر للشىء ، وتكسر الكاف وتفتح وتسكن الخاء وتكسر ، بتنوين وغير تنوين ، قيل هى أعجمية عرِّبت . كذا فى النهاية .

ولم أر نسبة البيت للعجاج إلاّ فى المفصّل .

١٠٤ و(فى العباب للصاغانى) يقال للصبى إذا نُهِى عن فعل شىء قذرٍ : إخ بالكسر

(1) مجالس ثعلب ٤٥١ وأمالى الزجاجى ١٢١ وابن يعيش ٤ : ٧٥، ٧٩ وملحقات ديوان العجاج ٧٦ .

بمنزلة قول العجم : كِخْ ، كأنَّه زجر ، وقد تفتح همزته ، قال أعرابى :

* وكان وصلُ الغانيات أخَّا *

ويروى كَخَّا . وإخْ بالكسر : صوت يناخ به الجمل ليبرك ، ولا يشتق منه الفعل فلا يقال أَخْخْتُ الجملَ ، إنَّما يقولون أنَخْته .

وهو من أبيات رواها جماعةٌ غُفْلا ، منهم ثعلب (فى أماليه) أنشد :

لا خيرَ فى الشيخ إذا ما اجلخَّا

وسالَ غَربُ عينِه ولَخَّـــا

وكان أكلاً قاعدا وشَخَّـــا

تحتَ رواق البيتِ ، يغشَى الدُّخَّا

وانثنت الرجلُ فـكانت فَخَّـــا

وكان وصلُ الغانيات أخَّا

اجْلَخَّ : سقط ولم يتحرَّك . ولخَّ : سالَ . وأخّ كقولك أُف وتُفّ . انتهى .

وكذا رواها الزجاجى (فى أماليه الوسطى) عن ابن الأعرابى وقال : اجلَخَّ : اعوجَّ . ولخَّ : التصقت عينه . وشَخَّا ، يقول : كثر غائطه . والدُّخُّ ، بضم الدال وفتحها : الدُّخَان . ويغشى الدخَّ : يغشَى[1] التنُّور ، فيقول : أطعمونى . انتهى .

وقال على بن حمزة البصرى (فى التنبيهات) : الغرب : بثرة تكون فى

(١) يغشى ، من ش فقط .

العين تَقْذى ولا تَرقأ . وأنشد الأبيات . وكذلك أنشد الأبياتَ ابن دريد (فى الجمهرة) وقال : لخَّت عينه تلِخّ لخًّا ولخخا ، إذا كَثُر دموعها وغلُظت جفونها . وربما قالوا : ألخَّتْ ، أى بالمهملة .

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى طبقات النحويين) : حدثنا ابن مُطَرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قالت أعرابيّةٌ فى زوجها وكان شيخا :

* لا خير فى الشيخ إذا ما اجلخّا *

الأبيات . فقال زوجها :

أمُّ جَــوارٍ ضِنؤها غير أَمِرْ
صَهصَلقُ الصَّوت بعينها الصَّبِرْ
تُبـادر الذئب بعدْوٍ مشفترّ
سائلةٌ أصـداغها ما تختمِرْ
تَـغدو عليهم بعمودٍ منـكسر
حتّى يفِرَّ أهلُهـا كلٌ مفرْ
لو نحرَتْ فى بيتها عشرَ جزُر
لأصبحتْ من لحمهن تعتذِرْ

فقالت لزوجها : اسكت فإنّا جارا العِبادىّ . قال: أجَلْ ، وأنتِ بدأت . انتهى .

وجَوارٍ : جمع جارية . والضِّنْء ، بفتح الضاد المعجمة وكسرها وسكون النون بعدها همزة : النسل والولد ، لا واحد له من لفظه . وأمِرٌ : كثيرٌ ، من أمِرَ كفرح ، إذا كثر . والصَّهصلق قال فى القاموس : هى العجوز الصخّابة ،

ومن الأصوات : الشديد . والصَّبر : عُصارة شجر مُرٍّ . يريد أنَّ عينيها تدمع دائمًا كأنَّ فى عينيها هذه العصارة .

والمشفترّ كمقشعر : المشمِّر ، والمنتصب .

وسائلة أصداغها ، أى طويلة شعر الأصداغ . وما تختمر ، أى لم تستعمل الخمار .

والجزُر بضمتين : جمع جَزور ، وهو البعير أو الناقة المجزورة ، وما يذبح من الشاء ؛ واحدتها جَزَرة .

المركب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الأربعمائة[1] :

١٠٥ **٤٨٢** (كُلِّفَ مِن عَنائِهِ وشِقوتِهْ
بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّتِهْ)

على أنْ بعض الكوفيين أجاز إضافة النيِّف إلى العشرة .

قال أبو على (فى التذكرة القَصْرية) : البغداديُّون يجيزون خمسةَ عشرِه فيضيفون وأنت تريد به العدد ، ويستشهدون بقول الشاعر :

كُلِّفَ مِن شـقائه وشِقوتِه[2]
بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّتِهْ

وأصحابُنا يمنعون من ذلك إذا أردت به العدد . فإنْ سمَّيته بخمسة عشر جازت الإضافة على قول من قال معد يكربٍ ، وجاز أن لاتضيف على حدِّ من قال معد يكربَ ؛ لأنه قد خرج عن العدد بالتسمية . وأجاز ذلك أبو عمر[3] (فى الفَرْخ) انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيُّون إلى أنَّه يجوز

---

(١) الحيوان ٦ : ٤٦٣ والمخصص ١٤ : ٩٢/١٧ : ١٠٢ والانصاف ٣٠٩ والعينى ٤ : ٤٨٨ والتصريح ٢ : ٢٧٥ والهمع : ١٤٩ والأشمونى ٤ : ٧٢ .
(٢) حاول الشنقيطى فى نسخته أن يجعلها « من عنائه وشقوته »
(٣) فى النسختين : « أبو عمرو » ، تحريف . وصاحب كتاب =

إضافة النيف إلى العشرة، واستدلوا بالبيت ، ولأن النيف اسم مظهر كغيره من الأسماء المظهرة التي تجوز إضافتها . ومنعه البصريون لأن الاسمين قد جُعلا اسماً واحداً ، فكما لا يجوز أنْ يضاف الاسم الواحد بعضُه إلى بعض فكذلك ههنا .

وبيان ذلك : أنّ الاسمين لمّا ركبا دلاً على معنًى واحد ، والإضافة تبطل ذلك المعنى . ألا ترى أنّك لو قلت : قبضت خمسة عشر من غير إضافة دل على أنك قد قبضت خمسةً وعشرة . وإذا أضفت دلّ على أنّك قبضت الخمسة دون العشرة ، فلما كانت الإضافة تبطل المعنى المقصود وجب أن تجوز .

وأما البيت فلا يعرف قائله ، ولا يؤخذ به . على أنا نقول : إنما صرفه لضرورة ، ورده إلى الجر لأنّ ثماني عشرة لما كانا بمنزلة اسم واحد وقد أضيف إليهما بنت ردّ الإعراب إلى الأصل بإضافه بنت إليهما ، لا بإضافة ثماني إلى عشرة . وهم إذا صرفوا المبنيّ للضرورة ردّوه إلى الأصل .

وأما قولهم إنّ النيف اسمٌ مظهر كغيره من الأسماء في جواز الإضافة ، قلنا : إنه مركب[1] ، والتركيب ينافي الإضافة ، لأنّ التركيب جَعلُ الاسمين اسماً واحداً بخلاف الإضافة ، فإنّ المضاف يدلّ على مسمى ، والمضاف إليه يدلُّ على مسمًّى آخر . وحينئذ لا يجوز الإضافة لاستحالة المعنى . اهـ .

= الفرخ هو ابو عمر صالح بن اسحاق الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ ، كما في البغية . وقد ذكر ابن النديم من كتبه في الفهرست ٨٤ «كتاب الفرخ» كما ذكر في انباه الرواة ٢ : ٨٢ . وذكر الميمني في الاقليد ٨٠ أن كتابه يسمى « فرخ سيبويه » وفيه يقول المعرى في لزومياته :

وللجرمي ما اجترمت يداه ... وحسبك من فلاح أو بوار
واما فرخه فبلا جناح ... يطير بحمل أقلام جوار

(١) ش : « قلنا انه مركب » .

وأنشد الفراء البيت فى موضعين (من تفسيره) عن أبى ثروان : أحدهما: عند قوله تعالى : ﴿ إنى رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كوكبا[١] ﴾ ، لمـا ذكر من مذهب الكوفيين ، وفصّل المسألة عندهم .

وثانيهما عند قوله تعالى : ﴿ ربَّنا غلبَتْ علينا شِقْوتُنا[٢] ﴾ ، بكسر الشين، وهى قراءة أهل المدينة وعاصم ، وأنشد البيت أيضاً .

و(العناء) بالفتح : التعب والنَّصَب . و (الحجة) بالكسر : السَّنَة . ونائب فاعل كلِّف ضمير الرجل ، وبنت مفعول ثان لكُلِّف .

قال الجاحظ (فى كتاب الحيوان) : أنشدنى أبو الرُّدينى الدَّلَم بن شِهاب ، أحدبنى عَوف بن كنانة ، مِنْ عُكل[٣] قال : أنشدنى نُفَيْع بن طارق :

عُلِّق من عَنائه وشِقوته
بنتَ ثمانى عشرةٍ من حجته
وقد رأيتَ هدجاً فى مِشيته
وقد جَلاَ الشَّيب عذارَ لحيته[٣]
يظنُّها ظناًّ بغير رؤيتـــه
تمشى بجَهْمٍ ضِيقُهُ فى هِمَّته[٤]

(١) الآية ٤ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٣٤ .
(٢) الآية ١٠٦ من سورة المؤمنين . معانى الفراء ٢ : ٢٤٢ .
(٣) جلاه : جعله واضحا أبيض. فى النسختين : «حكى» ، صوابه فى الحيوان .
(٤) ش : « ضيقة » صوابه في ط والحيوان . وفي الحيوان أيضا : « من همته » .

١٠٦ لم يُخْزِه الله بُرحب سَعته

حَجَّم بعدَ حلقه ونُورته[١]

كقنفذ القُفّ اختفى في فَروته

لا يقنع الأير بنزع زهرته[٢]

* كأنّ فيه وهَجاً من مَلَّته *

والمدج : مِشية الشيخ . والجهم : الباسر الـكالح ، من جهُم بالضم ، إذا صار باسر الوجه ، أراد حِرًا جَهْما ذا عُـكَن ، كالوجه الجهْم .

وقول « ضِيقه في هِمَّته » ، أراد أنّ حِرَها ضيِّقٌ كضيق هِمّته .

وحَجَّم بفتح الجيم والحاء المهملة ، أي برز الحِرُ الجهْمُ ، من حَجَّم الرجل إذا فتح عينيه كالشاخص .

والقُفّ : حِجارة غاصٌ بعضها ببعض ، مترادف بعضها إلى بعض .
والملة ، بالفتح : الرّماد الحار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الأربعمائة[٣] :

٤٨٣ (ولا تَبلَى بسالتُهم وإنْ هُمْ

صَلُوا بالحرب حيناً بعدَ حينِ)

(١) في الحيوان : « جمم » ، أي ظهر فيه الشعر ولم يفزر ، وأصله من الجميم ، وهو النبت الذي طال بعض الطول ولم يتم .

(٢) زهرته ، كذا وردت في النسختين . وفي الحيوان : « رهوته » ، والرهوة : مستنقع الماء . والنزع ، مأخوذ من نزع الماتح بالدلو من البئر .

(٣) أمالي القالي ١ : ٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والحماسة ٤١ بشرح المرزوقي .

على أن أصل حِينَ حِينَ بالتركيب ، حيناً بعد حين ، كما فى البيت .

وأورده صاحب الصحاح فى صَلِيَ بالأمر كفرح ، إذا قاسى حَرّه وشدّته.

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لأبى الغُول الطُّهَوىّ ، أوردها القالىُّ (فى أماليه) ، وأبو تمام (فى أول حماسته) ، وهى :

أبيات الشاهد

(فَدَت نفسى وما ملكت يمينى
فوارسَ صدّقُوا فيهم ظنونى

فوارسُ لا يمَــلُّون المنــايا
إذا دارت رَحا الحربِ الزَّبونِ

ولا يجزُون من حَسنٍ بسُوأى
ولا يجزُونَ من غِلَظٍ بِلِينِ

ولا تبلَى بسالتُهُم وإن هـمْ
صَلُوا بالحرب حيناً بعدَ حينِ

هـمُ مَنَعوا حِمى الوَقَبَى بضربٍ
يؤلِّفُ بين أشتاتِ المنونِ

فنــكَّبَ عنهم دَرْءَ الأعادى
وداوَى بالجُنون من الجنون

ولا يرْعَوْن أكناف الهُوَينى
إذا حلُّوا ولا أرضَ الهُدونِ[1])

---

(١) ش : « أكتاف الهوينى » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة .

قوله : « فدت نفسى » إلخ جملة دعائية ، وما موصولة . وتخصيص اليمين لفضلها وقوّة التصرف بها ، وهم يقيمون البعضَ مقام الجملة وينسُبون إليه الأحداث والأخبار كثيرا ، كقوله تعالى : ﴿ فظلَّتْ أعناقُهم لها خاضعِين[1] ﴾.

قال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : قوله صدَّقوا فيهم ظنونى ، فظنونى مفعوله . وروى غير القالى : « صَدَّقت فيهم ظنونى » فالظنون على هذه الرواية فاعلة[2] . ويروى « صُدِّقت » بضم الصاد، فتكون الظنون مفعولةً ، يريد أنها نائب فاعل .

وأنشده صاحب الكشاف فى سورة سبأ برواية «صَدّقت فيهم ظنونى» ، وقال : لو قرئ : ﴿ ولقد صَدّقَ عليهم إبليسُ ظنُّه[3] ﴾ ، بتشديد الدال ورفع إبليس والظنّ كما فى البيت لكان مبالغةً فى الصّدق عليهم .

وفوارس شاذ فى الجموع،لأنّ فواعل جمع فاعلة لما يعقل دون فاعل . والمعنى تفدى نفسى ومالى أجمع فوارسَ يكونون عند ظنونى بهم فى الحرب .

وقوله (فوارس لا يملون) الخ بالنصب بدل من فوارسَ وبالرفع خبر مبتدأ محذوف، أى هم فوارس . والمنايا: جمع منيّة ، وهى الموت؛ أراد أسبابها. والزّبون : الناقة التى تَزبِن حالبَها ، أى تدفعه برجلها ، ومنه الزّبانيَة ، لأنّهم يَدفَعون إلى النار . وإنّما لم يؤنث لاستواء فعول فى المؤنث والمذكر . شبّه الحرب التى لا تَقبل الصُّلحَ بالناقة الزبون . ويقال ثَبتَ فلانٌ فى رحا الحرب، أى حيث دارت كالرحا . ١٠٧

(١) الآية ٤ من الشعراء .

(٢) فى النسختين : « فاعله » و « مفعوله » فيما سيأتى . والوجه ما أثبت من اللآلىء ٥٨٠ .

(٣) الآية ٢٠ من سورة سبأ . وقراءة رفع « ابليس » و « ظنه » هى قراءة عبد الوارث عن أبى عمرو ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٧٣ . وقرأ الكوفيون : « صدق » بالتشديد ، مع رفع ابليس ونصب ظنه . وباقى السبعة « صدق » بالتخفيف مع رفع ابليس ونصب ظنه .

قوله : « ولا يجزون من حسن » إلخ ، يُشرح إن شاء الله في أفعل التفضيل[١] .

قوله : « ولا تبلى بسالتهم » إلخ قال الطبرسى : تَبلى من بَلِيَ الثوبُ . ويروى « تُبلىَ » بالضم ، من بلوت إذا اختبرت . والبسالة يُوصَف بها الأسد والرجل . وصَلُوا من صَلِيتُ بكذا ، أى مُنِيتُ به . وجواب إن هم صلوا يدلُّ عليه ما قبله ، تقديره إن مُنوا بالحرب لم تُخلِق شجاعتهم ، أو لم تختبر شجاعتهم ليعرف غورها ومنتهاها على مرِّ الزمان ، واختلاف الأحوال . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى : هكذا الرواية « تَبْـلى» بالفتح من البِلى . وروى غير القالى : «ولا تُبْـلى» بضم التاء من الابتلاء ، وهو الاختبار ، أى لا يختبر ما عندهم من النَّجدة والبأس وإن طال أمدُ الحرب ، لـكثرة ما عندهم من ذلك . ويجوز على هذه الرواية « صَلوا بالحرب إلاَّ بعد حين » .

وقوله :« همُ مَنعُوا حِمَى » إلخ الحمى : موضع الماء والـكلأ . والوَقَبى بفتح الواو والقاف : موضع بقرب البصرة . وكان من حديثه أنَّ عبد الله بن عامر كانَ عاملاً لعثمان بالبصرة وأعمالها، واستعمل بشرَ بن حارث بن كَهف المازنيَّ على الأحماءِ التى منها الوَقَبي ، فحفرَ بها رَكيَّتَين : ذاتَ القصر ، والجوفاء[٢] ، فانتزعهما منه عبدالله بن عامر ، ووقعت الحرب بينهم بسبب ذلك ، وعادَ الماء فى آخر حروب ومُغاوَرات إلى بنى مازن . كذا قال شراح الحماسة .

وقال أبو عبيدة : كانت الوقبى لبـكرٍ على إيادٍ الدَّهرَ ، فغلبهم عليها

---

(١) فى الشاهد ٦٢٦ .

(٢) فى النسختين : « الحـــوفاء » صوابه بالجيم ، كما فى شرح الحماسة للتبريزى ١ : ٣٤ ومعجم البلدان في حرف الجيم .

بنو مازن بعَون عبدالله بن عامر صاحب البصرة لهم ، فهى بأيدى بنى مازن اليوم . وكان بين بنى شيبان وبين مازن حرب فيها ، وتعرف بيوم الوقبى قُتِلَ فيها جماعة من بنى شيبان . انتهى .

يقول : إنّ هؤلاء القوم هم الذين يمنعون حِمَى هذا المكان ، بضربٍ يجمع بين المنايا المتفرِّقة . وهذا يحتمل وجوهًا : يجوز أن يكون أنّ هؤلاء لو بقَوا فى أماكنهم ولم يجتمعوا فى هذه المعركة لوقعت مناياهم متفرِّقةً فى أمكنةٍ متغايرة ، وأزمنة متفاوتة ، فلما اجتمعوا تحتَ الضرب الذى وصفه صار الضربُ جامعاً لهم .

ويجوز أن يكون المعنى أنّ أسباب الموت مختلفة ، وهذا الضرب جمع بين الأسباب كلها . وحُكِى عن أبى سعيد الضَّرير أنّ المعنى أنّ الضرب إذا وقع ألّف بين أقدارهم التى قُدِّرت عليهم . ويجوز أن يكون المراد : بضربٍ لا ينفِّس المضروب ولا يُمهله ، لأنّه جمعَ فِرَقَ الموتِ له .

وقوله : « فنكّب عنهم » إلخ الدرء أصله الدفع ، ثم استعمل فى الخلاف ؛ لأنّ المختلفين يتدافعان . يقول : هذا الضرب نكّب عن هؤلاء القومِ اعوجاجَ الأعادى وخِلافَهم ، وداوَوْا الشّرّ بالشّرّ . وهذا كقولهم : « الحديدُ بالحديدُ يُفلَح » . وأصل النّكَب المَيل . وقال أبو عبيدٍ البكرى : هذا مثل قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

وقال الفرزدق :

أحلامُنا تزِنُ الجبالَ رزانةً

ويزيد جاهِلُنا على الجُهّالِ

١٠٨ قوله : « ولا يرعون أكنافَ » إلخ الهوينى : الدّعة والخفض ، وهو مصغر الهُونَى تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهُونى اسما مبنياً من الهينة وهى السُّكون ، ولا تجعلَه تأنيث الأهون .

والهُدون : السُّكون والصلح . يصفهم بالحرص على القتال ، وإيثارِ جانب الخصومة على الصُّلح . فيقول : لا يرعى هؤلاء القوم ، من عزِّهم ومنعتهم ، الأماكنَ التى أباحتها المسالمة ، ووطّأتها[1] المهادنة ، ولكن يرعَون النواحىَ المحميَّة ، والأراضى المنيعة[2] .

أبو الغول الطهوى

وأبو الغُول الطهوى هو كما قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف من قوم من بنى طُهَيَّةَ يقال لهم بنو عبد شمس بن أبى سُود[3] . وكان يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغُول لأنّه فيما زعم رأى غولا فقتلَها وقال :

رأيتُ الغُولَ تهوِى جُنْحَ ليلٍ

بسهبٍ كالعَبايــــة صحصحانِ

فقلت لها : كلانا نِضوُ أرضٍ

أخو سفرٍ فصُدّى عن مكانى[4]

---

(١) وطأ الشيء : سهله وهيأه . فى النسختين : « ووطئتها » ، صوابه من اللآلىء ٥٨١

(٢) فى اللآلىء : « والأرضين الممتنعة » .

(٣) ط : « بن سود » صوابه من ش مع أثر تصحيح والمؤتلف ١٦٣ . وانظر الاشتقاق ٢٣٣ وما سيأتى فى ضبط البغدادى .

(٤) ط والمؤتلف : « فقلت له » ، صوابه فى ش . والغــول مؤنثة .

إذا عَينانِ في وجهٍ قبيح
كوجه الهِرِّ مشقوقِ اللسان

بِعَيْنَيْ بُومة وشَواةِ كلب
وجلدٍ في قرًا أو في شِنان[1]

وله في هذا حديث وخبر (في كتاب بني طهية) . انتهى .

أبو الغول النهشلي

ونسب ابن قتيبة تلك الأبيات[2] لأبي الغول النهشلي ، قال : هو عِلْباء بن جَوْشن ، من بني قَطَن بن نهشل ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو القائل :

وسَوءة يكثر الشَّيطانُ إن ذُكِرتْ
منها التعجُّبَ ، جاءت مِن سليمانا

لا تعجَبَنَّ لخير جاء من يده
فالكوكبُ النحس يَسقِي الأرض أحيانا[3]

انتهى .

وأبو الغول النهشلي غير أبي الغول الطهوي ، نقلهما الآمدي عن أبي اليقظان ، وقال في النهشلي : هو علباء بن جَوشن ، وإنَّه شاعر ذكره أبو أبو اليقظان ولم ينشد له شعرا ، ولم أرَ له ذكرا في كتاب بني نهشل . انتهى .

وأبو سود بضم السين هو ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأم أبي سود طهيّة بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(١) في المؤتلف : « بعيني بوهة » . والبوهة : طائر يشبه البومة الا انه أصغر منها . وقال ابو عمرو : هي البومة الصغيرة .
(٢) يعني ابيات الشاهد النونية ، انظر الشعراء ٣٩٤ .
(٣) في الشعراء : « زل عن يده » .

ونهشل هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة المذكور . فأبو سود يكون عمّ نهشل . وعِلباء بكسر العين المهملة وسكون اللام بعدها باء موحدة وألف ممـدودة .

وسليمان هو سليمان بن عبد الملك بن مروان .

فالنهشلى شاعر إسلامىٌّ فى الدوله المروانية . وأما الطهوىّ فلم أقف على كونه إسلاميًّا أو جاهليًا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٤٨٤ (فلولاَ يَومٌ يَومٍ ما أردنا
جَزاءكَ والقُـروضُ لهـا جَـزاءُ)

على إنّه إذا خرج الظروف والأحوال عن الظرفية والحالية وجبَت الإضافة ولم يجز التركيب .

قالسيبويه : وأمّا يوم يوم ؛ وصباح مساء ، وبيت بيت ،وبين بين ، فإن العرب تختلف فى ذلك ، يجعله بعضهم بمنزلة اسمٍ واحد ، وبعضهم يضيف الأول إلى الآخر ولا يجعله اسما [واحداً [2]] ولا يجعلون شيئًا من هذه الأسماء بمنزلة اسمٍ واحد إلاّ فى حال الحال والظرف ، كما لم يجعلوا يا ابن عمّ ويا ابن أمّ بمنزلة شىء واحد إلاّ فى حال النداء . والآخِرُ من هذه الأسماء فى موضع جرّ ، وجُعل لفظه كلفظ الواحدِ وهما اسمان أحدهما مضافٌ إلى الآخر . ١٠٩

---

(١) فى كتابه ٢ : ٥٣ . وانظر الشذور ٧٦ والهمع ١ : ١٩٧ وديوان الفـرزدق ٩ .

(٢) التكملة من سيبويه .

وزعم يونس ، وهو رأيه ، أنّ أبا عمرو كان يجعل لفظه كلفظه[١] ، إذا كان شيء منه ظرفا أو حالا . وقال الفرزدق :

ولولا يومُ يومٍ ما أردنا .. .. البيت

فالأصل فى هذا والقياسُ الإضافة . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة يوم الأول إلى الثانى ، على حدّ قولهم : معد يكربٍ ، فيمن أضاف الأوّل إلى الثانى . يقول : لولا نصر مالك فى اليوم الذى تعلم ما طلبنا جزاءك . وجَعل نصرَهُم له قرضاً يطالبونه بالجزاء عليه .

هذا كلامه ، ولم يشرح وجه الإضافة ، وظاهرها إضافة المترادفين . وقد شرحها أبو على (فى التذكرة) قال : أماقوله حين لاحين ، فالثانى غير الأوّل ، لأنّ الحين يقع على الجزء اليسير من الزمان ، فأضاف الحين الأوّل إلى الثانى ، ولا زائدةٌ ، فيكون من إضافة البعض إلى الكلّ ، نحو حلقة فضة ، وعيد السّنة ، وسبْت الأُسبوع ، فلا يكون إضافةَ الشىء إلى نفسه . ومثله قولُ الفرزدق :

ولولا يوم يوم ما أردنا .. .. البيت

فيوم الأوّل : وضح النهار ، والثانى البُرهة ، كالتى فى قوله : ﴿ ومَن يَولِّهم يَومئذٍ دُبُرَهُ[٢] ﴾ . وأنشد أبو عمرو :

حَبَّذا العرصاتُ يَوماً فى ليالٍ مُقْمِراتِ[٣]

فقال : « يوما فى ليالى » إرادةَ المدّةِ ، دون المعاقِب اللّيل . انتهى .

(١) فى سيبويه : « كلفظ الواحد » .
(٢) الآية ١٦ من سورة الأنفال .
(٣) ط : « ليالى المقمرات » ، واثبت ما فى ش .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الأربعمائة، وهو من شواهد سيبويه [1] :

٤٨٥ (وجُنَّ الخازِبازِ بِهِ جُنونا)

على أنّ لام التعريف إذا دخلت على اللغات المذكورة لخازباز لم تغيِّر ما كان مبنيا عن بنائه .

قال ابن برى (فى شرح أبيات إيضاح الفارسى) : بنى على الكسر كما تبنى الأصوات ، وفيه لغات . ولمَّا أرادُوا تعريفه أدخلوا أل عليه؛ لأن المركب حكمه حكم المفرد فى ذلك ، نحو الخمسة عشر درهما . قال أبو على : وإنَّما جاز دخولُ أل عليه وان كان الغالب عليه وقوعه صوتًا لأنَّهم أوقعوه على غير الأصوات فى نحو قوله :

يا خازبازِ أرسل اللهازِما إنّى أخافُ أن تكون لازما

فقيل إنّه ورم . وقد يجوز أن يشبَّه بباب العبَّاس ، لأن ما دخلته أل من ذلك كثير ، نحو :

* تداعين باسم الشِّيب [2] *

والشِّيب : حكاية صوت جَذب الماء ورَشْفِه عند الشُّرب . انتهى :

وصدره :

(تفقَّـأ فوقَه القَلَعُ السَّوارى)

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر الحيوان ٣ : ١٠٩/٦ : ١٨٥ والانصاف ٣١٣ وابن يعيش ٤ : ١٢١ وحماسة البحترى ١٩٠ والكامل ٣٠٠ واللآلىء ٥٩٣ .

(٢) هو الشاهد الثامن فى الخزانة ١ : ١٠٤ ، وهو بتمامه :

تداعين باسم الشيب فى متثلم جوانبه من بصرة وسلام

والبيت من قصيدةٍ لابن أحمر . وقبله :

(يظــلُّ يَحُفُّهنَّ بقفقفيه ويُلحِفهنَّ هَفّافًا ثخينا[1]

بهَجْلٍ من قَسًا ذفِرِ الخُزامَى تَهادَى الجِربياء به الحنينا

تفقأ فوقه .. .. البيت)

يصف فى هذه الأبيات نعاماً . ويحفُّهن أى يحفُّ بيضات . والقَفْقافان : الجناحان . والقفقف كجعفر ، بقافين بينهما فاءان . وجَناح هفّاف، أى خفيف الطيران . وجعله ثخيناً لتراكُب الريش عليه . أى يُلبس بيضَه جناحيه ، ويَجعلهما للبيض كاللّحاف ، وجناحه خفيف مع ثِخَنِه وكثرة ريشه ، لأنّه لو كان ثقيلاً لكسر البيض .

١١٠

وقوله: « بهجل من قَسًا » إلخ الباء متعلقة بيُلحفهنَّ . والهَجْل، بفتح الهاء وسكون الجيم : المطمئن من الأرض . والروض أحسن ما يكون فى مطمئن ، لأنّ السّيول تجتمع فيها . وقَسًا ، بفتح القاف والسين المهملة : موضع . يريد أنّ هذا الموضع أُدحيُّها ومحلُّ بيضها . وذَفِر صفة لهَجْل بفتح الذال المعجمة وكسر الفاء ، وصفٌ من الذَّفَر بفتحتين ، وهو كل ريح ذكيّة من طيب أو نتن . وأما الدَّفْر بالمهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة . والخُزامى بضم المعجمة : نبات طيّب الريح . والجِربياء بكسر الجيم : ريح الشّمال . وتَهادَى أى تتهادى ، أى تُهدى إليه الحنين ، وهو الشّوق وتَوَقان النفس . وضمير به للهَجْل .

---

(١) هفاف وهفهاف : يطير مع الريح . والمـراد الجناح . وفى اللسان : « هفهافا » .

وقوله : (تفقّأ فوقه) أى فوق الهَجْل . وتفقّأ أى تتفقأ ، فهو مضارع ، أى تنشقّ السّحائب فوق هذه الروضة التى فى هذا الهَجْـل . وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يقال تفقّـأ السحاب ، أى سال بالمطر . وأنشد البيت . وجملة تفقأ صفة أخرى من هَجْل أو حال منه . و (القَلَع) بفتح القاف واللام : جمع قَلَعة ، وهى القطعة العظيمة من السحاب . وقال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : السحاب العظام . و (السوارى) : جمع سارية ، وهى السحابة التى تأتى ليلا . و (الخازباز) هنا : نبت . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : جنونه : طوله وسرعة نباته . وبه ، أى بهذا الهجل .

وكذلك قال قبله أبو حنيفة الدينَوَرى (فى كتاب النبات) : المجنون من الشجر كلّه والعشب : ما طال طولا شديدا . وإذا كان كذلك قيـل جُنّ جنونا .

وأنشد هذا البيت . وقال فى ثلاثة مواضع أخر من كتابه: الخازبازمن ذِبّانِ العُشب . وأنشدُوا قولَ ابن أحمر فى صفة عشب :

* وجن الخازباز به جنونا *

يعنى فى هزجه وطَيرانه . وقال آخرون ، هو نبتٌ . وجنونه : طوله وسُموقه[1] . انتهى .

وفسره حمزة (فى أمثاله) بالذباب عند قوله: « الخازباز أخصب[2] » ، قال : هو ذباب يطير فى الربيع ، يدلّ على خِصب السنة . وأنشد البيت .

(١) السموق : الارتفاع . ط : « وسمرته » ، صوابه فى ش .

(٢) وأورده الميدانى أيضا فى أمثاله ١ : ٢٢٧ فى حرف الخاء .

وَفسَّره الزمخشرى أيضا (فى المفصل) بذباب العشب . ومَثَّل للعشب بقوله :

* والخازبازِ السَّنِمَ المَجُودا *

وهو من أرجوزةٍ أورد بعضَها ابنُ الأعرابى (فى نوادره) ، وهو :

أرعيتُها أطيَبَ عُودٍ عودَا
الصِّلَّ والصِّفصِلَّ واليعضيدا
والخازباز النـاعم الرَّغيـدا[1]
والصِّلِّيانَ السَّنِمَ المَجـودا
* بحيث يدعو عامرٌ مسعودا[2] *

فهذا صوابه .

وقد سبق الزمخشريَّ ابنُ السكيت (فى إصلاح المنطق) وهو مركب من بيتين كما ترى . وهذه أسماء نباتات . والسَّنِم بفتح السين وكسر النون : العالى . والمجود : الذى أصابه الجَوْد بالفتح ، وهو المطر القوىُّ . وعامر ومسعود : راعيان .

قال ابن السكيت : قوله بحيث يدعو الخ ، هذا بيتٌ يلقى فيُسأل : لِمَ يدعو أحدُهما الآخر ؟ فالجواب : إنّما قال هذا لكثرة النبت وطوله ، بحيث يوارى مسعوداً عن عامر ، فلا يعرف عامرٌ مكان مسعود ؛ فيدعوه ليعرفَ مكانه .

---

(١) ش : « الرعيدا » .
(٢) ط : « مسعود » ، صوابه فى ش .

وأطيب مفعول ثان . وروى بدله « أكرم » . وها : ضمير الإبل مفعول

١١١ أول . ومن روى « رعيتها » ، فأطيب حال وها ضمير البقعة وما بعده بدل من أطيبَ على الوجهين . وتسمية هذه النباتات عُوداً على اعتبار تسمية النبت شجرة .

وابن أحمر شاعر إسلامي تقدمت ترجمته في الشاهد الستين بعد الأربعمائة(١)

(١) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨ . وهنا ينتهى الجزء الأول من مخطوطة الشنقيطي ذات الرمز (ش) . وكتب ناسخها :
تم الجزء الأول من خزانة الأدب بعون الله تعالى وتوفيقه على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهم الى مولاه على بن محمد بن مصطفى الملقب بابن رجب وبابن الترجمان الجزائرى نشأة (لعله يريد نشأة) المدنى دارا . غفر له ولوالديه وأشياخه وأحبائه والمسلمين أجمعين . وكان الفراغ من كتابته فى ضحوة يوم الاثنين المبارك خامس ربيع الأول الأنور من شهور سنة ١٢٨٩ كتبه لأخيه وحبيبه العالم الفاضل الورع العامل الأديب اللبيب الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى حفظه الله تعالى وزاده رفعة وكمالا . آمين .

يتلوه في أول الجزء الثاني الكنايات .

الكنايات

أنشد فيها، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الأربعمائة[1] :

٤٨٦ (كأنّ فَعْلَةَ لم تملأْ مَواكبُها
ديارَ بكر ولم تخلَعْ ولم تَهَبِ)

على أنّ « فَعْلَة » كناية عن مَوزونِه مع اعتبار معناه، وهو خَوْلة .

صاحب الشاهد والبيت للمتنبّي من قصيدةٍ رثى بها خَولة أُختَ سيف الدولة الحمدانى ، ولم يصّرح بلفظها استعظاماً ، لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلة، فلفظ فَعلة حكمها حُكم موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلة ممتنع .

وقد أورده الشارح المحقق فى باب العلم أيضاً .

ومنه قول المتنبى أيضاً :

يا وجهَ داهيةَ الذى لولاكَ ما
أكل الضّنَى جسمى ورضّ الأعظُما[2]

قال ابن فورّجة : داهية ليست باسم علم لمحبوبته ، ولكن كنى بها عن اسمها ، على سبيل التضجُّر ، لعظم ما حلّ به من بلائها ، إى إنّها لم تكن

(١) انظر ديوان المتنبى بشرح العكبرى ١ : ٥٩ .
(٢) فى الديوان ٢ : ٢٩٦ : « يا وجه داهية التى لولاك ما » .

إلا داهية عليه . وزعم ابن جنى أنّ داهية اسمُ التى شبَّبَ بها . ولم يُصِب الواحدى فى قوله : الوجه قول ابن جنّى : فترك صرفها فى البيت ، ولو لم يكن علماً لكان الوجه صرفَها . اهـ .

وقد نقل الشارح المحقق عن سيبويه أنّ حالَ كنايةِ العلم فى الصَّرف ومنعه ، كحال العلم . وبه يضمحلُّ قوله : « ولو لم تكن علماً لكان الوجه صرفَها » .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من أوّل القصيدة :

(يا أختَ خير أخٍ يا بنتَ خير أبِ
كنايةً بهما عن أشرفِ النَّسبِ)

قال الواحدىّ : أراد يا أخت سيف الدولة ويابنت أبى الهيجاء ، فكنى عن ذلك ، ونصب « كنايةً » على المصدر ، كأنّه قال : كَنَيتُ كناية .

(أجلُّ قَدرِكِ أن تُسمَىْ مؤبّنةً
ومن يَصِفْكِ فقد سمّاكِ للعربِ)

مؤبنة : مرثيّة ، من التأبين وهو مدح الميت . وتُسْمَىْ بمعنى تُعرّفى . أى أنت أجلُّ من أن تعرّفى باسمك ، بل وصفُك يعرّفك بما فيك من المحاسن والمحامد التى ليست فى غيرك ، كما قال أبو نواس :

فهى إذا سمّيت فقد وُصِفتْ
فيجمع الإسمُ معنيين معـــا

إلى أن قال :

(طوَى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ
فزِعتُ فيه بآمالى إلى الكذِبِ)

يريد خبر نعيها ، وأنّه رجا أن يكون كذبا ، وتعلّل بهذا الرجاء . والجزيرة : مدينة على شطّ دِجلة بين الموصل وميّافارقين . يقول : جاءنى خبر موتها من الشام ، وقطعَ الجزيرةَ حتى وصل إلىّ ، فلما سمعت التجأت إلى التعلّل بالآمال ، فقلت : لعلّه يكون كذبا . فلم ينفَعْنى ذلك . ١١٢

(حتّى إذا لم يدعْ لى صدقُه أملاً
شَرِقتُ بالدمْع حتى كاد يَشرَقُ بى)

يقول : حتى إذا صحّ الخبر ولم يبق لى أملٌ فى كونه كذبا ، شرقت بالدمع لغلبة البكاء إياى ، حتى كاد الدمع يشرق بى ، أى كثرت الدموع حتّى صرت بالإضافة إليها لقلّتى كالشىء الذى يشرق به .

والشَّرَق بالدمع : أن يقطع الانتحاب نَفَسَه فيجعله فى مثل حال الشرِق بالشّىء . والمعنى : كاد الدمع لإحاطته بى أن يكون كأنّه شرِقٌ بى .

(تعثّرتْ بهِ فى الأفواهِ ألسُنها
والبُرْدُ فى الطُّرْق والأقلامُ فى الكتبِ)

أورده الشارح المحقق فى باب الوقف من شرح الشافية قال : إنْ كان قبل الهاء متحركٌ نحو : به وغلامه ، فلابدّ من الصلة ، إلا أن يُضطرّ شاعرٌ فيحذفها ، كقول المتنبي : .... وأنشد البيت .

قال الواحدى : أى لهول ذلك الخبر لم تقدر الألسنُ فى الأفواه أن تنطق به ، ولا البريدُ فى الطريق أن يحمِله ، ولا الأقلامُ أن تـكتبه .

ولم يلحق الياء فى الهاء من به واكتفى بالكسرة ضرورة .

وقد جاء عن العرب ماهو أشدُّ من هذا ، كقول الشاعر :

وأشرب الماء مابى نحوه عطشٌ
إلاّ لأنَّ عيونَهْ سيلُ واديها[1]

وهذا كقراءة من قرأ : ﴿لا يؤدِّهْ إليك[2]﴾ بسكون الهاء .

ويروى «تعثَّرت بكَ» يخاطب الخبر ، وترك لفظ الغيبة . كذا فى شرح الواحدى . وقال المعرى : يريد أنَّ هذا الخبر نبأٌ عظيم لا تجترئ الأفواه على النطق به . وهذا قد يجوز أن يكون صحيحاً ، لأنَّ الإنسان ربما هاب الإخبار بالشىء لعظمه فى نفسه ، وكذلك الكاتب الذى يكتب بالخبر الشنيع ربما يعثر قلمُه هيبةً للأمر الذى دخل فيه ، وإنما التعثر للكاتب .

وأما إذا ادَّعى التعثُّر من البُرُد فكذب لامحالة ، لأنَّ البريد لايشعُر بالخبر .

وقد ذكر فى موضع آخر مايدلُّ على أنَّ حامل الكتاب الذى لايُشعَر مافيه غير شاقٍ عليه حمله فكيف بالدابة التى لايُحكم عليها بالعقل . وذلك قوله لعضد الدولة :

حاشاكَ أن تضعُفَ عن حمل ما تحمَّل السائرُ فى كُتْبه[3]

---

(١) من شواهد المحتسب ١ : ٢٤٤ والخصائص ١ : ٣٧١ / ٢ : ١٨

(٢) الآية ٧٥ من آل عمران . وهذه قراءة أبى عمرو وهشام وطائفة . اتحاف فضلاء البشر ١٧٦ .

(٣) ديوان المتنبى ١ : ١٣٦ .

وقال المبارك بن أحمد المستوفى (فى كتاب النظام) : لافرق بين تعثُّر القلمِ وتعثُّرِ البريد ، لأنّ نسبة ذلك إليهما محال . وإذا اعتُذِر فى القلم بتعثر الكاتب فهلاّ اعتذِر فى البريد بتعثر أصحابه ، لأنّ كلاًّ من الأقلام والبرد لا يشعُر بالخبر .

(كأنّ فعلة لم تملأْ مواكبُها
ديارَ بكر ولم تَخلَعْ ولم تَهَبِ)

قال ابن جنى : كنى بفَعلة عن اسمها ، واسمُها خولة . قال أبو العلاء : وهذا تقويةٌ لقوله :

* أجلُّ قدرِكِ أن تُسْمَيْ مؤبَّنة *

قال الواحدى : يذكر مساعيها أيام حياتها ، يقول : كأنّها لم تفعل شيئاً مما ذكر ، لأن ذلك انطوى بموتها . وقال ابن المستوفى (فى النظام) : زعم أبو البقاء أنّ المعنى ، أنها كانت تجهز الجيوش إلى ديار بكر للجهاد . وليس كذلك ، لأن الموكب الجماعةُ يركبون للزِّينة والفرجة . قال الجوهرى : الموكِب بابةٌ من السّير[1] . والموكب : القوم الركوب على الإبل للزينة ، وكذلك جماعة الفرسان . وفى قول أبى الطيب « ديار بكر » دليلٌ على ماذكرته؛ لأنه لو أراد ماذكره أبو البقاء كان قد قصَرَ جهادها على موضع مخصوص ، وهذا فيه

١١٣

(١) فى النسختين : « بابه السير » ، صوابه من الصحاح واللسان (وكب) . أى نوع من السير .

نقصٌ من المدح . وعلى أنّ ديار بكر كان لسيف الدولة معظمُها ، فكيف تجهِّز جيشاً إلى بلاد أخيها .

وترجمة المتنبي قد تقدمت في الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة [1] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الأربعمائة [2] :

٤٨٧ (اكفُفْ اكفُفْ)

هو قطعة من بيت ثان من أحجيّة للحريري (في مقاماته) ، وهما :

يا من تُقصِّر عن مَـــدا
هُ خُطَا مُجارِيهِ وتَضعُفْ [3]
ما مثـــلُ قولك للذى
أضحى يحاجيك: اكففِ اكففْ

على أنّ المراد بهذين اللفظين المكرَّرين بطريق الإلغاز والتعمية : مهمه ، وهو القفر . فإنّ اكفف يرادفه « مَهْ » ، ومكرره « مَهْمه » ، فمجموع اكفف اكفف كنايةٌ عن : مه مه . وهذا تعمية وإلغاز .

والمعمّى والألغز في اللغة كلاهما بمعنى واحد ، وهو الشيء المستور . وبينهما فرقٌ عند علماء الأدب . فالمعمّى كما قال القطب (في رسالة المعمّى) المسماة (بكنز الأسما ، في كشف المعمّى) : هو قولٌ يستخرج منه كلمة فأكثر بطريق

(١) الخزانة ١ : ٣٤٧ — ٣٦٣ .
(٢) مقامات الحريرى ٣٩٦ . أنظر المقامة الملطية .
(٣) فى النسختين : « يقصر » بالياء ، والوجه ما اثبت ليتساوق الفعلان .

الرمز والإيماء ، بحيث يقبله الذوق السليم . واللغز : ذكر أوصاف مخصوصة بموصوف ليُنتقَل إليه ، وذلك بعبارة يدلُّ ظاهرها على غيره وباطنها عليه .

قال القطب في (رسالته) : قد فرقوا بينهما بأنّ الكلام إذا دلّ على اسم شيء من الأشياء بذكر صفاتٍ له تميِّزه عما عداه كان ذلك لغزا . وإذا دلّ على اسمٍ خاص بملاحظةِ كونه لفظًا بدلالة مرموزِه سُمِّى ذلك معمًّى . فالكلام الدالُّ على بعض الأسماء يكون معمى من حيث أن مدلوله اسم من الأسماء بملاحظة الرمز[1] على حروفه ، ولغزا من حيث أن مدلوله ذاتٌ من الذوات بملاحظة أوصافها . فعلى هذا يكون قول القائل في كَمُّون :

يا أيُّها العطَّارُ أعرِبْ لنـــا
عن اسم شيء قلّ في سومِكا[2]
تنظره بالعَين في يقظـةٍ
كما ترى بالقلب في نومِكا

يصلح أن يكون لغزاً بملاحظةِ دلالته على صفات الكمُّون ، ويصلح أن يكون في اصطلاحهم معمًّى باعتبار دلالته على اسم بطريق الرَّمْز . انتهى .

ويقال للمعمى في اللغة أُحجيّة أيضاً ، وهي في اصطلاح أهل الأدب نوعٌ منه . وقد نظم الحريرى(في المقامة السادسة والثلاثين[3]) عشرين أُحجيّة، وهو أوّل مَن اخترعها وسماها أحجيّة . وقال : « وضع الأحجيّة ، لامتحان

(١) ش : « بملاحظة من الرمز » .
(٢) رسمت في ش : « سومك » ، وفي البيت التالي : « نومك » .
(٣) هي المقامة الملطية التي أشرت اليها فيما سبق .

الألمية(١) ، واستخراج الخبيئة الخفيَّة . وشرطها أن تكون ذات مماثلةٍ حقيقية ، وألفاظ معنوية ، ولطيفةٍ أدبية . فمتى نافت هذا النمط (٢) ، ضاهت ١١٤ السَّقَط ، ولم تدخُل السَّفَط » .

ومن أحاجيه قوله فى (ها ، دِيَهْ) :

أيا مستنبطَ الغامـ ـض من لُغز وإضمارِ
ألا اكشِفْ لىَ ما مثلُ تناوَلْ ألفَ دينارِ

وقد تلاه من جاء بعده فنظم فى هذا الأسلوب ماراق وسَحر الألباب ، وشاق الأفهام لدرْكها من كلِّ باب .

والأحجيَّة فى الحقيقة من قسم الترادف والتحليل ، وهما من أعمال فن المعمى فالأحجية نوعٌ من المعمَّى ، وهو فن استنبطه أدباء العجم ، أسَّسُوا له قواعد ، وعقدُوا لهُ معاقد ، حتى صار فنًّا متميزاً من سائر الفنون .

وأوَّل من دوَّنه المولى شرف الدين على اليزيدى(٣) مؤرخ (الفتوحات التيمورِيَّة) باللغة الفارسية . وكان شاعراً فصيحاً ، وناثرا بليغاً فى اللسانين ، وتوفى سنة ثلاثين وثمانمائة .

قال القطب : ومازال فضلاء العجم يقتفون أثره ، ويوسِّمون دائرة الفن ويتعمَّقون فيه ، إلى أنْ ألف فيه المولى نور الدين عبدالرحمن الجامى صاحب

(١) نص الحريرى : « اعلموا يا ذوى الشمائل الادبية ، والشمول الذهبية ، أن وضع الأحجية ، لامتحان الألمعية » .. الخ .
(٢) نافته من المنافاة والمخالفة .
(٣) فى حواشى ط : « قوله اليزيدى ، صوابه اليزدى ا هـ من هامش الأصل » .

شرح الكافية ، عشر مسائل قد دونّت وشُرحت . وكثر فيها التصنيف إلى أن نبغ فى عصره المولى مير حسين النيسابورى ، فأتى فيه بالسحر الحلال ، وفاق فيه لتعمقه ودقة نظره سائر الأقران فى الأمثال . كتب فيه رسالة تكاد تبلغ حد الإعجاز ، أتى فيها بغرائبِ التعمية والإلغاز ، حتى إن المولى عبدالرحمن الجامى مع جلالة قدره قال : لو اطلعتُ عليها قبل الآن ما ألفّت شيئاً فى علم المعمى .

وارتفع شأن مولانا مير حسين بسبب علم المعمّى مع تعمقه فى سائر العقليات ، فصار ملوك خراسان وأعيانها يرسلون أولادهم إليه ، ليقرءوا رسالته عليه ؛ إلى أن توفى فى عام اثنى عشر وتسعمائة بعد وفاة الجامى بأربعة عشر عاماً .

وظهر بعدهما فائقون فى المعمّى فى كل قطر ، بحيث لو جُمعت تراجمهم لزادت على مجلد كبير .

ثم قال القطب : وأنت إذا تصفّحت كتبَ الأدب ، وتتبّعت دواوين شعراء العرب ظفِرت من كلامهم بكثيرٍ مما يصدُق عليه تعريف المعمّى ، لكنّهم نظموه فى قالَب اللّغز يُستخرج منه الاسم الذى ألغزوه بطريق الإيماء ، ووجدت كثيراً من أعمال المعمّى فى غضون ألغازهم . فليس العجمُ أبا عذرة هذا الفنّ ، ولكنهم دوّنوهُ ورتّبوه .

ورأيت كثيراً من ألغاز شرف الدين بن الفارض يصدُق عليه تعريف المعمّى فى اصطلاح العجم . ويقرب من ذلك قول القائل فى « بَختيار » :

وأهيفَ معشوقِ الدلال ممنّـعٍ
يمزّقنى فى الحبِّ كلَّ ممزّقِ

فلو أن لى نصفَ اسمه رَقّ وارعوى
أو العكسُ من باقيه لم أتَعشَّقِ

إلى أن قال : وأعمال المعمى ثلاثة :

الأول العمل التحصيلى ، وهو ما يتحصَّل به حروف الكلمة المطلوبة .

والثانى العمل التكميلى، وهو ما بسببه تتكمَّل الحروف الحاصلة وتترتب . وهذا بمنزلة الصورة ، والأول بمنزلة المادة .

والثالث العمل التسهيلى ، وهو الذى يسهِّل أحد العملين السابقين ؛

وتحت كلٍّ نوع من هذه الأعمال أنواعٌ متعددة . انتهى .

قلت : وأولُ من دوّن فى المعمى فى اللغة العربية وترجمه بالطريقة العجمية ، العالم الفاضل قطب الدين المكى الحنفى ، فى رسالة سمَّاها (كنز الأسما ، فى كشف المعمَّى) .

١١٥

وتلاه تلميذه عبد المعين بن أحمد ، الشهير بابن البكاء البلخى الحنفى ، وألفٌ رسالة سماها (الطراز الأسمى ، على كنز الأسما) .

وأما التأليف فى الألغاز والأحاجى فقد صنَّف فيه جماعة عديدة ، لهم فيها كتب مفيدة ، وتصانيف سديدة ، أجلُّها علما وأعظمها حجما ، كتاب (الإعجاز فى الأحاجى والألغاز) تأليف أبى المعالى سَعد الورّاق الحَظِيرى[٢]

---

(١) فى كشف الظنون : « اعجاز فى الأحاجى والألغاز للشيخ ابى المعالى سعد بن على الوراق الخطيرى المتوفى سنة ٥٦٨ . ولصائن الدين الحنبلى » .

قلت : صوابه « الحظيرى » بالحاء المهملة بعدها ظاء معجمة ، كما فى النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨ واسمه فيها : سعد الدين بن على . قال ابن تغرى بردى : كان شاعرا فاضلا . والحظيرة : قرية فوق بغداد ، وهى بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء » . وسيأتى هذا الضبط فى نهاية الكلام على الشاهد .

وهو كتاب تَكِلُّ عن وصفه الألسن ، جمع فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ فيه الأعين[1] . ذكر فى أوله اشتقاق المعمى واللغز والأحجيّة ، والفرق بينها وبين ما شاكلها ، فلا بأس بإيراده هنا ، فإنّه قلما يوجَدُ فى كتاب على أسلوبه .

قال : فى الجمهرة : الحجى العَقْل . والحُجَيَّا من قولهم : حُجَيَّاك ما كذا وكذا ؟ وهى لُعبةٌ وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم ، نحو قولهم : أحاجيك ماذُو ثلاثِ آذان ، يسبق الخيل بالرَّدَيان ؟ يعنُون السهم وما أشبه ذلك .

وقال أيضا : اللُّغز : ميلُكَ بالشىء عن جهته ، وبه سُمِّى اللغز من الشِّعر ، كأنّه عُمِّى عن جهته . واللُّغيزاء بالمد : أن يحفِر اليربوع ثم يميلَ فى بعض حُفَرِ ليعمِّىَ على طالبه . والألغاز : طرقٌ تلتوى وتُشكِل على سالكها ، والواحد لغز . وقال الأزهرى : قال الليث : اللغز : ما ألغزت من كلام فشبَّهت معناه ، مثل قول الشاعر ، أنشده الفراء :

ولمّا رأيتُ النَّسرَ عزَّ ابن دأيةٍ
وعشَّش فى وكريه جاشَتْ له نفسى[2]

أراد به الشَّيْب ، شبّهه به لبياضه ، وشبَّه الشباب بابن دأية وهو الغراب الأسود ، لأنَّ شعر الشباب أسْود .

قال : وأخبرنى المنذرى عن أبى الهيثم أنه قال : اللُّغُز بضمتين واللغز بالسكون ، واللُّغَيزاء والألغاز : حفرٌ يحفرها اليربوع فى جُحره تحتَ الأرض ، يقال ألغز اليربوع إلغازاً . فيحفر فى جانبٍ منه طريقا ويحفر فى الجانب الآخر

(١) فيه الأعين ، كذا فى النسختين .
(٢) اللسان (داى ٢٧٢) .

طريقاً ، وكذلك في الجانب الثالث والرابع ، فإذا طلبه البدويُّ بعصاه من جانبٍ نفَقَ من الجانب الآخر .

والأحاجيُّ : جمع أحجّية ، أفعولة من الحِجا وهو العقل ، أي مسألة تستخرَج بالعقل . وقال الأزهري : قال الليث : تقول حاجيته فحجوته ، إذا أتت عليه كلمةٌ مخالفة المعنى للّفظ . والجواري يتحاجين الحُجَيَّا، تصغير الحَجْوَى. وتقول الجارية للأخرى : حُجَيّاكِ ما كان كذا وكذا ؟ والأحجيّة : اسم المحاجاة ، وفي لغةٍ : أُحجوّة ، والياء أحسن . والحجوى : اسمٌ أيضا للمحاجاة .

والمعمّى : المغطّى . قال الأزهري : التعمية أن يعمى الإنسان[1] فيلبِّسه عليه تلبيسا . والأعماء : جمع عمًى ، وأنشدونا :

* وبلدة عاميةٍ أعماؤه[2] *

أي دارسة . وأعماؤه : مجاهله ، يقال بلد عَمًى لا يُهتدى فيه ، لأنّه لا أعلام له يُهتَدي بها[3] : والمعامي هي الأراضي المجهولة . وقال الليث : العمى : ذهاب البصر من العينين كلتيهما ، والفعل منه عمِي يعمَى عَمًى . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ قال ربِّ لم حشرتَني أعمَى وقد كنتُ بَصيراً[4] ﴾ قال : أعمى عن الحجة وقد كنت بصيراً بها . وقال ابن عرفة[5] يقال عمي عن رُشده وعمي عليه طريقُه ، إذا لم يهتد إليه . وروى أبو عبيد في حديث

---

(١) الذي في التهذيب ٣ : ٢٤٧ : « والتعمية أن تعمى على انسان شيئا فتلبسه عليه تلبيسا » .

(٢) الشطر لرؤبة في ديوانه ٣ وبعده :

* كأن لون ارضه سماؤه *

(٣) في ش : « لا اعلام له تهدى » . والذي في التهذيب : « بلد مجهل وعمى لا يهتدى فيه » .

(٤) الآية ١٢٥ من سورة طه .

(٥) في التهذيب ٣:٢٤٤: «وقال نفطويه»، ونفطويه هو ابراهيم =

النبي صلى الله عليه وسلم أنّ أبا رزين العُقيلى قال له : أين كان ربُّنا قبل أن خَلَقَ[1] السموات والأرض؟ قال : « كانَ في عَمَاء تحتَه هواء»[2] . وقال ١١٦
أبو عبيد : العماء في كلام العرب السَّحاب ، وهو ممدود . قال أبو عبيد : وإنَّما تأولْنا هذا الحديث على كلام العرب المنقول عنهم ، ولا يدرى كيف كان ذلك العماء . قال : وأمَّا العَمَى في البصر فمقصور ، وليس هو من هذا الحديث في شيء .

قال الأزهري : وبلغنى عن أبي الهيثم[3] في تفسير هذا الحديث أنه « في عَمًى » مقصور ، قال : وكل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمًى . والمعنى أنَّه تبارك وتعالى كان حيث لا تدركه عقولُ بنى آدم ولا يبلغ كنهَهَ الوصفُ ، ولا تُدركُه الفطن .

ثم قال[4] بعد كلامٍ طويل :

فصل في ذكر أسماء هذا الفن وعَودها إلى معنىً واحد. هذا الفنّ وأشباهه يسمَّى المعاياة ، والعويص ، واللغز ، والرمز ، والمحاجاة ، وأبيات المعانى ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ، والمعمَّى ، والممثَّل .

والمعنى في الجميع واحد ، وإنَّما اختلفت أسماؤه بحسب اختلاف وجوه اعتباراته ، فإنَّك إذا اعتبرته من حيث هو مغطًّى عنك سمَّيته معمًّى ؛ مأخوذ من

= بن عرفة .
(١) في التهذيب ٣ : ٢٤٦ : « قبل أن يخلق » .
(٢) بعده في التهذيب : « وفوقه هواء » .
(٣) في النسختين : « الهيثم » ، صوابه في التهذيب .
(٤) يعنى الحظيرى صاحب كتاب الاعجاز .

لفظ العمى ، وهو تغطية البصر عن إدراك المعقول . وكلّ شيء تغطّى عنك فهو عَمِيّ عليك .

وإذا اعتبرته من حيث أنه سُتر عنك ورُمس سمَّيته مرموساً ، مأخوذ من الرمس وهو القبر ، كأنّه قُبر ودفن ليخفى مكانه على ملتمسه . وقد صنف بعض الناس فى هذا كتابا وسماه (كتاب المرموس) ، وأكثره ركيك عامّىّ .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ معناه ، يؤُول إليك أى يرجع ، أو يؤوّل إلى أصل سمَّيته مؤوّلا ، وسمِّيت فعلك تأويلا . وأكثر ما يختص هذا بالآيات والأخبار . والتفسير يختص باللفظ ، والتأويل بالمعنى .

وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه واعتياصُ استخراجه سميته عويصاً . وهذا يختص بمشكل كلّ علم ، يقال منه مسألة عويصة ، وعلم عويص .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ غيرك حاجاكَ به ، أى استخرج مقدار حِجاك وهو عقلُك ، أو مقدار رَيْثك فى استخراجه ، مشتقّاً من الحجو وهو الوقوف واللَّبث ، سمَّيته محاجاة ، ومسائله أحاجٍ [1] واحدُها أحجيّة وحُجيّا . وهذا أيضاً لا يختصُّ بفن واحد من العلوم ، وإن كان الحريرى صاحب المقامات قد أفرد له باباً .

واذا اعتبرته من حيث أنّه قد عُمِل له وجوهٌ وأبواب مشتبهة سمَّيته لُغزاً ، وسميت فعلك له إلغازاً ، مأخوذ من لُغز اليربوع .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ واضعه كان يعاييك ، أى يظهر إعياءك ،

---

(١) ش : « أحاجى » .

وهو التعب فيه ، سمّيته معاياة . وقد صنف الفقهاء فى هذا الفن كتباً وسموها كتب المعاياة . ولغيرهم من أرباب العلوم مصنفات .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ واضعه لم يفصح به قلت :رمْز ، والشيء مرموز ، والفعل رَمز .

وقريب منه الإشارة .

وإذا اعتبرته من حيث استخراجُ كثرة معانيه فى الشعر سمّيته أبيات المعانى ، وكتب المعانى . وهذا يخص الأدب والشّعر .

وإذا اعتبرته من حيث هو ذو وجوه سمّيته الموجَّه ، وسمّيت فعله التوجيه . وذلك مثل قول محمد بن حكينا[٢] ، وقد كان أمينالدولة أبوالحسين ابن صاعد الطبيب قاطعَه ثم استماله ، وكان ابن حكينا قد أضرَّ بصرُه وافتقر ، فكتب إليه :

وإذا شئت أن تُصالح بشّا ... رَ بنَ بُردٍ فاطرحْ عليه أبَاه ٤١٧

فنفّذ إليه بُرداً واسترضاه ، فاصطلحا . وهذا أحسن ماسمعتُ فى التوجيه.

قوله : بشار بن برد ، أى أعمى . فاطرحْ عليه أباه ، هذه لفظةٌ بغداديّة ، يقال لمن يريد أن يصالح : اطرح عليه فلاناً، أى احمِله إليه ليشفع لك .

ولم يتّفق لأحدٍ فى التوجيه أحسن من هذا .

---

(١) وكذا فى كتاب الفلاكة والمفلوكون ١٨١ قال : « ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر . لكن فى ترجمة الحريرى فى معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وابن خلكان ١ : ٤٢٠ « ابن جكينا » بالجيم . وسماه ابن خلكان « أبو محمد بن أحمد الخريمي البغدادي » .

وإذا اعتبرته من حيث أن قائله لم يصرِّح بغرضه سمَّيته تعريضا وكناية . وأكثر أرباب الحياء من الناس مضطرٌ إلى مثله .

وإذا اعتبرتَه من حيث أن قائله يوهمك شيئاً ويريد غيره ، سمَّيته لحنا ، وسمِّيت مسائله الملاحن . وقد صنف الناس فى هذا الفن كتبا ، كالملاحن لابن دريد ، والمنقِذ للمفَجَّع(1) ، والحِيَل فى الفقه وغيره . فاعرف ذلك .

الحريرى صاحب المقامات

والحريرى هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريريُّ البصريّ صاحبُ المقامات . كان أحدَ أئمة عصرِه ، ورُزق السعادةَ والحُظوةَ التامَّةَ فى عمل المقامات ، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ، ورموز أسرار كلامها . ومَنْ عرفَها حقَّ معرفتها استدلَّ بها على فضله وكثرةِ اطِّلاعه ، وغزارة مادته .

رُوى أنَّ الزمخشريَّ لما وقفَ عليها استحسنها ، وكتب على ظهرِ نسخةٍ منها :

أُقسمُ باللهِ وآياته ... ومَشعَرِ الحجِّ وميقاتِهِ
أنَّ الحريريَّ حريٌّ بأنْ ... تُكتَبَ بالتبرِ مقاماتِهِ

ثم صنع الزمخشريُّ المقاماتِ المنسوبة إليه ، وهى قليلة بالنسبة إليها ، وشرحَها أيضا ، وصَنع فى إثرها (نوابغَ الكلم) .

(1) المفجع هذا هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب البصرى . لقى ثعلبا وأخذ عنه ، وكان بينه وبين أبى بكر بن دريد مهاجاة . وسرد له ابن النديم فى الفهرست ١٢٣ كتبا كثيرة . وقال ياقوت فى معجم الأدباء ١٧ : ١٩٤ : « وله أيضا كتاب المنقذ فى الأيمان يشبه الملاحن لابن دريد ، الا أنه أكبر منه وأجود وأتقن » . ط : « للمنجع » ش : « للمنتجع » ، والصواب ما أثبت . وليس المنتجع من المؤلفين بل هو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة .

وقد اعتنى بشرح المقامات أفاضلُ العلماء شروحاً متنوِّعة تفوت الحصر والعدّ .

وله أيضاً (دُرَّةُ الغواص)،وله أيضا شروحٌ كثيرة قد اجتمع منها عندى خمسة شروح .

وله أيضا (مُلحة الإعراب) فى النحو ، وشرحها أيضا .

وهو عند العلماء يُعدُّ ضعيفًا فى النحو . وله ديوانُ رسائلَ وشعر كثير . وله قصائد استعمل فيها التجنيسَ كثيراً .

ويحكى أنَّه كان دَميماً قبيحَ المنظر ، فجاءه شخصٌ غريب ليأخذَ عنه ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم الحريرىُّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُملِىَ عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أوّلُ سارٍ غرَّهُ قمَرٌ
ورائدٍ أعجبتْه خُضرةُ الدِّمَنِ

فاخترْ لنفسك غيرى ؛ إنّنى رجلٌ
مثلُ المُعَيدِىِّ فاسمعْ بى ولا ترنى

فخجل الرجلُ وانصرف عنه .

وكانت ولادته سنةَ ستٍّ وأربعين وأربعمائة ، وتوفِّى فى سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

والحريرى نسبتُه إلى الحرير وعملِه،أو بيعهِ.وكان يزعم أنّه من ربيعةِ الفَرَس، وكان مولعا بنتف لحيته عند الفِكرة ، وكان يسكن فى مَشَان البصرة ، بفتح الميم والشين المعجمة ، وهى بُليدة فوق البصرة كثيرة النخل ، موصوفة

بشدّة الوخَم ، وكان أصله منها ، يقال إنّه كانَ له بها ثمانية عشر[١] ألف نخلة وإنه كان من ذوى اليسار .

ولمّا اشتهرت المقامات استدعاهُ من البصرة إلى بغداد وزيرُ المسترشِد جلالُ الدين عميد الدولة ، أو الحسن بن صدقة[٢] ، وسأله عن صناعته ، فقال: أنا رجلٌ منشيء . فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعةٍ عيّنها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، ومكث زمانا طويلا فلم يفتح الله عليه بشيء ، فقام وهو خجلان . فعمل هذين البيتين فيه أبو محمد المعروف بابن حكينا[٣] الشاعر البغدادى :

١١٨

شيخٌ لنا من ربيعةِ الفَــــرسِ
ينتفُ عُثنونه من الهوَسِ
أنطقَـــه الله بالَمشان كما
رماه وسْطَ الدّيوان بالخرَسِ[٤]

سعد الوراق الحظيرى

وأما سعد الوراق ، فهو أبو المعالى سعد بن على بن القاسم الأنصارى الخزرجى الورّاق الحظيرىُّ البغدادى ، المعروف بدلاّل الكتب . كان له نظمٌ جيد ، وألّف مجاميع ، منها كتاب (زينة الدهر ، وعُصرة أهل العصر) ، وهو ذيلٌ على (دمية القصر للباخرزى) . وله كتاب سمّاه (ملح الملح[٥]) يدلُّ على

---

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « ثمان عشرة » . والألف مذكر .

(٢) فى الوفيات ١ : ٤٢٠ : « جمال الدين عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى العز على بن صدقة ، وزير المسترشد » . والمسترشد هو الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدر بالله العباسى ، كانت حياته بين سنتى ٤٨٥ ـ ٥٢٩ .

(٣) انظر ما سبق فى حواشى ص ٤٦١ .

(٤) فى معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وكتاب الفلاكة ١١٨ : « بالمشان . وقد الجمه فى العراق بالخوس » .

(٥) فى الوفيات ١ : ٢٠٣ : « لمح الملح » .

كثرة اطّلاعه. وله (كتاب الألغاز) المذكور. وله شعرٌ جيدٌ منه :

ومعذَّرٍ في خدّه ... وردٌ وفي فيه مُدامْ
مالانَ لي حتّى تغَ ... شّى صُبْحَ سالفهِ ظلامْ
كالمُهر يجمَح تحت را ... كبه ويَعطفه اللِّجامْ

وله أيضا :

أحدقَتْ ظُلمةُ العذار بخدّيـ ... ـهِ فزادت في حبّه حسَراتي
قُلت : ماء الحياة في فمه العذ ... بِ، دَعُوني أخوضُ في الظُّلماتِ

وله كلُّ معنى مليح ، مع جودة السبك .

وتوفي في يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد .

والحظيريّ ، بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة : نسبة إلى موضع فوق بغداد ، يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء . والثيابُ الحظيريّةُ منسوبةٌ إليه أيضا .

ولخّصت هاتين الترجمتين من الوفيات لابن خَلّكان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الأربعمائة(١) :

٤٨٨ (وأنّي لأ كنُو عن قَذورَ بغيرها
وأعرِبُ أحيانًا بها فأصارحُ)

على أنّه يقال كنوت ، كما يقال كنيت .

(١) اصلاح المنطق ١٥٧ واللسان (قذر ، كني) .

وأورده يعقوب بن السكيت (فى باب ما يقال بالياء والواو من إصلاح المنطق) قال : ويقال كنيته وكنوته . وأنشد أبو زياد :

* وإنّى لا كنو عن قذور * البيت .

قال شارح أبياته ابن السيرافى : قذور : امرأة . يقول : أذكرها فى بعض الأوقات باسم غيرها ، وأصرّح باسمها فى وقت آخر وأعرِب وأبيِّن . يقال أعرب عن الشىء يعرب إعرابا ، إذا بيّنه . و (أصارح) : أظهر ولا أستر . انتهى .

وقال ابن دريد : ناقة قذور : عزيزة النّفس لا ترعى مع الإبل ولا تبرك معها . انتهى .

فيكون اسم المرأة منقولاً من هذا .

أبو زياد الأعرابى

وأبو زياد هو صاحب النوادر المشهورة، أنشد ذلك البيت فى نوادره ولم يعزُه لاحد .

وهو يزيد بن عبد الله بن الحُرّ بن همّام بن دهر بن ربيعة بن عمرو ابن نُفاثة بن عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقدم أبو زياد بغدادَ من البادية أيام المهدى لأمرٍ أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وصنّف (كتاب النوادر) ، وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة . وله (كتاب الفروق) .

١١٩

ومن شعره :

له نارٌ تُشبُّ على يَفاعٍ
إذا النِّيرانُ أُلبِستَ القِناعا[1]
ولم يكُ أكثرَ الفتيان مالاً
ولكن كان أرحبَهم ذراعا

* * *

وأنشد بعده :

(ربَّ من أنضجتُ غيظاً صدره)

هذا صدر وعجزه :

(قد تمنَّى لىَ موتا لم يُطَعْ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الأربعمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(على أنَّنى بَعْدَ ماقد مضَى
ثلاثون للهجر حولا كميلا)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد السادس عشر بعد المائتين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[4] :

---

(١) الحيوان ٥ : ١٣٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٢ .

(٢) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ١٢٣ — ١٢٧ .

(٣) الخزانة ٣ : ٢٩٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٢٩٦ . وانظر المقتضب ٣ : ٦١ والجمل ١٤٧ والانصاف ٣٠٣ وابن يعيش ٤ : ١٣٢ والمقرب ٦٨ والهمع ١ : ٢٥٥/٢ : ١٥٦ والأشمونى ٤ : ٨٢ .

٤٨٩ (كم بجودٍ مُقْرِفٍ نالَ العُلا
وكريمٍ بخلُه قد وَضَعَــــهْ)

على أنّ يونس يجيز فى الاختيار الفصل بين كم الخبرية وبين مميّزها المتضايقين بالظرف، كما فى البيت.

قال سيبويه : وقد يجوز أن تجُرّ ، يعنى كم ، وبينها وبين الاسم حاجز ، فتقول : كم فيها رجُلٍ . فإن قال قائل : أضمر مِنْ بعد فيها ؛ قيل له : ليس فى كلّ موضع يضمر الجارّ . وقد يجوز على قول الشاعر :

كم بجـودٍ مقرفٍ نال العـلا
وكـريمٍ بخله قد وضعـه

الجرّ والرفع والنصب على ما فسّرنا . انتهى .

قال الأعلم : فالرفع على أن تجعل كم ظرفا ويكون لتكثير المرار[1] ، وترفع مقرف بالابتداء وما بعده خبر ، والتقدير : كم مرة مقرفٌ نال العلا . والنصب على التمييز ، لقبح الفصل بينه وبين كم فى الجرّ . وأما الجرّ فعلى أنه أجاز الفصل بين كم وما عملت فيه بالظرف ضرورةً . وموضع كم فى الموضعين موضع رفع بالابتداء ، والتقدير: كثير من المقرفين نال العلا بجود . والمقرف : النّذل اللئيم الأب . يقول : قد يرتفع اللئيم بجوده ، ويتضع الرفيع الكريم الأب ببخله . انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنه

(١) صح مرة . وفى النسختين : « المراد » بالدال ، صوابه فى الشنتمرى .

إذا فصل بين كم الخبرية وبين الاسم بظرف كان مخفوضا ، بالنقل والقياس . أما بالنقل فقوله :

* كم بجود مقرفٍ نال العلا *

وقال الآخر :

* كم فى بنى بكر بن سعدٍ سيّدٍ *

وأما القياس فلأنّ خفض الاسم بتقدير من ، نحو : كم رجل أكرمت ، بدليل أنّ المعنى يقتضيه ، فتقدر من فى الفصل كما تقدّر فى الاتصال . ولا يجوز أن تكون بمنزلة عددٍ ينصب كثلاثين ، ولو كانت بمنزلته لكان ينبغى أن لا يجوز الفصل بينهما .

وذهب البصريُون إلى أنّه لا يجوز فيه الجر ويجب نصبه ، لأنّ كم هى العاملة للجر ، لأنها بمنزلة عدد مضاف ، فإذا فصل بظرفٍ بطلت الإضافة ، لأنّ الفصل بين المتضايفين بالظرف لا يجوز فى الاختيار ، فعُدل إلى النصب كما قال : ١٢٠

* كم نالنى منهم فضلا على عدمٍ *

والتقدير : كم فضل ، فلمّا فصل نصب . وإنما عدل إلى النصب لأنّ كم بمنزلة عدد ينصب ما بعده ، ولم يمتنع النصب بالفصل لأنّ له نظيراً . وأما قوله كم بجود مقرف ، فالرِّواية الصحيحة مقرفٌ بالرفع ، أو أنّ الجرّ شاذٌ . وهذا هو الجواب عن البيت الثانى . وقولهم : « إنّ مِنْ مقدّرة » قلنا : إنّ كم عند المحققين من أصحابكم بمنزلة ربّ ، يخفض الاسم بها كربّ[1] ولأنّ حذفَ حرف الجر له مواضع مخصوصة ، وليس هذا منها .

---

(١) ط : « فخفض الاسم بها كرب » ، واثبت ما فى ش . والذى فى الانصاف : « فيخفضون بها الاسم الذى بعدها كرب » .

وقولهم : إنَّها لو كانت بمنزلة عدد ينصب مابعده كثلاثين لـكان ينبغى أن لايجوز الفصل . قلنا: إنما جاز فيها جوازاً حسنا دون نحو ثلاثين[1] ، لأنَّ كم مُنعت من بعض مالثلاثين من التصرُّف ، فجعل هذا عوضاً مما منعته . ألا ترى أنَّ ثلاثين تـكون فاعلة لفظا ومعنى ومفعولة ، فلما مُنعت كم من هذا جُعل لها ضربٌ من التصرُّف ، ليقع التعادل . على أنه جاء الفصل بين ثلاثين ومميِّزها فى الشعر كـقوله :

على أنّنى بعـدَ ما قد مضى
ثلاثون للهجر حولاً كميلا[2]

انتهى .

وقوله : (بجود) متعلق بِنال ، والباء سببية ، وكم على هذا الوجه مبتدأ وهى خبرية ونال العلا الخبر . ومن روى بنصب مقرف فهى أيضاً خبرية . قال أبو على : وقد تجعل كم فى الخبر بمنزلة عشرين فيُنصب مابعدها ، ويُختار ذلك إذا وقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، فتـكون كم أيضاً مبتدأ ، ونال العلا الخبر ، ونصب مقرف على التمييز .

ومن روى برفع مقرف فهى أيضاً خبرية وموضعها نصب بأنها ظرف ، والعامل فيها نال ، ومقرف مبتدأ ونال العلا خبره . وإنما لم تـكن كم هى الخبر لأنها هنا ظرف زمان .

---

(١) فى الانصاف : « دون ثلاثين ونحوه » .

(٢) هو الشاهد ٢١٦ فى الخزانة ٣ : ٢٢٩ . ونسب الى العباس ابن مرداس .

وقوله : (وكريم) بالجر عطف على مقرف على رواية الجر ، وجملة (بخله قد وضعه) من المبتدأ والخبر خبر لكم المقدّرة .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات نسبها صاحب الأغانى لأنس[1] بن زنيم ، قالها لعبيدالله ابن زياد بن سُمَيَّة . كذا قال صاحب الأغانى وشُرّاح أبيات سيبويه وشراح الجمل ، وهى :

أبيات الشاهد

(سَل أميرى ما الذى غـيَّره
عن وصالى اليوم حتى وَدَعه
لا تُهِنِّى بعد إكرامك لى
فشديدٌ عادة منتزعـــه
لا يكنْ وعدكَ برقاً خُلَّبـاً
إنّ خير البرقِ ما الغيثُ معه
كم بجودٍ مقرفٍ نال العــلا
وشريفٍ بُخْلُه قد وضعه)

وقوله : « سل أميرى » إلخ أنشده الشارح المحقق (فى شرح الشافية) على أنّ يدع سمع ماضيه وَدَعَ كما فى البيت . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودع بقولهم : ترك . وقد جاء ودع على جهة الشذوذ ، قرئ فى الشواذ ﴿ ماوَدَعَك[2] ﴾ ، وكقوله : حتى ودعه . وقال سُويد بن أبى كاهل :

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٦ — ١٧ واللسان (ودع ٢٦٣) .
(٢) هى قراءة عروة بن الزبير ، وابنه هشام ، وأبى حيوة وأبى بحرية وابن أبى عبلة . تفسير أبى حيان ٨ : ٤٨٥ .

فسعَى مسعاتَه في قومهِ ثم لم يُدرِكْ ولاعجزاً ودَع[١]

وقال آخر :

فكان ماقدَّموا لأنفسِهمْ أكثر نفعاً من الذى وَدَعوا[٢]

١٢١ وقد جاء وادع أيضاً فى الشعر، أنشدهُ أبو على (فى البصريات)، وهو :

فأيّهما ما أتبعَنّ . فإنّنى حزينٌ على ترك الذى أنا وادعُ[٣]

وقد جاء المصدر أيضاً فى الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « لينتهينّ أقوامٌ عن وَدْعهم الجمعاتِ أو ليختمَنّ الله على قلوبهم » .

وقد جاء اسمُ المفعول أيضا . قال خفاف بن ندبَة :

إذَا ما استحمّت أرضُه من سمائه

جرى وهوموموعٌ ووادع مَصدقِ[٤]

قال الصغانى : أى متروك لا يُضرب ولا يزجر .

وقول ابن برى إنَّ مودوعا هنا من الدعة التى هى السُّكون لامن الترك، يردُّ عليه أنَّ ودع بمعنى سكن غير متعدٍّ ، يقال ودَع فى بيته .

وقوله: « لا تَهنِّى » هومن الإهانة . والخلّب من البرق : الذى لا مطر معهُ ولا يُنتفَع بسحابه . وتضرب به العرب المثلَ لمن أخلَفَ وعدَه . قال أعشى همْدان:

---

(١) المفضليات ١٩٩ . وصواب الرواية : « فسعى مسعاتهم » ، لأن قبله :

ورث البغضة عن آبائه حافظ العقل لما كان استمع

(٢) اللســـان (ودع) .

(٣) اللسان (ودع ٢٦٣) عن البصريات أيضا .

(٤) الأصمعيات ٢٤ واللسان (ودع ٢٦١) .

لا يكنْ وعدُكِ برقاً خُلّبا كاذباً يلمعُ فى عرض الغَمام(١)

الأبيات :

ونسب صاحب الحماسة البصرية هذه الأبيات فى باب الوصف لعبدالله بن كُرَيز . وزاد بعد البيت الثانى :

(واذكر البلوى التى أبليتَنى
ومقالاً قلتَه فى المجمعه(٢))

ورويت أيضا لأبى الأسود الدؤلى . والله أعلم بحقيقة الحال .

أنس بن زنيم

وأنس بن زنيم شاعر صحابى ، مضاف إلى جدّه . قال الآمدى : هو أنس ابن أبى أُناس(٣) الكنانى بن زُنَيم بن مَحْمِيَة بن عَبدبن عدىّ بن الدِّيل بن بكر ابن كنانة بن خُزيمة بن مدركة . وهو شاعرٌ مشهور حاذق ، وهو القائل :

وعَوراء من قِيلِ امرئٍ قد رَددتُها
بسالمة العينين طالبةٍ عُـــذرا

ولو أنّه إذ قالها قلتُ مثلَها
أوَ اكثرَ منها أوْرَثَتْ بيننا غِمْرا

فأعرضتُ عنه وانتظرتُ به غداً
لعلّ غداً يُبدى لمؤتمرٍ أمرا

---

(١) قبله فى الأغانى ٥ : ١٣٨ :
حييا خولة منى بالسلام درة البحر ومصباح الظلام
(٢) ط والحماسة البصرية ٢ : ١٠ : « البلوى الذى » صوابه فى ش مع اثر تصحيح .
(٣) فى الأصل : « اياس » ، صوابه من المؤتلف ٥٥ وجمهرة ابن حزم ١٨٤ ، ١٨٥ والقاموس (أنس) .

لأنزعَ ضِباً ثاوياً في فؤاده
وأقلِمَ أظفاراً أطالَ بها الحفْرا

وقال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر ابن إسحاق (فى المغازى) أنّ عمرو ابن سالم الخزاعى خرج فى أربعين راكبا يستنصرون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على قريش ، فأنشده :

لاهمّ إنّى ناشدٌ محمّدا عَهْدَ أبينا وأبيهِ الأتلَدا[1]

الأبيات . ثم قال : يارسول الله ، إنّ أنسَ بن زُنيم هجاك ! فهدَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم دمَه ، فبلغه ذلك فقدِم عليه صلى الله عليه وسلم معتذراً ، وأنشده أبياتاً مدحه بها ، وكلّمه فيه نوفلُ بن مُعاوية الدؤلى فعفا عنه .

ومن تلك الأبيات :

فما حَمَلَتْ من ناقةٍ فوقَ رحلها
أبرَّ وأوفى ذمّةً من محمّدِ

قال دِعبِل بن على (فى طبقات الشعراء) : هذا أصدق بيتٍ قالته العرب .

١٢٢ ولأنس مع عبيد الله بن زياد أمير العراق أخبارٌ أوردها الأصفهانىّ صاحب الأغانى (فى ترجمة حارثة بن بدر الغدانى) فإنه كان بينهما أهاجٍ بعد تصافٍ[2] .

---

(١) السيرة ٨٠٦ جوتنجن .
(٢) ش : « أهاجى بعد تصافى » .

ورَوى أنّ أنيساً لمّا رأى من عبيد الله بن زياد جَفوة ، وأثرة لحارثة بن بدر ، قال :

أُهانُ وأُقصَى ثم تَنْتَصِحوننى

ومن ذا الذى يُعطِى نصيحتَه قسرا[1]

رأيتُ أكفَّ المُصلِتِينَ عليكم

مِلاءً ، وكَفِّى من عطائكم صِفْرا

مَتى تسألونى ما علىَّ وتمنعوا ا

لذى لىَ لا أَسطِعْ على ذلكم صبرا

وإنّى صرفت الناس عمّا يَريبكم

ولو شِئت قد أغليتُ فى حربكم قِدرا

وإنى مع السّاعى عليكم بسيفه

إذا عَظمُكم يوماً رأيت به كسرا[2]

فقال عبيد الله لحارثة : أجبه . فاستعفاهُ لموَدّةٍ كانت بينهما ، فأقسم عليه فقال :

تَبَدّلتُ من أنسٍ ، إنه كذوب المودّةِ خوّانُها

أراه بصيراً بعيب الخليل وشرُّ الأخلاء عُورانُها[3]

فأجاب أنس:

---

(١) فى الأغانى ٢١ : ١٥ : « وأى امرىء يعطى نصيحته » .
(٢) ط : « اذا عظكم » ، صوابه من ش والأغانى .
(٣) فى الأغانى : « بضر الخليل » .

إنَّ الخيانة شَرَّ الخليـ ـلِ والكفرَ عندك ديوانُها[1]

بصُرت به فى قديم الزمان كما بَصَّرَ العينَ إنسانُها

ودام الشرُّ بينهما زمانا طويلا. وذكَرَ ماجرى بينهما وشِعرَ كلٍّ واحدٍ فى الآخر بإغراء عبيد الله بن زياد.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التسعون بعد الأربعمائة، وهو من شواهد س[2]:

٤٩٠ (كم فى بنى سعدِ بن بكرٍ سيّدٍ
ضَخمِ الدَّسيعةِ ماجدٍ نَفَّاعِ)

على أنَّ فيه دليلاً على جواز الفصل بالظرف المستقر عند يونس، كما جاز الفصل بالظرف اللغو فى البيت السابق.

وسيبويه لا يُجيز الفصل بالظّرف إلاَّ لضرورة، وأنشد هذا البيت.

قال الأعلم: الشاهد فيه خفض سيد بكَمْ ضرورة، ولو رُفع سيّد أو نُصب لجاز كما تقدم. وبيان كونه ظرفا مستقرا أنَّ كم فى محل رفع مبتدأ، والظرف الفاصل فى محل رفع خبر المبتدأ.

وأخطأ ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصّل) فى زعمه أنَّ الظرف حالٌ من سيِّد وكان فى الأصل صفةً فلما قدِّم عليه صار حالاً منه.

ووجه الخطأ أنَّ المبتدأ يبقى بلا خبر.

وضخم وماجد ونفاع، بجرِّ الثلاثة صفات لسيِّد. و(الدسيعة) بفتح الدال

---

(١) فى الأصل: «ان خيانة شر الخليـل»، وأثبت ما فى الأغانى.

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٦. وانظر المقتضب ٣ : ٦٢ والانصاف ٣٠٤ وابن يعيش ٤ : ١٣٠، ١٣٢ والعينى ٤ : ٣٩٢ والأشمونى ٤ : ٨٢.

وكسر السين وبعد المثناة التحتية عين ، والثلاثة بالإهمال ، ومعناها العطية . قال الأعلم : هى من دسع البعير بِجِرّته ، إذا دفع بها . ويقال هى الجَفْنة . والمعنى أنّه واسعُ المعروف . و (الماجد) : الشريف . يصف كثرة السّادات فى هذه القبيلة .

والبيت وقع غُفلا فى كتاب سيبويه والمفصَّل ، ولم يعزه أحدٌ من شرّاحهما إلى قائله .

وزعم العينى أنّه للفرزدق . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٤٩١ (كَمْ نالنِى منهمُ فَضْلاً على عَدَمٍ
إذْ لا أكادُ من الإقتارِ أحتملُ)

على أنّ جر التمييز مع الفصل بالجملة لا يجيزه إلا الفراء ، فيجوز عنده خفض فضلا . وأمّا غيره فيوجب نصبه كما فى البيت . ١٢٣

قال سيبويه : وقال الخليل : إذا فصلت بين كم وبين الاسم بشىء استغنى عليه السكوت أو لم يستغن[3] ، فاحمله على لغة الذين يجعلونه بمنزلة اسم منوّن ، لأنّه قبيح أن يفصَل بين الجار والمجرور لأنّ المجرورَ داخلٌ فى الجارّ ،

(١) لم أجده فى ديوان الفرزدق .
(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٥ . وانظر المقتضب ٣ : ٦٠ والانصاف ٣٠٥ وابن يعيش ٤ : ١٢٩ ، ١٣١ والعينى ٤ : ٤٩٤ والهمع ١ : ٢٥٥ والأشمونى ٤ : ٨٢ وجمهرة القرشى ١٥٣ وديوان القطامى ٦ .
(٣) ط : « أم لم يستغن » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

فصارا كأنهما كلة واحدة . والاسم المنوَّن قد يفصَل بينه وبين الذى يعمل فيه ، تقول : هذا ضاربٌ بك زيدا ، ولا تقول هذا ضاربُ بك زيدٍ . قال القطامى :

* كم نالنى منهم فضلا * البيت

وإن شاء رفع فجعل كم المرارَ التى ناله فيها الفضل ، فارتفع الفضل بنالنى ، كقولك : كم قد أتانى زيد ، فزيد فاعل وكم مفعول فيها ، وهى المرار التى أتاه فيها ، وليس زيد من المرار . اهـ .

قيل : روى فضلا بالجر أيضاً . فكم على النصب والجر مبتدأ ، وجملة نالنى خبره وفاعله ضمير كم . وعلى الرفع ظرف لنالنى كما قال سيبويه .

وزعم العينى أنَّ كم مع النصب ظرف زمان تقديره : كم مرة أو كم يوماً ، وجملة نالنى منهم جملة معترضة بين كم ومميزها ، وهو فضلاً .

هذا كلامه ، ولايخفى فساده ؛ إذ جعل المميز محذوفاً مع أنَّه مذكور ولا يصح جعل [جملة [1]] نالنى اعتراضيَّة ، إذ لافاعل للفعل حينئذ .

وقوله (على عُدُم) أى مع عُدم ، متعلق بمحذوف على أنَّه حال من الياء . كذا قال ابن الحاجب (فى أماليه) عن ابن بَرْهان .

وزعم العينى أنَّه متعلق بنالنى . وهو فاسدٌ يُدرَك بالتأمل .

وأفسد منه قول ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : قوله على عدم حال من الياء ، وعامله نالنى ، ويجوز أن يعمل فيه فضل المصدر على أنه مفعول به .

(١) التكملة من ش .

والعَدَم بفتحتين والعُدْم بضم فسكون ، كلاهما بمعنى الفقر والاحتياج .

و (منهم) متعلق بنالنى . وقال ابن المستوفى ، يجوز أن يكون موضع منهم النصب على الحال صفة لفضل مقدما عليه ، ويجوز أن يكون من فيه مبيّنا للجنس ويعمل فيه نالنى .

وهذا خطأ ، فإنّ من البيانية مع مجرورها تتعلق بمحذوف على أنه حال .

و (الفضل) : الخير والإنعام ، وجملة أحتمل فى محلّ نصب خبر كاد وهو بالحاء المهملة . قال شارح ديوان القطامى : أى لم يكن[1] لى حَمولةٌ أحتمل عليها . والحمولة ، بالفتح ، قال صاحب المصباح : هو البعير يُحمَل عليه ، وقد يستعمل فى الفرس والبغل والحمار . اهـ .

فمعنى أحتمل : أتّخذ حمولة .

وقال الأعلم : قوله « إذ لا أكاد » إلخ ، أى حين بلغ منّى الجهد وسوء الحال [إلى أن[2]] لا أقدر على الارتحال لطلب الرِّزق ، ضعفاً وفقرا .

ويروى « أجتمل » بالجيم ، أى أجمع العظام لأخرج ودكها وأتعلّل به . والجميل : الودك . اهـ .

ولم يذكر أحدٌ رواية الجيم من اجتملت الشحم ، إذا أذبتَه ، وكذا جَمَلته أجمُله جَمْلا ، وربّما قالوا : أجملته ، حكاه أبو عبيد . ورأيتُ فى بعض الحواشى أنّه رُوى (أحتمل) بالحاء المهملة من الاحتمال ، وما أظنّه صحيحا .

---

(١) ش : « أى لم تكن » .
(٢) التكملة من الشنتمرى .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل) أن الرواية (احتَول) ولم يذكر غيرها . وقال : احتول من الحيلة ، وأصلها حِولة قلبت الواو ياء كما فى ميزان . وكان الوجه أحتال ، إلاّ أنه جاء على الأصل المرفوض . هذا كلامه ولم أرها لغيره .

وقوله (إذ لا أكاد) إذ ظرف لتالنى .

١٢٤ والإقتار : مصدر أقتر . قال فى الصحاح : « وأقتر الرجل : افتقر » . ومن متعلقة بالنفى، وقال العينى: ومن متعلقة بأحتمل . وسيجىء ردُّه . وزعم ابن بَرْهان أنّ قوله من الإقتار مفعول له يعمل فيه أحتمل .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : لا يصحُّ هذا لِفسادِ المعنى ، إذ الاحتمال لم يكن من أجل إقتار فيخصِّصه بالنفى ، وإنما يصحُّ أن يكون معلَّلا بمثل ذلك ثم ينفيه مخصصاً له ، كقولك : ماجئتك طمعاً فى برّك ؛ فإن المجىء قد يكون طمعاً فى البرِّ فينفى المجىء المقيَّد بعلّة الطمع ، ولذلك لا يلزم منه نفى المجىء لغير ذلك ، لأنّه لا يتعرَّض له ، بل قد يُفهَم منه إثبات مجىء لغير ذلك عند من يقول بالمفهوم . أمّا لو قال : ما كلفتك بشىء للتخفيف عليك ، فلا يستقيم أن يكون تعليلا لكلفتك ، فإنه لا يصح أن يكون التخفيف[1] علة للتكليف ، وإنما علَّل به نفى التكليف من أجل غرض التخفيف . وسرُّ ذلك هو أنه إذا تعلق الفعل بشىء فلا بد أن يُعقَلَ مثبتاً فى نفسه ثم يتعلّق النفى به . وإذا تعلَّقَ النّفىُ بهِ انتفى المقيد بما تعلق ، ولا ينتفى مطلقًا ، إذ لم ينفِه إلاّ مقيَّدا . ومن أجل ذلك امتنع تعلُّق « من الإقتار » بأحتمل ويُمنع أيضًا تعلقه بأكاد ، إذ لا يتصوَّر تعليل مقاربة

(١) ط : « للتخفيف » ، صوابه فى ش .

الاحتمال بالإقتار ؛ لأنّه عكس المعنى على ماتقدم فى أحتمل ، فوجب أن يكون متعلقا بالنفى ، إذْ هو المسبِّب فى المعنى ، لأنّ المعنى انتفت مقاربة الاحتمال ، من أجل الإقتار . ألا ترى أنّك لو قلتَ لمن قال : انتفت مقاربةُ الاحتمال : ماسبب ذلك ؟ لصحّ أن يقول : سببه الإقتار . ولو قلت لمن قال : ما سبب مقاربة الاحتمال أو ما سبب الاحتمال ؟ سببه الإقتار[1] ، لكان فاسداً . فهو مما يوضح أنّه تعليل للنفى ، وغير مستقيم[2] أن يكون تعليلاً لأحتمل أو أكادُ . انتهى كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للقطامى عدّتها واحدٌ وأربعون بيتاً ، مدح بها أبا عثمان عبد الواحد .

قال ابن الكلبى ، وابنُ حبيب : هو عبدالواحد بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقال مصعب الزبيرىّ : هو عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك . وكان واليا فى المدينة لمرْوان بن محمد .

أبيات الشاهد

وهذا مطلع القصيدة :

(إنّا مُحَيُّوكَ فاسلمْ أيُّها الطَّللُ
وإن بَلِيتَ وإنْ طالتْ بك الطِّيَلُ)

إلى أن قال بعد ستة أبيات :

(والناسُ من يلقَ خيراً قائلون له
ما يشتهى ، ولأمِّ المخطئ الهَبَلُ

---

(١) فى النسختين : « وقال سببه الأقتار » والوجه حذف « وقال » .
(٢) ش : « غير مستقيم » ، بدون واو .

قد يُدركُ المتأنِّى بعضَ حاجتِهِ
وقد يكونُ مع المستعجِل الزللُ)

ثم وصف الإبل التى توصِّله إلى حبيبته عُلَيَّة[1] بأبياتٍ منها :

(يَمشِين رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ
ولا الصدورُ على الأعجاز تتَّكلُ)

إلى أن قال :

(فقلتُ للرَّكْب لما أنْ علت بهمُ
من عَن يمين الُحبَيَّا نظرةٌ قَبَلُ
ألمحةٌ من سنا برقٍ رأى بصَرِى
أم وجه عاليةَ اختالت به الكِللُ)

ثم بعد أبيات خاطب ناقته فقال :

١٢٥ (إن ترجِعى من أبى عثمان مُنجِحةً
فقد يَهُون على المستنجح العملُ[2][3]
أهلُ المدينة لايحزنْكَ شأنهمُ
إذا تخاطأ عبدَ الواحد الأجــلُ

---

(١) ورد اسمها فى البيت الذى يلى السابق فى ص ٢ من الديوان:
أمست علية يرتاح الفؤاد لها وللرواسم فيما دونها عمل
لكن سيأتى فى البيت الثالث بعد هذا برسم « عالية » فلعل « علية » ترخيم تصغير .

(٢) فى الأصل : « فلا أعجاز خاذلة الا الصدور » ، صوابه ما أثبت من الديوان ٤ .

(٣) ش : « المستجنح » ، صوابه فى ط والديوان ٦ وما سيأتى من التفسير .

أما قريشٌ فلن تلقاهمُ أبدا
إلاَّ وهم خير من يَحْفَى وينتعلُ[١]

[إلاَّ وهم جَبَلُ الله الذى قصُرت
عنه الجبالُ فما ساوى به جَبَلُ ؛

قومٌ همُ ثَبَّتوا الإسلامَ وامتنعوا
رهط الرسول الذى ما بعدَه رسُلُ[٢]

مَن صالحوه رأى فى عيشه سَعةً
ولا يُرَى من أرادُوا ضرَّه يئلُ

كم نالنى منهم فضلا على عدم البيت

وكم من الدَّهر ماقدْ ثبتوا قدمِى
إذْ لا يزال مع الأعداء ينتضلُ[٣]

فما همُ صالَحُوا من يبتغِى عنَتى ،
ولا همُ كدَّروا الخيرَ الذى فعلوا[٤]

همُ الملوكُ وأبناء الملوك لهمْ
والآخذون به والسَّاسة الأُوَلُ)

قوله : « إنا محيُّوكَ » أى داعون لك بالتحية ، وهى البقاء . والطلل : ماشخص من آثار الديار . والطيل ، بالكسر : جمع طِيلة، وهى الدهر .

وقوله « والناسُ من يلق » إلخ يقول : من أخطأ قِيلَ : لأمِّه الثُّكل !

(١) ش : « أما قريشا » .
(٢) فى الديوان ٦ : « قوم الرسول الذى ما بعده » .
(٣) فى الديوان ٧ : « اذ لا أزال مع الأعداء انتضل » .
(٤) ط فى : « من ينتقى » ، صوابه من ش والديوان .

وهو الهَبَل . ومن يَلق خيراً ، أى من أصاب عوضاً من الدنيا قالوا : ما أرجَلَه ، لله أبوه ما أعقَله ! ومن أخطأه الرزق قالوا : أماتَه الله ما أعجزه !

وقوله : « قد يدرك المتأنى » إلخ المتأنِّى : صاحبُ الأناة والوقارِ والحِلم . وزَلّ عن الأرض يزل زليلا ، إذا عثر .

وقوله : « يمشين رَهواً » إلخ ، أي على هينتها . يقال فعل ذلك راهيًا ، أى ساكنا سهلا .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى :﴿واترُكِ البَحْرَ رهواً[1]﴾ على أنّ الرهو : السَّير السهل الساكن . ونَسَبَ البيتَ للأعشى ظانًّا أنه من قصيدته التى أولها :

ودِّع هُريرةَ إنّ الركبَ مرتحلُ
وهل تُطيقُ وَدَاعًا أيُّها الرجلُ

وليس كذلك . قال أبو عمرو : يقول هى موثّقة الصدور والأعجاز لا تخذل أعجازُها صدورها ، ولا صدورُها أعجازَها .

وقوله:«فقلت للركب » إلخ نظرة قاعل علَتْ . والنَّظرةُ القَبَل بفتحتين :التى لم تتقدمها نظرة ، ومنه يقال رأينا الهلال قبَلاً ، إذا لم يكن رُئى قبل ذلك . ومعنى علت بهم : جعلتهم يعلون وينظرون . والحُبيًّا ، بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية : موضع بالشام . وعن بمعنى جانب ، فهى اسم . وبه استدلّ ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) ، وابن الناظم والمرادى أيضاً (فى شرح الألفية) .

وقوله: « ألمحَةً من سَنا » إلخ هذا البيت مقول قلت . واللمحة : اللمعة.

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الدخان .

وسَنا البرق : ضوءه . واختالت : تزيَّنت به الكلالُ من حُسنه ، وضمير به للوجه . والكِلل : السُّتور . يريد أنَّ وجه عالية ظهر إليهم من الستر ، فأشرفوا ينظرون إليه إعجاباً به .

ومُنجِحة مِن أنجحَ الرجل ، واستنجح ، إذا ظفر بحاجته . والعَمَل : التَّعب .

ويحفى : يمشى بغير حذاء ، ومصدرهُ الحفاء بالمد .

ويَئل: ينجو ،يقال وأل يئل مَوْئلاً . ونالنى:أصابنى . ويقنضل:يرتمى،بالضاد المعجمة . وعنتى : هلاكى . يقال عنت الرجل يَعنَت عَنتا ، إذا وقعَ فى هلكة .

وقوله :

* هم الملوك وأبناء الملوك لهم *

أى منهم . « والآخذون به » أى بالملك ، فأضمره لمّا جرى ذكر الملوك . ١٢٦

والقطامى : شاعرٌ إسلامى فى الدولة الأموية ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٤٩٢ (كم عمّةٍ لك يا جريرُ وخالة
فَدْعاء قد حَلَبَتْ علىَّ عِشارِى)

(١) الخزانة ٢ : ٣٧٠ .
(٢) فى كتابه ١ : ٢٥٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ . وأنظر المقتضب ٣ : ٥٨ والجمل ١٤٨ وابن يعيش ٤ : ١٣٣ والمقرب ٦٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٤ والعينى ١ : ٥٥٠/٤ : ٤٨٩ والتصريح ٢ : ٢٨٠ والهمع ١ : ٢٥٤ والأشمونى ١ : ٢٠٧ ، ٢١٢/٤ : ٨٠ ، ٨١ وديوان الفرزدق ٤٥١ .

على أنه قد روى عمة وخالة بالحركات الثلاث . وشرحها شرحا جيداً ، وجوّز فى النصب أن تكون كم استفهامية ، وخبرية . وهو مذهب أبى الحسن الربعى .

فإنّ السيرافى قال : كم حينئذ استفهامية. وتبعه الزجاجى . وقال أبو على : لامعنى هنا للاستفهام ، ولكن شبهٌ بالاستفهامية فنصب بها كما تشبه الاستفهامية بالخبرية فيجرٌ بها ، فى نحو قولك : على كم جذعٍ بيتُك مبنىٌ .

وتوسط الرَّبعىٌ بينهما فقال : الوجه ما قاله أبو على . والذى قاله السيرافى يجوز على أنّه استفهمه هازئاً به . كذا نقل ابن السِّيد ، وتبعه ابن خلف .

والربعىٌ مسبوقٌ ، فإنّ ابن السرّاج قال (فى الأصول) : النصب عندى على وجهين : على ما قال سيبويه فى لغة من ينصب فى الخبر ، وعلى الاستفهام ؛ انتهى .

وبهذا يضمحلٌ قول اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : إنّ سيبويه أدخل البيتَ فى وجه النصب على الخبَر والتحقيق ، لاعلى وجه الاستفهام والشك . قال سيبويه : ومن ينصب كثير ، منهم الفرزدق .. ولم يذكر الاستفهام لكن ذكر أنها شُبِّهت فى الخبَر بالاستفهام فنصب بها كما ينصب مابعد العدد. انتهى .

وكذا جوّز الشارحُ المحقق الوجهين فى الرفع .

قال ابن السراج : اعلم انك إذا قلت كم عمةٍ بالجر فلست تقصد إلى واحدة ، وكذلك إذا نصبت. فإن رفعتَ لم يكن إلا واحدة ؛ لأنّ التميز يقع

واحدهُ فى موضع الجمع ، فإذا رفعت فلست تريد التمييز ، فإذا قلت : كم درهمٌ عندك فإنما المعنى : كم دانقًا هذا الدرهم الذى أسألك عنه ؟ فالدرهم واحد لأنَّه خبر وليس بتمييز . اه .

فكلٌّ من الجرّ والنصب أبلغ من الرفع ، لأنهما يدلأن على أنّ لجرير عمّاتٍ وخالات أجيرات ممتهنات . والرفع يدلُّ على أنّ له عمةً واحدة ، حلبت له عشاره . ولهذا قال السيرافى : الأجود فى البيت الخفض ، وبعدهُ النصب ، وبعده الرفع .

وبيّن الشارح المحقق إعراب كم مع الرفع ولم يبيِّنْه مع غيره . فهى معَ خفض عمة ونصبها موضعها رفعٌ على الابتداء ، والخبر جملة قد حلبت .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وأفرد الضمير فى حلَبَتْ حملاً على لفظ كم .

وليس هذا من قبيل ماهو عائدٌ على مجموع ماتقدّم ، نحو : النساء فعلَتْ كما زعمه الدمامينى ، فإنّ العمة والخالة مفردان ، بخلاف النساء فإنه اسمُ جمع . وأمّا فى رواية رفع عمة على الابتداء فلابدَّ من تقدير قد حلبت أخرى ؛ لأنَّ الخبر عنه فى هذا الوجه متعدِّد لفظا ومعنى . ونظيره : زينب وهند قامت . قاله ابن هشام فى المغنى .

وجاز الابتداء بها وإن كانت نكرة لأنَّها قد وصفت بلك وبفدعاء محذوفةٍ مدلولٍ عليها بالمذكورة ؛ إذ ليس المراد تخصيص الخالة بالفدَع ، كما حذفت لك من صفة خالة استدلالاً عليها بلك الأولى . قاله ابن هشام أيضا .

وعليه فيكون من قبيل الاحتباك ؛ وهو أن يثبت لأحدهما نظير ما حُذف من من الآخر .

ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصّل) عن الزمخشرى (فى حواشيه على المفصل) أنّ التقدير : كم لك غيرهما ؟ فتعلق لك بكم .

ولأبى على (فى المسائل المنثورة) كلامٌ جيد فى كم ، أحببت إيراده هنا . قال : إذا كانت كم خبراً جاز فيما بعدها الجر والرفع والنصب ، وإنّما جررته بكم لأنّ كم نقيضة ربَّ ، ومن أصولهم حملُ الشىء على نقيضه . ألا ترى أنّ ربَّ للقلة وكم للكثرة ! فلما كانت بهذه المنزلة أجريت مجرى ربّ . وإنْ نصب مابعدها فجائزٌ لأنّها عددٌ فى الحقيقة ، والأعداد تبيَّن مرة بالنصب ومرة بالجر . وإذا كان هذا جائزاً فى الأعداد فعلى أىّ وجهٍ أردت جاز . والرفع إذا قلت كم رجل أتانى صارت كم فى معنى مرار ، فتكون فى موضع نصب بأتانى ، ويكون رجلٌ مبتدأ وأتانى خبره . قال أبو عمرو : لا يكون : ماتبيَّنُ به كم إلاّ نكرة ، وذلك لأنّها عدد ، والأعداد لا تبيَّن إلاّ بالنكرات .

والنصب فى الخبر جائز لأنّها عددٌ فى الحقيقة ، وإن كان الوجه الجر . والحسن أن تنصب إذا فصلت بينها وبينَ ما أضيف إليها ، لأنّ الفصل بين المتضايفين قبيح ، فلما قبح نصبوه لأنّها فى الحقيقة عدد ، ورجل يفسِّر ويوضِّح .

وأما قول الشاعر : « كم بجود مقرفا » البيت ، فنصب مُقرفا فسَّر به كم[1] لأنّه حالَ بينه وبين كم بقوله بجود ، وتكون كم فى موضع رفع بالابتداء ، وهى فى المعنى فاعلة كما تقول : زيد قام ، فزيد مبتدأ وإن كان فاعلا فى المعنى . ويجوز الجر لأنّك حُلت بين كم وبين ما عملت فيه بظرف . فأمّا قول الفرزدق :

---

(١) فى الأصل ، اى النسختين : « فسره بكم » ، والوجه ما اثبت كما اقترح مصحح طبعة بولاق .

* كم عمة لك ياجرير وخالة *

فأما النصب فى العمة فتجعل كم رفعاً بالابتداء وحلبت خبرها ، وعمة تفسير العدد ، كأنّه قال : عشرون عمة حلبت . والجرّ على ما تقدّم من الكلام. وأمّا الرفع فى العمة فتكون كم فى موضع نصب ، وتكون كم فى معنى مرار فتصير ظرفاً للحلب . قال أبو عمرو : تقول كم رجالٍ قد رأينا ، فجاز فى كم أن تفسّر بالجمع ، لأنّ العدد يفسّر بالجمع وبالواحد . وإذا كانت كم عدداً جاز تفسيرها بالواحد والجمع ، مع أنّه مع كم أشدُّ استمرارًا ، وذلك إذا قلت عشرون درهما ، ففى الكلام دلالة على الجمع . وإذا قلت كم فليس فى كم دلالةٌ على الجمع ، فلذلك أجازوا ذلك فى كمْ . انتهى كلام أبى على .

وفدعاء : صفة لخالة لقُربها ، وحذفه من عمة قبلها . وقد فسّر الشارح الفدعاء بكلام الصحاح . وقال ابن الأعرابى : الأفدع : الذى يمشى على ظهور قدميه . وقال أبو جعفر : الفدَع فى القدم ، والكوَع فى اليد . والرُّسغ بالضم هو من الإنسان : مَفصِل ما بين الكف والساعد ، والقدم إلى الساق . ومن الدوابِّ : الموضع المستدِقُّ بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل. والإنسى بكسر الهمزة قال صاحب الصحاح : الإنسيُّ : الأيسر من كل شىء .

وقال الأصمعى : هو الأيمن . وقال : كل اثنين من الإنسان مثل الساعِدين والقدمين فما أقبلَ منهما على الإنسان فهو إنسىٌّ ، وما أدبر عنه فهو وحشى . انتهى .

وقال صاحب المصباح : الوحشىُّ من كل دابّة : الجانب الأيمن . قال الشاعر :

فمالت على شِقٍّ وحشيّها ‏ وقد رِيعَ جانبُها الأيسرُ[1]

١٢٨ قال الأزهرى : قال أئمة العربية : الوحشىُّ من جميع الحيوان غير الإنسان : الجانبُ الأيمن ، وهو الذى لا يركب منه الراكب ولا يحلُب منه الحالب . والإنسىُّ : الجانب الآخَر ، وهو الأيسر[2] . وروى أبو عبيد عن الأصمعى أنَّ الوحشىَّ هو الذى يأتى منه الراكب ويحلب منه الحالب، لأنَّ الدابة تستوحِش عنده فتفرُّ منه إلى الجانب الأيمن . قال الأزهرى : وهو غير صحيح عندى .

قال ابن الأنبارى : ويقال ما من شىء يفزع إلاَّ مال إلى جانبه الأيمن ، لأنَّ الدابة إنّما تؤتى للرُّكوب والحلَب من الجانب الأيسر ، فتخاف عندَه فتفرُّ من موضع المخافة وهو الجانب الأيسر إلى موضع الأمن ، وهو الجانب الأيمن . فلهذا قيل الوحشىُّ الجانب الأيمن . ووحشى اليد والقدم : ما لم يقبل على صاحبه[3] والإنسىُّ خلافه . ووحشىُّ القَوْس[4] : ظهرها . وإنسيُّها : ما أقبل عليك منها . انتهى ، وسقناه برمته لجودته .

والشوْه[5] بسكون الواو : مصدر شاهت الوجوه تشُوه، أى قبحت . وقول الشارح المحقق « وإنّما عدّى حلبت [بعَلَى[6]] لتضمّنه معنى ثقلَتْ » إلخ مأخوذ من كلام صدر الأفاضل ، فإنه قال : إنْ قيل : ما معنى حلبت علىّ ؟ أجيب بأنَّ معناه :

(١) نسب فى شرح القصائد السبع الطوال ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، واللسان (وحش ٢٦٣) الى الراعى . وفى القصائد السبع : « فجالت على » .

(٢) انظر الحيوان ٥ : ٥١٢ ـ ٥١٣ ، وشرح القصائد السبع ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

(٣) ش : « ما أقبل على صاحبه » ، صوابه فى ط .

(٤) ش : الفرس» » ، صوابه فى ط .

(٥) هذا تفسير لعبارة وردت فى كلام المحقق الرضى فى ٢ : ٩٤ فى قوله شارحا للشاهد : « يعنى أنها لكثرة الخدمة صارت كذلك ، أو هذا خلقة لها . نسبها الى شوه الخلقة » .

(٦) تكملة ضرورية من شرح الرضى ٢ : ٦٤ . يريد أن حلبت على بمنزلة ثقلت على .

على كرهٍ منى ، وهذا كما يقال باع القاضى عليه داره . يقول : استنكفتُ أن تحلب عشارى . ويشهد لهذا المعنى الفدعاء . انتهى .

قال شارح شواهد الإيضاح والمفتاح : وجه الشهادة أنّ الفدعاء من صفات الإماء ، فيؤذِن بلؤم من يوصَف به ، فلذلك استنكف . يريد : خدمْتَنى على كَره ؛ لأنّى لم أكن راضيا بذلك ؛ لخستّهن ولؤمهنّ .

ونقل ابن المستوفى (عن حواشى المفصل) أنّ الفدَع من صفات الإماء . وقوله « علىّ » أى لى ، أى كانت راعية لى . ثم نقل كلام صدر الأفاضل . وقال: الأجود ما فى الحواشى ، لأنّه لا تحلب عِشاره إلا بإذنه ، وهو أبلغ . هذا كلامه .

و (العشار) بالكسر: جمع عشراء بضم ففتح وبالمد. قال اللخمى : هى الناقة التى مضت لها عشرة أشهر من حملها. ثم يبقى عليها الاسم إلى أن تنتج لحولٍ وبعد ذلك بأيام . على هذا إجماع أكثر اللغويين . وقيل يقع هذا الاسم على التى أتى عليها من وَضعها عشرة أشهر ، وهى فى هذا البيت كذلك ، بدليل قوله حلبت ، وهو الوجه. ويحتمل أن يحمَل البيت الأول على القول الأوّل . ومعنى البيت يذمّه بذلك ويصفُه أنّه من أهل القلّة ، وليس من أهل الشرف والسَّعة ، إذ لو كان كذلك لَصانَهنّ من الابتذال . وإنّما خصّ النساء بالحلب[1] لأنّ العرب يتعايرون بحلب النساء ، فهو فى القلّة كما قال السُّليك :

أشابَ الرأسَ أنّى كلَّ يومٍ
أرى لى خالةً وسطَ الرِّحالِ

(1) ط : « بالحرب » ، صوابه فى ش .

يعــــزُّ على أن يلقَيْنَ ضيما
ويَعجِـزَ عَن تخلُّصهن مالى

وقد صحّف اللِّحيانى ثلاث كلمات من البيت :

الأولى : حلبت فإنّه صحّفَه بِجُلِيَت ، بضم الجيم وكسر اللام بعدها مثناة تحتيـــة .

والثانية :علىّ ، صحّفه بعلَى الجارّة .

والثالثة : عِشارى ، فإنّه صحّفه بعَشّار ، بفتح العين وتشديد الشين .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أصحابنا البصريون فى كثير مما يحكيه اللِّحيانى كالمتوقِّين . حكى أبو العباس عن إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت اللحيانى ينشد : ١٢٩

كم عمــة لك ياجرير وخـالةٍ
فدعاء قَدْ جُلِيَتْ عَلَى عَشّارِ

فقلت له : ويحك ، إنّما هو : « قد حَلبت علىّ عشارى ». فقال لى : وهذه أيضا رواية . ومما صحّفه أيضا قولهم فى المثل : « ياحامل اذ كر حَلّا » حامل بالميم ، وإنّما هو : « ياحابل اذ كر حَــلّا » بالباء ، أى يامن يشدُّ الحبل اذكُرْ وقتَ حلِّه . وذاكرتُ بنوادره شيخَنا أبا على فرأيته غير راضٍ بها ، وكان يكاد يصلِّى بنوادر أبى زيد إعظاماً لها . وقال لى وقت قراءتى أياها عليه : ليس فيها حرفٌ إلاّ وتحته لأبى زيد غرضٌ مّا . وهو كذلك ، لأنّها محشوّة بالنُّــكت والأسرار . انتهى .

ورأيت فى (تذكرة أبى على) حدثنى أبو خالد عن إسحاق بن الموصلى[١] قال : أنشد أبو المنذر العروضى يوماً : « قد جُليت على عَشّار » فقيل له : الرواية « قد حَابت علىَّ عَشارِى » فقال : وهذا أيضا وُجَيه . انتهى .

ووقع مثلَ بيت الفرزدق بيتٌ لجرير من قصيدةٍ هجا بها خُلَيدَ عَينَين العبدىَّ ، وهو :

كم عمــة لك يا خليدُ وخالة

خضر نواجذُها من الـكُرّاثِ[٢]

قال المبرِّد (فى الـكامل) : وإنّما هجاه بالـكرّاث لأنّ قبيلة عبد القيس يسكُنون البحرين ، والـكرّاثُ من أطعمتهم ، [و] العامّة [يسمُّونه الرّكّل والرُّكّال[٣]] .

وبيت الفرزدق من قصيدة [عدّتُها[٤]] ثمان وثلاثون بيتا هجا بها جريرا ، مطلعُها :

(يابنَ المراغة إنّمـا جاريتنى

بمسبَّقين لذى الفَعـال قصـارِ

---

(١) يعنى اسحاق بن ابراهيم الموصلى . كانت حياته ما بين سنتى ١٥٥ و ٢٣٥ .

(٢) البيت لم يرد فى ديوان جرير . وبعده فى الكامل ٤٩٨ :

نبتت بمنبته فطـاب لريحها ونأت عن القيصــوم والجثجاث

(٣) هذه التكملة وسابقتها من الكامل للمبرد ، وبدونها لا يستقيم الكلام . وانظر اللسان (ركل) .

(٤) التكملة من ش .

والحابسين إلى العشىِّ ليشربوا
نُزُحَ الركىِّ ودِمنةَ الأسآرِ[(١)]
ياابنَ المراغة كيف تطلبُ دارمًا
وأبوك بين حمارةٍ وحمارِ
لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم
وأوابدِى بتنحُّل الأشعارِ)

إلى أن قال :

(قَبَحَ الإلهُ بنى كليبٍ إنَّهم
لا يَغدِرُون ولا يَفُون لجار
يَستيقظون إلى نُهاقِ حميرهم
وتنام أعينُهم عن الأوتار
مُتبرقِعِى لؤمًا كأنَّ وجوهَهم
طُليت حواجبُها عَنيَّةَ قارِ[(٢)]
كم من أبٍ لى ياجريرُ كأنّه
قمرُ المجرّة أو سراجُ نهار
ورِثَ المكارمَ كابرًا عن كابر
ضخمِ الدسِّيعة كلَّ يومِ فَخَارِ)

(١) فى ديوان الفرزدق ٤٤٨ : « ليأخذوا نزح الركى » .
(٢) فى الديوان : « متبرقعى لؤم » . وقد سمع حذف النون فى مثل هذا ، ومنه قراءة الحسن : « والمقيمى الصلاة » بنصب « الصلاة » . وانظر حاشية الصبان على الأشمونى ١ : ٨٩ .

إلى أن قال :

(كم عمّةٍ لك ياجريرُ وخالة
فدعاء قد حلبَتْ علىّ عشارِى

كنا نحاذر أن تُضيعَ لقاحَنا
وَلْهَى إذا سمعت دُعاء يَسارِ(١)

شفّارة تقذُ الفصيلَ برِجْلِها
فطّارةٍ لقوادم الأبكار)

وهذا آخر القصيدة .

وقوله « لا يغدرون » إلخ(٢) . يقول : هم ضعفاء لا يقدرون على غدرٍ ولا على وفاء .

وعنيّة ، بفتح العين المهملة وكسر النون بعدها مثناة تحتية مشدّدة ، قال فى الصحاح : هو بول البعير يعقَد فى الشمس يُطلَى به الأجرب . والقار بالقاف ، قال فى الصحاح : هو الإبل(٣) .

وقوله:« كنا نحاذرُ » إلخ تُضيع : مضارع أضاع ، ولقاحنا مفعوله، وهو جمع لَقُوح وهى الناقة الحلوب . قال فى الصحاح : إذا نُتِجت الناقة فهى لَقُوح شهرين أو ثلاثة ، ثم لبون بعد ذلك . وقوله وَلْهَى(٤) : فاعل تضيع ، وهو ١٣٠

(١) ولهى ، رسمت طبقا لما سيأتى فى الشرح . وفى الأصل والديوان : « ولها » .

(٢) وقوله لا يغدون الخ ، ساقط من ش .

(٣) فى ش : « هو بول الابل » ، واثبت ما فى ط والصحاح ، وفيه والقار : الأبل . قال الراجز :

ان رأينا ملكا أغارا أكثر منه قرة وقارا

(٤) رسمت فى الأصل : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

فَعْلى من الولَهِ . ويسار : اسم عبد كان يتعرّض لبنات مولاه .

وقوله : « شغّارة تَقِذُ الفصيل » إلخ هو من شواهد سيبويه ، أورده بعد قوله : كم عمة لك ياجرير البيت ، بنصب شغّارةً على الذم . قال : زَعم يُونس أنّه سمع الفرزدق ينشده بالنصب ، جعلَه شتْما ، وكأنّه[1] حين ذكر الحلب صار من يخاطَب عنده عالماً بذلك . ولو ابتدأه وأجراه على الأوّل كان جائزاً عربيّا . انتهى .

قال الأعلم : [الشاهد[2]] فى نصب شغّارة وفَطّارة على الشتم . والشغّارة : التى ترفع رجلها ضاربةً للفصيل لتمنعَه من الرّضاع عند الحلب، يقال شغر الكلب إذا رفع رجله ليبول . والوقذُ : أشد الضرب . والموقوذة : التى نُهِكت ضرباً حتّى أشرفت على الهلاك . والفطّارة : التى تحلب الفَطْر ، وهو القبض على الخلف بأطراف الأصابع لصغره . والضَّفّ : أن يقبض عليه بالكفّ لعظَمه . والأبكار : جمع بِكر ، وهى التى نتجت أوّل بطن . وقوادمها : أخلافها ، وهى أربعة : قادمان وآخِران ، فسمّاها كلّها قوادم اتساعاً ومجازاً . وإنّما وصفها بهذا الضرب من الحلب لأنّه أصعبه . انتهى .

وقال ابن خلف: الضفّ بالفاء ، ويقال الضبُّ بالباء ، وهو الحلب بالكفّ كلّها ، وإنّما يكون للكبار من النوق ، وأما الصِّغار من النوق فإنّما تُحلَب بأطراف الأصابع لصغر ضرعها . وإنّما وصف حِذقَها ومعرفتها بالحلب لأنّها نشأت عليه .

وقال ابن المستوفى : أراد أنّها عالمة بالحلب ، فهى أوّلُ من فتح قوادمها .

---

(١) ش : « وكان » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٥٤ .
(٢) التكملة من الشنتمرى .

قالوا : لأنّ الأخلاف والضروع أيامَ الحمل تكون مسدودةً بشيء كالصمغ ، فإذا ولدت الدابة عالجه الحالب حتّى ينزعَه من مكانه ، فيسهل خروج اللبن .

ووجدت هذا البيت فى شعر الراعى من أبيات أوّلها :

(عُوجوا المطىّ علىّ ذا الأكوار
كيما أخبِّركم من الأخبارِ

أنّ الحلال وخَنْزراً ولدتْهما
أمٌّ مقارفةٌ على الأطهارِ[1]

شَفّارة تقذ الفصيل برجلها
.. البيت . انتهى .

وقد تكلم السيد المرتضى قدّس سرّه (فى أماليه) على هذا البيت ، فلا بأس بإيراده : قال : أما قول الفرزدق شفّارة تقذ الفصيل البيت ، فإنّه من غريب شعره[2] . وفسّره قال : معنى شفّارة أنّها ترفع رجلَها للبول . وقوله « تَقذُ الفصيل » ، أى تدفعه عن الدنوّ إلى الرضاع ليتوفّر اللبن عَلَى الحلب . وأراد بتقذهُ أى تبالغ فى إيلامه وضربه ، ومنه الموقوذة . فأمّا قوله « فطّارة لقوادم الأبكار » ، فالفَطْر هو الحلب بثلاث أصابع . والقوادم : الأخلاف . وإنّما خصّ الأبكار بذلك لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبًّا . والضبُّ هو الحلب

(١) ورد باسم « الحلال » بالحاء المهملة فى شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٧٧ ، إذ قال عند الكلام على خنزر بن أرقم : « واسمه الحلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير » . والظاهر أنه غيره . وأما « خنزر » فهو خنزر بن أرقم ، كما فى شرح الرواية . وفى الأصل : « وخيزرا » تحريف . إذ أن خنزرا كان صاحب مناقضات مع الراعى ، كما فى الحماسة . وانظر ديوان الراعى ٦٧، ٨٩ .
(٢) فى الأصل : « فأما من غرب شعره » ، صوابه من أمالى المرتضى ١ : ٨٠ .

بالأصابع الأربع ، فكأنه لا يُمكن فيها ، لقصر أخلافها ، إلا الفطرُ . ومعنى البيتِ تعييرُه لنساء جرير بأنّهن راعيات ، وذلك مما تعيّر به العربُ النّساء . ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كم عمة لك ياجرير وخالة .. البيت .

كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا .. البيت .

ثم تلا ذلك بقوله « شغّارة » .

١٣١ قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وعندى أنّ قوله شغّارة كناية عن رفع رجلها للزنى ، وهو أشبه بأن يكون مرادَه فى هذا الموضع . ألا ترى أنّه قد وصفَها بالوله وترك حِفظ اللِّقاح عند سماعها دعاء يسار . ويسار : اسمٌ لراع ، فكأنّه وصفها بالوله إلى الزنى والإسراع إليه ، وتركِ حفظِ ما استُحفِظَته من اللقاح . انتهى كلامه .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائةِ الهجانِ وعَبْدِها)

هذا صدر ، وعجزه :

(عُوذاً تزجِّى خلفَها أطفالها)

على أنّه يجوز فى التابع ما لا يجوز فى المتبوع كما هنا ، وهو جعل ضمير المعرف باللام فى التابع مثل المعرف باللام ، فإنّ قوله « عبدها » بالجرّ معطوف على المائة ،

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل ، واغتُفِر هذا لكونه تابعا .

والهجان : كرام الإبل . والعُوذ : جمع عائذ ، وهى الحديثة النتاج قبل أن توفِّى خمس عشرة ليلة ، ثم هى مُطفل بعده . وتزجِّى : تسوق ، وفاعله ضمير العُوذ،وأطفالها مفعولة . والمعنى أنّ هذا الممدوح يهب المائة من الإبل الكريمة مع أطفالها ، ويهب راعيَها أيضاً .

وقد تقدم شرح هذا مفصَّلا فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين[1].

(١) الخزانة ٤ : ٢٥٦ .

الظروف

أنشد فيه :

(إلاَّ عُلالةَ أو بُدا هَةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارَه)

على أنه حذف المضاف إليه من الأوّل بدلالة المضاف إليه من الثانى التابع ؛ فإنَّ الأصل : إلاَّ علالة سابح أو بُداهة سابح ، فحذف سابح من الأول لدلالة الثانى عليه .

وتقدَّم الكلام عليه مشروحا فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ، ومرَّ فى باب الإضافة أيضاً(١) .

قال الفراء (فى تفسيره) : ولا تنكرنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهرْ ، فقد قال الشاعر :

إلاَّ بداهة أو علا لة سابحٍ نهدِ الجزاره

وسمعت أبا ثَروان العُكلىَّ يقول : قطع الله الغداةَ يدَ ورجلَ من قاله . وإنما يجوز هذا فى الشيئين يصطحبان ، مثل اليد والرجل . ومثله : عندى نصفُ أو ربعُ درهم ، وجئتك قبلَ أو بعدَ العصر . ولا يجوز فى الشيئين يتباعدان ، مثل الدار والغلام ، فلا يجيزونَ : اشتريت دارَ أو غلامَ زيد ، ولكن عبدَ أو أمة زيد ، وعين أو أذن زيد(٢) ، وما أشبهه . اهـ .

---

(١) الخزانة ٤ : ٤٠٤ — ٤٠٦

(٢) بعده فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٢ : « ويد أو رجل » .

والعلالة بالضم : بقيّة جرى الفرس ، وهو منصوبٌ لأنه استثناء منقطع .
والبداهة بالضم أيضاً : أوّل جرى الفرس . والسابح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدْو . والنهد : المرتفِع والعالى . والجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أنّ فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الأربعمائة(١) :

٤٩٣ (ونحنُ قتلنا الأزدَ أزدَ شَنُوءةٍ
فما شَرِبوا بَعْداً عَلَى لذّةٍ خَمْرا)

على أنه يجوز بقلة فى هذه الظروف أن يعوّض التنوين من المضاف إليه ١٣٢ فيعرب ، كما أعرب بعداً فى البيت على الظّرفية ، والكثير البناء على الضم ؛ إذ المختار عند الشارح المحقق أنّ المبنى على الضمّ والمنوّن لافرق بينهما فى المعنى ، وأنهما مقطوعان عن الإضافة . فإن لم يبدل التنوين من المضاف إليه بني على الضم لما ذكره ، وإن أبدل عنه كان معربا بالنصب عَلَى الظرفية .

وقد ينوّن المبنىُّ على الضم فى الضرورة .

وقد روى : « فما شَرِبوا بعدٌ » أيضاً بضمتين . فالأول معرب وهذا مبنى وكلاهما معرفة ، إذ المضموم بنية الإضافة إلى معرفة .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وإذا قطعا ، يعنى قبل وبعد ، عن الإضافة لفظا ونوى ماأضيف إليه وكان معرفة بُنيا على الضم .

ثم قال أبو حيان : وقد يتوقّف فى تعريفهما بالإضافة إلى معرفة لأنهما متوغّلان(٢) فى الإبهام .

(١) شـــذور الذهب ١٠٥ والعينى ٣ : ٤٣٦ والتصريح ٢ : ٥٠ والهمع ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ والأشمونى ٢ : ١٦٩ .
(٢) ط : « متغولان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هذا محصَّل كلام الشارح المحقق . وكون تنوين المنصوب للتعويض من المضاف إليه كتنوين بعض وكل ، هو مذهب الجماعة .

قال ابن مالك (فى شرح الكافية) : وذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ قبلا فى قوله وكنت قبلا[1] ، معرفةٌ بنية الإضافة ، إلا أنه أعرب لأنه جعل ما لحقه من التنوين عوضًا من اللفظ بالمضاف إليه ، فعومل « قبلٌ » مع التنوين لكونه عوضا من المضاف إليه بما يعامل به مع المضاف إليه ، كما فعل بكل ، حين قطع عن الإضافة لحقه التنوين عوضًا .

وهذا القول عندى حسن . اهـ .

وهذا خلافُ الطريقة المشهورة ، وهو ما عليه الجمهور ، قالوا : إنَّ المنون نكرة كسائر النكرات ، وإنَّ التنوين فيها للتمكين . قال ابن مالك (فى **الألفية**) :

وأعربوا نصبا إذا ما نُكِّرا
قبلاً وما مِنْ بَعدِه قد ذُكرا

قال الشاطبى فى شرحه : تخصيصه النصبَ فى هذه الأشياء إذا قصد تنكيرها دون الجر والرفع ، ظاهرُ التحكُّم من غير دليل ، وأمرٌ لا يساعدُه عليه سماع ؛ فإنَّ أكثر ما ذكر يدخل فيه الجر وغيره . تقول : أتيته من

---

(١) جزء من الشاهد المعروف (انظر الخزانة ١ : ٤٢٦) :
فساغ لى الشراب وكنت قبلا أغص بنقطة الماء الحميم

فوقٍ ومن تحتٍ . وفى بعض القراءات : ﴿لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ[١]﴾ ومن دون و ﴿من دُبرٍ[٢]﴾ وما أشبَه ذلك .

قال سيبويه[٣] ، وسألته يعنى الخليل عن قوله ومن دونٍ ، ومن فوق ، ومن تحت ، ومن قبلٍ ومن بعد ، ومن دبرٍ ومن خلف ، فقال : أجروا هذا مجرى الأسماء المتمكنة ؛ لأنها تضاف وتستعمل غير ظرف . ثم قال : وكذلك من أمام ومن قدامٍ ومن وراء ومن قَبل ومن دُبر . قال : وزعم الخليل أنّهن نكرات ، كقول أبى النجم .

* يأتى لها من أيْمُنٍ وأشمُلٍ *

وزعم أنهن نكرات إذا لم يُضَفن إلى معرفة ، كما يكون أيْمُن وأشمُل نكرة . وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه . اه .

وقد رفعوا قبل ونحوَه كما فى قوله :

هتكت به بيوت بنى طَريفٍ
عَلَى ما كان قبلٌ من عتابٍ

انتهى ما أورده الشاطبى .

وقسّموا هذه الظروف على أربعة أقسام :

---

(١) الآية ٤ من سورة الروم . وقراءة الجر مع التنوين هى قراءة ابى السماك والجحدرى وعون العقيلى . تفسير أبى حيان ٧ : ١٦٢ .

(٢) فى الآيات ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة يوسف . وقراءة الجر مع التنوين هى قراءة الجمهور . وقرأ ابن ابى اسحاق والعطاردى وابو الزناد ونوح والجارود : « من دبرُ » بالبناء على الضم . تفسير ابى حيان .

(٣) فى كتابه ٢ : ٤٦ .

* ما ذكر فيه المضاف إليه نحو قبل زيد وبعده . فهذا ينصب على الظرفية ، ويجر بمن خاصة .

الثانى : ماحذف منه المضاف إليه ونوى ثبوت لفظه ، فهذا أيضا يعرب كالأول ، إلا أنه لاينون لنية الإضافة .

الثالث : ماحذف منه المضاف إليه وتوى معناه لالفظه ، فهذا يبنى على الضم .

١٣٣ الرابع : ماحذف منه المضاف إليه ولم ينوَ لالفظه ولا معناه . فهذا ينوّن ، وتنوينه للتمكين ، وهو نكرة .

وقد تكلم الفراء على قبل وبعد (فى تفسيره) فلا بأس بنقل كلامه تبركا . قال : قوله تعالى :﴿ لله الأمرُ من قبْل ومن بعد ﴾ القراءة بالرفع من غير تنوين ، لأنهما فى المعنى يراد بهما الإضافة إلى شيء لامحالة ، فلما أدّيا عن معنى ما أضيفتا إليه وسَمُوهما بالرفع وهما مخفوضتان ، ليكون الرفع دليلا على ماسقط مما أضفتهما إليه . وكذلك ما أشبههما ، كقول الشاعر :

* إن تأت من تحتُ إجئْها من علُ(١) *

ومثله قول الشاعر(٢) :

إذا أنا لم أُومَنْ عليك ولم يكن
لقاؤك إلاّ من وُراءُ وُراءُ

(١) معانى الفراء ٢ : ٣١٩ . وفى اللسان (بعد ٦٠) :
* ان يات من تحت اجيه من عل *

(٢) هو عتى بن مالك العقيلى . اللسان (ورى ٢٦٩) وابن يعيش ٤ : ٨٧ . وهو من أبيات أربعة فى اللسان أولها :

أبا مدرك أن الهوى يوم عاقل دعانى ومالى آن أجيب عزاء

ترفع إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذي أضفته إليه، فإن نويت أن تظهره أو أظهرته قلت : لله الأمر من قبلِ ومن بعد ، كأنك[٣] أظهرت المخفوض الذي أسندت إليه قبل وبعد . وسمع الكسائيُّ بعضَ بني أسدٍ يقرؤها : « لله الأمرُ من قبلٍ ومن بعدُ » بخفض قبل وبرفع بعد على مانوى . وأنشدني هو :

أكابدها حتَّى أعرِّس بعدما
يكون سُحيراً أو بُعَيدَ فأهجعا

أراد : بعيدَ السَّحر ، فأضمره ، ولولم يرد ضمير الإضافة لرفع فقال بُعَيدُ . ومثله قول الشاعر[٤] :

فوالله ما أدرى وإنِّى لأوجَلُ
عَلَى أيِّنا تعدو المنيةُ أوَّلُ

رفعت أولُ لأنه غاية . ألا ترى أنها مسندة إلى شيء هى أوّله كما تعرف أنَّ (قبل) لا يكون إلا قبل شيء، وأنَّ (بعد) كذلك . ولو أطلقتهما بالعربية فنّونت وفيهما معنى الإضافة خفضت في الخفض ونوَّنت في النصب والرفع لكان صواباً . قد سُمِع ذلك من العرب ، وجاء في أشعارها ، فقال بعضهم :

فساغ لىَ الشَّرابُ وكنت قبلاً
أكادُ أغصُّ بالماء الحميمِ[٣]

فنوَّن . وكذلك تقول : جئتك من قبلٍ فرأيتك . وكذلك قوله :

---

(١) الكلام بعد البيت السابق إلى هنا ساقط من ش .
(٢) هو معن بن أوس . ديوانه ٥٧ والخزانة ٣ : ٥٠٥ بولاق .
(٣) ليزيدَ بن الصَّعِق كما فى سبق فى ١ : ٤٢٦ .

* كجلمود صخرٍ حطَّه السَّيل من عَلِ[1] *

فهذا مخفوضٌ ، وإن شئت نوَّنت . وأما قول الآخر :

هتكتُ به بيوتَ بنى طريف

عَلَى ما كان قبلٌ من عِتابِ

فنوَّن ورفع ، فإن ذلك لضرورة الشعر ، كما يضطر إليه الشاعر فينوِّن فى النداء المفرد ، كقوله :

قدِّموا إذ قيل قيسٌ قدِّمُوا

وارفَعُوا المجدَ بأطرافِ الأَسَل[2]

وأنشدنى بعض بنى عُقَيل :

ونحن قتلنا الأسْدَ أسْدَ شنوءةٍ

فما شربوا بعدٌ عَلَى لذَّة خمرا[3]

ولو ردَّه إلى النصب كان وجها ، كما قال :

* فساغ لى الشرابُ وكنتُ قبلاً *

وكذا النداء لو ردَّ إلى النصب إذا[4] نوِّن كان وجها ، كما قال :

فطر خالداً إن كنتَ تَسْطيع طَيرةً

ولا تقعَنْ إلاَّ وقلبُك حاذرُ

---

(١) لامرىء القيس فى معلقته . وصدره :
* مكر مفر مقبل مدبر معـا *
(٢) للبيد فى ديوانه ١٩٢ واللسان (قدم ٣٦٧) .
(٣) هو الشاهد الذى نحن فيه .
(٤) ط : اذ ، صوبه فى ش ومعانى الفراء ٢ : ٣٢١ .

ولا تنكرَنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهر . إلى آخر مانقلناه قبل هذا البيت . انتهى كلام الفراء .

١٣٤

وقد لخّص هذا الكلامَ أبو إسحاق الزجاجي (فى شرح خطبة أدب الكاتب) وهو عندى بخطه ، وتاريخُ كتابته سنة سبع وسبعين وثلثمائة ، وقال : هذا الذى اختاره الفرّاء من نصب المنادى المفرد فى ضرورة الشعر هو مذهب أبى عمرو بن العلاء وأصحابه .

والمذهب الأوّل ، وهو رفعه منونا ، هومذهب الخليل وسيبويه وأصحابه . وذلك أنّ أبا عمرو قال : المنادى المفرد إذا اضطر الشاعرُ إلى تنوينه فسبيله أن ينصبه ، لأنه فى موضع نصب . وإنما بنى على الضم لمضارعته المضمر ، فإذا نوِّن فقد زال عن البناء ، وسبيله أن يرجع إلى أصله .

وقال الخليل : سبيله أن يترك مضموماً وينوِّن . وشبّهه بالاسم الذى لاينصرف إذا نوِّن فى ضرورة الشعر . ومذهب أبى عمرو أقيس ، ولولا كراهة الإطالة لذكرت مايعتلُّ به الفريقان .

وأنشد البصريون قولَ الأحوص :

سـلامُ الله يا مطرٌ عليها
وليس عليكَ يامطرُ السلامُ

فالخليل وأصحابه يروونه : « يامطرٌ » بالرفع والتنوين ، وأبو عمرو وأصحابه يروونه « يا مطراً » ، بالنصب . قال سيبويه : وكل العرب ينشدون :

* يا عديًّا لقلبكَ المهتاج[1] *

بالنصب . انتهى .

قرين الشاهد

والبيت الشاهد لم أرَمن عزاه إلى قائله . وأورده الزجاجيُّ (فى شرح تلك الخطبة) مع بيتٍ قبله ، وهو :

(مامن أُناسٍ بينَ مِصرَ وعالج
وأَبْيَنَ إلاّ قد تركنا لهم وِتْرا)

وعالج بكسر اللام : موضعٌ بالبادية به رمل . وأَبْيَن بفتح الهمزة وكسرها وسكون الموحدة بعدها مثناة مفتوحة : موضع فى اليمن ، قال أبو عبيد البكرى: هو بكسر الهمزة اسم رجل كان فى الزمن القديم وهو الذى تنسب إليه عدن إبيَن من بلاد اليمن ، هكذا ذكره سيبويه فى الأبنية بكسر الهمزة .

وقال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة كيف تقول ابين بفتح الهمزة أو بكسرها ؟ قال : أقولهما جميعا . قال الهمدانى : وهو ذو أبين بن ذى يقدم بن الصَّوأر بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . قال الرائش[2] :

واذكر به سيِّدَ الأقوام ذا بِيَنٍ
من القُدَّام وعمراً والفتى الثانى

أراد : ذا إبين . وحِمير تطرح مثل هذه الألف فتقول فى اذهَبْ : ذِهَب . اهـ .

(١) ط « بقنبك » ، صوابه فى ش .

(٢) فى الأصل : « الرائس » ، وأثبت ما فى معجم ما استعجم ١ : ١٥٣ .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : أبين بفتح أوله ويكسر ، ويقال يبن. وذكره سيبويه في الأمثلة بكسر الهمزة[1] ، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح، وهو مخلاف باليمن ، منه عدن ، يقال إنه سمى بأبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ . وقال الطبرى : عدن وأبين ابنا عدنان .

وأنشد الفراء :

* ماءين أناسٍ بين مصرَ وعالج * البيتين

وقال عمارة بن الحسن اليمنى : أبين موضع فى جبل عدن . اه .

والوتر ، بفتح الواو وكسرها : الجناية التى يجنيها الرجلُ على غيره مِن قتلٍ أو نهبٍ أو سبىٍ . والأزد ، ويقال الأسد بإبدال الزاى سينا : أبو حىٍّ من اليمن ، وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ . وهم فرق: فرقة يقال لها أزد شنوءة ، وأخرى أزد عمان ، وأخرى أزد السَّراة . فلما كان الأزد يجمع قبائلَ شتى بيّنَ المراد منه بقوله أزْد شنوءة .

١٣٥ والشنوءة بالهمزة على وزن فَعولة ، ومعناه التقزُّز وهو التباعد من الأدناس . تقول : رجل فيه شَنوءة أى تقزُّز . قال فى الصحاح : ومنه أزد شنوءةَ ، وهم حىٌّ باليمن ينسب إليهم شنائى . قال ابن السكيت : ربما قالوا أزد شَنوّة بالتشديد غير مهموز ، وينسب إليها شَنوىّ . قال :

نحن قريش وهم شَنوّه بنا قريشاً خُتِم النبوّه

ورواه ابن سيده (فى المحكم) ، وتبعه العينى :

* ونحن قتلنا الأسد أسدَ خفية *

---

(١) انظر سيبويه ٢ : ٣١٦ بولاق و ٤ : ٢٤٥ من نسختى .

وهذا تحريف قطعاً ، ولا يلائمه مابعده . وخفية بفتح الخاء المعجمة و كسر الفاء : اسم موضع كثير الأُسُود . قال العينى : وأسد خفية بدل من الأُسد ، ولم يبيّن هل هو بدل كل أو بدل بعض بتقدير العائد أى منهم ، والظاهر أنّه بيان له ، وبعداً ظرف لشربوا . والأصل عند الشارح المحقق بعد قتلنا إياهم ، فحذف المضاف إليه وعوِّض عنه التنوين .

* * *

وأنشد بعده :

(فساغ لىَ الشّرابُ وكُنتُ قبلا أكاد أغَصُّ بالماء الحميم)

على أنّ الأصل : قبل هذا ، فحُذف المضاف إليه وعُوِّض عنه التنوين . وعند الجمهور : التنوين للتمكين وهو نكرة ، فمعنى كنتُ قبلا : كنت متقدّماً . ومعنى فما شربوا بعداً : ماشربوا متأخِّرا ، ولا ينوى تقدُّم ولا تأخُّر على شيء معين ، وإنّما المراد فى هذه الحالة مطلقُ التقدُّم والتأخر من حيث هو . وأما فى حال الإضافة فالنية بهما التقدُّم والتأخُّر على شيء بعينه . قاله الدمامينى .

والبيتُ قد تقدّم شرحُه مستوفّى فى الشاهد التاسع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سلى خياشِيمَ وفا)

على أنّ الأصل وفاها ، فحذف المضاف إليه .

وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين[2] من

(١) الخزانة ١ : ٤٢٦

(٢) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

باب الاستثناء ، وبعد الشاهد الثانى والعشرين بعد الثلثمائة من باب الإضافة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الأربعمائة (١) :

٤٩٤ (إنّى أتتْنِى لسانٌ لا أُسَرُّ بها

مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ)

على أنّه روى (علو) مثلث الواو .

قال صاحب الصحاح : وعلو بتثليث الواو : أى أتانى خبرٌ من أعلى نجد . وقال أبو عبيدةَ : أراد العالية . وقال ثعلب : أى من أعالى البلاد . وأنّث اللسان لأنّه بمعنى الرسالة هنا ، لأنّ الشاعر كان أتاه خبرُ قتلِ أخيه المنتشر . والسَّخَر بفتحتين وبضمتين : الاستهزاء . يقول : لا عجَب من هذه الرسالة وإن كانت عظيمة ، لأنّ مصائب الدنيا كثيرة ولا سَخَر بالموت . وقيل : معناه لا أقول ذلك سخرية .

والبيت مطلع قصيدةٍ لأعشى باهلة ، رثَى بها أخاه المنتشرَ بن وهب الباهلى . وقد شرحنا القصيدة برمّتها وما يتعلّق بها على سبيل الاستقصاء فى الشاهد السابع والعشرين من أوائل الكتاب(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س(٣) .

---

(١) نوادر أبى زيد ٣٧ وابن يعيش ٤ : ٩٠ وجمهرة القرشى ١٣٦ والاصمعيات ٨٨ .

(٢) الخزانة ١ : ١٨٥ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٨ والهمع ٢ : ٥١ .

٤٩٥ (بآيةِ يُقْدِمون الخيلَ شُعْثاً
كأنّ على سَنابكها مُداما)

١٣٦ على أنّ آية تضاف فى الأغلب إلى الفعلية مصدرة بحرف المصدر ، ومن غير الأغلب أن تضاف إليها بدونه كهذا البيت .

وهذا خلاف مذهب سيبويه ، فإنّ آية عنده لا تضاف إلى الفعلية إلاّ بدون حرف المصدر . وهذا نصُّه : ومما يضاف إلى الفعل أيضا آية ؛ قال الأعشى :

* بآية يقدمون الخيل شعثا * .. .. البيت

وقال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق :

ألا من مبلغٌ عنّى تميما بآيةِ ما يحبُّون الطعاما

فما لغوٌ . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أنّ آية إنّما تضاف إلى مفرد نحو : ﴿ إنّ آيةَ مُلْكِه أن يأتيَكُمُ التّابوتُ[1] ﴾ ، وقال : الأصل بآية ما تقدمون ، أى بآية إقدامكم ، كما قال :

* بآية ما يحبُّون الطعاما *

ويؤخذ من تقريره أنّ تُقْدِمون بالخطاب ، والمشهور أنّه بالغيبة ، وعليه المعنى .

---

(١) الآية ٢٤٨ من البقرة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : فيه حذفُ موصول حرفىٍّ غير أنْ وبقاء صلته. ثم هو غير متأتٍّ فى قوله :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا[1] *

وتكلّف الدّماميني فقال : بل هو متأتٍّ بأن تكون ما مصدرية، ولا النافية محذوفة لدلالة ما بعدها عليها ، والمعنى بآية كونهم لا ضعافا ولا عزلا .

ثم قال ابن هشام : ومذهب سيبويه أنّ آية مما يضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المتصرِّفِ فعلُها ، سواء كان مثبتا كالبيت الشاهد ، أو منفيا بما كقوله :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا * . انتهى

وكذا قال صاحب المفصل إنّ آية مما يضاف إلى الفعل . قال النحاس : قال أبو إسحاق . لأنّ معنى آية علامة من الزّمان ، وأضيف الفعل إلى الزمان، لأنّ الفعل من أجل الزمان ذكر . وكان أبو إسحاق يرى أنّه حكاية . وقال غيره : المراد المصدر . وقال المبرد فى إضافة آية إلى الفعل : إنّه بعيد ، وجاز على بُعده للزوم الإضافة ، لأنّ آية لا تكاد تفرَد إذا أردت بها العلامة . انتهى .

وفيه أنّ أكثر ماوُجدت فى القرآن بهذا المعنى مفردةً عن الإضافة ، قال تعالى : ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نسْلَخُ منه النّهار[2] ﴾ ، ﴿وآيةٌ لهم أنّا حملنا ذرِّيّتهم[3] ﴾ .

---

(١) لعمرو بن شأس. وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٦٠ . وصدره:
★ ألكنى الى قومى السلام رسالة ★

(٢) الآية ٣٧ من سورة يس .

(٣) الآية ٤١ من سورة يس .

وقال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يقدمون على تأويل المصدر، أى بآية إقدامهم الخيل ، يريد أنّ المعنى عليه ، لأنّ الفعل مؤوّل بحرف مصدر مقدّر ، إذ الفرض أنه مضافٌ إلى الجملة من دون سابك .

ثم قال الأعلم : وجازهذا فيها لأنها اسمٌ من أسماء الفعل،لأنّها بمعنى علامة ، والعلامة من العَلَم ، وأسماء الأفعال تضارع الزمان ، فمن حيث جاز أن يضاف الزمان إلى الفعل جازهذا فى آية ، وكأنّ إضافتها على تأويل إقامتها مقام الوقت، كأنه قال : بعلامة وقتِ يقدمون . يقول : أبلغهم عنّى كذا بعلامة إقدامهم الخيل للقّاء شعثاً متغيِّرة من السّفر والجهد . وشبّه ما ينصبُّ من عرقها ممتزجاً بالدم على سنابكها بالخمر . والسنابك : جمع سنبك،وهومقدم الحافر . انتهى .

أراد أنّ ذلك لمّا صار عادةً وأمراً لازماً صار علامة . وكأنّ الشاعر لمّا حمّـل إنساناً أن يبلّغ قوماً رسالته قال له ذلك الانسان : بأى علامة يُعرف هؤلاء القوم ؟ فقال : بعلامة تقديمهم الخيل إلى الحرب . أى إذا رأيت قوماً بهذه الصفه فأبلغ رسالتى . والشُّعث : جمع أشعث ، وهو المغبرّ الرأس . قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : ضمير يقدمون ضمير غيبة يعـود على تميم المذكورين قبله ، وهو :

١٣٧ ألا من مبلغٌ عنّى تميما بآيةِ ما يحبّون الطّعاما

وهذا لا يصحّ ؛ فإنّ كل بيت منهما من شعر آخر ، وليسا من قصيدةِ لقائل واحد .

والبيت الشاهد لم أرَهُ منسوباً إلى الأعشى إلا فى كتاب سيبويه ، وفى غيره غير منسوب إلى أحد . والله أعلم به .

وقد تكلم على معنى الآية أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى ، فيما كتبه على إصلاح المنطق لأبى يوسف بن السكيت (من كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال أبو يوسف : وقد تأيَّيته : تعمَّدت آيته أى شخصه . وحكى لنا أبو عمرو : يقال خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم[1] ، أى لم يدعوا وراءهم شيئاً . وأنشدنا لبُرج بن مُسهِر :

خرجنا من النعتين لا حىَّ مثلُنا ... بآيتنا نُزْجى اللقاحَ المطافلا[2]

قال : ومعنى آية من كتاب الله أى جماعة حروفه . قال أبو القاسم : قد أفسد أبو يوسف صحيح قوله الأول بقول أبى عمرو فى معنى الآية من كتاب الله ، وإنما الآية العلامة لا جماعة حروف . وكذلك قال ابن دريد : والآية من القرآن كأنَّها علامةٌ لشىء ، ثم يخرج منها إلى غيرها . وكذلك قال فى بيت البُرج ، أى خرجوا بجماعتهم وبما يستدلّ به عليهم من متاعهم . ويقال هذه آية كذا ، أى علامة كذا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أتبنُونَ بكل رِيعٍ آيةً تَعبثُون[3] ﴾ ، أى أَمَرَةً وعلامة ، ومنه قول الشاعر :

بآيةِ يُقدِمون الخيل زُوراً ... تُسَنُّ على سنابكها القُرونُ

وقال آخر :

بآية يقْدِمون الخيل زُوراً ... كأنَّ على سَنابكها مُداما

وقال آخر :

أَلَا أبلغْ لديكَ بنى تميم ... بآية ما يحبُّون الطعاما

(١) الكلام من هنا الى « بجماعتهم » التالية ساقط ش .
(٢) فى التنبيهات ٣٠٨ : « من النقبين » ، وهو الأشبه .
(٣) الآية ١٢٨ من الشعراء .

وقال المفسِّرون فى قوله تعالى : ﴿ ربِّ اجعلْ لى آيةً[1] ﴾ قالوا : علامةً أعلم بها وقوعَ ما بُشِّرتُ به .

وكذلك قالوا فى قوله سبحانه : ﴿قال آيتُكَ أن لا تُكلِّمَ النَّاسَ[2]﴾ أى تُمنَع الكلامَ وأنت سَوِىٌّ ، فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد . فكان ذلك من فعل الله به علامة دالة على صحة ما بشّره به من أمر يحيى عليه السلام .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ واضمُمْ يَدكَ إلى جَنَاحِكَ تَخرجْ بيضاء من غَيرِ سوء آيةً أخرى[3] ﴾ قال المفسرون : كانت فى قلب العصا آيةٌ دالة على وحدانية الله تعالى . ثم أمره بضم يده وأعلمه أنَّها[4] تخرج [بيضاء[5]] من غير بَرَص ، وأن تلك آية أخرى دالة على ما دَلَّتْ عليه الآية الأخرى[6] .

فأصلُ الآية العلامة ، فكأنَّ الآية من كتاب الله علامةٌ يفضَى منها إلى غيرها ، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية . قال الشاعر :

* إذا مضى عَلمٌ منها بدا علَمُ[7] *

ولما كانت الآية هى العلامة الدالة عَلَى الشّىء سمَّوْا شخصَ الشىء آيته ، وقالوا : تآيَيْته عَلَى وزن تفاعلته ، إذا تعمّدتَ آيته . وكذلك آيات الله التى

---

(١) الآية ٤١ من آل عمران .
(٢) من الآية السابقة .
(٣) الآية ٢٢ من طه .
(٤) ط : « أنه » صوابه فى ش والتنبيهات ٣١٠ .
(٥) التكملة من التنبيهات .
(٦) فى التنبيهات : « الأولى » .
(٧) وكذا فى التنبيهات ٣١٠ . والمعروف أن شواهدهم قول جرير :
* اذا قطعن علما بدا علم *

ضربها لعباده أمثالا ، فقال عز من قائل : ﴿ ومن آياته أن تقومَ السّماء والأرضُ بأمره[1] ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وانظُر إلى حمارِكَ ولِنجعلَكَ آيةً للناس[2] ﴾ وقال عز وجل : ﴿ لقد رأى مِنْ آياتِ ربِّه الكبرى[3] ﴾ . وقال تقدّست أسماؤه : ﴿ لنريكَ مِن آياتِنا الكُبرى[4] ﴾ فى أمثال هذه الآيات . وكلها بمعنى الدلائل والعلامات الدالة على صُنع اللطيف الخبير . ولا وجه لما قاله من جماعةِ الحروف ، وإن قاله غيره ، فهو قولٌ غير مقبول[5] . انتهى ماساقه أبو القاسم .

١٣٨

وقد اختلف فى أصلها على ستة أقوال :

أحدها : أن أصلها أَيَيَة كقَصَبة ، فالقياس فى إعلالها أياة فتصحُّ العين وتُعلّ اللام ، ولكن عكسوا شذوذا فأعلُّوا الياء الأولى لتحرُّكها وانفتاح ماقبلها دون الثانية . وهذا قول الخليل .

الثانى : أن أصلها أَيْيَة بسكون العين كحَيّة فأعِلّت بقلب الياء الأولى اكتفاء بشطر العلة وهو فتح ماقبلها فقط دون تحركها . قاله الفراء ، وعُزى لسيبويه ، واختاره ابن مالك . وقال : إنه أسهل الوجوه ، لكونه ليس فيه إلاّ الاجتزاء بشطر العلة . وإذا كانوا قد عوّلوا عليه فيما لم يجتمع فيه ياءان نحو طائى ، وسمع : اللهم تقبل تابتى وصامتى[6] ، ففيما اجتمع فيه ياءان أولَى لأنّه أثقل .

(١) الآية ٢٥ من الروم .
(٢) الآية ٢٥٩ من البقرة .
(٣) الآية ١٨ من النجم .
(٤) الآية ٢٣ من طه .
(٥) فى التنبيهات : « ولا أعلم ان أحدا قاله سواه ، فان كان قاله غيره فهو قول غير مقبول » .
(٦) أى توبتى وصومتى . وأنشد فى اللسان :

تبت اليك فتقبل تابتى وصمت ربى فتقبل صامتى

الثالث : أن أصلها آيِيَة كضاربة ، حذفت العين استثقالا لتوالى ياءين أولاهما مكسورة ، ولذلك كانت أولى بالحذف من الثانية . قال الكسائى : وردّ بأنه كان يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة فى قولهم : آى .

الرابع : أن أصلها أيُيَة بضم الياء الأولى كسمُرَة ، فقلبت العين ألفاً . وردّ بأنه كان يجب قلب الضمة كسرة .

الخامس : أن أصلها أيِيَة بكسر الياء الأولى كنَبِقة ، فقلبت الياء الأولى ألفا . وردّ بان ما كان كذلك يجوز فيه الفكّ والإدغام ، كحيِى وحىّ .

السادس : أن أصلها أيَيَة كقصَبة كالأول ، إلا أنه أعلت الثانية على القياس ، فصار أياة كحياة ونواة ، ثم قدمت اللام إلى موضع العين ، فوزنها فَلْعة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٩٦ (ألا مَنْ مبلغٌ عنّى تميماً بآيةِ ما يحبُّون الطّعاما)

على أن (آية) تضاف فى الأغلب إلى الفعلية مصدّرة بحرف المصدر ، كما فى البيت ، فإنّ ما مصدريّةٌ تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بإضافة آية إليه .

وهذا خلاف مذهب سيبويه . فإنّ ماعنده زائدة ، وآية مضافة إلى الفعل ، ولا تأويل بمصدر صناعة . قال النحاس : ما عند سيبويه لغو . وقال المبرد : ما والفعل مصدر . وأنكر ماقاله سيبويه .

(١) فى كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر الكامل ٩٨ وشرح شواهد المغنى ٢٨٣ والهمع ٢ : ٥١ .

وقال ابن هشام (فى المغنى) فى حذف ما المصدرية من الباب الخامس : « الصواب أنّ ما مصدرية ».وهذا يُشعر أنّ مذهب سيبويه خطأ . وليس هذا بصواب ، فكان اللائق أن يقول « والصحيح » ، أو يقول : « وعندى » أو « وعند غيره » .

قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يحبون ، وما زائدة للتوكيد . ويجوز أن تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر ، كإضافتها إلى سائر الأسماء انتهى .

ومفعول مبلغ محذوف ، أى رسالة ، كأنّه لما قال : من مبلغٌ تميما عنى رسالة قيل له : بأىِّ علامةٍ يعرفون ؟ فقال : بعلامة حبِّهم الطعام وحرصِهم عليه . يريد : إذا رأيت قوماً يحبُّون الطعام فاعلم أنّهم تميم ، فبلِّغهم رسالتى .

١٢٩ وقولُ الزمخشرى (فى شرح أبيات سيبويه) : ما زائدة ، أى بعلامة محبّتكم الطعام ، يُشعِر أنّ تحبّون بالخطاب . وليس كذلك ، وإنّما هو بالغيبة .

وروى صدرَه المبرد (فى الكامل) :

ألا أبْلغ لدَيكَ بنى تميم ... بآية ما يحبُّون الطّعاما[1]

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) هذا من الغلط ، إنّما الرواية :

* بآيةِ ما بِهِمْ حبُّ الطعامِ *

وبعده :

(أجارتْها أسيِّد ثم أودت ... بذات الضّرع منها والسّنامِ)

(١) الكامل ٩٨ ليبسك .

وليس أبو العباس المبرد بأوّلِ مَن غلط فيه من النحويين . انتهى

وعليه لا شاهد فيه . وهذا يؤيد قول سيبويه ، فإنّ ما موصولة وحبُّ الطعام مبتدأ والظرف قبله خبره ، والجملة صلة الموصول .

و(فى شرح شواهد المغنى للسيوطى) : قال أبو محمد السيرافى : وفى شعره ، يعنى يزيد بن عمرو بن الصعق :

ألا أبلغ لديك بنى تميم   بآية ذِكرِهِمْ حُبَّ الطعامِ
أجارَتْها أُسَيِّدُ ثم غارت   بذات الضَّرع منها والسَّنامِ

وسببه أن بنى عوف بن عمرو بن كلاب جاوروا بنى أُسيِّد بن عمرو بن تميم ، فأجلَوْهم عن مواضعهم ، فقال يزيد هذا الشعر .

و(فى أيام العرب لأبى عبيدة) : نزل يزيد بن الصعق قريباً من بنى أسيِّد ابن عمرو بن تميم ، واستجارهم لإبله ، فأجاروه ، ثم أغار عليه ناسٌ منهم فذهبوا بها ، فقال يزيد هذين البيتين . انتهى

وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه ، وحبَّ منصوب بنزع الخافض ، أى بآية ما يُذكرون بحبِّ الطعام .

وقول السيرافى : « وفى شعره » ، يوهم أنّ هذا الشعر غير البيت الشاهد ، وليس كذلك فإنّ الشعر واحد والقافية مجرورة .

وقد ردَّ عليه أوس بن غلفاء الهُجَيمى من قصيدة :

فإنَّك من هجاء بنى تميم   كمزداد الغرام إلى الغرام(١)

(١) المفضليات ٣٨٨ والكامل ٢٧٥ .

هُمُ تركوكَ أسلحَ من حُبارَى رأت صقراً وأشردَ من نعامِ

وهمْ ضربوكَ أمَّ الرأس حتى بدت أمُّ الشؤُون من العِظامِ

إذَا يأسونها جَشَأَتْ إليهمْ شَرَنبثةَ القـــوائم أمَّ هامِ

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : الذى ضرب يزيد على رأسه الحارث بن حَصبة ، أو طارق بن حَصبة — الشك من أبى عبيدة — ضربهُ يوم ذى نَجَب(١) وأسره ، فقال تميم لابن أبى جُويرية التميمى ، وكان نِطاسيًّا ، أى طبيبا : انظُرْ إليه فإن كنت ترجوه لن نطلقه(٢) حتى يعطينا الرضا فى فدائه . فإن خفت عليه قَنِعنا منه بأدنى شىء . فأعطاه يزيد شيئاً على أن يخبره بأنه يخاف عليه ، فأخذوا منه شيئاً يسيراً وأطلقوه . إنتهى

وقوله : أجارتْها أسيِّد ثم أودت » إلخ أجاره : التزمَ له ذِمَّة المجاورة . والضمير للإبل . و « أودت بذات الضَّرع » أى أهلكتها . وروى بدله : « غارت » أى أتت الغَور بها . وإنّما جعل حبَّ الطعام آية لبنى تميم يعرفون به لما كان من أمرهم فى تحريق عمرو بن هند إياهم ، ووفود البرجُمىّ عليه لما شمَّ رائحة المحرَّقين ، فظنهم طعاماً يُصنع فقُذِف به إلى النار .

١٠٣

قال المبرد (فى الـكامل) . وكان سبب ذلك أنَّ أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند كان مسترضعا فى بنى دارم فى حَجْر حاجب بن زرارة بن عُدُس ابن زيد بن عبد الله بن دارم ، وانصرف ذاتَ يوم من صيدٍ وبه نبيذ ، فعبث

(١) فى النسختين : « لجب » ، صوابه بالنون ، كما فى معجم البلدان (نجب) . وانظر الميدانى ٢ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٦ . وفى الميدانى : « بتحريك النون والجيم مفتوحهما : يوم لبَنى تميم على عامر بن صعصعة » .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه : « فلن نطلقه » .

كما تعبَث الملوك ، فرماه رجلٌ من بنى دارم بسهم فقتله ، ففى ذلك يقول عمرو ابن مِلقط الطائى لعمرو بن هند :

فاقتُلْ زرارةَ لا أرى في القوم أوفَى مِن زُراره

فغزاهم عمرو بن هندٍ فقتلَهم يوم القُصَيبة ويوم أُوارة ، وفى ذلك يقول الأعشى :

وتكون فى الشَّرف الموا زِى مِنقَراً وبنى زُراره
أبناء قوم قُتِّلوا يومَ القصيبة والأواره

ثم أقسمَ عمرو بن هندٍ ليحرِّقنَّ منهم مائة ، فبذلك سمى محرِّقا ، فأخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفَهم فى النار ، ثم أراد أن يبرَّ قسمه بعجوزٍ منهم لتكمُل العِدّة (١) ، فلمّا أمر بها قالت العجوز : ألا فتىً يفدِى هذه العجوزَ بنفسه ! ثم قالت : «هيهاتَ ، صارت الفِتيانُ حُمَمًا!» . ومرَّ وافدٌ للبراجم(٢) فاشتمَّ رائحة اللّحم ، فظنَّ أنَّ الملك يتّخذ طعاماً فعرَّج عليه ، فأُتِىَ به فقال له : من أنت ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، أنا وافدُ البراجم . فقال عمرو : «إنَّ الشقىَّ وافدُ البراجم» ! ، ثم أمر به فقُذِفَ فى النّار . ففى ذلك يقول جريرٌ يُعيِّر الفرزدق :

أينَ الذين بنار عمرٍو حُرِّقوا أم أين أسعدُ فيكمُ المسترضَعُ

وقال الطرِمّاح :

ودارمٌ قد قذفنا منهمُ مائةً
فى جاحِم النار إذْ ينزُون بالجَدَدِ
يَنزُون بالمشتوَى منها ويُوقدها
عمرٌو ، ولولا شحومُ القوم لم تَقِدِ

(١) فى الكامل : « لطمع » .
(٢) فى الكامل : « وافد البراجم » .

ولذلك عيِّرت بنو تميم بحبِّ الطعام ، يعنى كطمع[1] البرجمىِّ فى الأكل.

قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، أحد بنى عمرو بن كلاب :

أَلاَ أَبلغْ لديكَ بنى تميم   بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما

وقال آخر[2] :

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم   فسرَّكَ أن يعيشَ فجئْ بزادِ
بخبزٍ أو بلحم أو بتمرٍ   أو الشَّىء الملفَّفِ فى البجادِ
تراه ينقِّبُ البطحاء حولاً   ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

انتهى ما أورده المبرد .

قال ابن رشيق (فى العمدة) : زعم أبو عبيدة أنَّ من زعم أنَّه أحرقهم فقد أخطأ ، فذُكِر له شعرُ الطِّرمّاح فقال : لا علم له بهذا . واستشهد بقول جرير :

أين الذين بسَيف عمرٍو قتِّلوا
أم أين أسعدُ فيكم المسترضَعُ . انتهى

وهذه الرواية للبيت غير رواية المبرد .

وروى صاحب الأغانى خبر هذا اليوم بسنده إلى هشام بن الكلبى عن أبيه وغيره من أشياخ طيئ بأبسط من رواية المبرد ، مع مخالفة[3] قال :

(١) فى الكامل : « لطمع » .
(٢) فى حواشى الكامل : « ذكر حبيب ان هذا الشعر لأبى مهوش الفقعسي . وذكر دعبل انه لأبى الهوس الأسدى » .
(٣) الأغانى ١٩ : ١٢٧ .

يوم أوارة

كان من حديث يوم أوارة أنّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند ، كان يُعرف بأمّه هندٍ بنت الحارث الملك المقصور بن حجر آكل المرار الكندى ، وهو الذى يقال له مضرِّط الحجارة - أنه كان عاقد هذا الحىّ من طيئ على أن لا يُنازعوا ولا يفاخروا ولا يُغيروا .

وأنّ عمرو بن هند غزا اليمامة فرجع مُنْفِضا فمرّ بطيِّئ ، فقال له زُرارة بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى : أبيتَ اللّعن ، أصِبْ من هذا الحىّ شيئا . قال له : ويلك إنّ لهم عَقداً . قال : وإن كان . فلم يزَل به حتى أصاب مالا ونسوة وأذوادًا ، فذمّه قيس بن جِروة الطائى بقصيدة على نقض عهده ، فبلغت عمرو بن هند فغزا طيِّئا ، فأسر أسرى من طيِّئ ، وهم رهط حاتم بن عبدالله ، وفيهم قيس بن جحدر ، وهو جدّ الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفدَ حاتمٌ إلى عمرو بن هند فوهَبهم له .

ثم إنّ المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيرا ، ويقال بل كان أخاهُ صغيرا[1] يقال له مالكٌ عند زرارة ، وإنّه خرج ذات يوم يتصيّد فأخفق ولم يصبْ شيئا ، فمرّ بإبلٍ لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سُويدٌ ، وكانت عند سويد ابنةُ زرارة بن عدس ، فولدت له سبعةَ غِلمة ، فأمر مالكٌ بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى ، وسويدٌ نائم ، فلمّا انتبه شدّ على مالكٍ بعصا فضربه فأمّه[2] . ومات الغلام ، وخرج سويدٌ هاربا حتّى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن ، فحالف بنى نوفل بن عبد مناف ، فاختطّ بمكة ، وكانت طيئٌ تطلب عثراتِ زُرارة وبنى أبيه حتّى بلغهم ما صنعوا بأخى الملك ، فأنشأ عمرو بنُ ثعلبة بن مِلقط الطائى يقول :

---

(١) فى الأغانى : « ويقال بل كان اخا له صغيرا » .
(٢) أمه يؤمه : أصاب أم رأسه ، وهى الدماغ .

مَن مبلغٌ عَمراً بأ | نَّ المرءَ لم يُخلَق صُباره
وحوادثَ الأيام لا | يبقَى لها إلاَّ الحجاره
أنَّ ابنَ عِجزةِ أمِّه | بالسَّفح أسفلَ من أُوَاره
تَسفِي الرِّياحُ خلالَ كشْ | حَيهِ وقد سَلبُوا إِزارَه
فاقتُلْ زُرارَةَ لا أرى | فى القوم أوفَى من زُراره

والصُّبارة بالضم: الحجارة، وقيل بالفتح جمع صَبّار، والهاء لجمع الجمع، لأنَّ الصبّار جمع صَبرة بالفتح، وهى حجارة شديدة. كذا فى الصحاح. وأوارة بالضم: اسم ماء، وإليه نسب ذلك اليوم، والعِجزة بالكسر: آخر ولد الرجل، عنى به أخاهُ. ويقال لأوّل ولد الرجل زُكمة بالضم.

فلمّا بلغ الشعرُ عمرَو بن هند بكى حتّى فاضت عيناه، وبلغ الخبر زرارة فهرب، وركب عمرو بن هندٍ فى طلبه فلم يقدِرْ عليه، فأخذ امرأته وهى حُبلى وقال: ما فعل زرارةُ الغادر الفاجر؟ قالت: إن كان ماعلمتُ الطيِّبَ العَرَق[1]، السمينَ المرق، يأكل ما وجد، ولا يَسأل عمافقد، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبَع ليلة يُضاف: فبقَر بطنها، فقال قومُ زرارة لزرارة: والله ماقتلتَ أخاه، فأتِ الملك فاصدُقْه الخبَر. فأتاه زرارة فأخبرَه الخبر فقال: جئنى بسويد. فقال: قد لحق بمكة. فقال: علىّ ببَنيه. فأتاه ببنيه السبعة وهم غِلمَةٌ فتناولوا أحدَهم فضُرِبَتْ عنقه، وتعلّق بزرارة الآخرون، فتناولوهم وقُتلوا، وآلى عمرو بن هند ليحرِّقن من بنى حنظلةَ مائةَ رجلٍ، فخرج يريدُهم، وبعثَ على مقدِّمته عمرو بن مِلقطٍ الطائى، فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية

١٤٢

(١) فى النسختين: «قالت ما علمت مكانا لطيب العرق»، صوابه من الأغانى ١٩: ١٢٩.

البحرين فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند حتى انتهى إلى أوارة ، فأمر لهم بأخدودٍ ثم أضرمَه ناراً ، وقذف بهم فيها فاحترقوا ، وأقبل راكبٌ من البراجم — وهم بطن من بنى حنظلة — عند المساء لايدرى بشىء مما كان ، فقال له عمرو بن هند : ماجاء بك ؟ فقال : حبُّ الطعام ، قد أقويتُ ثلاثاً لم أذقْ طعاماً ، فلما سطع الدُّخان ظننتُه دخانَ طعام . فقال له عمرو : ممَّن أنت ؟ قال : من البراجم . فقال عمرو: « إنَّ الشقى وافدُ البراجم ! » فذهبَتْ مثلاً . ورمى به فى النار . فهجت العربُ تميما بذلك ، فقال ابن الصَّعِق العامرى :

ألا أبلغْ لديكَ بنى تميم بآيـةِ ما يحبُّون الطعـاما

وأقامَ عمرو بن هند لا يرى أحداً ،فقيل له : أبيتَ اللعن، لو تحلَّلتَ بامرأة منهم ! فدعا بامرأة منهم فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا الحمراء ابنة ضَمرَة ابن قطَن بن نهشل . فقال : إنى لأظنُّـكِ أعجمَّية . فقالت : ما أنا بأعجمية ، ولا ولدتنى العَجَم :

إنِّى لَبنتُ ضَمرة بنِ جـابرِ
سادَا معدًّا كابراً عن كابرِ
إنِّى لأختُ ضَمرة بن ضَمرهْ
إذا البـلادُ لُفِّعَتْ بغمرهْ(٢)

فقال عمرو : والله لولا مخافة أن تلدى مثلَكِ لصرفتك عن النَّار ! قالت : أمَا والذى أسأله أن يَضع وسادك ، ويخفضَ عِمادك ، ويسلبَك مُلكك(٣) ،

---

(١) ط : « راكب البراجم » ، واثبت ما فى ش والأغانى . وهو الموافق لما فى كتب الأمثال .

(٢) فى الأغانى : « بجمره » .

(٣) بعده فى الأغانى : « ما قتلت الا نساء أعاليهن ثدي ، وأسافلهن دمي . قال : اقذفوها في النار » .

ويُقرِّب هُلكَكَ ، ما أبالى ماصنعت ! فقال اقذِفوها فى النار : فأحرقت .
انتهى ما أورده صاحب الأغانى مختصرا .

تتمـــة

قال ابن قتيبة (فى خطبة أدب الـكاتب) : مازح معاويةُ بن أبى سفيان الأحنف بن قيس ، فمارُئىَ مازحان أوقرُ منهما، فقال له : يا أحنف ماالشىء الملفّف فى البجاد ؟ فقال : السخينة يا أمير المؤمنين .

أراد مُعاوية قولَ الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم
فسرّك أن يعيشَ فجئْ بزادِ

بخبزٍ أو بتمـرٍ أو بسمنٍ
أو الشىء الملفّف فى البِجادِ

تراه يُطوِّفُ الآفاقَ حرصاً
ليأكل رأسَ لقمانٍ بن عادِ

والملفّف فى البجاد : وطب اللبن . وأراد الأحنف أنّ قريشا كانت تعيّر بأكل السخينة ، وهى حَسَاء من دقيق يُتّخَذ عند غلاء السعر وعَجَف المـال ، وكَلَب الزمان . انتهى .

قال ابن السِّيد فى شرحه : هذا الشعر ليزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، وذكر الجاحظ أنّه لأبى المهوِّش الأسدىّ . والذى اقتضى ذكرَ الشىء الملفّف فى البجاد وذكرَ السخينة فى هذه المازحة ، أنّ معاوية كان قرشيًّا ، وكانت قريشٌ تُعيّر بأكل السخينة . وكان السّبب فى ذلك أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لمّا بُعِث فيهم

فكفروا به دعا الله عليهم ، وقال : « اللهم اشدُدْ وطأتك على مضرَ ، واجعلها عليهم سنينَ كسِنِي يُوسُف ! » . فأُجدبوا سَبعَ سنين ، فكانوا يأكلون الوبرَ بالدم ويسمُّونه العِلهِز . وكان أكثر قريش إذْ ذاك يأكلون السخينة، فكانت قريش تلقَّب سخينة ؛ ولذلك يقول حسان :

١٤٣ زَعمتْ سخينةُ أن ستغلِبُ ربَّها
وليُغلَبنَّ مُغالبُ الغَلَّابِ

وذكر أبو عبيدة أنَّ قريشا كانت تلقَّب سخينة لأكلهم السُّخن[1] ، وأنَّه لقب لزمهم قبل مَبعث النَّبي صلى الله عليه وسلم .

ويدل على صحة ما ذكر قول خِداش بن زهير ، ولم يدرك الإسلام :

يا شَدَّةً ما شدَدْنا غيرَ كاذبةٍ
على سَخِينةَ لولا الليلُ والحرمُ

وأمَّا الأحنف بن قيس فإنَّه كان تميميا ، وكانت تميم تعيَّر حُبَّ الطعام وشدَّةَ الشَّرَه ، وكان السبب الذى جرَّ ذلك أن أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند ، كان مسترضَعًا فى بنى دارم ، إلى آخر ما رواه المبرد (فى الكامل) .

وقال السُّهيلى (فى الرَّوض الأُنف): قول كعب :

* جاءت سخينة كى تغالب ربَّها * . . . البيت .

كان هذا الاسم مِمَّا سميت به قريش قديمًا . ذكروا أنَّ قُصيا كان إذا ذُبحت ذبيحة أو نُحِرت نَحيرة[2] بمكة أُتِيَ بعجُزها فيصنع منه خزيرة ، وهو

(١) وكذا فى الاقتضاب ص ٤٦ .
(٢) ط : « أو بحرت بحيرة » ، صوابه فى ش والروض الأنف ٢ : ١٠٥ .

لحم يُطبَخ ببُرّ ، فيُطعمه الناس ، فسمِّيت قريش سخينة .

وقيل : إنّ العرب كانوا إذا أسْنَتوا(١) أكلوا العِلهِز ، وهو الوبر والدم ، وكل قريش الخزيرة واللفيتة(٢) ، فنفِست عليهم العرب ذلك فلقبوهم سخينة .

ولم تكن قريشٌ تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، ولتركه أدباً مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إذ كان قرشيا .

ولقد استنشد عبدُ الملك بن مروان ما قاله الهوَازنيُّ فى قريش :

* ياشدّةً ما شددنا غير كاذبة * . . . البيت

فقال : ما زاد هذا على أن استثنى . ولم يكره سماع التلقيب بسخينة . فدلّ على أنّ هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعيير لهم . انتهى

والعِلهِز ، بكسر العين المهملة وسكون اللام وكسر الهاء بعدها زاى معجمة . والخزيرة ، بفتح الخاء وكسر الزاى المعجمتين ثم راء مهملة . قال فى الصحاح : الخزيرة: أن تُنصَب القدر بلحم يقطّع صغارا على ماء كثير ، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحمٌ فهى عصيدة .

وقال ابن السِّيد : قوله إذا ما مات ميْت إلخ ، فيه ردٌّ على أبى حاتم السِّجستانى ، فإنه كان يقول : قول العامة مات الميِّت خطأ ، والصواب مات

(١) أسنتوا : أجدبوا ، وفى الأصل : « شتوا » تحريف ، صوابه فى الروض الأنف .

(٢) اللفيتة : العصـــيدة الغليظة . وفي الروض : « والفيته » صوابه ، في الخزانة .

الحىّ . وهذا الذى أنكره غير منكر ، لأنّ الحىّ قد يجوز أن يسمّى ميتا لأن أمره يؤول إلى الموت . قال تعالى : ﴿ إنّكَ ميّتٌ وإنّهم ميّتون[1] ﴾ . ومثله كثير . وقد فرق قوم بينهما فقالوا : الميت بالتشديد : ما سيموت ، والميْت بالتخفيف : ما قد مات . وهذا خطأ فإنّ المشدّد أصل المخفف ، والتخفيف لم يُحدث فيه شيئا يغيِّر معناه . وقد استعملتهما العرب من غير فرق . قال الشاعر[2] :

ليس من ماتَ فاستراحَ بميْتٍ
إنّما الميْتُ ميِّتُ الأحياءِ

وقال ابن قِماس الأسدى :

ألا ياليتنى والمــرء ميْتُ وما يُغنِى عن الحَدَثان ليتُ

ففي البيت الأوّل سوّى بينهما ، وفى الثانى جعل المخفّف الحىّ الذى لم يمت . ألا ترى أنّ معناه والمرء سيموت ، فجرى مَجرى قوله تعالى : ﴿ إنك ميّت وإنّهم ميتون ﴾ .

١٤٤ وقوله : « بخبز أو بتمر أو بسمن » : بدل من قوله بزاد . والملفّف فى البجاد : وطب اللبن يلفّ فيه ويترك حتّى يروب . والوَطْب : زِقّ اللبن خاصّة . والبجاد : الكساء فيه خطوط .

وقوله : حرصا : مصدر وقع موقع الحال ، أو مفعول لأجله . وإنّما ذكر لقمان بن عادٍ لجلالته وعِظمه ، يريد أنّه لشدة نهمه وشرهه إذا ظفر بأكلة فكأنه

(١) الآية ٣٠ من سورة الزمر .
(٢) هو عدى بن الرعلاء . أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٢ وابن يعيش ١٠ : ٦٩ والعقد ٥ : ٩١ .

قد ظفر برأس لقمان، لسروره بما نال، وإعجابه بما وصل إليه . وهذا كما يقال لمن يُزهَى بما فعل ، ويفخر بما أدرك : كأنَّه قد جاء برأس خاقان !

وهذا الكلام الذى جرى بين معاوية والأحنف يسمَّى التعريض ، لأنَّ كل واحد منهما عرَّض بصاحبه بما تُسَبّ به قبيلته من غير تصريح .

ويشبه ذلك ما يُروى، من أن شَريك بن عبد الله النميرى ، ساير عمر بن هُبيرة الفزارى يوماً ، فبدرت بغلةُ شريك ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من لجام بغلتك . فقال له شريك : إنها مكتوبة . فضحك ابن هبيرة وقال : لم أرد ما ذهبت إليه .

عرَّض ابن هبيرة بقول الشاعر(١) :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نميرٍ
فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وعرَّض شريك بقول سالم بن دارة :

لا تأمَنَنَّ فزاريًّا خلوتَ به
على قَلوصِكَ واكتُبْها بأسيارِ

وكان بنو فزارة يُنسَبون إلى غشيان الإبل .

وقوله : تعيَّر بأكل السخينة ، بالباء . وقد منعه ابن قتيبة قال : تقول عيَّرته كذا ولا تقول عيرته بكذا . والصحيح أنَّهما لغتان ، وإسقاط الباء أفصح .

والحَساء والحَسْو لغتان . والعَجف : الضعف والهزال .

---

(١) هو جرير ، يقوله للراعى النميرى . ديوان جرير ٧٥ ومعجم الشواهد ٣٠ .

وأراد بالمال هنا الحيوان ، وكذلك تستعمله العرب فى الأكثر ، وقد يجعل اسماً لكل ما يملكه الإنسان من ناطق وصامت ، قال تعالى : ﴿ولا تؤتوا السُّفهاء أموالَكُم(١)﴾ وقال تعالى : ﴿والذين فى أموالِهِم حقٌّ معلومٌ . للسائلِ والمحروم(٢)﴾ . فالمال فيهما عامٌّ لكل ما يملك .

وكَلَبُ الزمان : شِدّته ، وأصل الكَلَب سُعار يصيب الكلاب ، فضرب بذلك مثلاً للزمان الذى يذهب بالأموال ويتعرّق الأجسام ، كما سمّوا السنة الشديدة ضبُعًا تشبيها لها بالضبع . وقالوا : أكله الدهر ، وتعرّقه الزمان ، كما قال :

أبا خراشة أمّا أنتَ ذا نفرٍ
فإنّ قومىَ لم تأكلهمُ الضّبعُ(٣)

وترجمة يزيد بن الصعق تقدّمت فى الشاهد التاسع والستين(٤) .

* * *

وأنشد بعده :

(لم يَمنع الشُّربَ منها غيرَ أنْ نطقَتْ
حمامةٌ فى غصونٍ ذاتِ أوقالِ)

وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين(٥) :

وضمير « منها » راجع للوَجْناء وهى الناقة الشّديدة . والشرب مفعول يمنع ، وغير فاعله ، لكنّه بنى على الفتح جوازا لإضافته إلى مبنى . وروى الرفع أيضا فلا شاهد فيه . وأراد بنطقت صوّتت مجازا . وفى بمعنى على . و«ذات» بالجر صفة

(١) الآية ٥ من سورة النساء .
(٢) الآية ٢٤ ، ٢٥ من سورة المعارج .
(٣) للعباس بن مرداس . وهو الشاهد ٢٤٩ من الخزانة .
(٤) الخزانة ١ : ٤٣٠ .
(٥) الخزانة ٣ : ٤٠٦ .

لغصون. والأوقال : جمع وَقْل بفتح فسكون، وهو ثمر الدَّوم اليابس، فإن كان ثمره طريًّا فاسمه البَهْش. يريد: لم يمنعها أن تشرب الماء غيرُ ما سمعت من صوت حمامة فنفرت. يريد أنها حديدة النفس، يُخامرها فزع وذعر، لحدة نفسها. وهو محمود فيها. ١٤٥

* * *

وأنشد بعده :

(غير أنِّي قدَ استعين عَلَى الهـ
مِّ إذا خَفَّ بالثَّوِيِّ النَّجاء)

وتقدم هذا أيضاً مشروحا فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين[1] .

وغير للاستثناء المنقطع مما قبله، فيحتمل أن تكون الفتحة فيه للبناء وفيه الشاهد، ويحتمل أن تكون نصباً فلا شاهد فيه.

وقوله : « قدَ استعين » بنقل فتحة الهمزة إلى دال[2] قد. وخفَّ بمعنى ذهب وأسرع. والثوِيُّ : مبالغة ثاوٍ بمعنى مقيم. والنجاء، بفتح النون بعدها جيم : المضىُّ والسرعة، والباء للتعدية. أى إذا اضطرَّ المقيمَ السفرُ وأقلقه السَّير والمضىّ.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الأربعمائة[3] :

٤٩٧ (بأذلَّ حيثُ يكون مَنْ يتذلَّلُ)

(١) الخزانة ٣ : ٤١٤ .

(٢) كتب مصحح الطبعة الأولى : « انظر ما الداعى للنقل مع استقامة الوزن » . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ٤٤٠ .

(٣) ديوان الفرزدق ٧٢٠ .

على أنَّ أبا على قال فى (كتاب الشعر) : إنَّ جملة يكون صفة لحيث لا أنها مضاف إليه ، لأنَّ حيث هنا اسمٌ بمعنى موضع ، لا أنها باقية على الظرفية .

وكتاب الشعر يقال له (إيضاح الشعر) ، و(إعراب الشعر) أيضاً .

وقد تكلم على هذا المصراع وأجاد الكلام فيه ، فينبغى أن نثبته هنا إيضاحاً له .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدة طويلة عدَّتُها تسعة وتسعون بيتاً للفرزدق ، هجابها جريراً . ولابد من نقل بيتين منها ليتَّضح معناه ، وهما :

قرينا الشاهد

(إنَّا لنضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ
وأبوكَ خلفَ أتانِه يتقمَّلُ

يَهزُ الهَرانِعَ عَقْدُه عِند الخُصَى
بأذلِّ حيثُ يكون من يتذلَّلُ)

قال أبو على : أنشده بعض البغداديين وزعم أنَّ حيث يكون اسما ، والقول فى ذلك أنّ أفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضه ، فإذا كان كذا فإنَّه يراد به الموضع ، لأنَّه مضاف إلى مواضع ، وجاز أن يراد بحيث الكثرةَ لإبهامها كما تقول أفضل رجل . وكذلك لما أضاف أذل صار كأنه قال: بأذلِّ موضع . فحيثُ موضع ، ولا يجوز مع الإضافة إليها أن تكون ظرفا كقولك :

* يا سارق الليلةِ أهلَ الدار[1] *

وقد حكى قطربٌ فيها الإعراب . ومما جاء حيث مفعولاً به قولهُ تعالى :

---

(١) انظر الخزانة ٣ : ١٠٨ .

﴿ الله أعلمُ حَيث يجعلُ رسالاته[1] ﴾. ألا ترى أنَّ حيث لا يخلو من أن يكون جراً أو نصباً . فلا يجوز أن يكون جرًّا لأنه يلزم أن يضاف إليه أفعَل ، وأفعل إنَّما يضاف إلى ما هو بعض له ، وهذا لا يجوز فى هذا الموضع ، فلا يجوز أن يكون جرّا ، وإذا لم يكنه كان نصبا بشىء دل عليه ، يُعلم أنه مفعول به . والمعنى : الله يَعلم مكان رسالاته ، وأهل رسالته . فهذا إذن اسمٌ أيضا .

فإن قال قائل : إذا صار اسمًا فلم لا يعرب لزواله عن أن يكون ظرفا ؟ قيل : كونه اسماً لا يخرجه عن البناء ، ألا ترى أنَّ منذ حرف ، فإذا استُعملتْ اسمًا فى نحو منذ يومان لم تخرج عن البناء . وكذلك عن وعلى إذا قلت : من عن يمين الخطّ ، وكذلك قول الشاعر :

* غدت من عليه[2] *

وكذلك « كم » بنيت فى الاستفهام ، فإذا صارت خبراً بقيت على بنائها . فكذلك حيثَ إذا صارت اسمًا . فأما موضع (يكون) فى قوله :

١٤٦

* بأذلَّ حيث يكون مَن يتذلّل *

فجرٌ بأنه صفة حيث ، كأنه قال : بأذلّ موضع يكونه ، أى يكون فيه . فحذف الحرف وأوصل الفعل ، فليس بجرّ لإضافة حيث إليه ، لأنَّ حيث إنما يضاف[3] إلى الفعل إذا كان ظرفا . فإذا لم يكن ظرفا لم يَنْبغِ أن يضاف إلى

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وهذه هى قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد . تفسير أبى حيان ٤ : ٢١٧ .
(٢) لمزاحم بن الحارث العقيلى . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢١٧ والخزانة ٤ : ٢٥٣ بولاق . وتمامه :
غدت من عليه بعدما تم ظمؤها تصل وعن قيض ببيداء مجهل
(٣) ش : « تضاف » ، وأثبت ما فى ط .

الفعل . وليس حيث في البيت بظرف . وإنما لم يعرب مَن لم يعربه لأنه جعله بمنزلة ما ومن ، في أنهما لم يعربا إذا وصفا وكانا نكرتين . وذلك أنّ الإضافة في حيث كانت للتخصيص ، كما أنّ الصفة كذلك ، فلمّا جعل اسمًا ولم يضف صار لزوم الصفة له للتخصيص بمنزلة لزوم الصِّلة للتخصيص ، فضارع حالُ الوصف حالَ الإضافة .

ولو جعلت في قوله: « بأذلّ حيث يكون » زمانا لم يحسن ، لأن أفعل هذا بعض مايضاف إليه .

وإذا قلت : هذا أذلُّ رجل ، فالمعنى هذا رجل ذليل ، ولا يكاد يقال زمان ذليل كما يقال موضع ذليل . ألا ترى أنّ الأماكن قد وصفت بالعزّ ، فإذا جاز وصفها بالعز جاز وصفها بخلافه ، ولا تكاد تسمع وصف الزمان بالذل .

فلايجوز إذن أن يكون موضع « يكون » جرًّا بأنه صفةُ حيث ، ويجعل حيث اسم زمان . انتهى كلام أبي علي .

وحاصله : أنّ أذل أفعل تفضيل مجرور بالكسر ، وهو مضاف إلى حيث بمعنى موضع يراد به الكثرة لإبهامه، ولهذا صحّ إضافة أفعل إليه ، إذ لا يضاف أفعل التفضيل إلاّ إلى ماهو بعضه . وجملة يكون صفة لحيث فتكون في محل جر ، والعائد إلى الموصوف ضمير نصب محذوف ، والأصل يكون فيه ، ففيه خبر يكون ومن يتذلّل اسمه ، فحذف حرف الجر واتصل الضمير بيكون ، فصار يكونُه ، ثمّ حذف الضّمير فصار يكون ، فجملة يكون إلخ في محل جرّ ، لكونها صفة لحيث لا لكونها مضافًا إليه .

وحيث موصوف بالجملة لا مضاف إليها . ولمّا كان حكم الجملة بعد حيث

فى الآية حكمها فى البيت ، نسبهما إلى أبى على وإن لم يذكر حكم الجملة بعد حيث فى الآية أبو على .

وقال الشارح المحقق : الأولى أن يكون مضافاً ، ولا مانعَ من إضافته ، وهو اسمٌ لاظرف ، إلى الجملة كما فى ظروف الزمانِ ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ يوم ينفعُ الصَّادقينَ صِدْقُهم[1] ﴾ . وعلى هذا أيضًا يكون الخبر محذوفا يقدَّر بعد يتذال ، أى فيه .

وقوله :

* إنَّا لنضرب رأسَ كلِّ قبيلةٍ *

يقول : نحن فى الطَّرَف الأعلى من العزّ ، وأنتم فى نهاية الذل والعجز . والأتان : أنثى الحمار . ويتقمل : يقتل قمله .

وقوله « يَهزُ الهَرانعَ » إلخ تفسيرٌ لقوله يتقَّمل . ويَهِزُ : مضارع وَهَز يهز هِزَةً ووَهْزاً ، إذا نزع القملة وقصعها؛ أوّله واو وثالثه زاء معجمة . والهرانع مفعول يهز مقدّم ، جمع هِرْنع بكسر الهاء وسكون الراء المهملة وكسر النون بعدها عين مهملة ، وهو القمل ، الواحدة هِرنعة . قال الشاعر :

* فى رأسهِ هَرانع كالجِعلانْ *

كذا قال ابن دريد . وقال الليث : الهُرنوع كعصفور : القملة الضخمة ويقال هى الصغيرة . وأنشد البيت . فيكون الجمع على حذف الزائد .

وقال ابن الأعرابى : الهُرنع كقنفذ ، والهُرنوع : القملة الصغيرة .

---

(١) الآية ١١٩ من سورة المائدة .
(٢) فى النسختين : « ووهز » ولا وجه له ، والصواب ما أثبت .

وعَقدُه فاعل يهز ، وهو بفتح العين المهملة وسكون القاف ، والضمير راجع لقوله وأبوك . وفسّره ابنُ حبيب(فى شرح المناقضات)وابن قتيبة (فى أبيات المعانى) وقالا : يعنى عقد الثلاثين ، وهو هيئة تناوُل القملة بإصبعين : الإبهام والسبابة . ورواه الصاغانى (فى العباب) فى مادة (وهز) عن شمر كذا :

١٤٧ يَهز الهرانعَ لايزال ويفتلى بأذلِّ حيثُ يكون من يتذّللُ

ففاعل يهز على هذا ضمير أبوك .

واعلم أنَّ العقود والعقد نوعٌ من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : « وعقَدَ عقْدَ تسعين[1] » . وقد ألَّفوا فيه كتباً وأراجيز ، منها أرجوزة أبى الحسن على ، الشهير بابن المغربى . وقد شرحها عبد القادر بن على بن شعبان العوفى . ومنها فى عَقْد الثلاثين :

واضمُمْهُما عنـــد الثلاثين ترَى

كقابض الإبرةِ من فوقَ الثَّرى

قال شارحها : أشار إلى أنَّ الثلاثين تحصُل بوضع إبهامك إلى طرف السبابة ، أى جمع طرفيهما كقابض الإبرة .

و (عند الخصى) ظرف لقوله يهزُّ . وقوله (بأذلّ) الباء بمعنى فى متعلقة بمحذوف على أنَّه حال من ضمير عقدُه . ويقول : نحن لعزِّنا وكثرتنا نحارب كلّ قبيلة ، ونقطع رءُوسها ، وأبوك لذُلّهِ وعجزه يقتل قملَهُ خلف أتانه ، فهو يتناول قملة بإصبعه من بين أفخاذه حالة كونه جالساً فى أحقرِ موضع يجلس فيه

(١) انظر لحساب العقد أيضا اللسان (ردم ١٢٧) والموشح ١٩٤ والقسطلانى ١٠ : ١٧١ ، ٢١٥ وفتح البارى ١٣ : ٩٥ — ٩٦ والألف المختارة الحديث ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

الذليل وهو خلف الأتان. فنحن نقتل الأبطال ، وأبوك يقتل القمل والصئبان ، فشتان ما بيني وبينك .

وهذه القصيدة مطلعها :

(إنَّ الذى سَمَكَ السماء بنى لنا
بيتًا دعائمُه أعزُّ وأطولُ)

ويأتى شرحه إن شاء الله فى الصفة المشبهة .

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[1] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الأربعمائة[2] :

٤٩٨(نَهيتُكَ عن طِلابكَ أمَّ عمرٍو
بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحيحُ)

على أنَّ التنوين اللاحق لإذْ عوضٌ عن الجملة، والأصل : وأنت إذ الأمر ذاك ، وفى ذلك الوقت .

وكذا أورده صاحب الكشاف فى سورة ص . استشهد به على أنَّ أوانِ فى قوله :

* طلبوا صُلحَنا ولاتَ أوانِ *

بنى على الكسر تشبيهاً بإذْ ، فى أنّه زمان قطع منه المضاف إليه وعوِّض

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .
(٢) الخصائص ٢ : ٣٧٦ وابن يعيش ٣ : ٢٩/٩ : ٣١ وشرح شواهد المغنى ٩٢ والأشمونى ١ : ٥٦ ويس على التصريح ٢ : ٣٩ والهذليين ١ : ٦٨ .

عَنه التنوين ، وكسر لالتقاء الساكنين .

وروى أيضا: «وأنت إذا صحيح»، فيكون التنوين فيه أيضا عوضا عن المضاف إليه الجُمْليّ عند الشارح المحقق، ويكون الأصل وأنت إذْ نهيتك ، كما قال فى قوله تعالى: ﴿فعلتُها إذاً وأنا مِنَ الضَّالين[1]﴾. والمشهور أنها فى مثله للجواب والجزاء . وعليه مشى المرزوقى (فى شرح الهذليين) قال: رواه الباهلى : وأنت إذاً صحيح . وتكون إذاً للحال، كأنه يحكى ما كان . والمراد: وأنت فى تلك الحال صحيح .

قالَ ابن جنى عند قول الحماسىّ :

فإنَّك إنْ تَرَى عَرَصات جُمْلٍ
بعاقبــــة ؛ فأنت إذاً سعيدُ[2]

قال سيبويه : إنّ إذاً جوابٌ وجزاء ، وإذا كان كذلك ففى الفاء مع ما بعدها الجزاء ، فما معنى إذاً ؟ فإن ذلك عندى لتوكيد الجزاء ، كما أنّ الياء فى قوله :

* والدهر بالإنسان دَوّارىٌّ *

لتوكيد الصفة[3] . انتهى .

وقوله قبل البيت : « وقولِه[4]» هو بالجر معطوف على مدخول الكاف فى قوله تعالى : ﴿ وكلاً آتينــا[5] ﴾ . ١٤٨

---

(١) الآية ٢٠ من الشعراء .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقى ١٥١ . وقال المرزوقى : « اتى بترى تاما وان كان فى موضع الجزم ، فهو كقول الآخر :

* ولا ترضاها ولا تملق *

(٣) ورد النص هنا موجزا . وانظــر الخزانة الحماسة الورقة ٢٤٨ .

(٤) انظر شرح الرضى الكافية ٩٩ س ١٠ .

(٥) الآية ١٧٩ من الأنبيــاء .

واعلم أنّ الشارح المحقق قد دقّق النظر فى نحوِ يومئذ فجعل إذ بدلا من الظرف قبله ، فيكون يوم ونحوه غير مضاف إلى إذ . وحينئذ يردُ عليه : ما وجه حذف التنوين من الظرف الأول ؟

ومن قال بالإضافة كالجمهور لحذف التنوين ظاهر : ويجوز فيه البناء على الفتح والإعراب على حسب العامل .

قال ابن السرّاج (فى الأصول) : وأسماء الزمان إذا أضيفت إلى اسم مبنى جاز أن تعربها وجاز أن تبنيَها ، وذلك نحو يومُئذ بالرفع ويومَئذ بالفتح ، فيقرأ على هذا إن شئت ﴿من عذاب يومِئذٍ[1]﴾ بالجر ، و﴿من عذاب يومَئذٍ﴾ بالفتح . اه .

وقد قرّر الشارح المحقق هذا فيما سيأتى ، وتنبَّه لهذا الاعتراض ، فأجاب عنه بأنّ الإعراب لعروض علة البناء ، أعنى الإضافة إلى الجمل ؛ والبناء لوقوع إذِ المبنىِّ موقعَ المضاف إليه لفظا .

وقوله « والذى يبدو لى أنّ هذه الظروف التى كأنها فى الظاهر مضافة إلى إذ ليست مضافة إليه بل إلى الجمل المحذوفة » ، هذا ممكنٌ فى يوم وحين فإنهما يجوز إضافتهما إلى الجمل ، وقد سمع .

وأمّا ساعةَ وليلةَ وغداةَ وعشيةَ وعاقبة ، فإنها ليست من الظروف التى يجوز إضافتها إلى الجمل ؛ لأنّه لم يسمع ، فكيف يقال إنها تضاف إلى الجمل وإذ بدلٌ منها ، فلمّا حذفت الجملة المضافة إليها إذ عوّض التنوين عنها ؟

(١) الآية ١١ من المعارج .

وقد وجد بخطّ صاحب القاموس ، تركيب هذه الظروف مع إذ ، قال : لا يضاف إلى إذ من الظروف فى كلام العرب غير سبعة ألفاظ : وهى : يومئذ وحينئذ ، وساعتئذ ، وليلتئذ ، وغداتئذ ، وعشيّتئذ ، وعاقبتئذ . اهـ .

قيل : ومقتضاه أنّه لا يقال وقتئذ ، ولا شهرئذ ، ولا سنَتَئذ .

وقد ورد أوانئذٍ فى شعر الداخل بن حَرام الهذلى[1] ، قال :

دَلفتُ لهـــا أوَانئذٍ بسهمٍ
حَليفٍ لم تخــوّنْه الشُّروجُ

والدّليف : سيرفيه إبطاء . وحليف : حديد . وتخوّنه : تنقّصه . والشُّروج الشقوق والصدوع .

وزعم الأخفش أن[2] إذ معرَب مجرور بإضافة ماقبله إليه . . .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وزعم الأخفش أنّ إذ فى ذلك معربة ، لزوال افتقارها إلى الجملة ، وأن الـكسرة إعراب ، لأنّ اليوم مضاف إليها .

وردّ بأنّ بناءها لوضعها على حرفين ، وبأنّ الافتقار باقٍ فى المعنى ، كالموصول تحذف صلته لدليل . قال :

نحنُ الألَى فاجمعْ جُمو عَك ثُمَّ جهِّزْهم إلينا[3]

---

(١) قصيدة البيت التالى تروى لعمرو بن الداخل فى ديوان الهذليين ٣ : ٩٨ وشرح السكرى لأشعار الهذليين ٢ : ٦١١ . وفى شرح السكرى : « وقال الأصمعى : هذه القصيدة لرجل من هذيل يقال له الداخل ، واسمه زهير بن حرام ، أحد بنى سهم بن معاوية » .

(٢) الكلام بعده الى « أن » التالية ، ساقط من ش .

(٣) لعبيد بن الأبرص فى ديوانه ٢٨ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٢٩ : ١٧٩ ، ٣٠٨ وشرح شواهد المغني ٩١ والعيني ١ : ٤٩٠ ، ويروى : « ثم وجههم » .

أى نحن الألَى عُرفوا . وبأنّ العوض ينزل[1] منزلة المعوَّض منه ، فكأنّ المضاف إليه مذكور ؛ وبقوله وأنتَ إذٍ صحيح .

وأجاب عن هذا بأنّ الأصل حينئذ ثم حذف المضاف وبقى الجر ، كقراءة بعضهم : ﴿ واللهُ يُريدُ الآخرةِ[2] ﴾ أى ثواب الآخرة . اهـ .

وهذا مع أنّه لاقرينة عليه لايفيد شيئاً لوجود مقتضى البناء فيه .

وقد نسها سهواً بيِّنا شارحُ شواهد المغنى[3] فقال : البيت استشهد به الأخفش على أن إذ معربة لعدم إضافة زمان إليها وقد كسرت . وأجيب بأنّ الأصل وأنت حينئذ ، ثم حذف المضاف وبقى الجر .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنّ الأخفش لم يستشهد بالبيت ، وإنما استشهد به عليه ، فأجاب بأنّ الحين منه محذوف . وهو غير قائل بأنّ إذ[4] معربة لعدم الإضافة .

١٤٩

وقد تكلم ابن جنى (فى سر الصناعة) على يومئذ ببيان واف وإن كان على خلاف طريقة الشارح المحقق ، فلا بأس بإيراده مختصراً ، قال :

من وجوه التنوين أن يلحق عوضاً من الإضافة نحو يومئذ ، وليلتئذ ، وساعتئذ ، وحينئذ ، وكذلك قول الشاعر :

* وأنت إذٍ صحيحُ *

وإنّما أصل هذا أن تكون إذْ مضافة إلى جملة نحو : جئتك إذ زيد أمير ، وقمت إذ قام زيد ، فلما اقتُطع المضاف إليه عوِّض منه التنوين ، فدخل وهو ساكن على الذال وهى ساكنة ، فكسرت الذال لالتقاء الساكنين . وليست

(١) ط : « تنزل » ، وأثبت ما فى ش والمغنى ٨٦ .
(٢) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جماز المدنى . تفسير أبى حيان ٤ : ٥١٨ .
(٣) لم أجد الكلام التالى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .
(٤) ط : « بأن إذا » ، صوابه فى ش .

الكسرة كسرة إعراب وإن كانت إذ فى موضع جر بإضافة ما قبلها إليها .
ويدلُّ على أنَّ الكسرة فى إذ إنَّما هى لالتقاء الساكنين ، قولُ الشاعر :

* وأنت إذٍ صحيحُ *

ألا ترى أنَّ إذ ليس قبلها شيء . فأمَّا قول أبى الحسن إنَّه جرَّ إذ لأنه أراد قبلها حين، ثمَّ حذفها ، وبقى الجر — فساقط . ألا ترى أنَّ الجماعةقد أجمعت على أنَّ إذْ ، وكم ، ومَنْ ، من الأسماء المبنية على الوقف . وقد قال أبو الحَسن نفسُه (فى بعض التعاليق عنه فى حاشية الكتاب) : بعْدَ كَمْ وإذْ من التمكن أنَّ الإعراب لم يدخُلْها قط . فهذا تصريحٌ منه ببناء إذ ، وهو اللائق به ، والأشبه باعتقاده . وذلك القول الذى حكيناه عنه شىء قاله فى (كتابه الموسوم بمعانى القرآن) ، وإنَّما هو شبيه بالسهو منه .

على أنَّ أبا على قد اعتذر له منه بما يكاد يكون عذراً .

قلت : أورد هذا العذر (فى آخر إعراب الحماسة) : قال : سألت أبا على عن قوله وأنت إذٍ صحيح ، فقلت : قدقال أبو الحسن :« إنه أراد حينئذ »،فهذا تفسيرُ المعنى أم تقدير الإعراب[1] على أن تكون إذْ مجرورة بحين المرادة المحذوفة ؟ فقال : لا ، بل إنَّما فسَّر المعنى ، ولا يريد أن إذْ مجرورة بحين المرادة . والذى قاله أبو على أجرى على مقاييس مذاهب أصحابنا ، غير أنَّ كلام أبى الحسن ظاهرُه هناك أنَّه يريد ما عدل أبو على عنه . انتهى

---

(١) فى اعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ : « فهذا تفسير المعنى أم تقدير للاعراب » ؟

ثم قال ابن جني[1] : ويؤيِّد ما ذكرته من بناء إذْ أنّها إذا أضيفت مبنيّة نحو قوله :﴿ إذ الأغلالُ فى أعناقهم[2]﴾ ، ﴿ وإذ يرفَعَ إبراهيمُ القَواعِدَ من البيت[3] ﴾ فإذ فى هذا ونحوه مضافة إلى الجمل ، وموضعها نصب ، وهى كما ترى مبنيّة . فإذا كانت فى حال إضافتها إلى الجمل مبنية من حيث كانت الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، لأن من حق الإضافة أن تقع على الأفراد فهى إذَا[4] لم تضف فى اللّفظ أصلاً أجدرُ باستحقاق البناء . ويزيدك وضوحاً قراءة الكسائى :﴿ من عذابِ يومَئذٍ[5]﴾ فبنى يوم على الفتح لمّا أضافه إلى مبنى غير متمكن .

فإن قيل : بنيت إذْ من حيث كانت غايةً منقطعا منها ما أضيفت إليه ، أو من حيث إضافتها إلى جملة تجرى الإضافة إليها مجرى لا إضافة ، فهلاّ أعربت لـما أضيفت إلى المفرد فى نحو قولهم : فعلت إذ ذاك ؟ قلت : هذه مغالطة فإن ذاك ليس مجروراً باضافة إذْ إليه ، وإنما ذاك مبتدأ حذف خبره تخفيفاً ، والتقدير إذ ذاك كذاك . فالجملة هى التى فى موضع جرّ .

ونظير هذا ما ذهب إليه أبو العباس المبرد فى قول الآخر :

طلبوا صُلحنا ولاتَ أوانٍ فأجبنا أنْ ليس حِينَ بقاءِ[6]

(١) النص التالى لم يرد فى اعراب الحماسة ، وهو امتداد لما نقله البغدادى عن « سر الصناعة » فيما سبق من الكلام . وهو بذلك يكرر ما أورده فيما مضى من الخزانة ٤ : ١٨٥ .

(٢) الآية ٧١ من سورة غافر .

(٣) الآية ١٢٧ من البقرة .

(٤) ط : « اذن » ، والوجه ما اثبت من ش .

(٥) الآية ١١ من سورة المعراج .

(٦) لأبى زبيد الطائى فى ديوانه ٣٠ وهو الشاهد ٢٨٢ فى الخزانة ٤ : ١٨٣ .

وذلك أنه ذهب إلى أن كسرة أوان ليست إعرابا ، ولا أن التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب ، وإنما تقديره عنده أنَّ أوانٍ بمنزلة إذْ ، فى أنَّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو : جئتك أوانَ قام زيد ، وأوانَ الحجاجُ أمير ، أى إذ ذاك كذاك ، فلما حذف المضاف إليه أوانَ عوض من المضاف إليه تنوينا . والنون عنده كانت فى التقدير ساكنة ، فلما لقيها التنوين ساكنا كسرت النون لالتقاء الساكنين .

١٥٠

وهذا غير مرضىّ ، لأنَّ أوانا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله :

* هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ[1] *

وقوله :

* فهذا أوانُ العِرضِ[2] *

وغير ذلك .

فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلاَّ حرّكوا التنوين فى يومئذ وأوان ، ولم حرّكوا آخره دون التنوين ؟ فالجواب : أنَّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذنِ ، فيشبه النونُ الزائد النونَ الأصلى . ولما أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنَّهم لو آثروا إسكانَ النون لما قدروا على ذلك ، لأن الألف ساكنة قبلها ؛ وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ،

(١) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ١٨٦ وانه لرشيد بن رميض .

(٢) للمتلمس ، كما سبق فى حواشى ٤ : ١٨٥ . وتمامه :
فهذا أوان العرض حى ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس

ثم يأتى التنوين بعدها ، فكان لابدَّ أيضا من أن يقولوا أوانٍ[١] .

فإن قيل : فلعلّ على هذا كسرهم النونَ من أوان إنّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دون أن يكون كسرهم إياها لسكونها وسكون التنوين بعدها ؟ .

فالجواب ماتقدم ، من كسرهم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها .

فعلى هذا ينبغى أن يحمَل كسر النون من أوان ، لئلا يختلف الباب . ولأنّ أوان أيضا لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه ، فيقدَّر مكسور النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، إنّما حذف منه المضاف إليه وعوِّض التنوين عُقَيب ذلك ، فلم يوجَد له زمنٌ تلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنّما كسرت لسكون الألف قبلها . فاعرف ذلك من مذهب المبرد .

وأما الجماعة إلاّ أبا الحسن والمبرد، فعندها أنّ أوان مجرورةٌ بلات ، وأنّ ذلك لغة شاذة . انتهى كلام ابن جنى .

صاحب الشاهد

والبيت من مقطوعةٍ تسعة أبيات لأبى ذؤيب الهذلى ، أوّلها[٢] :

أبيات الشاهد

(جمالَكَ أيُّها القلبُ القريحُ ستَلقى من تُحبُّ فتستريحُ
نُهيتك عن طِلابك أمَّ عمرو . . . البيت
وقلتُ تجنَّبنْ سُخطَ ابنِ عمٍّ ومطلبَ شُلّةٍ وهى الطَّروحُ[٣])

قوله « جمالك » إلخ قال الإمام المرزوقى (فى شرحه) : يجوز أن يكون

(١) رسمت فى ش « أوان » كما سبق فى ٤ : ١٨٦ .
(٢) ديوان الهذليين ١ : ٦٨ وشرح السكرى ١٧١ .
(٣) فى الهذليين وشرح السكرى :
فقلت تجنبن سخط ابن عم ومطلب شلة ونوى طروح

المراد: الزمْ جمالك الذى عُرف منك وعُهد فيما تُدفَع إليه وتُمتحن به، أى صبرك المألوف المشهور .

ويجوز أن يكون المعنى: تصبَّر وافعلْ ما يكون حسناً بك . والمصادر يؤمر بها توسُّعا، مضافة ومفردة .

وهذا الـكلام بَعْثٌ على ملازمة الحسنى وتحضيضٌ، ووعدٌ بالنجاح فى العُقبى وتقريب .

وقوله : (نَهَيتُك عن طِلابكَ) إلخ قال الإمام المرزوقى : يذكِّر قلبه بما كان من وعظه له فى ابتداء الأمر، وزجره من قبل استحكام الحبّ، فيقول: دفعتك عن طلب هذه المرأة بعاقبةٍ، أى بآخِر ما وصَّيتك به .

وهذا كما تقول لمن تعتِب عليه فيما لم يقبله : كان آخر كلامى معك تحذيرَك ما تقاسيه السَّاعة . ولستَ تريد أنَّ تلك الوصاة كانت مؤخَّرة عن غيرها ومُردَفة سواها ممّا هو أهمُّ منها، ولـكنك تنبِّه على أنَّ الـكلام كان مقصوراً عليها أوّلا وآخرا .

ويجوز أن يكون المعنى : نهيتك عن طلبها بذكرِ مايُفضى أمرك إليه، وتدورُ عاقبتُك عليه، وأنت بعدُ سليمٌ تقدر على التملُّس منها، وتملَّك أمرك ١٥١ وشأنك فى حبها. وكأنَّه كان رأى لتلك الحالة عواقبَ مذمومة تحصُل كلٌّ واحدةٍ على طريق البدل من صاحبتها[1]، وكانَ ذكرها كلَّها، فلذلك نـكّر العاقبة .

ويجوز أن يريد : نهيتك بعقب ماطلبْتَها، أى كما طلبتها[2] زجرتك عن

(١) ط : « صاحبها »، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) جعلها الشنقيطى : « أى كلما طلبتها » .

قريب[١] ، لأن مبادئ الأمور تكون ضعيفة فيسهل فيها كثيرٌ مما يصعُب من بَعْدُ . وهذا أقربُ الوجوه في نفسي . والعرب تقول : تغيَّر فلانٌ بعاقبة ، أي عن قريبٍ بعقب ماعُهِد عليه قبل . انتهى .

فظهر من هذا أن عاقبة بالقاف والموحدة . وكذا هي في رواية أبي بكر القاري شارح أشعار الهذليِّين قبل الإمام المرزوقي ، وهي عندي بخطِّه وعليها خطوط علماء العربية ، منهم أحمد بن فارس صاحب المجمل في اللغة ، وفسرها القاري[٢] بقوله : « آخر الشأن » .

والباء على المعاني الثلاثة متعلقة بنهيتك[٣] . وجملة وأنت صحيح حال من الكاف في نهيتك .

وصحَّفها الدماميني (في الحاشية الهندية على المغني) بالفاء والمثناة التحتية ، فجعل الباء متعلِّقة بمحذوف على أنه حال من إحدى الكافين كالجملة الاسمية . وجوَّز أيضاً أن تكون الباء متعلقة بنهيتك ، وقال : أي نهيتك عن حال عافية[٤] . والاسمية حال من التاء .

أقول : لايصحُّ كونها حالاً من التاء ؛ لأنها صفةٌ للمخاطب لا للمتكلم . فتأمَّل .

وقوله : « وقلت تجنَّبَنْ » إلخ قال : الإمام المرزوقي : رُوِي لنا عن الدُّريدي

(١) عن قريب ، ساقطة من ش .
(٢) ط : « القالي » ، صوابه في ش . وانظر ما سبق في حواشي ١ : ٣٣٨ .
(٣) الكلام بعده الى « متعلقة بنهيتك » ساقط من ش .
(٤) ط : « عاطبته » ، صوابه في ش .

عن أبي يزيد[1] وعن الزيادي « شُلّة » بضم الشين ، قال : وكذا قرأته بخطّ ذي الرمة . وكذا رواه الباهلي أيضا .

وروى « شَلّة » بفتح الشين ، وهما جميعاً من الشلّ : الطرد ، كأنّه يعدِّد ما كان يحذِّره منه ، ويعرِّفه أن نتائجه كان عالماً بها ، فلَهَا ما كان ينفِّره .

والمعنى أنّ طلبك لها يَجلب عليك مُراغمه أبناء عمك ، ويسوقك إلى التعب فيما يبعُد عنك ولا يجدى عليك .

والطروح : البعيدة . وروى بعضهم : « ونَوًى طروح » أى تطرح أهلها فى أقاصى الأرض . وكأنّه أراد : ونوى طروح ذاك ، لأنّ القوافى مرفوعة. اهـ.

وترجمة أبي ذؤيب الهذلى تقدّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٤٩٩ (علىَ حِينَ عاتبتُ المَشِيبَ على الصِّبَا

فقلتُ : ألمـّا تَصْحُ والشَّيبُ وَازِعُ)

على أنّه يجوز إعراب حين بالجر لعدم لزومها للإضافة إلى الجملة ،

---

(١) كذا في النسختين ، وقد تكون « عن ابى زيد .
(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .
(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٩ . وانظر المنصف ١ : ٥٨ وامالى ابن الشجرى ١ : ٤٦/٢ : ١٣٢ ، ١٦٤ وابن يعيش ٣ : ١٦ ، ٨١/ ٤ : ٩١/٨ : ١٤٦ والانصاف ٣٩٢ والمقرب ٦٣ والشذور ٧٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٢ : ٤٠٦/٤ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٤٢ والهمع ١ : ٢١٨ والاشمونى ٢ : ٢٥٦/٣ : ٢٢٦/٤ : ٨ وديوان النابغة ٥٣ .

ويجوز بناؤها على الفتح لاكتسابها البناء من إضافتها إلى المبنى ، وهو جملة عاتبت .

وأورده صاحب الكشاف عند قراءة نافع والكسائى : ﴿ ومَن خِزْىِ يوْمَئِذٍ[1] ﴾ بفتح الميم ، شاهدا على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للنابغة الذبيانىّ ، وقد تقدّمتْ مشروحة بتمامها فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة[2] . وقبل هذا البيت :

(فأسبلَ منّى عَبرةً فردَدتُها
على النّحر منها مستهلٌّ ودامعُ)

وفاعل أسبل ضمير « ذو حُسًى » فى مطلع القصيدة بضم الحاء والسين المهملتين ، وهو بلد فى بلاد بنى مُرّة . وعَبرة مفعول أسبل ، يقال أسبل الرجل الماء ، أىْ صبّه .

والعَبرة بالفتح : الدمعة . وإنّما ردّها خوفَ الفضيحة ، فإنّه يبكى على دار الحبيب الدارسة وهو شيخٌ . وعلى النحر متعلّق بأسبَلَ ؛ ويجوز أن يتعلق بردَدتُها على وجهٍ . والنَّحر ، موضع القلادة من الصَّدر . والدّمعة تجرى على الخدود ثم تسيل منها على النّحر . ومستهل : سائل منصبّ له وقع . ومنه استهلّت السماء بالمطر ، إذا دامَ مطرُها . ودامع : قاطر . وجملة «منها مستهل» لعبرة ، أى بعضها مستهلٌ وبعضها دامع .

١٥٢

(١) الآية ٦٦ من سورة هود .
(٢) الخزانة ٢ : ٤٥١ – ٤٦٨ .

وقوله (على حين عاتبت) إلخ على بمعنى فى، متعلّقة بأسبل. وعاتَبه على كذا، أى لامه مع تسخُّطٍ بسببه. فعلى الصبا متعلق بعاتبت. و (الصِّبا) بالكسر والقصر: اسم الصَّبوة، وهى الميل إلى هوى النفس. و (المشيب): الشيب، وهو ابيضاض الشعر المسوَدّ، ويأتى بمعنى الدخول فى حدّ الشيب.

وقوله (فقلت) أى للمشيب، معطوف على عاتبت. وجملة (ألمّا تصحُ) إلخ مقول القول. والهمزة للإنكار، ولمّا جازمة بمعنى لم، وفيها توقّع، لأنّ صحوه متوقّع. وتَصْحُ مجزوم بحذف الواو، من صحا يصحو، إذا زال سُكره.

وجملة (والشيب وازع): حال من فاعل تَصْحُ. ووازع، بالزاى المعجمة: الزاجر والكافّ. تقول: وزَع[1] يزع، إذا كفّ فهو وازع، كما يقال وضع يضع فهو واضع. قال الشاعر:

إذا لم يَزَعْ ذا الجهلِ حلمٌ ولا تقًى
فى السيفِ والتَّقوى لذى الجهل وازعُ

وروى أبو عبيدة: «ألمّا أصحُ» بالهمزة بدل التاء.

وقد تقدمت ترجمة النابغة الذبيانى فى الشاهد الرابع بعد المائة[2]:

* * *

وأنشد بعده:

(لمْ يمنعِ الشُّربَ منها غيْرَ أنْ نطقَتْ
حمامةٌ فى غُصونٍ ذاتِ أوقالِ)

على أنّ غيراً بنيت على الفتح لإضافتها إلى مبنى، وبيّنه الشارح المحقق، مع أنّها فاعلُ لم يمنع.

(١) ط: «وازع»، صوابه فى ش.
(٢) الخزانة ٢: ١٣٥.

وقد روى الرفعُ أيضاً على الأصل . قال سيبويه (فى باب ما تكون أنْ وأنَّ مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الأسماء) : حدَّثنا أبو الخطاب أنه سمع من العرب الموثوق بهم مَن ينشد هذا البيت رفعاً :

* لم يمنع الشُّربَ منها غيرُ أنْ نطقت * البيت .

وزعموا أنَّ أناسا ينصبون هذا كنصب بعضهم يومَئذ فى كلّ موضع ، فكذلك غيرَ أن نطقت . وكما قال النابغة :

* على حَينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا * . انتهى .

وتقدَّم شرحُه قريبا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسمائة(١) :

٥٠٠ (ونَطعُنُهمْ حيثُ الكُلَى بَعد ضَربِهِمْ
ببيضِ المَوَاضى حَيثُ لىِّ العَمائمِ)

على أنَّ إضافة حيث إلى مفرد نادر ، فتكون حيث بمعنى مكان ، ولىّ مجرور بإضافة حيث إليه ؛ وهو مصدر لوى العِمامة على رأسه ، أى لفَّها . ومكانُ لفِّ العمائم هو الرأس .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وندرت إضافة حيثُ إلى المفرد كهذا البيت. والكسائى يقيسُه . وأندر من ذلك إضافتها إلى جملة محذوفة كقوله :

(١) ابن يعيش ٤ : ٩٠ ، ٩٢ وشرح شواهد المغنى ١٣٣ والعينى ٣ : ٣٨٧ والتصريح ٢ : ٣٩ والهمع ١ : ٢١٢ والأشمونى ٤ : ٦٥ .

إذا رَيدةٌ من حيثُ ما نفحت له

أتاه بريّاها خليلٌ يواصلُه [1]

أى إذا رَيدةٌ نفحت له من حيث هبّت، وذلك لأنّ رَيدة فاعل بمحذوفٍ يفسّره نفحت، فلو كان نفحت مضافا إليه حيث لزم بطلان التفسير، إذِ المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف، فلا يفسِّر عاملا فيه . ١٥٣

قال أبو الفتح (فى كتاب التمام [2]) : ومن أضاف حيثُ إلى المفرد أعربَها . انتهى .

وقال العينى : إنّ حيث لم يضف فى البيت إلى جملة، فيكون معربا ومحلّه النصب على الحالية . انتهى .

يريد ما ذكره أبو الفتح من أنّها إذا أضيفت إلى مفرد أعربت، فتكون منصوبة لفظًا على الظرفية، وعاملها مقدّر منصوب على الحالية، كما قالوا مثله فى : رأيت الهلالَ بين السحاب . هذا مرادهُ .

وقال شارح شواهد المغنى : الصواب أنّها ظرف لضرب لا حال، فإنّها ظرف مكان، كما أنّ تحت ظرف مكان لِقطْعَهم :

ولم يفهم ابن الملا الحلبى (فى شرح المغنى) عبارةَ العينى وزيّفها، وهذا كلامه، ومن خطه نقلت : وقول العينى هنا أنّ (حيث) حيث لم تضف إلى جملة

---

(١) اللسان (ريد) . وستأتى فى ص ٥٥٩ نسبته الى ابى حية النميرى كما وردت النسبة فى العينى ٣ : ٣٨٦ .

(٢) كتاب التمام فى تفسير أشعار هذيل مما اغفله ابو سعيد السكري . وقد طبع فى بغداد سنة ١٩٦٢ بتحقيق الاساتذة القيسى ، وخديجة ، ومطلوب .

معربة محلّها النصب على الحال ، مردود ، إذْ لا معنى لجعل إعرابها محليا مع الحكم عليها بأنّها معربة . انتهى :

وقول شارح أبيات المغنى « كما أنَّ تحت ظرف مكان لنطعنهم » . هذه رواية العينى ، أخذها منه ، فإنّ صاحب المغنى لم يورد إلاَّ المصراع الثانى .

والمشهور فى شرح المفصل وغيره أنّ الرواية « حيثُ الحبا » ، قال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : يجوز أن يكون حيثُ مضافاً إلى الحُبا على حدّ حيث لىّ العمائم ، إلاّ أنّه لا يظهر فيه الإعراب . والحُبا : جمع حُبوة ، وهو أن يجمع الرجلُ ظهرَه وساقيه بعمامته ، وقد يحتبى بيديه . وفيها ضم الحاء وفتحها . وقال الجوهرى : والجمع حِبًى مكسور الأول[1] ؛ عن يعقوب . والذى أنشده شيخنا البحرانى وكتبه بخطه : الحبا بضم الحاء وبالألف . انتهى .

ورواية الشارح المحقق فى جميع نسخه : « الكُلَى » بدل الحبا . وبهذه الرواية تم المصراع الدّمامينى ، وتبعه ابن الملا . وهو جمع كُلية ، والكُلوة لغة فيه . وقال ابن السكيت : ولا تقل كِلوة أى بكسر الكاف . والمراد بالروايات الثلاث الأوساط . ولكلّ كُليتان ، وهما لحمتان لازقتان بعظم الصُّلب عند الخاصرتين .

وقوله (ونطعنهم) قال صاحب المصباح : طَعنه بالرُّمح طعنا من باب قتل . ثم قال : وطعنت فيه بالقول ، وطعنت عليه من باب قتل أيضا ، ومن باب نفع لغة . وأجاز الفراء يطعَن فى جميع معانيه بالفتح ، لمكان حرف الحلق . وفى القاموس : طعنه بالرمح كمنعه ونصره طعناً : ضربه ، وفيه بالقول

(١) ش : « بكسر الأول » ، وما اثبت من ش يوافق ما فى الصحاح .

طعنا . وقال شارح أبيات المغنى : يقال طعَنه بالرمح يطعُنه بالضم فى المضارع ، وكذا كل ما هو حِسِّىٌّ . وأما المعنوىّ[1] كيطعَن فى النَّسب فبفتح العين .

وقوله : (بعد ضربهم) مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والفاعل محذوف ، أى ضربِنا إيَّاهم . وقوله (ببيض المواضى) بالكسر : جمع أبيض ، وهو السيف .

والمواضى : جمع ماضٍ ، وهو القاطع الحادّ ، والإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة . وقال العينى : البَيْض بفتح الباء : الحديد . والمواضى : السُّيوف . أراد ضربهم بحديد السيوف فى رءوسهم . ويجوز كسر الباء إلى آخر ما ذكرنا . ولا ينبغى لمثله أن يسوِّد وجه الورق الأبيض بهذه الترّهات .

وهذا البيت لم يُعرف له قائل . قال ابن المستوفى : هذا البيت لا يحُسن أن يكون من باب مايُفتخر به ، لأنّهم إذا ضربوهم مكانلىَّ العمائم ولم يموّتوا ، واحتاجوا إلى أن يطعنوهم مكانَ الحُبا ـ وعادة الشجاع أن يأتىَ بالضَّرب بعد الطعن ـ فهذا منهم فعلُ جَبانٍ خائفٍ غير متمكِّن من قتل قِـرنه . وإنّما الجيِّد قول بَلعاء بن قيس ، من بنى ليث بن كنانة : ١٥٤

وفارسٍ فى غمرات الموت منغمسٍ
إذا تألَّى على مكروهةٍ صدقا[2]

غشَّيتـــه وهو فى جأواء باسلةٍ
عَضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

---

(١) فى النسختين : « المعنى » ، واثبت ما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) الحماســة ٥٩ بشرح المرزوقى .

بضربةٍ لم تكن منّى مخالســـة
ولا تعجّلتُها جُبنـــــا ولا فرَقا

فانظر كيف وصف قِرنه بما وصف به، ووصف موضعَه وبالغ فى موضعهما، [ووصفُ ضربته بما يدلّ على جرأته وشجاعته . انتهى .

[هذا ولم يورد الزمخشرى (فى المفصل) هذا البيت بتمامه ، وإنّما قال : وقد روى ابنُ الأعرابىّ بيتًا عجزه :

* حيث لىّ العمائم *

قال التبريزى (فى شرح الكافية) . إنّما لم ينشد البيت بتمامه للاختلاف فى صدره ، فبعضهم رواه كما ذكر ، وبعضهم قال : صدره :

ونحن سقينا الموتَ بالسّيف معقِلاً
وقد كان منهم حيثُ لىّ العمائمِ

انتهى].

وقال ابن المستوفى : وما أنشده ابنُ الأعرابى فقد قال الأندلسىُّ : وجدت أنا تمامه فى بعض حواشى المفصّــل ، وهو :

ونحن قتلنـــا بالشآم مُغفّـلا
وقد كان منا حيث لىّ العمائم

قال : ولا أعلم صحته . وأوّله على ما أنشدنيه شيخنا محمد بن يوسف البحرانى :

ونطعنهم حيث الحُبَا بعد ضربهم ** البيت

ولم يتمّه بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) إلاّ بقوله :

(ونحن سقينا الموتَ بالشام مَعقِلا

وقد كان منكم حيثُ لىِّ العمائمِ)

وقال : المعنى ونحن سقينا هذا الرجل، وهو مَعقِلٌ، كأسَ الموت بهذه البلدة، وقتلناه، وقد كان هذا الرجلُ منكم فوق الرءوس منكم، أى كان رئيسكم وعالياً عليكم. وقال بعض الشارحين : معناه قد كان المعقِل منكم، وهو الملجأ، فى مكان لىّ العمائم، وهو الرأس. وهذا ليس بظاهر. انتهى.

وهذا البيت أيضاً لم يعرف قائله.

أقول : البيت الذى رواه ابن الأعرابى غير ذينك البيتين. قال الصاغانى (فى العُباب) : وروى ابن الأعرابىّ بيت كثيِّر :

وهاجرةٍ يا عَزَّ يلطُف حرُّها

لركبانها مِن حيث لىِّ العمائمِ

نَصبتُ لها وجهى وعَزَّةُ تَتّقِى

بجِلبابِها والسِّترِ لفحَ السمائمِ

ويروى : «من تحت لوث العمائم».

ولعلّ الزمخشرى لم ينشده لرجحان الرِّواية الثانية عنده.

وأمّا البيت الذى أنشده صاحب المغنى، وهو :

* إذا رِيدَةٌ من حيث ما نفحت له * إلخ.

فهو لأبى حيّة النمرى : شاعر إسلامىّ أدرك الدولة الأموية والعباسية . توفّى سنة بضع وثمانين ومائة .

والريدة، براء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية بعدها دال : الريح اللينة الهبوب . ونفحت : هبّت . والريّا : الرائحة .

وقد أورد أبو علىّ هذا البيت (فى الإيضاح الشعرى) وتكلّم عليه فيه ، ولم يظفر به أحدٌ من شرّاح المغنى ، فلا بأس بإيراده . قال :

وصفَ أبو حيّة النميرى بهذا البيت حماراً . يقال ريحٌ رادَة وريْدة وريدانة : اللّينة . وريّاها : ريحها . وخليل ، يعنى أنفَه . يقول : تأتيه الريح لتنسّمه إياها بأنفه . فإذا هذه ، هى التى هى ظرفٌ من الزمان ، لأنّ المعنى : إذا نفحت ريحٌ تنسمّها . وإذا كانت كذلك كانت «ريدة» مرتفعة بفعل مضمر يفسرّه نفحَتْ ، مثل ﴿إذَا السّماء انشقّتْ[1]﴾ ونحو ذلك . ومن متعلقّة بالمحذوف الذى فسرّه «نفحَتْ» . وما أضيف إليه «حيث» محذوف كما يُحذف ما يضاف إليه إذْ فى يومئذٍ للدلالة عليه ، وأنّه قد عُلم أنّ المعنى إذا نفحت من حيثما نفحت . وإن شئتَ قلت: إن حيث مضافة إلى نفحت ، وريدة مرتفعة بفعل مضمر دلّ عليه نفحت ، وإن كان قد أضيف إليه حيث، كما دلّ عليه الفعل الذى فى صلة أنّ فى قولك : لو أنّك جئتنى لأكرمتك ، وأغنى عنه . فكذلك هذا الفعلُ المضاف إليه حيث ، أغنى عن ذلك الفعل لمّا دلّ عليه ، كما قلنا فى لو . ألا ترى أنّ المضافَ إليه مثلُ مابعد الاسم الموصول، فى أن كلّ واحدٍ منهما لا يعمل فيما قبله . ومع ذلك فقد أغنى الفعلُ الذى فى

١٥٥

(١) الآية الأولى من سورة الانشقاق

صلة أنَّ عن الفعل الذى يقتضيه لوْ ، وإن كان قبل الصلة . فكذلك الفعل المضاف إليه حيثُ . انتهى بكلامه وحروفه .

و « ما » تكون زائدة فى التوجيهين .

ونُقل عن ابن مالك أنَّها فى التوجيه الأوّل عوضٌ عن الجملة المحذوفة ، كالتنوين الذى فى حينئذٍ .

وبالتوجيه الثانى يسقط قول ابن هشام : « فلو كانت نفحة مضافاً إليه[1] لزم بطلان التفسير ، إذ المضافُ إليه لا يعمل فيما قبل المضاف » . ويتأيّد قولُ الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا مانع من كون نفحت مضافاً إليه مع جعله مفسِّرا .

وما استند إليه منظورٌ فيه ، لأنَّ الظاهرَ من كلامهم أن امتناع تفسير ما لا يعمل مخصوصٌ بباب الاشتغال .

تم بعون الله وتيسيره الجزء السادس ـ من خزانة الأدب ـ بتقسيم محققها

---

(١) ش : « مضافا اليها » .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الموصول

صفحة

باب الحكاية بمن وما وأى

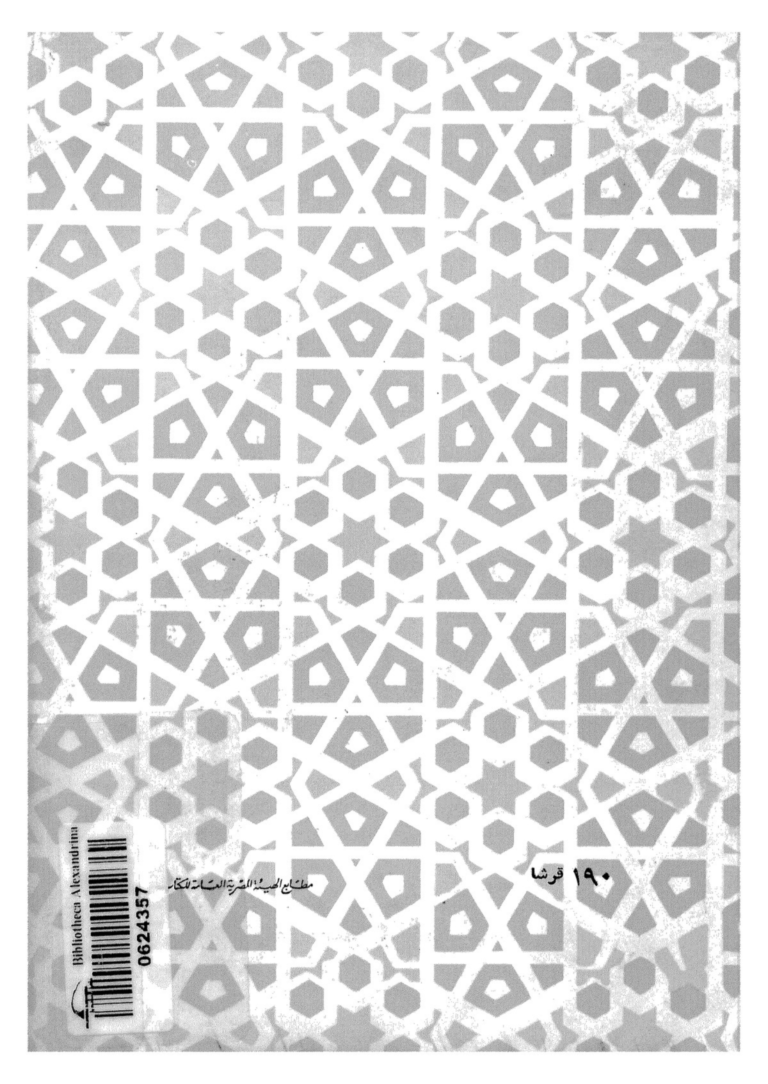
باب أسماء الأفعال

باب الأصوات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٠٨٣/١٩٧٧

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٤١٧ ٣



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٠ قرشا